# سورة القمر

[٨٧٨] أخرج الشيخان والحاكم واللفظ له عن ابن مسعود قال: رأيت القمر منشقاً شقتين بمكة قبل مخرج النبي [ﷺ] فقالوا: سحر القمر فنزلت: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١﴾(١).

[٨٧٩] وأخرج الترمذي عن أنس قال: سأل أهل مكة النبي [ﷺ] آية فانشق القمر بمكة مرتين فنزلت: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١﴾ إلى قوله: ﴿سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ﴾(٢).

[٨٨٠] وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال قالوا يوم بدر نحن جميع منتصر فنزلت: ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ۝٤٥﴾(٣).

[٨٨١] وأخرج مسلم والترمذي عن أبي هريرة قال: جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله [ﷺ] في القدر فنزلت: ﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٖ ۝٤٧﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ۝٤٩﴾(٤).

* * *

---

[٨٧٨] (١) سورة القمر: الآية (١) ـ والحديث رواه الواحدي في أسباب النزول ص (٢٢٧).
[٨٧٩] (٢) سورة القمر: الآية (١و٢).
[٨٨٠] (٣) سورة القمر: الآية (٤٥).
[٨٨١] (٤) سورة القمر: الآية (٤٧ و٤٨ و٤٩).

# (٥٤) سُورَةُ القَمَرِ مَكيَّة وَآيَاتُهَا خَمْسٌ وَخَمْسُونَ

سورةالقمر إحدى السورة المكية التي تعالج أصول العقيدة الإسلامية ، وهي ذات طابع خاص ، فيه التهديد والوعيدُ ، والإعذارُ والإنذار ، وهي من بدئها إلى نهايتها حملة عنيفة مفزعة على المكذبين بآيات القرآن المبين ، من السابقين واللاحقين ، مع مشاهد العذاب والدمار . سُميت السورة الكريمة « سورة القمر » لأن الله تعالى ذكر فيها تلك المعجزة الكونية الهائلة ، معجزة « انشقاق القمر » بناءً على طلب المشركين أن يريهم رسول الله ﷺ معجزةً تدل على صدقه ، وأعطوه العهود والمواثيق أن يؤمنوا إن أجابهم إلى طلبهم ، وطلبوا منه أن يشق لهم القمر ، فدعا رسول الله ﷺ ربَّه فاستجاب الله دعاءه وشقَّ القمر ، روى الإمام البخاري عن أنس بن مالك « أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية ، فأراهم القمر شقين ، حتى رأوا حِرَاءَ بينهما » وأخرج الإمام أحمد عن « جُبير بن مطعم » أنه قال : « انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فصار فرقتين : فرقةً على هذا الجبل ، وفرقةً على هذا الجبل ، فقال المشركون : سحرنا محمد ، ثم قالوا : إن كان سحرنا فإنه لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم .. فانتظروا حتى يأتي السُّفّار - أي المسافرون - فلما حضروا وسألوهم أجابوهم بأنهم رأوا إنشقاق القمر ، فقال المشركون : سحر محمدٌ الناسَ جميعاً فأنزل الله ﴿ اقتربت الساعةُ

وانشقَّ القمرُ . وإنْ يروا آيةً يُعرضوا ويقولوا سحرٌ مستمرٌ ، وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكلُّ أمرٍ مستقر﴾ .

وبعد الحديث عن القيامة والقمر ، تأتي النُذُر والعِبَر لهؤلاء المكذبين من كفار مكة ﴿ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر . حكمةٌ بالغة فما تغني النُذُر ؟﴾ ثم تتوالى الآيات وفيها الإنذارات العديدة تهُز المشاعر هزاً ، وتحرك الضمير الحيَّ تحريكاً عنيفاً وهي تتحدث عن أهوال ذلك اليوم العصيب ، حين يخرج الناس من القبور كأنهم جرادٌ منتشر في الآفاق ، يسرعون الخطى استجابةً لنداء الداعي « إسرافيل » عليه السلام ، حين ينادي : أيتها العظام البالية ، واللحوم المتمزقة ، والأوصال المتفرقة إن الله يأمركنَّ أن تجتمعن ليوم الفصل والجزاء ، ثم ينفخ في الصور النفخة الثانية ، فيخرج الناسُ من القبور مسرعين نحو صوت المنادي ، خاشعة أبصارهم من الذل والهَوْل ﴿فتولّ عنهم يومَ يدعوا لداعِ إلى شيءٍ نُكُر . خُشَّعاً أبصارُهُم يخرجون من الأحداث كأنهم جرادٌ منتشر . مهطعين إلى الداعِ يقول الكافرون هذا يوم عسر﴾ ومن مشاهد القيامة إلى مصارع المكذبين ، تنتقل الآيات الكريمة لتتحدث عن مشاهد التنكيل والتعذيب التي حلَّت بالطغاة المتجبرين ، الذين تمردوا على الله ورسله ، بدءاً من قوم نوح ﴿كذبت قبلهم قومُ نوحٍ فكذبوا عبدنا وقالوا : مجنونٌ وازْدُجِر . فدعا ربَّه أني مغلوبٌ فانتصِرْ. ففتحنا أبوابَ السماء بماءٍ منهمر . وفجرنا الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمرٍ قد قُدر . وحملناه على ذات ألواحٍ ودُسُر . تجري بأعيننا جزاءً لمن كان كُفِر . ولقد تركناها آية فهل من مدَّكر ؟ فكيف كان عذابي ونُذُر ؟﴾ . وبعد كل قصةٍ من قصص الأمم الغابرة ، وما نالها من العذاب والدمار ، يتكرر التعقيب بدعوة الإنسان إلى التذكر والإعتبار ، دعوةً هادئةً لطيفة إلى التبصر في هذا القرآن

﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر ، فهل من مدَّكر﴾ ؟ أي هل من متعظٍ ومعتبر ؟ ثم يبدأ المشهد الثاني من مشاهد التعذيب العنيف ، الذي حلَّ بعادٍ قوم هود ، وقد كانوا أقوى الأمم وأعتاها ، ولكنَّ الله أهلكهم بأيسر الأسباب بالريح الصرصر العاتية ، التي لا تدع شيئاً إلا أهلكته ودمرته ﴿كذبت عادٌ فكيف كان عذابي ونُذُر ؟ إنا أرسلنا عليهم ريحاً صَرْصراً – أي باردة شديدة الصوت – في يوم نحسٍ مستمر . تنزع الناسَ كأنهم أعجاز نخلٍ منقعر . فكيف كان عذابي ونُذُر ؟ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ ؟ ثم تمضي السورة الكريمة تتحدث عن مصارع الطغاة المكذبين – في المشهد الثالث – وهم قبيلة ثمود قوم صالح عليه السلام ، الذين خلفوا عاداً في القوة والتمكين في جزيرة العرب ، فقد كانت عادٌ في الجنوب ، وكانت ثمود في الشمال ، وكذبت ثمود رسولها كما كذبت عادٌ من قبل ، غير معتبرة بمصرعها ، حتى جاءتها صيحة العذاب المدمّر ، فكانوا كالهشيم المتحطم ، والعشب اليابس الذي تذروه الرياح ﴿كذبت ثمودُ بالنُذُر . فقالوا أبشراً منا واحداً نتبعه ؟ إنا إذاً لفي ضلال وسُعُر . أأُلقي الذِكر عليه من بيننا ، بل هو كذَّابٌ أشر . سيعلمون غداً من الكذابُ الأشر . إنا مرسلو الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر . ونبئهم أنَّ الماء قسمةٌ بينهم كل شِربٍ محتضر . فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر . فكيف كان عذابي ونُذُر ؟ إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر﴾ .

وفي المشهد الرابع تتحدث الآيات عن قوم لوط ﴿كذبت قومُ لوطٍ بالنُذُر . إنا أرسلنا عليهم حاصباً إلا آل لوط نجيناهم بسحر . نعمةً من عندنا كذلك نجزي من شكر﴾ ثم يتلوها الحديث في استعراض سريع عن آل فرعون ﴿ولقد جاءَ آل فرعونَ النُذُر . كذبوا بآياتنا كلّها فأخذناهم أخذ عزيزٍ مُقْتدر﴾ وبعد عرض هذه المشاهد الأليمة

– مشاهد العذاب والنكال – الذي حلَّ بالمكذبين لرسل الله ، يتوجه القرآن الكريم إلى مخاطبة قريش ، يحذرهم مصرعاً كهذه المصارع بل ما هو أدهى وأشد ﴿ أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءةٌ في الزُبر ؟ أم يقولون نحن جميعٌ منتصر؟ سيهزم الجمع ويولون الدبر . بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر .. إن المجرمين في ضلال وسُعُر . يوم يسحبون في النار على وجوههم ذو قوامسَّ سقر﴾ وتختم السورة الكريمة ببيان مآل السعداء المتقين ، بعد أن ذكرت مآل الأشقياء المجرمين ، على طريقة القرآن في الترغيب والترهيب للمقارنة بين الأبرار والفجار ﴿ إن المتقين في جنات ٍ ونَهَر . في مقعد صدقٍ عند مليك مقتدر﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة القمر[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾[١]

قوله عز وجل: **اقتربت الساعة وانشق القمر**، قال بعضهم: أي اقتربت الساعة واقترب[2] انشقاق القمر. وقيل: على التقديم والتأخير: **اقتربت الساعة** وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا،[3] وإن كان انشقاق القمر. فعلى هذين التأويلين لم يكن انشقاق القمر بعدُ ولكن يكون في المستقبل وعند قيام الساعة، وهو قول أبي بكر الأَصَمّ. ويقول معنى قوله: **انشق القمر**، أي سينشق القمر عند الساعة، إذ لو كان قد انشق في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لما خفي على أهل الآفاق، ولو كان ظاهرا عندهم لتواتر النقل به، إذ هو أمر عجيب والطباع جبلت على نشر العجائب. وعامة أهل التأويل على أن القمر قد انشق فكان ذلك من معجزاته صلى الله عليه وسلم. روي[4] عن عبد الله[5] بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بِمِنًى[6] فانشق القمر فذهبت فرقة منه وراء الجبل فقال عليه السلام: «اشهدوا، اشهَدوا».[7]

---

[1] ر – سورة القمر؛ ن: ذكر أن سورة اقترب وهي مكية؛ ث + مكية وهي خمس وخمسون آيات؛ م: سورة اقترب وهي مكية.

[2] جميع النسخ: واقتربت. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٦ظ.

[3] الآية التالية.

[4] جميع النسخ: وروي. والتصحيح من المرجع السابق.

[5] ر م – عبد الله.

[6] جميع النسخ: بمنا.

[7] صحيح *البخاري*، التفسير ٥٤.

وروي عن غيره أيضا نحو[1] عبد الله بن عمر وعبد الله[2] بن عباس[3] وأنس بن مالك وحذيفة وجُبير بن مُطعم في جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين أنهم رأوا[4] انشقاق القمر.[5] وقول أبي بكر: لو كان لم يَخْفَ وظهر، فيقال له: قد ظهر فإنه روي عن غير واحد من الصحابة رضي الله عنهم وتواتر الحديث عن الخاص والعامّ وفشى[6] الأمر بينهم حتى قلّ من يخفى عليه سماع هذا الحديث؛ على أنه قد نطق[7] به[8] ظاهر[9] الكتاب، وإنما يكلَّف حفظ ما لم ينطق به الكتاب، والعمل بحقيقة اللفظ واجب. وقال بعضهم: يجوز أن يستره الله تعالى عن أهل الآفاق بغيم[10] أو يَشغلَهم عن رؤيته ببعض الأمور بضرب[11] تدبير ولطف[12] منه لئلا يدّعيه بعض المتلبّسين في الآفاق لنفسه وادعى الرسالة كاذبا بناء على دعواه أنه فعل ذلك. فيحتمل أنه أخفى عن أهل الآفاق إلا[13] في حق من[14] يُظهر[15] المعجزة عليهم من الحاضرين، والكفرة يكتمونه[16] والصحابة الذين رأوا قد نقلوه. **والله أعلم.**

وقوله عز وجل: **اقتربت الساعة**، كأنه يقول اقتربت الساعة التي يُجزون[17] فيها أو الساعة التي ينشرون فيها أو الساعة التي يحاسَبون[18] فيها. فإن قيل: أليس روي عن النبي

---

[1] جميع النسخ: عن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٦ظ.

[2] ر ن ث: عمر بن عبد الله.

[3] ر ث + رضي الله عنهم.

[4] ث – رأوا.

[5] انظر: *تفسير الطبري*، ٢٧/١١١–١١٦؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٧/٦٦٩–٦٧٢.

[6] ث + وفشى.

[7] ر ث م: يطلق.

[8] ر م – به.

[9] ن – ظاهر.

[10] ر: بغم.

[11] جميع النسخ: لضرب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٦ظ.

[12] ر: ولفظ.

[13] م – إلا.

[14] ن ث – من.

[15] ن: مظهر.

[16] م: يكتمون.

[17] جميع النسخ: تجزون. والتصحيح من المرجع السابق.

[18] جميع النسخ: تحاسبون. والتصحيح من *الشرح* نسخة حميدية، ورقة ٧٣٩ظ.

صلى الله عليه وسلم أنه قال: «[بُعثتُ] أنا والساعة كهاتين»[١] وأشار إلى السبّابة والوسطى، وقد قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تقم[٢] الساعة بعد.

قيل: يحتمل أن مراده عليه السلام أن به[٣] ختمَ النبوة والرسالة وتبقى[٤] أحكامه وشريعته إلى وقت قيام الساعة، وبقاء شريعته كبقائه فصار كأنه قال: شريعتي والساعة كهاتين. ويحتمل أنه لما كان به ختمُ النبوة والشريعة صار بعثه ومجيئه عليه السلام علامة للساعة وآية لها، وهو كقوله تعالى: وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا،[٥] على تأويل من جعل بعث الرسول عليه السلام عَلَمًا وآية للساعة. ***والله أعلم***.

﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾[٢]

وقوله: **وإن يروا آية يعرضوا**، ذكر تعنتهم وعنادهم أنهم وإن يروا آية [يعرضوا ولا يقبلوها. ثم يحتمل وجهين. أحدهما وإن يروا آية][٦] سألوها يعرضوا فلم يُرِهِمْ تلك إذ[٧] من سنته أن كل آية جاءت على إثر السؤال فلم يقبلوها أُهلكوا. فإذا كان من سنته هذا وقد وعد تأخير عذاب هذه الأمة إلى الساعة وعفا[٨] عنهم التعجيل لم يُرِهِمْ تلك الآيات المقترَحة. ***والله أعلم***. ويحتمل: **وإن يروا آية** حسية **يعرضوا**، لأن آيات رسول الله صلى الله عليه وسلم عامتها وأكثرها كانت عقلية وسمعية، فيخبر[٩] عن سفههم وتعنتهم أنهم وإن يروا آية حسية يعرضوا عنها. وهو كقوله عز وجل: وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا،[١٠] وكقوله تعالى: وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا / مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ [٧٦٤ر]
لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا،[١١] الآية.

---

[١] عن أنس وغيره من الصحابة رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «بُعِثْتُ أنا والساعة كَهَاتَيْن»، قال: وضَمَّ السَّبَّابة والوُسْطى (*صحيح البخاري*، الرقاق ٣٩؛ وصحيح *مسلم*، الفتن ١٣٣).

[٢] جميع النسخ: ولم يقم.

[٣] ر م أنه.

[٤] جميع النسخ: ويبقى.

[٥] سورة الزخرف، ٤٣/٦١.

[٦] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٧٦ظ.

[٧] جميع النسخ: أو. والتصحيح من المرجع السابق.

[٨] جميع النسخ: وعفى. والتصحيح من المرجع السابق.

[٩] ث: فيخبرهم.

[١٠] سورة الأنعام، ٦/١١١.

[١١] سورة الحجر، ١٥/١٤-١٥.

وقوله تعالى: **ويقولوا سحر مستمر**، اختلف فيه. منهم من قال: **سحر مستمر**، أي ماض لم يزل الرسل عليهم السلام كانوا يأتون بمثله من السحر. ومنهم من قال: **مستمر**، أي قوي مأخوذ من المِرة وهي القوة، وأصل المِرة القتل. ومنهم من قال: **مستمر**، أي ذاهب يذهب ويتلاشى ولا يبقى.

﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ﴾[٣]

وقوله عز وجل: **وكذبوا واتبعوا أهواءهم**، يحتمل كذبوا الرسول صلى الله عليه وسلم وما أتاه به من الآية على الرسالة. ويحتمل **وكذبوا** بالتوحيد **واتبعوا أهواءهم**، يخبر أنهم إنما كذبوا ما ذكر باتباع أهوائهم لا بحجة وبرهان.

وقوله عز وجل: **وكل أمر مستقرٌّ**، أي كل أمر مستقر بأهله إن كان خيرا فخير وإن كان شرا فشر. ويحتمل كل أمر كائنٍ قارٌّ يَقِرّ بأهله. وقال بعضهم: لكل أمر وفعل حقيقةٌ ما كان، فما كان منه في الدنيا فسيظهر[١] وما كان منه في الآخرة فسيُعرَف.[٢]

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾[٤] ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾[٥]

وقوله عز وجل: **ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة**، يحتمل قوله:[٣] **ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر**، وجاءتهم أيضا حكمة بالغة وهو القرآن. ويحتمل أن يكون معناه: **ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر**، وفي تلك الأنباء حكمة بالغة. ثم الأنباء التي فيها مزدجر حكمة بالغة هي[٤] ما ذَكَر في هذه السورة من أنباء عادٍ وثمودَ وقوم لوط وقومِ نوح وموسى، فقد جاءهم أنباء هؤلاء وعرفوا ما نزل بهم من العذاب والإهلاك وبأي شيء نزل بهم وهو تكذيب الرسل عليهم السلام ليرتدعوا عن مثل صنيعهم فلا يَلحقهم مثل ما يلحق أولئك، وفي ذلك حكمة بالغة. والبالغة هي النهاية في الأمر، يقال: فلان بالغ في العلم، إذا انتهى في[٥] ذلك نهايته.[٦]

---

[١] ر: فيظهر.
[٢] ر ن م: فستعرف.
[٣] ن – قوله.
[٤] جميع النسخ: وهي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٧و.
[٥] م: وفي.
[٦] ر م: نهاية.

قال[١] القُتَبي: **مزدجر**، أي[٢] مُتَّعَظ،[٣] وقال أبو عَوْسَجَة: **مزدجر**، أي زاجر.

وقوله عز وجل: **فما تغني النُّذُر**، يقول -والله أعلم-: قد جاءهم ما ذكر من الأنباء التي فيها مزدجر وإنذار فلم يَزجُرهم ذلك ولم ينفعهم فأَنَّى تغني النذر لهم ومن أين ينفعهم النذر؟ أي لا تغنيهم. ثم النذر يحتمل وجهين. أحدهما الرسل[٤] عليهم السلام، جمع نذير.[٥] والثاني ما تقع[٦] به النِّذارة وهو الأنباء التي أنذر[٧] الرسل بها وحذَّروا بذلك. يقول فما يغنيهم[٨] قول الرسول ولا خوفُ ما بلغهم من القِصص التي فيها تعذيب الكفرة[٩] بتكذيب الرسل عليهم السلام وترك اتباعهم. *والله أعلم*.

﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيۡءٖ نُّكُرٍ﴾[٦]

وقوله عز وجل: **فتول**[١٠] **عنهم**، يحتمل وجوها. أحدها قوله: **فتول**[١١] **عنهم**، أي أعرض عنهم ولا تكافئهم[١٢] بإساءتهم. والثاني **فتول**[١٣] **عنهم**، أي لا تقاتلهم[١٤] ولا تجاهدهم. فإن كان التأويل هذا فهو يحتمل النسخ على ما قاله أهل التأويل، وإن كان للأول فهو لا يحتمل النسخ. والثالث يحتمل **فتول**[١٥] **عنهم**، أي لا تشتغل بهم[١٦] فإنهم لا يؤمنون، وذلك في قوم علم الله أنهم لا يؤمنون. يُؤْيِسُ رسولَ الله[١٧] صلى الله عليه وسلم عن الطمع في إيمانهم.

---

[١] ر ث م: وقال.
[٢] ر ن م: أمر.
[٣] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٣١.
[٤] ر ث م: النذر.
[٥] ر م: نذر.
[٦] ر ن م: يقع.
[٧] ث: إنذار.
[٨] ر ث م: تغنيهم.
[٩] ث: للكفرة.
[١٠] ر م: فتولى.
[١١] ر م: فتولى.
[١٢] ر ن ث: ولا تكافهم.
[١٣] م: فتولى.
[١٤] جميع النسخ: لا تقابلهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٧و.
[١٥] م: فتولى.
[١٦] ن: عنهم.
[١٧] ن ث: رسوله.

وقوله عز وجل: **يوم يدع الداع إلى شيء نكر**، أي إلى شيء منكر فظيع هائل، ويحتمل إلى شيء أنكروه في الدنيا وهو الساعة فيقرون في الآخرة.[1]

﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾[٧]

وقوله عز وجل: **خشعا أبصارهم**، وقرئ "خَاشِعًا"، بالألف،[2] روي عن ابن عباس، وتصديقها في قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: خاشعةً أبصارهم.[3] وصفهم بالخضوع في الآخرة مكان استكبارهم في الدنيا، وبالإقرار[4] والتصديق بالساعة مكان إنكارهم في الدنيا، وبالإجابة[5] للداعي مكان ردهم له في الدنيا، حيث قال: مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ.[6] وقوله عز وجل: **يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما شبههم[7] بالجراد لحيرتهم لا يدرون من أين يأتون وإلى أين يصيرون كالجراد الذي لا يدرى من أين وإلى أين؟ وهو كقوله تعالى: وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى.[8] والثاني شبههم[9] بالجراد لكثرتهم وازدحامهم لما يُحشَر الكل بدفعة واحدة. *والله أعلم*.

﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾[٨]

وقوله عز وجل: **مهطعين إلى الداع**، قال عامة أهل التأويل: **مهطعين**، أي[10] مسرعين. وقال قتادة: أي عامدين.[11] وقال مجاهد: الإهطاع السيلان[12] وهو بالفارسية پُوى رَفْتَنْ.[13]

---

[1] ث: في الآية.

[2] *المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٢١؛ و*النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/٢٨٤.

[3] «قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي: "خاشعا أبصارهم" بالألف على التوحيد، واحتجوا بحرف ابن مسعود: "خاشعة أبصارهم" على التوحيد» (حجة *القراءات* لابن زنجلة، ٦٨٨).

[4] ر: والإقرار.

[5] ن + الداعي.

[6] الآية التالية.

[7] ر م: تشبيههم.

[8] سورة الحج، ٢٢/٢.

[9] ر م: تشبيههم.

[10] م - أي.

[11] قارن: *تفسير الطبري*، ٢٧/١٢٠؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٧/٦٧٤.

[12] قارن: *تفسير الطبري*، ١٣/٣١٠؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٧/٦٧٤.

[13] جميع النسخ: بويه رفيق. وفي *الشرح* پويه رفتن، ورقة ١٧٧و.

وقال بعضهم: **مهطعين**، ناظرين رافعي رءوسهم، وهو قول الكلبي.[١] وقال أبو عَوْسَجَة: أي مسرعين مادِّين أعناقهم، وقيل: الإهطاع إدامة النظر إلى الداعي. وقوله عز وجل: **يقول الكافرون هذا يوم عسر**، وهو ما قال في آية أخرى: يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ.[٢]

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾[٩]

وقوله عز وجل: **كذبت قبلهم قوم نوح**، يقول -والله أعلم-: كذبت قبل قومك قوم نوح نوحا عليه السلام وآذوه فصبر على التكذيب وأنواع الأذى ولم يدع عليهم بالهلاك ما لم يرد الإذن بالدعاء عليهم بالهلاك من الله تعالى، فاصبر أنت على تكذيب القوم وأنواع الأذى. وهو كقوله تعالى: فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ.[٣]

فإن قيل: ما الحكمة في تكرار هذه الأنباء في القرآن ولم يكرّر ما فيه من الأحكام؟

قيل: إن هذه الأنباء والقِصص إنما جاءت لمحاجة أهل مكةَ وأمثالِهم من الكفرة في إثبات الرسالة والتوحيد والبعث، إذ هم المنكرون لهذه الأشياء وهم كانوا أهل عناد ومكابرة، وفيهم أيضا مسترشدون. ومن حق المُحاجة مع من[٤] ذكرنا / وأمثالهم أن تعاد[٥] الحجة مرة [٧٦٤ظ] بعد مرة لعلهم يقبلونها في وقت وإن ردوها في وقت[٦] وتَنْجَعَ[٧] في قلوبهم في وقت وإن لم تنجع[٨] في وقت. ومن حق الموعظة للمسترشدين[٩] أيضا أن تكرر[١٠] لتتعظ[١١] إذ[١٢] يختلف ذلك باختلاف الأحوال. وقد ذكرنا فوائد تكرارها واقتصار الأحكام فيما تقدم.[١٣] *والله أعلم*.

فإن قيل: إن نوحا عليه السلام قد دعا على قومه بالهلاك.

---

[١] «قال الكلبي: مهطعين، ناظرين إليك تعجبًا» (*الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ١٨/٢٩٣).
[٢] ﴿فإذا نُقِرَ في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير﴾ (سورة المدثر، ٧٤/٨-١٠).
[٣] سورة الأحقاف، ٤٦/٣٥.
[٤] ر م - من.
[٥] جميع النسخ: أن يعاد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٧ظ.
[٦] ر م - وإن ردوها في وقت.
[٧] ر ث م: وينجع.
[٨] ر ث م: وينجع.
[٩] ر: المسترشدين.
[١٠] جميع النسخ: أن يكرر. والتصحيح من المرجع السابق.
[١١] جميع النسخ: ليتعظ. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٢] ن ث: أن.
[١٣] انظر تفسير الآية ٣٥ من سورة العنكبوت.

قيل: إنما دعا على قومه بالهلاك بعد ما أيس من إيمانهم حيث قيل [له][1] إنه: لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ.[2] أما رسول الله لم يؤيسه عن إيمان قومه جملةً إنما يُؤْيِسُه عن بعض بطريق التعيين وهم[3] قوم علم الله تعالى أنهم لا يؤمنون، لا عن الكل فلذلك لم يأذن[4] بالدعاء عليهم. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فكذبوا عبدنا**، يحتمل كذبوه فيما ادعى لنفسه الرسالة أو كذبوه فيما[5] دعاهم إليه بالتوحيد وتوجيه الشكر إلى الواحد[6] القهار. وقوله عز وجل: **وقالوا مجنون**، أي قالوا لأتباعهم: إنه مجنون. وقوله عز وجل: **وَازْدُجِر**، أي نوح عليه السلام حيث قالوا لقومهم: لا تتبعوه وزجروهم عنه بقولهم: إنه مجنون، فهذا منهم زجر لأتباعهم عن اتباعه فصار بذلك[7] نوح عليه السلام مُزْدَجَرا عن القوم وصار القوم مُزْدَجَرين عنه. وقال بعضهم: زجروا نوحا عليه السلام أي منعوه عن إظهار ما آتاهم من الآيات على رسالته. ***والله أعلم***.

**﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾[١٠]**

وقوله[8] عز وجل: **فدعا ربه أني مغلوب فانتصر**، أي مغلوب بالسفه والمكابرة وأنواع الأذى، إذ لا يحتمل أن يكون مغلوبا بالحجج. **فانتصر** عبدك[9] عليهم.

**﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾[١١] ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾[١٢]**

وقوله عز وجل: **ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر**، يحتمل قوله تعالى: **ففتحنا أبواب السماء**،[10] أي مِن فوقُ لأن ما كان فوقك فهو سماء، فيحتمل أن يكون ذلك من البحر المكفوف

---

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٧٧ظ.
[2] سورة هود، ٣٦/١١.
[3] ر ث م: وهو.
[4] جميع النسخ: لم يؤذن.
[5] ن – ادعى لنفسه الرسالة أو كذبوه فيما.
[6] م: الوحد.
[7] جميع النسخ: لذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٧ظ.
[8] ن: قوله.
[9] ن: عندك؛ م – عبدك.
[10] ث + والأرض وفجرنا الأرض.

الذي ذكر أنه يين السماء والأرض. **وفجّرنا الأرض عيونا**، أي أنبعنا الماء من الأرض كأنه قال: أنزلنا الماء من فوقُ وأنبعنا[١] من أسفلَ. ويحتمل أن يكون قوله تعالى: **ففتحنا أبواب السماء**، هو حقيقة فتح السماء وإنزالِ الماء منها ولله[٢] تعالى[٣] أن يرسل الماء ممن شاء[٤] وكيف شاء.[٥] *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **بماء منهمر**، قيل:[٦] مُنْصَبٍّ، وقال أبو عبيدة:[٧] **منهمرٍ**، أي كثيرٍ سريعِ الانصباب،[٨] يقال: هَمَرَ الرجل[٩] إذا أكثر في الكلام فأسرع.[١٠] وقال أبو عَوْسَجَة: انهمرت السماء وهمرت أي أمطرت[١١] فأكثرت.

وقوله عز وجل: **فالتقى الماء على أمر قد قُدِر**، يذكر[١٢] أن الماءين جميعا: ما أرسل من[١٣] الفوق وما أخرج من[١٤] التحت على تقدير وتدبير لا جُزَافًا، وهو كقوله تعالى: ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى،[١٥] أي على تقدير وتدبير من الله تعالى لك في ذلك لا على غير[١٦] تقدير منه. وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه:[١٧] فالتقى الماءان[١٨] على أمر قد قدر. وقال بعضهم: **على أمر قد قدر**، أي قد قدّر لهم أن يَغْرَقُوا بالماء إذ كفروا. وقال بعضهم: **قد قدر**، أي استوى الماء: نصفه من عيون الأرض ونصفه من السماء. وأصله ما ذكرنا. *والله أعلم*.

---

[١] ن: وأتبعنا.
[٢] ر م: والله.
[٣] ر م + قادر.
[٤] ر م: يشاء وكيف شاء.
[٥] ر م – شاء.
[٦] ث + أي.
[٧] ر ن م: أبو عبيد.
[٨] م: الأنصاب.
[٩] ر ن م: الرسل.
[١٠] تفسير *غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٣١.
[١١] ر م: مطرت.
[١٢] ن – يذكر.
[١٣] ر ن ث: عن.
[١٤] ن: عن.
[١٥] سورة طه، ٢٠/٤٠.
[١٦] ن – غير.
[١٧] ر: عنهما.
[١٨] ث: الماءن.

﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾[١٣]

وقوله عز وجل: **وحملناه على ذات ألواح ودسر**، وذكر في حرف حفصة رضي الله عنها: وحملناه وذريته على ذات ألواح ودسر. ذكر هاهنا **ذات ألواح** وذكر في آية أخرى السفينة بقوله تعالى: [وَآيَةٌ لَهُمْ] أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ،[١] ونحوه، فيكون **ذاتِ ألواح** تفسير السفينة. ولو لم يتقدم ذكر السفينة[٢] لم يُفهم من ذات ألواحٍ السفينةُ، إذ ذات الألواح قد يرجع إلى الأعماد وغيرها، لكن كان تفسير السفينة بما ذكرنا. *والله أعلم*. ثم اختلف في قوله تعالى: **ودُسُرٍ**، قال عامة[٣] أهل التأويل: الدُّسُر الْمَسامير التي يُشدّ بها السفينة، وقيل: الدسر أضلاع السفينة، وقيل: صدرها، وقال الحسن: هي السفينة لأنها تَدْسُرُ[٤] الماءَ بِجُؤْجِئِها.[٥] قال أبو معاذ: واحد الدُّسُر دِسار وجِماع الْجُؤْجئ الجآجِئُ وهي الصدور.

ثم في قوله:[٦] **وحملناه**، وتسميةِ هذا المصنوع[٧] سفينة دليل على أن أفعال العباد مخلوقة لله[٨] تعالى، لأنهم هم الذين ركبوا السفينة ثم أخبر أنه هو الذي حملهم، وكذا الخشب المجتمعة لا تسمى سفينة إنما تسمى[٩] بهذا الاسم الخاص بعد الإيجاد والصنعة الموجودة من العباد. دل أن لله[١٠] في فعل العباد صنعا. *والله الموفق*.

﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **تجري بأعيننا**، أي بتقديرنا وبحفظنا. وقوله: **جزاءً لمن كان كفر**، أي حَمْلُ نوحٍ عليه السلام وأتباعه في السفينة ونجاتُهم[١١] من الغَرَق جزاءُ ما كفر به قومه،

---

[١] سورة يس، ٣٦/٤١.
[٢] ر م – لم يتقدم ذكر السفينة؛ ن: ولو لم يقدم ذكر السفينة.
[٣] ر م – عامة.
[٤] جميع النسخ: يدسر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٨و.
[٥] *تفسير الطبري*، ٢٧/١٢٤. قال تعالى: ﴿وحملناه على ذات ألواح ودُسُر﴾، أي مساميرَ، الواحد دِسار، وأصل الدَّسْر الدفع الشديد بقهر. قال الحسن: الدُّسُر صدر السفينة لأنها تدرس الماء بجؤجئها. ويقال: الدُّسُر: ما يشد به السفينة من المسامير والشُّرُط (*المفردات* للراغب الأصبهاني «دسر»).
[٦] م: ثم قوله.
[٧] ر م: المصنوعة.
[٨] ن: الله.
[٩] ر م: لا يسمى سفينة إنما سمى؛ ن ث: لا يسمى سفينة إنما يسمى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٨و.
[١٠] ر: الله.
[١١] ر ث م: ونجاهم.

كذا قال عامة أهل التأويل: إنه جزاء[١] لنوح[٢] عليه السلام حين[٣] كفر به قومه ولم يؤمن[٤] به قومه. وقال مجاهد: **جزاءً لمن كان كُفر**، الله[٥] تعالى، أي الغرق جزاؤهم لما كفروا بالله تعالى.[٦] وقال أبو معاذ: وقرئ **جزاءً لمن كان كَفر**، بنصب الكاف.[٧] وتأويل هذه القراءة أي إهلاك من أُهلك من قومه جزاءٌ لما كفروا بالله تعالى أو بنوح عليه السلام.

﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾[١٥]

وقوله عز وجل: **ولقد تركناها آية**، يحتمل وجهين. أحدهما تركنا[٨] سفينة نوح عليه السلام بعينها[٩] مدة طويلة حتى صارت آية لأواخرهم ولمن بعدهم، وبه يقول قتادة، قال: أبقى الله تعالى سفينة نوح عليه السلام بينة ببَاقِرْدَى[١٠] من أرض الجزيرة حتى نظرت إليها أوائل هذه الأمة، وكم من سفينة كانت بعدها فصارت رمادا؟[١١] والثاني، **تركناها آية**، [أي تركنا][١٢] آثار تلك السفينة وأنباءها آية لمن بعدهم، لأن أنباءها قد بقيت في المتأخرين حتى عرفوا أن من نجا بِمَ[١٣] نجا ومن هلك / بِمَ[١٤] هلك. ***والله أعلم***. [٧٦٥و]

وقوله عز وجل: **فهل من مُدَّكِرٍ**، عن الأسود قال: قلت لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه: **فهل من مُدَّكِرٍ**، أو مُذّكَر؟ فقال أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم **مدّكر**، بالدال.[١٥]

---

[١] ر م: أخبر.
[٢] ر: النوح.
[٣] جميع النسخ: وحين. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٨و.
[٤] جميع النسخ: فلم يؤمن. والتصحيح من المرجع السابق.
[٥] ر ث م: بالله.
[٦] *تفسير الطبري*، ١٢٥/٢٧.
[٧] قرأ يزيد بن رومان وقتادة ومجاهد وعيسى وحميد: ﴿جزاءً لمن كان كَفر﴾ (*الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ١٣٣/١٧؛ و*البحر المحيط* لأبي حيان، ١٧٨/٨).
[٨] ن: ركبا.
[٩] ر ن م: بعينه؛ ث: لعينه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٨و.
[١٠] ر م: للمسافرين؛ ث: بباقريا. باقِرْدَى: بكسر القاف وفتح الدال، قرية في شرقي دجلة وبالقرب منها جبل الجودي (*تاج العروس*، «بقرد»).
[١١] *تفسير الطبري*، ١٢٦/٢٧.
[١٢] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٧٨و.
[١٣] جميع النسخ: لمن.
[١٤] جميع النسخ: لمن.
[١٥] *مسند أحمد بن حنبل*، ٣٩٥/١.

قال أبو عبيد[ة]:[1] وأصله في العربية مُذْتَكِرْ فإنه من باب الافتعال على وزن مفتعل، فنقل لاجتماع التاء والذال فأدغمت الحرف الأول وهو الذال في التاء فانقلب دالا، وهو كقوله: إدَّخَرَ أصله إذْتَخَرَ من الذُّخر لما قلنا. *والله أعلم*. ثم قوله عز وجل: **مدكر**، أي هل [من][2] متذكر[3] متعظ يتعظ بما نزل بأولئك فينزجر عن مثل صنيعهم. قال[4] قتادة: فهل من طالب خير فيعانَ عليه.[5]

### ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **فكيف كان عذابي ونذر**، يخرج على وجهين. أحدهما أليس ما وعد لهم رسلي من العذاب بالتكذيب صدقا حقا؟ وأريد بقوله: **وَنُذُرِ**، أي رسلي. والثاني أليس وجدوا عذابي شديدا، ونذري[6] ما وقعت به النِّذارة وهو العذاب الذي أُنذروا به. والنذر على هذا التأويل المنذَر به، كقوله تعالى: إنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً،[7] أي موعودا، وإلا وعده لا يكون مفعولا إذ هو صفة أزلية.

### ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾[١٧]

وقوله[8] عز وجل: **ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر**، هذا يحتمل وجوها. أحدها **يسرنا القرآن للذكر**، أي للحفظ، أي صيرناه بحيث يحفظه كل أحد من صغير وكبير وكافر ومؤمن وكل أحد يتكلف حفظه.

والثاني **ولقد يسرنا القرآن للذكر**، أي لذكر ما نسوا من نعم الله تعالى ولذكر ما نسوا من حق الله تعالى[9] عليهم ولذكر ما أنبأهم فيه من أخبار الأوائل من مصدقيهم ومكذبيهم.[10]

---

[1] «﴿مُدَّكِرٍ﴾ مذتكر فلما أدغم التاء في الذال تحولت الذال دالا» (*مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ٢/٢٤٠).

[2] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٧٨و.

[3] ر م: متدكر.

[4] ن ث: وقال.

[5] *تفسير الطبري*، ١٢٨/٢٧؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٦٧٦/٧.

[6] ر: شديد أي نذري.

[7] جميع النسخ: وكان وعد الله مفعولا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٨و. سورة الإسراء، ١٠٧/١٧.

[8] ن: قوله.

[9] ر م - ولذكر ما نسوا من حق الله تعالى.

[10] ر م: مذكر.

والثالث جائز أن يكون ذلك[١] لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصةً، أي يسرناه عليه حتى حفظه كلَّه عن ظَهْر قلبه حتى[٢] إذا أراد أن يذكر شيئا منه يذكر في كل وقت وكل ساعة أراد، كقوله تعالى: لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ،[٣] وقوله عز وجل: نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ،[٤] وقوله تعالى: سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ،[٥] أمّنه عن أن ينساه ومنّ عليه بالتيسير.

وقوله: **فهل من مدكر**، فعلى التأويل الأول -والله أعلم- أنه وإن يَسّر[٦] القرآن للحفظ ولكن لم ينزله للحفظ ولكن إنما أُنزل لِيُذَّكّر ما فيه وللاتعاظ[٧] به، أي فهل من متعظ يتعظ به.[٨] وعلى التأويل الآخر: **فهل من مدكر**، خرج مخرج الأمر أي اذكروا واتعظوا بما فيه من الأنباء. ***والله أعلم***.

**﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾[١٨]**

وقوله عز وجل: **كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر**، ذكر أنباء الأوائل[٩] وما نزل بهم بالتكذيب والعناد وسوء معاملتهم الرسل عليهم السلام،[١٠] وهو صلة قوله: وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ.[١١] وتأويل الآية يخرج على الوجهين اللذين ذكرناهما.

**﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾[١٩]**

وقوله تعالى: **إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا**، قيل: باردة، وقيل: شديدة. وقوله: **في يوم نحس مستمر**، أي استمر بهم العذاب، كما قال الله عز وجل: سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا،[١٢] وقيل: **مستمرّ**، أي ذاهب على الصغير والكبير فلم يَبق[١٣] منهم أحد إلا أهلكته.

---

١ ر م - ذلك.
٢ ن - حتى.
٣ سورة القيامة، ١٦/٧٥-١٧.
٤ سورة الشعراء، ١٩٣/٢٦-١٩٤.
٥ سورة الأعلى، ٦/٨٧-٧.
٦ ر ث م: وإن يسرنا.
٧ ن: والاتعاظ.
٨ ر م: من متعظ به؛ ن - به.
٩ ر: الأول.
١٠ ر ث م: الرسول عليه السلام.
١١ الآية ٤ من هذه السورة.
١٢ سورة الحاقة، ٧/٦٩.
١٣ ر: فلم يسبق.

﴿تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾[٢٠]

وقوله عز وجل: **تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر**، من الناس من قال لما اشتد بهم الريح تنادَوا فيما بينهم: البيوتَ البيوتَ،[١] فدخلوها فدخلت الريح عليهم فأخرجتهم من بيوتهم وألقتهم في فنائهم فذلك النزع. ومنهم من قال: تنزع[٢] مفاصلهم فتلقيهم[٣] كأعجاز نخل منقعر؛ لأنهم كانوا أطول الخلق، فذكر أن كل رجل منهم كان طوله ستين ذراعا والنخل لا تبلغ[٤] ذلك المقدار إلا بعد قطع المفاصل. فجائز التشبيه بأعجاز نخل[٥] منقعر بعد انتزاع[٦] مفاصلهم. والانقعار هو الانقلاع. قال أبو عَوْسَجَة: **منقعر**،[٧] أي منقطع ساقط. ومنهم من قال: شبّههم بأعجاز النخل لعظم[٨] أعجازهم، وقال بعضهم: شبههم بأعجاز النخل[٩] لطولهم، ولكن ذلك بعد نزع المفاصل لما ذكرنا. وفي حرف حفصة رضي الله عنها: تنزع[١٠] الناس[١١] على أعقابهم.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾[٢١] ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾[٢٢]

وقوله: **فكيف كان عذابي ونذر**، فهو يخرج على ما ذكرنا من الوجهين، وكذا قوله: **ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر**.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾[٢٣]

وقوله عز وجل: **كذبت ثمود بالنذر**، يحتمل الوجهين اللذين ذكرناهما. أحدهما **بالنذر**، أي بالرسل التي دعتهم إلى الإيمان بالله تعالى. والثاني **كذبت**، بما وقعت به النِّذارة التي أخبرتهم[١٢] الرسل أنها نازلة واقعة بهم. ***والله أعلم***.[١٣]

---

[١] ر م - البيوت.
[٢] ر م: نزع؛ ث: ينزع.
[٣] ر ث م: فيلقتهم.
[٤] جميع النسخ: لا يبلغ. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٨ظ.
[٥] ر م: كل.
[٦] ر: انقراع.
[٧] ث - منقعر.
[٨] ر م: العظم.
[٩] ن: شبههم بالنخل.
[١٠] جميع النسخ: ينزع. والتصحيح من المرجع السابق.
[١١] ر م - الناس.
[١٢] ر ث م: أخبر بهم.
[١٣] ن - والله أعلم.

﴿فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾[٢٤]

وقوله عز وجل: **فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه**، لم يزل الأكابر من الكفرة والرؤساء منهم يُلبِسون على أتباعهم بهذا الحرف: **أ بشرًا منا واحدا نتبعه**، [وكذلك قال أهل مكة لرسول الله: مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا،][١] وقالوا: مَا هٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ، وقالوا:[٢] وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ،[٣] ونحو ذلك. وذلك تناقض في القول[٤] لأنهم كانوا ينهون أتباعهم عن اتباع بشر مثلِهم ويدعونهم إلى اتباع آبائهم والاقتداء بهم، وهم أيضا بشر وليس مع آبائهم حجج وبراهين، ومع الرسل حجج وآيات،[٥] فيكون تناقضا في القول ومعارضة فاسدة. ***والله الموفق***.

وقوله عز وجل: **إنا إذًا لفي ضلال وسُعُرٍ**، قال بعضهم: السعر الجنون، أي لو اتبعنا بشرا منا لكنا في ضلال وجنون. وهو مأخوذ مِنْ سُعِرت[٦] النار إذا التهبَتْ، يقال: / ناقة مسعورة [٧٦٥ظ]
أي كأنها مجنونة من النشاط، وقيل: الضلال والسُعُرُ واحد. ويحتمل أي إنا إذًا[٧] لفي ضلال في الدنيا وسعر في الآخرة، والسعر من السعير وهو النار. ***والله أعلم***.

﴿أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **أألقي الذكر عليه من بيننا**، فجائز أن يكون هذا القول من أهل مكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، كقوله تعالى خبرا عنهم: أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا،[٨] والذكر هو القرآن على هذا التأويل. وجائز أن يكون ذلك من ثمودَ لصالحٍ[٩] عليه السلام، والقصة قصة صالح، فهو الأشبه بالتأويل. و لم يزل الكفرة ينكرون تفضيل[١٠] الرسل عليهم السلام على غيرهم من البشر بالرسالة وإنزال الذكر عليهم من بينهم ثم يرون لأنفسهم الفضل على أولئك الرسل:

---

[١] سورة الشعراء، ٢٦/١٥٤، ١٨٦. الزيادة من *الشرح* ورقة ١٧٨ظ.
[٢] جميع النسخ: وقوله تعالى. والتصحيح من المرجع السابق.
[٣] ﴿وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لخاسرون﴾ سورة المؤمنون، ٢٣/٣٣-٣٤.
[٤] ر ث م: تناقض القول.
[٥] م: وبراهين.
[٦] جميع النسخ: من سعر.
[٧] ن - إذا.
[٨] سورة ص، ٣٨/٨.
[٩] ر: وتصالح.
[١٠] ر ث م: تفضل.

إما بفضل مال أو بفضل نسب أو رياسة[1] ونفاذِ قول بلا سابقة كانت منهم ولا تقدمة[2] صنع. وما ينبغي لهم أن ينكروا تفضيل الرسل بالرسالة والنبوة بلا سابقة كانت منهم ولا تَقْدِمَةِ[3] صُنع إذ هي فضل الله يؤتيه من يشاء. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **بل هو كَذَّاب أَشِرٌ**، عن مجاهد أنه قرأ بفتح [الألف وضم] الشين، وقرأ العامة الأشر بكسر الشين.[4] قال بعضهم: الأشر بفتح الشين الذي[5] يَنْشَط في الشر، قاله[6] أبو عَوْسَجَة: وقيل: الأشِر والأشَر هو البَطِرُ كما يقال: حذِر وحذَر، وهو المرِح المتكبر.

﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ﴾[٢٦]

وقوله عز وجل: **سيعملون غدا من الكذاب الأشر**، قرئ بالياء والتاء جميعا[7] فمن قرأ بالياء احتج بقوله: فِتْنَةً لَهُمْ،[8] ولم يقل "لكم"، ومن قرأ بالتاء جعل الخطاب من رسول الله صلى الله عليه وسلم للكفرة، أي[9] ستعلمون غدا عند نزول العذاب بكم مَنِ الكذاب الأشر:[10] أنا أو أنتم، وهذا وعيد منه لهم.

﴿إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ﴾[٢٧]

وقوله: **إنا مرسلو الناقة فتنة لهم**، يفتنهم[11] بها ويمتحنهم، لم يعطهم مجانا جُزافا، كقوله عز وجل: وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ [لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ]،[12] وقوله تعالى: وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً.[13]

---

[1] م: ورئاسة.

[2] ر ن م: ولا تقدمه.

[3] ر م: ولا يقدمه؛ ن ث: ولا تقدمه.

[4] «قرأ جمهور الناس: "الأشِر" بكسر الشين كحذِر بكسر الذال. وقرأ مجاهد فيما ذكر عنه الكسائي "الأشُر" بضم الشين كحذُر بضم الذال، وهما بناءان من اسم فاعل. وقرأ أبو حيوة: "الأشَر" بفتح الشين، كأنه وصف بالمصدر. وقرأ أبو قلابة: "الأشَرّ" بفتح الشين وشد الراء، وهو الأفعل، ولا يستعمل بالألف واللام وهو كان الأصل لكنه رفض تخفيفًا وكثرة استعمال» (*المحرر الوجيز* لابن عطية الأندلسي، ٥/٢١٧).

[5] ر ث م – الذي؛ ن + التي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٨ظ.

[6] ر م: قال.

[7] م – جميعا. *المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٢١.

[8] الآية التالية.

[9] م + أي.

[10] ر ث م – الأشر.

[11] ر: ليفتنهم.

[12] سورة الأعراف، ١٦٨/٧.

[13] سورة الأنبياء، ٣٥/٢١.

وقوله عز وجل: **فارتقبهم واصطبر**، أي فارتقبهم بما يكون منهم من التكذيب للناقة والعَقْر لها. ويحتمل أن يكون قوله عز وجل: **فارتقبهم**، هو خطابا[١] لرسوله عليه الصلاة والسلام في حق أهل مكة، كقوله: فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ.[٢] وقوله: **واصطبر**، أي اصطبر على أذاهم ولا تكافئهم أو اصبر على بتبليغ الرسالة.

﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ﴾[٢٨]

وقوله عز وجل: **ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر**، وقال في آية أخرى: لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ.[٣] وفيه من الفوائد والدلائل. أحدها أن تلك الناقة كانت عظيمة على خلاف سائر النُّوق حتى احتاجت هي إلى الماء مثل الذي احتاج إليه سائر النوق وأهلها حتى قُسم الماء بينها وبين سائر النوق. وفيه أنه لا بأس بقسمة الشرب حيث ذَكَر في الآية قسمة الماء وذكر في الآية الأخرى:[٤] [وَلَكُمْ] شِرْبُ يَوْمٍ [مَعْلُومٍ]، وهو قسمة بالأيام. وقوله: **كل شرب محتضر**، أي كل شرب يحضره[٥] من له شرب ذلك لا يحضره غيره. وفيه أن تلك الناقة وإن كانت آية ومعجزة له فكانت تعتلف وتشرب كسائر النوق التي ليست هي بآيات وإن كانت تخالف[٦] سائر النوق في عظمها وقدر علفها وشربها. ثم جَعَل الماء بينها وبين أولئك القوم بالقسمة ولم يجعل العلف بينها وبينهم بالقسمة لاشتراكهم جميعا في الماء: أعني البهائم والبشر، وحاجة كل منهم إلى الماء. فكذا لم يجعل النبات مشتركا بينها وبين سائر البهائم، لأن في ذلك كثرةً فلا حاجة إلى القسمة، فأما في الماء في ذلك الموضع [ففيه] عِزّة[٧] لما يَسْتَقون من الآبار فلذلك جعلوا الماء بالقسمة. *والله أعلم*. وفيه أن المياه إذا ضاقت[٨] قسمتها بالأجزاء تُقْسَم بالأيام حيث[٩] جُعل لها شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ولهم شرب يوم معلوم. وفيه أن الماء وإن كان عينا فهو كالمنفعة في جواز قسمتها بالأيام.

---

[١] جميع النسخ: خطاب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٩و.
[٢] سورة الدخان، ١٠/٤٤.
[٣] سورة الشعراء، ١٥٥/٢٦.
[٤] م: في آية أخرى.
[٥] ر ن ث: بحضرة.
[٦] ر ث م: يخالف.
[٧] جميع النسخ: غيره. عَزّ الشيء يَعِزّ عِزًّا وعِزّة وعَزازَة: قلّ حتى كاد لا يوجد (*لسان العرب*، «عزز»).
[٨] م: أضافت.
[٩] ر ث م: بالأجر القسم بالأيام من حيث؛ ن: بالأجر القسم بالأيام حيث. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٩و.

ثم قوله: **ونبئهم أن الماء قسمة بينهم**، جائز أن يكون الخطاب لصالحٍ عليه السلام، أمره أن يُنْبِئ قومه أن الماء قسمة بينهم وبين الناقة. وجائز أن يكون الخطاب به[١] لرسول الله صلى الله عليه وسلم، أمره أن يخبر قومه أن الماء كان قسمة بينهم وبين الناقة. *والله أعلم*.[٢]

## ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾[٢٩]

وقوله عز وجل: **فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر**، أضاف العَقْرَ هاهنا إلى واحد وفي آية أخرى[٣] أضاف إلى الجماعة وهو قوله: فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ،[٤] وقال في موضع آخر: فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ،[٥] فيكون ظاهر هذه الآيات على التناقض من حيث ذِكْرُ الفرد والجماعةِ. وفيها[٦] تناقض من وجه آخر فإنه ذكر في آية أخرى:[٧] وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا،[٨] وقال في موضع: فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ، ذكر الندامة وهي خلاف العُتُوّ. لكنا نقول: لا تناقض ولا اختلاف عند اختلاف الأحوال والأوقات. فقوله:[٩] وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ، قبل أن ينزل بهم العذاب، وقوله: فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ، إذا نزل بهم العذاب، والتناقض في وقت واحد في حال واحد. وكذلك العقر من واحد على الحقيقة، ولكن إنما أضاف إلى الجماعة لأنه عَقَرَ بمعاونتهم أو الواحد [٧٦٦و] هو الذي طعنها ثم اجتمعوا فعقروا جميعا، ونحو / ذلك، فثبت أنه لا تناقض. وقال بعضهم: **فَتَعَاطَى**، تناول، **فعَقَرَ**، أي ضرب عُرْقُوبها، أي ساقها. وقيل: العقر قد يكون جرحا وقد يكون قتلا.

## ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾[٣٠]

[٧٦٦و س ١٢ *وقوله عز وجل: **فكيف كان عذابي ونذر**، قال أهل التأويل: أليس الذي أنذروا به ٧٦٦و س١٣] وجدوه حقا. وقال بعضهم: أليس وجدوا عذابي ورسلي حقا وقد ذكرناه.*

---

[١] ث – به.

[٢] ث: والله سبحانه أعلم.

[٣] ن: وفي الآية الأخرى.

[٤] سورة الأعراف، ٧/٧٧.

[٥] سورة الشعراء، ٢٦/١٥٧.

[٦] ر ث م: وفيه.

[٧] ن ث – أخرى.

[٨] سورة الأعراف، ٧/٧٧.

[٩] ث: وقوله.

* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٧٦٦و/سطر ١٢-١٣.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾[٣١]

وقوله: **إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة**، يحتمل أي أرسلنا عليهم العذاب قدر صيحة واحدة، يخبر عن سرعة نزول العذاب ووقوعه عليهم. ويحتمل أن يكون أرسل عليهم الصيحة فأهلكتهم[١] وصاروا كما ذُكر من هشيم المحتظر[٢] وهو قوله:[٣] **فكانوا كهشيم المحتظر**. قيل الهشيم العظام البالية، وقيل كالشيء المتناثر[٤] من الحائط، وأصل الهشيم الانكسار، أي صاروا[٥] كالشيء المنكسر المجتمع في موضع. وقوله تعالى: **المحتظر**،[٦] [قرئ][٧] بكسر الظاء ونصبها.[٨] روي النصب عن الحسن.[٩] قال أبو عبيد: بالكسر يقرأ على تأويل الإنسان المحتظر. وقال أبو عَوْسَجة: الهشيم البالي[١٠] من الشجر، والمحتظَر الذي يُتّخذ حظيرة.[١١] وقال القُتَبي: الهشيم يابس[١٢] النبت الذي ينهشم أي ينكسر، والمحتظر بكسر الظاء صاحب[١٣] الحظيرة[١٤] لغنمه، وبفتح الظاء[١٥] أراد الحيطان وهو[١٦] الحظيرة.[١٧]

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾[٣٢]

وقوله عز وجل: **ولقد يسرنا القرآن للذكر**، أي يسرنا القرآن لذكر ما نَسُوا من نعم الله تعالى وأغفلوا عنها، أو يسرنا القرآن لذكر ما أغفلوا من الحجج والآيات ونسوها،

---

[١] ر ث م: وأهلكهم؛ ن: فأهلكهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٩و.
[٢] ر ث م: المحتضر.
[٣] جميع النسخ: وهو كقوله. والتصحيح من المرجع السابق.
[٤] ر ث م: المتأثر.
[٥] ن: صارو.
[٦] ن ث + فهي.
[٧] الزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.
[٨] جميع النسخ: ونصبه. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] المحتسب لابن جني، ٢/٣٥٠.
[١٠] ر: المبائي؛ م: الباقي.
[١١] ن: حظره.
[١٢] ر ن م: اليابس.
[١٣] م - صاحب.
[١٤] ن: الحظرة.
[١٥] ر ث م: الطاء.
[١٦] ث: وهي.
[١٧] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٣٤.

أو يسرنا القرآن لذكر ما نسوا من الأنباء وما نزل بمكذبي الرسل عليهم السلام بالتكذيب والعناد. وقوله: **فهل من مدكر**، قد تقدم ذكره.*

**﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ﴾[٣٣]**

وقوله عز وجل: **كذبت قوم لوط بالنذر**، أي بالرسل عليهم السلام أو بما يقع به النِّذارة.

**﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾[٣٤] ﴿نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾[٣٥]**

وقوله عز وجل: **إنا أرسلنا عليهم حاصبا إلا آل لوط**، على تأويل من يقول بأن تلك القَرْيات قُلِبت بمن فيها ظَهْرًا لبطن على ما ذكر في آية أخرى: فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا،[٢] أرسل[٣] الحاصب[٤] على من غاب عنها في البلدان فأهلكهم بها. يخرج على الإضمار، كأنه قال: قَلَبْناها بمن فيها وأرسلنا على من غاب عنها حاصبا إلا آل لوط، حتى يستقيم الثُّنْيَا الذي أُسْتُثْنِيَ ويكونَ كقوله: أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ،[٥] كأنه قال: أحلت لكم بهيمة الأنعام والصيدُ إلا ما يتلى عليكم غيرَ محلي الصيد. *والله أعلم*. وعلى[٦] تأويل من يقول بأنها قلبت ثم أُرسل عليها الحاصب فالثنيا مستقيم، فيكون هلاكهم بأمرين، واستثناء[٧] آل لوط عليهم السلام بالنجاة من أحدهما استثناء بالنجاة[٨] منهما جميعا. *والله أعلم*.

وقوله: **نجيناهم بسحر. نعمةً من عندنا**، أي منعنا عنهم العذاب عند السحر. فيكون فيه دلالةُ أنه يكو بمنع العذاب عنهم منجيا لهم وإلا لم تكن[٩] نجاتهم عند السحر.

وقوله[١٠] عز وجل: **كذلك نجزي من شكر**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما يكون هلاك أولئك على لوط وآله نعمة من الله تعالى عليهم فيكون عليه شكره فهو جزاء شكرهم،

---

* وقع هنا تفسير الآية السابقة برقم ٣٠، فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٧٦٦و/سطر ١٢-١٣.
[٢] سورة الحجر، ٧٤/١٥.
[٣] ن ث: ان سل.
[٤] جميع النسخ: الحاضرين. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٧٩ظ.
[٥] ر ث م – وأنتم حرم. سورة المائدة، ١/٥.
[٦] ر ث م: على.
[٧] ر ث م: واستثنى.
[٨] ر م + من أحدهما استثناء بالنجاة.
[٩] جميع النسخ: لم يكن.
[١٠] ن: قوله.

وهو كقوله تعالى: جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ،[١] يحتمل أن يكون هلاك أولئك وإغراقهم جزاء ما كفُر بنوح، وذلك نعمة منه على نوح عليه السلام.[٢]

والثاني أن يكون نجاة نوح ومن كان معه نعمة منه عليهم إذ له[٣] أن يهلك الكل: من كفر ومن لم يكفر، ألا ترى أنه يهلك الدواب والصغار وإن لم يكن لهم مأثم. فإذا كان[٤] كذلك كان إبقاء من أبقى منهم فضلا منه ونعمة عليهم وإلا لا كل [من][٥] كُفِرَ استوجب النجاة. *والله أعلم*.

﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾[٣٦]

وقوله عز وجل: **ولقد أنذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر**، [يحتمل **بطشتنا**؛ أَخْذَنا وقوتنا. وقوله: **بالنذر**][٦] يخرج على الوجهين[٧] اللذين ذكرناهما. أحدهما تماروا بالواقع من النِذارة. والثاني بالنُذُر أي بالرسل.[٨] *والله أعلم*.

﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾[٣٧]

وقوله عز وجل: **ولقد راودوه عن ضيفه**، أي طلبوا منه التخلية بينهم وبين ضيفه. وقوله عز وجل: **فطمسنا أعينهم**، ذكر أن جبريل عليه السلام مسح جناحيه على أعينهم فعَمُوا، ثم قيل لهم: **فذوقوا عذابي ونذرِ**.

﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ﴾[٣٨]

وقوله عز وجل: **ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر**، أي نزل بهم صباحا بالبكرة عذاب مستقر. العذاب المستقر هو العذاب الذي نزل بهم ودام عليهم وأهلكهم، وأما طَمْس الأعين فقد انقضى.

---

[١] الآية ٥٤ من هذه السورة.

[٢] ن - عليه السلام.

[٣] ن: أن له.

[٤] ر: فإن كان.

[٥] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٧٩ظ.

[٦] الزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.

[٧] ر م: على وجهين.

[٨] ر م: الرسل؛ ن: بالنذر بالرسل.

﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾[٣٩] ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾[٤٠]

وقوله: **عذابي ونذر**، النذر هاهنا ما وقع به النِّذارة.

﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ﴾[٤١]

وقوله عز وجل: **ولقد جاء آل فرعون النذر**، يحتمل ما قال من النذر أنه جاء [إلى][1] آل فرعون موسى وهارون عليهما السلام سماهما باسم الجمع وهو النذر. ويحتمل[2] أن يكون المراد من النذر التي جاءتهم هي ما نزل بهم[3] من أنواع العذاب فيكون المراد بالنذر ما وقع به النذارة.

﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ﴾[٤٢]

وقوله عز وجل: **كذبوا بآياتنا كلها**، يحتمل أنهم كذبوا جميع الآيات التي[4] جاءهم بها موسى عليه السلام من آيات الألوهية والوحدانية وآيات الرسالة. وجائز أن تكون[5] هي جميع ما يدل على وحدانية الرب وألوهيته[6] من الخلائق، لأن ذلك اللعين قد ادعى الألوهية لنفسه، وجميع ما في العالم يدل على ألوهية الله تعالى. فهو حيث ادعاها لنفسه وصدّقه قومه كذبوا بذلك جميع الآيات التي تشهد[7] على ألوهية الله تعالى ووحدانيته. وقوله عز وجل: **فأخذناهم أَخْذَ عزيزٍ / مقتدر**، أي أخذ عزيز ذليلاً وأَخْذَ[8] غالبٍ مغلوبا وأخذ قادر عاجزا وأَخْذَ قاهرٍ مقهورا. [٧٦٦ظ]
*والله أعلم*.

﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾[٤٣]

وقوله عز وجل: **أكفاركم خير من أولئكم**، يقول[9] تعالى -والله أعلم-: **أكفاركم**، يا أهل مكة أقوى في دفع العذاب عن أنفسهم والانتصار منه إذا نزل بهم العذاب من أولئك

---

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٧٩ظ.
[2] ن: يحتمل.
[3] ر ث م – بهم.
[4] م – التي.
[5] جميع النسخ: أن يكون. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] ر: وألوهية.
[7] جميع النسخ: يشهد. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] ن ث: أو أخذ.
[9] ر ث م + الله.

الذين كانوا من قبلكم، أي ليس كفاركم أقدرَ منهم بل أولئك أكثر وأقوى،[١] ثم لم يقدروا القيام بدفع العذاب عن أنفسهم ولا الانتصارَ منه إذا نزل بهم، فأنتم يا أهل مكة أضعفَ وأقلَّ عددا أحقُّ أن لا تقدروا على دفع العذاب عنكم إذا نزل[٢] بكم. وقوله:[٣] [**أم لكم براءة في الزبر**، أي][٤] ليس لكم براءة في الكتب أنكم تقدرون على القيام في دفع العذاب عن أنفسكم إذا نزل بكم، أو يقول ليس لكم براءة في الكتب[٥] أن العذاب لن يصيبكم إذا نزل [بكم].[٦]

﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ﴾[٤٤]

وقوله عز وجل: **أم يقولون نحن جميع منتصر**، أي بل تقولون: **نحن جميع منتصر**، أي لا تُنْصَرون بِجَمْعكم.[٧] هذه الآيات الثلاث على النفي والدفع، أي ليس لهم ما يدفعون العذاب عن أنفسهم وليس لهم جمْع ينتصرون به[٨] ولا كفارهم خير من كفار أولئك في دفع العذاب والقدرة على الانتصار. **والله أعلم**.

﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾[٤٥] ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾[٤٦]

ثم قال على الابتداء: **سيهزم الجمع ويولون الدبر**، فيه دليلان. أحدهما أخبر أن لهم جمعا[٩] يهزم ويولون الدبر،[١٠] وقد كان ما ذكر.[١١] وقال[١٢] أهل التأويل: **سيهزم الجمع ويولون الدبر**، هو جَمْعُ يومِ[١٣] بَدْرٍ، أخبر أنهم يهزمون ويولون الدبر. وقد كان على[١٤] ما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم،

---

[١] ر ث م – وأقوى.
[٢] ر م: أنزل.
[٣] جميع النسخ: أو يقول.
[٤] الزيادة مع التصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٠و.
[٥] ث + المتقدمة.
[٦] الزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.
[٧] ر م: لا ينصرونكم كجمعهم؛ ن: لا تنصرون لجمعهم؛ ث: لا ينصرون كجمعهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] جميع النسخ: وليس لهم ما ينصرون به. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] جميع النسخ: جميعا. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] ن – فيه دليلان أحدهما أخبر أن لهم جميعا يهزم ويولون الدبر؛ ث + وقد كان.
[١١] ر ث م: ما ذكر وقد كان.
[١٢] ر ث م – وقال.
[١٣] ر م – يوم.
[١٤] ر ث م – على.

دل أنه علم بالله تعالى. والثاني أخبر أن الساعة موعد إهلاكهم واستئصالهم لا الدنيا بقوله تعالى: **بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر**، وكان كما أخبر. وفيه أيضا دلالة إثبات الرسالة. *والله أعلم*. ثم قوله:[1] **أدهى وأمر**، أي أعظم وأشد.

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾[٤٧]

وقوله عز وجل: **إن المجرمين في ضلال وسعر**، جائز أن يكون قوله **في ضلال** في الدنيا وفي سعر[2] في الآخرة وهو السعير. ويحتمل: **في ضلال** في هلاك، **وسعر** في حيرة وجنون وتيهٍ، كقوله تعالى: إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ.[3]

﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾[٤٨]

وقوله[4] عز وجل: **يوم يسحبون في النار على وجوههم**، كأنه يقول له: قل لهم: **يوم يسحبون في النار على وجوههم**، أن خُتموا على ما هم عليه: **ذوقوا مس سقر**، أي يقال لهم: ذوقوا مس سقر، أي ذوقوا عذاب سقرَ، والسقر هو اسم النار، فيصير كأنه على الإضمار، أي يقال لهم: ذوقوا عذاب النار. *والله أعلم*.

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[٤٩]

وقوله: **إنا كل شيء خلقناه بقدر**، يحتمل وجهين. أحدهما على التقديم والتأخير، أي إنا خلقنا كل شيء بقدر.[5] فإن كان على هذا فيكون كقوله: خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ.[6] وفيه إثبات خلق كلية[7] الأشياء. والثاني على ظاهر ما جرى به[8] الخطاب: إنا كل شيء خلقناه خلقناه[9] بقدر،[10] فإن كان على هذا فليس فيه إثبات خلق كلية الأشياء ولكن فيه إثبات أن ما خلقه

---

[1] ر: قوله؛ ن م: وقوله.
[2] جميع النسخ: وفي السعر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٠و.
[3] الآية ٢٤ من هذه السورة.
[4] ن: قوله.
[5] ر ث م – بقدر.
[6] سورة الأنعام، ١٠٢/٦؛ وسورة الرعد، ١٦/١٣؛ وسورة الزمر، ٦٢/٣٩؛ وسورة المؤمن، ٦٢/٤٠.
[7] ر م: كل.
[8] ر ث م: آية.
[9] ر ث م – خلقناه.
[10] ر ن م + أي إنا كل شيء بقدر.

إنما خلقه[١] بقدر، وإلى هذا التأويل يذهب المعتزلة. والتأويل عندنا هو الأول: إنا خلقنا كل شيء بقدر، كقوله: خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ.[٢] ويحتمل أي إنا كل شيء خلقناه بقدر وحدّ ينتهي إليه ذلك ويبلغ حده،[٣] ليس كالمخلوق لا يعرف أحد قدر فعله ولا حده الذي ينتهي إليه، ولا يخرج فعل أحد من المخلوقين على ما يُقدّره.[٤] فأخبر أن فعله يخرج على ما يقدّره خلافا لفعل[٥] غيره فيدل على أنه هو الخالق. *والله أعلم*.

**﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾[٥٠]**

وقوله عز وجل: **وما أمرنا إلا واحدة**، الأمر فيما بين الخلق على وجهين. أحدهما أمر شأن وفعل،[٦] والآخر[٧] أمر تكليف لغير. ثم قوله عز وجل: **وما أمرنا إلا واحدة**، إنما هو أمر فعل يخبر عن سهولة ذلك عليه، أي شأنه وفعله يسير عليه [سَهْلٌ][٨] لا يعجزه شيء ولا يَشغله، فعلى[٩] ذلك أَمْرُ الله وخَلْقُه[١٠] عليه. والواحد ليس هو اسم العدد[١١] وإن كان الحساب به يُبتدأ، إنما هو اسم التوحد والتفرد. كما يقال: فلان واحد زمانه، لا يريدون من جهة العدد إذ له أعداد وأمثال من جهة العدد، ولكن إنما يراد بأنه المتوحد في شأنه وفعله لا نظير له.[١٢] فعلى ذلك تسميته[١٣] إياه واحدا لتفرده وتوحده في ألوهيته وربوبيته.[١٤] وتسمية أمره واحدا أنّ فعله وشأنَه لا يُشبه[١٥] أفعال غيره وأنه لا نظير له في ذلك وأنه يسيرٌ عليه لا حاجة له إلى الوقت والآلة وغير ذلك.

---

[١] ر م - إنما خلقه.
[٢] سورة الأنعام، ١٠٢/٦.
[٣] ر م: حد.
[٤] جميع النسخ: من المخلوق على ما يقدروه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٠و.
[٥] ر: الفعل.
[٦] ر م: بالفعل.
[٧] ن: والأحسن.
[٨] الزيادة من *الشرح*، نفس الورقة.
[٩] ن ث: فعل.
[١٠] ر م: وخاتمه.
[١١] ر: القدر.
[١٢] ر م: ولا نظير له.
[١٣] ر: تسمية.
[١٤] ر: في ألوهية وربوبية.
[١٥] ر ث م: لا يشبهه.

ألا ترى أنه قال: **كلمح بالبصر**، يخبر عن خفة ذلك عليه وسهولته[١] من حيث لا يَثقُل على أحد رد البصر ولا لَمْحُه. هذا وجه. والثاني[٢] فيه إخبار أنه لا يشغله شيء، لأن الناس يشغلهم بعض[٣] أمورهم عن بعض.

وأهل التأويل يصرفون الآية إلى الساعة كقوله تعالى: وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ.[٤] وهو محتمل، فيُخبر أن أمر[٥] الآخرة ليس على تقدير أمر الدنيا على إتْباع بعض بعضا وعلى إرداف شيء على شيء وعلى الانتقال والتغيير من حال إلى حال ولكنّ أمر الآخرة على التكون بمرة واحدة.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾[٥١]

وقوله عز وجل: **ولقد أهلكنا أشياعكم فهل من مدكر**، يحتمل قوله: **أشياعكم**، على وجهين. أحدهما إخوانكم / وأهلَ دينكم بتكذيبهم الرسل عليهم السلام، فاذّكروا[٦] أنتم [٧٦٧و] يا أهل مكة لأن لا تَهلِكوا بتكذيبكم محمدا[٧] صلى الله عليه وسلم. والثاني أي ولقد أهلكنا أشياعكم وعرفتم ذلك فهل من مدّكر، يتذكر ويتعظ ويعتبر به. وجائز أن يكون معناه: ولقد أهلكنا جنسكم. والحكيم لا يخلق الخلق للفناء والهلاك فاعلموا أنه أنشأكم لعاقبة.[٨] وفيه إثبات البعث لكنه لا يدركه أفهام الكفرة وعقولهم. ***والله أعلم***.

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾[٥٢]

وقوله عز وجل: **وكل شيء فعلوه في الزبر**، يخرج هذا أيضا[٩] على وجهين. أحدهما كل شيء فعلوه من التكذيب والعناد كان في الكتب المتقدمة، أي عن علم بصنيعهم وفعلهم أنشأهم وبعث إليهم الرسل، وهو رد على من يقول: إنه لا يعلم ما يكون منهم حتى يكون منهم ذلك،

---

[١] ر: وسهولة.
[٢] ر م: الثاني.
[٣] ر: بعد.
[٤] سورة النحل، ١٦/٧٧.
[٥] ر م - أمر.
[٦] ر ث م: واذكروا؛ ن: فاذكروا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٠ظ.
[٧] ر ث م: محمد.
[٨] ر: العاقبة.
[٩] ن - أيضا.

لأنه لو كان يعلم ذلك لا يحتمل أن يبعث الرسل عليم السلام إليهم ويأمرهم وينهاهم وهو يعلم أنهم يكذّبون[1] رسله ويخالفون أمره. فرد عليهم وبين أنه لم يزل عالما بما كان ويكون. وقد بينا قبل هذا أنه تعالى بعث الرسل إليهم وإن علم منهم التكذيب والخلاف وذلك لأن المنافع والمضارّ راجعة إليهم دونه. *والله أعلم*. و[الثاني] جائز أن يكون معناه: **وكل شيء فعلوه في الزبر**، أي في الكتب التي تكتب[2] عليهم الملائكة ويؤمرون بالقراءة في القيامة، كقوله: اِقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا.[3]

﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ﴾[٥٣]

وقوله عز وجل: **وكل صغير وكبير مستطر**، هذا أيضا يخرج على هذين الوجهين. أحدهما **مستطر**، في الكتب التي قبلهم، أو في الذين يُمْلُون على[4] الحفظة، كقوله تعالى: مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ.[5]

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾[٥٤]

[هذا للمتقين مقابلَ ما ذكر للكفرة، حيث قال: إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ[6] وقال في موضع آخر: إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ].[7] ثم اختلف في تأويل قوله:[8] **ونَهَر**، قيل: نَهَر من النهار،[9] أي هم في ضياء ونور وسرور، وهو قول الأصم. وقال الفراء: النهر السعة، يقال: أَنْهرتُ الطَّعْنة، أي وسعتها.[10] وقال أهل التأويل: أي الأنهار.

---

[1] ر م: يكونون.
[2] جميع النسخ: يكتب.
[3] سورة الإسراء، ١٤/١٧.
[4] ر: يملونه من.
[5] جميع النسخ + وقوله عز وجل ﴿إن المجرمين في ضلال وسعر يوم يسحبون في النار﴾ وقال في موضع آخر ﴿إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون﴾. وهاتان الآيتا متعلقتان بالآية التالية، كما سيأتي. سورة ق، ١٨/٥٠.
[6] الآية ٤٧ و٤٨ من هذه السورة.
[7] سورة الزخرف، ٧٤/٤٣. الزيادة من *الشرح*، ورقة ١٨٠ظ.
[8] ر + قوله.
[9] ر م: من النار.
[10] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٤٣٥.

﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾[٥٥]

وقوله عز وجل: **في مقعد صدق**، أي موعود صِدْقٍ، كأنه كناية عن راحة وسرور لهم، كقوله: كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا،[1] أخبر أنهم يستريحون فيها ويَسكنون[2] ويَقِرّون لا يريدون التحول منها. وهو مقابل ما ذكر[3] للكفار: يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ،[4] أي يُجَرُّون، وقوله[5] عز وجل: سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا،[6] وقوله تعالى: رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا،[7] يطلبون الخروج منها؛ وأخبر أنهم يكونون أبدا في عناء وشدة وبلاء حتى لا يَقِرّون في مكان. وعلى هذا يخرج قوله: أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ،[8] أي لهم موعود صدقٌ عند ربهم، أي تَقر[9] أقدامهم في ذلك، فيكون هو كناية عن الثبات.

وقوله عز وجل: **عند مليك مقتدر**، إن الرجل إذا كان في فضل[10] وخير يضاف بكونه فيه[11] إلى الله تعالى، نحوَ ما يقال: "في سبيل الله"[12] و"وفود الله" وغير ذلك من الأمكنة التي هي أمكنة الفضل والخير يضاف إلى الله نحو بيت الله ومساجد الله لأنها أمكنة القرب والفضل. فعلى ذلك قوله: **في مقعد صدق عند مليك مقتدر**، أضاف كونهم[13] في أمكنة الفضل والخير والمنزلة إلى الله تعالى،[14] لا أنه يوصف بمكان أو مقام بل هو ممسك الأمكنة كلها ومنشئ الأزمنة بأسرها. *والله أعلم*.[15]

---

[1] سورة الكهف، ١٠٧/١٨.
[2] ر م: أو يسكنون.
[3] ن - ما ذكر.
[4] الآية ٤٨ من هذه السورة.
[5] ث: قوله.
[6] سورة المدثر، ١٧/٧٤.
[7] سورة المؤمنون، ١٠٧/٢٣.
[8] سورة يونس، ٢/١٠.
[9] جميع النسخ: يقر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ١٨٠ظ.
[10] ن: في فعل.
[11] ن - فيه.
[12] م: في رسول الله.
[13] جميع النسخ: بكونهم.
[14] جميع النسخ: عند الله تعالى.
[15] ر ن ث: والله الموفق.

# سورة القمر

## خمس وخمسون آية مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝ ﴾

أول السورة مناسب لآخر ما قبلها، وهو قوله: ﴿ أَزِفَتِ الْآزِفَةُ ﴾ [النجم: ٥٧]فكأنه أعاد ذلك مع الدليل، وقال قلت: ﴿أَزِفَتِ الْآزِفَةُ﴾ وهو حق، إذ القمر انشق، والمفسرون بأسرهم على أن المراد أن القمر انشق، وحصل فيه الانشقاق، ودلت الأخبار على حديث الانشقاق، وفي الصحيح خبر مشهور رواه جمع من الصحابة، وقالوا: سئل رسول الله ﷺآية الانشقاق بعينها معجزة، فسأل ربه فشقه ومضى، وقال بعض المفسرين المراد سينشق، وهو بعيد ولا معنى له، لأن من منع ذلك وهو الفلسفي يمنعه في الماضي والمستقبل، ومن يجوزه لا حاجة إلى التأويل، وإنما ذهب إليه ذلك الذاهب، لأن الانشقاق أمر هائل، فلو وقع لعم وجه الأرض فكان ينبغي أن يبلغ حد التواتر، نقول: النبي ﷺلما كان يتحدى بالقرآن، وكانوا يقولون: إنا نأتي بأفصح ما يكون من الكلام، وعجزوا عنه، فكان القرآن معجزة باقية إلى قيام القيامة لا يتمسك بمعجزة أخرى فلم ينقله العلماء بحيث يبلغ حد التواتر. وأما المؤرخون فتركوه، لأن التواريخ في أكثر الأمر يستعملها المنجم، وهو لما وقع الأمر قالوا: بأنه مثل خسوف القمر، وظهور شيء في الجو على شكل نصف القمر في موضع آخر فتركوا حكايته في تواريخهم، والقرآن أدل دليل وأقوى مثبت له، وإمكانه لا يشك فيه، وقد أخبر عنه الصادق فيجب اعتقاد وقوعه، وحديث امتناع الخرق والالتئام حديث اللئام، وقد ثبت جواز الخرق والتخريب على السموات، وذكرناه مرارًا فلا نعيده.

**وقوله تعالى:** ﴿ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾ تقديره: وبعد هذا إن يروا آية يقولوا سحر، فإنهم رأوا آيات أرضية، وآيات سماوية، ولم يؤمنوا، ولم يتركوا عنادهم، فإن يروا ما يرون بعد هذا لا يؤمنون، وفيه وجه آخر وهو أن يقال: المعنى أن عادتهم أنهم إن يروا آية يعرضوا، فلما رأوا انشقاق القمر أعرضوا لتلك العادة، **وفيه مسائل:**

**الأولى:** قوله: ﴿ آيَةً ﴾ ماذا؟ نقول آية اقتراب الساعة، فإن انشقاق القمر من آياته، وقد ردوا وكذبوا، فإن يروا غيرها أيضًا يعرضوا، أو آية الانشقاق فإنها معجزة، أما كونها معجزة ففي غاية

الظهور، وأما كونها آية الساعة، فلأن منكر ربِّ العالم ينكر انشقاق السماء وانفطارها وكذلك قوله: في كل جسم سماوي من الكواكب، فإذا انشق بعضها ثبت خلاف ما يقول به، وبان جواز خراب العالم، وقال أكثر المفسرين: معناه أن من علامات قيام الساعة انشقاق القمر عن قريب، وهذا ضعيف حملهم على هذا القول ضيق المكان، وخفاء الأمر على الأذهان، وبيان ضعفه هو أن الله تعالى لو أخبر في كتابه أن القمر ينشق، وهو علامة قيام الساعة، لكان ذلك أمرًا لا بد من وقوعه مثل خروج دابة الأرض، وطلوع الشمس من المغرب، فلا يكون معجزة النبي ﷺ، كما أن هذه الأشياء عجائب، وليست بمعجزة للنبي، لا يقال: الإخبار عنها قبل وقوعها معجزة، لأنا نقول: فحينئذ يكون هذا من قبيل الإخبار عن الغيوب، فلا يكون هو معجزة برأسه وذلك فاسد، ولا يقال: بأن ذلك كان معجزة وعلامة، فأخبر الله في الصحف والكتب السالفة أن ذلك يكون معجزة للنبي ﷺ وتكون الساعة قريبة حينئذ، وذلك لأن بعثة النبي ﷺ علامة كائنة حيث قال: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ» ولهذا يحكى عن سطيح أنه لما أخبر بوجود النبي ﷺ قال عن أمور تكون، فكان وجوده دليل أمور، وأيضًا القمر لما انشق كان انشقاقه عند استدلال النبي ﷺ على المشركين، وهم كانوا غافلين عما في الكتب، وأما أصحاب الكتب فلم يفتقروا إلى بيان علامة الساعة، لأنهم كانوا يقولون بها وبقربها، فهي إذن آية دالة على جواز تخريب السموات وهو العمدة الكبرى، لأن السموات إذا طويت وجوز ذلك، فالأرض ومن عليها لا يستبعد فناؤهما، إذا ثبت هذا فنقول: معنى ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ يحتمل أن يكون في العقول والأذهان، يقول: من يسمع أمرًا لا يقع هذا بعيد مستبعد، وهذا وجه حسن، وإن كان بعض ضعفاء الأذهان ينكره، وذلك لأن حمله على قرب الوقوع زمانًا لا إمكانًا يمكن الكافر من مجادلة فاسدة، فيقول: قال الله تعالى في زمان النبي ﷺ: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ﴾ ويقولون بأن من قبل أيضًا في الكتب (السَّابِقَةِ) كان يقول: (اقترب الوعد) ثم مضى مائة سنة ولم يقع، ولا يبعد أن يمضي ألف آخر ولا يقع، ولو صح إطلاق لفظ القرب زمانًا على مثل هذا لا يبقى وثوق بالإخبارات، وأيضًا قوله: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ﴾ لانتهاز الفرصة، والإيمان قبل أن لا يصح الإيمان، فللكافر أن يقول، إذا كان القرب بهذا المعنى فلا خوف منها، لأنها لا تدركني، ولا تدرك أولادي، ولا أولاد أولادي، وإذا كان إمكانها قريبًا في العقول يكون ذلك ردًا بالغًا على المشركين والفلاسفة، والله سبحانه وتعالى أول ما كلف الاعتراف بالوحدانية واليوم الآخر، وقال: اعلموا أن الحشر كائن فخالف المشرك والفلسفي، ولم يقنع بمجرد إنكار ما ورد الشرع ببيانه، ولم يقل لا يقع أو ليس بكائن، بل قال ذلك بعيد، ولم يقنع بهذا أيضًا، بل قال ذلك غير ممكن، ولم يقنع به أيضًا، بل قال فإن امتناعه ضروري، فإن مذهبهم أن إعادة المعدوم وإحياء الموتى محال بالضرورة، ولهذا قالوا: ﴿أَءِذَا مِتۡنَا﴾ [المؤمنون: ٨٢] ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا﴾ [الإسراء: ٤٩] ﴿أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [السجدة: ١٠] بلفظ الاستفهام بمعنى الإنكار مع ظهور الأمر، فلما استبعدوا لم يكتف الله ورسوله ببيان وقوعه، بل

قال: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾ [الحج: ٧]ولم يقتصر عليه بل قال: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣]ولم يتركها حتى قال (اقْتَرَبَتِ الساعة، واقترب الوعد الحق، اقترب للناس حسابهم) اقترابًا عقليًا لا يجوز أن ينكر ما يقع في زمان طرفة عين، لأنه على الله يسير، كما أن تقليب الحدقة علينا يسير، بل هو أقرب منه بكثير، والذي يقويه قول العامة: إن زمان وجود العالم زمان مديد، والباقي بالنسبة إلى الماضي شيء يسير، فلهذا قال: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾.

**وأما قوله ﷺ:** «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ»[1] فمعناه لا نبي بعدي فإن زماني يمتد إلى قيام الساعة، فزماني والساعة متلاصقان كهاتين، ولا شك أن الزمان زمان النبي ﷺ وما دامت أوامره نافذة فالزمان زمانه وإن كان ليس هو فيه، كما أن المكان الذي تنفذ فيه أوامر الملك مكان الملك يقال له بلاد فلان، فإن قيل: كيف يصح حمله على القرب بالمعقول مع أنه مقطوع به؟ قلت: كما صح قوله تعالى: ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣]فإن لعل للترجي والأمر عند الله معلوم، وفائدته أن قيام الساعة ممكن لا إمكانًا بعيدًا عن العادات كحمل الآدمي في زماننا حملاً في غاية الثقل أو قطعه مسافة بعيدة في زمان يسير، فإن ذلك ممكن إمكانًا بعيدًا، وأما تقليب الحدقة فممكن إمكانًا في غاية القرب.

**المسألة الثانية:** الجمع الذين تكون الواو ضميرهم في قوله ﴿ يَرَوْا﴾ و﴿ يُعْرِضُوا﴾ غير مذكور فمن هم؟ نقول: هم معلومون وهم الكفار تقديره: وهؤلاء الكفار إن يروا آية يعرضوا.

**المسألة الثالثة:** التنكير في الآية للتعظيم أي إن يروا آية قوية أو عظيمة يعرضوا.

**المسألة الرابعة:** قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ ما الفائدة فيه؟ نقول: فائدته بيان كون الآية خالية عن شوائب الشبه، وأن الاعتراف لزمهم لأنهم لم يقدروا أن يقولوا: نحن نأتي بمثلها وبيان كونهم معرضين لا إعراض معذور، فإن من يعرض إعراض مشغول بأمر مهم فلم ينظر في الآية لا يستقبح منه الإعراض مثل ما يستقبح لمن ينظر إلى آخرها ويعجز عن نسبتها إلى أحد ودعوى الإتيان بمثلها، ثم يقول: هذا ليس بشيء هذا سحر لأن ما من آية إلا ويمكن المعاند أن يقول فيها هذا القول.

**المسألة الخامسة:** ما المستمر؟ نقول: فيه وجوه أحدها: دائم فإن محمدًا ﷺكان يأتي كل زمان بمعجزة قولية أو فعلية أرضية أو سماوية، فقالوا: هذا سحر مستمر دائم لا يختلف بالنسبة إلى النبي عليه السلام بخلاف سحر السحرة، فإن بعضهم يقدر على أمر وأمرين وثلاثة ويعجز عن غيرها وهو قادر على الكل وثانيها: مستمر أي قوى من حبل مرير الفتل من المرة وهي الشدة وثالثها: من المرارة أي سحر مر مستبشع ورابعها: مستمر أي مار ذاهب، فإن السحر لا بقاء له.

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في كتاب (الرقاق) باب (قول النبي ﷺبعثت أنا والساعة كهاتين) (١١/ ٣٥٥) حديث رقم (٦٥٠٤) من طريق وهب بن جرير. . . به ومسلم في كتاب (الفتن واشرط الساعة) باب (قرب الساعة) (٤/ ٢٢٦٨/١٣٣) من طريق محمد بن جعفر. . . به كلاهما عن شعبة. . . به.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤﴾

**ثم قال تعالى:** ﴿وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ﴾ وهو يحتمل أمرين أحدهما: وكذبوا محمدًا المخبر عن اقتراب الساعة وثانيهما: كذبوا بالآية وهي انشقاق القمر، فإن قلنا: كذبوا محمدًا ﷺ فقوله: ﴿وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ﴾ أي تركوا الحجة وأولوا الآيات وقالوا: هو مجنون تعينه الجن وكاهن يقول: عن النجوم ويختار الأوقات للأفعال وساحر، فهذه أهواءهم، وإن قلنا: كذبوا بانشقاق القمر، فقوله: ﴿وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ﴾ في أنه سحر القمر، وأنه خسوف والقمر لم يصبه شيء فهذه أهواءهم، وكذلك قولهم في كل آية.

**وقوله تعالى:** ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾ فيه وجوه أحدها: كل أمر مستقر على سنن الحق يثبت والباطل يزهق، وحينئذ يكون تهديدًا لهم، وتسلية للنبي ﷺ، وهو كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم﴾ [الزمر: ٧] أي بأنها حق ثانيها: وكل أمر مستقر في علم الله تعالى: لا يخفى عليه شيء فهم كذبوا واتبعوا أهواءهم، والأنبياء صدقوا وبلغوا ما جاءهم، كقوله تعالى: ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ﴾ [غافر: ١٦]، وكما قال تعالى في هذه السورة: ﴿وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ۝٥٢ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ [القمر: ٥٢، ٥٣]، ثالثها: هو جواب قولهم: ﴿سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ٢] أي ليس أمره بذاهب بل كل أمر من أموره مستقر.

**ثم قال تعالى:** ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ إشارة إلى أن كل ما هو لطف بالعباد قد وجد، فأخبرهم الرسول باقتراب الساعة، وأقام الدليل على صدقه، وإمكان قيام الساعة عقيب دعواه بانشقاق القمر الذي هو آية لأن من يكذب بها لا يصدق بشيء من الآيات فكذبوا بها واتبعوا الأباطيل الذاهبة، وذكروا الأقاويل الكاذبة فذكر لهم أنباء المهلكين بالآيتين تخويفًا لهم، وهذا هو الترتيب الحكمي، ولهذا قال بعد الآيات: ﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ﴾ [القمر: ٥] أي هذه حكمة بالغة، والأنباء هي الأخبار العظام، ويدلك على صدقه أن في القرآن لم يرد النبأ والأنباء إلا لما له وقع قال: ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [النمل: ٢٢] لأنه كان خبرًا عظيمًا وقال: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ﴾ [الحجرات: ٦] أي محاربة أو مسالمة وما يشبهه من الأمور العرفية، وإنما يجب التثبت فيما يتعلق به حكم ويترتب عليه أمر ذو بال، وكذلك قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ [آل عمران: ٤٤] فكذلك الأنباء ههنا، وقال تعالى عن موسى: ﴿لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ﴾ [القصص: ٢٩] حيث لم يكن يعلم أنه يظهر له شيء عظيم يصلح أن يقال له: نبأ ولم يقصده، والظاهر أن المراد أنباء المهلكين بسبب التكذيب وقال بعضهم: المراد القرآن، وتقديره جاء فيه الأنباء، وقيل قوله: ﴿جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ﴾ يتناول جميع ما ورد في القرآن من الزواجر والمواعظ وما ذكرناه أظهر لقوله: ﴿فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ وفي: ﴿مَا﴾ وجهان أحدهما: أنها موصولة أي جاءكم

الذي فيه مزدجر ثانيهما: موصوفة تقديره: جاءكم من الأنباء شيء موصوف بأن فيه مزدجر وهذا أظهر والمزدجر فيه وجهان أحدهما ازدجار وثانيهما موضع ازدجار، كالمرتقى، ولفظ المفعول بمعنى المصدر كثير لأن المصدر هو المفعول الحقيقي.

ثم قال تعالى: ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ۝٥ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ ۝٦﴾

**وفيه وجوه الأول:** على قول من قال: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ﴾ [القمر: ٤] المراد منه القرآن، قال: ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾ بدل كأنه قال: ولقد جاءهم حكمة بالغة ثانيها: أن يكون بدلاً عن ما في قوله: ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ الثاني: حكمة بالغة خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه حكمة بالغة والإشارة حينئذ تحتمل وجوهًا أحدها: هذا الترتيب الذي في إرسال الرسول وإيضاح الدليل والإنذار بمن مضى من القرون وانقضى حكمة بالغة ثانيها: إنزال ما فيه الأنباء: ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾ ثالثها: هذه الساعة المقتربة والآية الدالة عليها حكمة الثالث: قرىء بالنصب فيكون حالاً وذو الحال ما في قوله: ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ أي جاءكم ذلك حكمة، فإن قيل: إن كان ﴿مَا﴾ موصولة تكون معرفة فيحسن كونه ذا الحال فأما إن كانت بمعنى جاءهم من الأنباء شيء فيه ازدجار يكون منكرًا وتنكير ذي الحال قبيح نقول: كونه موصوفًا يحسن ذلك.

**قوله:** ﴿فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾ فيه وجهان أحدهما: أن (ما) نافية، ومعناه أن النذر لم يبعثوا ليغنوا ويلجئوا قومهم إلى الحق، وإنما أرسلوا مبلغين وهو كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [الشورى: ٤٨] ويؤيد هذا قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي ليس عليك ولا على الأنبياء الإغناء والإلجاء، فإذا بلغت فقد أتيت بما عليك من الحكمة البالغة التي أمرت بها بقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥] وتول إذا لم تقدر ثانيهما: ﴿مَا﴾ استفهامية، ومعنى الآيات حينئذ أنك أتيت بما عليك من الدعوى وإظهار الآية عليها وكذبوا فأنذرتهم بما جرى على المكذبين فلم يفدهم فهذه حكمة بالغة وما الذي تغني النذر غير هذا فلم يبق عليك شيء آخر.

**قوله تعالى:** ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ قد ذكرنا أن المفسرين يقولون إن قوله: ﴿تَوَلَّ﴾ منسوخ وليس كذلك، بل المراد منه لا تناظرهم بالكلام.

**ثم قال تعالى:** ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾ قد ذكرنا أيضًا أن من ينصح شخصًا ولا يؤثر فيه النصح يعرض عنه ويقول مع غيره: ما فيه نصح المعرض عنه، ويكون فيه قصد إرشاده أيضًا فقال بعدما قال: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾ ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ [المعارج: ٤٣] للتخويف، والعامل في: ﴿يَوْمَ﴾ هو ما بعده، وهو قوله: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ والداعي معرف كالمنادي في قوله: ﴿يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ﴾ [ق: ٤١] لأنه معلوم قد أخبر عنه، فقيل: إن مناديًا ينادي وداعيًا يدعو

وفي الداعي وجوه: أحدها أنه إسرافيل. وثانيها: أنه جبريل. وثالثها: أنه ملك موكل بذلك والتعريف حينئذ لا يقطع حد العلمية، وإنما يكون ذلك كقولنا: جاء رجل فقال: الرَجل، وقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾ أي منكر وهو يحتمل وجوهًا: أحدها: إلى شيء نكر في يومنا هذا لأنهم أنكروه أي يوم يدعو الداعي إلى الشيء الذي أنكروه يخرجون. ثانيها: نكر أي منكر يقول: ذلك القائل كان ينبغي أن لا يكون أي من شأنه أن لا يوجد يقال: فلان ينهى عن المنكر، وعلى هذا فهو عندهم كان ينبغي أن لا يقع لأنه يرديهم في الهاوية، فإن قيل: ما ذلك الشيء النكر؟ نقول: الحساب أو الجمع له أو النشر للجمع، وهذا أقرب، فإن قيل: النشر لا يكون منكرًا فإنه إحياء ولأن الكافر من أين يعرف وقت النشر وما يجري عليه لينكره؟ نقول: يعرف ويعلم بدليل قوله تعالى عنهم: ﴿يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ﴾ [يس: ٥٢].

## قوله تعالى: ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧﴾

وفيه قراءات خاشعًا وخاشعة وخُشَّعًا، فمن قرأ خاشعًا على قول القائل: يخشع أبصارهم على ترك التأنيث لتقدم الفعل ومن قرأ خاشعة على قوله: خاشعةً أبصارهم ومن قرأ خشعًا فله وجوه أحدها: على قول من يقول: يخشعن أبصارهم على طريقة من يقول: أكلوني البراغيث ثانيها: في: ﴿خُشَّعًا﴾ ضمير أبصارهم بدل عنه، تقديره يخشعون أبصارهم على بدل الاشتمال كقول القائل: أعجبوني حسنهم. ثالثها: فيه فعل مضمر يفسره يخرجون تقديره يخرجون خشعًا أبصارهم على بدل الاشتمال والصحيح خاشعًا، روي أن مجاهدًا رأى النبي ﷺ في منامه فقال له: يا نبي الله خشعًا أبصارهم أو خاشعًا أبصارهم؟ فقال عليه السلام: خاشعًا، ولهذه القراءة وجه آخر أظهر مما قالوه وهو أن يكون خشعًا منصوبًا على أنه مفعول بقوله: ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ خشعًا أي يدعو هؤلاء، فإن قيل: هذا فاسد من وجوه أحدها: أن التخصيص لا فائدة فيه لأن الداعي يدعو كل أحد، ثانيها: قوله: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ بعد الدعاء فيكونون خُشَّعًا قبل الخروج وإنه باطل، ثالثها: قراءة خَاشِعًا تبطل هذا، نقول أما الجواب عن الأول فهو أن يقال قوله: ﴿إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾ يدفع ذلك لأن كل أحد لا يدعى إلى شيء نكر وعن الثاني المراد: (من شيء نكر) الحساب العسر يعني يوم يدع الداع إلى الحساب العسر خشعًا ولا يكون العامل في: ﴿يَوْمَ يَدْعُ﴾ يخرجون بل اذكروا، أو: ﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾ كما قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨] ويكون يخرجون ابتداء كلام، وعن الثالث أنه لا منافاة بين القراءتين؛ وخاشعًا نصب على الحال أو على أنه مفعول يدعو كأنه يقول: يدعو الداعي قومًا خاشعًا أبصارهم والخشوع السكون قال تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ﴾ [طه: ١٠٨] وخشوع الأبصار سكونها على كل حال لا تنفلت يمنة ولا يسرة كما في قوله تعالى: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤٣] وقوله تعالى: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ مثلهم بالجراد المنتشر في الكثرة والتموج،

ويحتمل أن يقال: المنتشر مطاوع نشره إذا أحياه فكأنهم جراد يتحرك من الأرض ويدب إشارة إلى كيفية خروجهم من الأجداث وضعفهم.

قوله تعالى: ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ۝٨ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ۝٩﴾

ثم قال تعالى: ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ﴾ أي مسرعين إليه إنقيادًا ﴿يَقُولُ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ يحتمل أن يكون العامل الناصب ليوم في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ [القمر: ٦] أي يوم يدعو الداعي: ﴿يَقُولُ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾، وفيه فائدتان: إحداهما: تنبيه المؤمن أن ذلك اليوم على الكافر عسير فحسب، كما قال تعالى: ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [المدثر: ٩، ١٠] يعني له عسر لا يسر معه. ثانيتهما: هي أن الأمرين متفقان مشتركان بين المؤمن والكافر، فإن الخروج من الأجداث كأنهم جراد والانقطاع إلى الداعي يكون للمؤمن فإنه يخاف ولا يأمن العذاب إلا بإيمان الله تعالى إياه فيؤتيه الله الثواب فيبقى الكافر فيقول: ﴿هَـٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾.

ثم إنه تعالى أعاد بعض الأنباء فقال: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ﴾ فيها تهوين وتسلية لقلب محمد ﷺ فإن حاله كحال من تقدمه، وفيه مسائل:

المسألة الأولى: إلحاق ضمير المؤنث بالفعل قبل ذكر الفاعل جائز بالاتفاق وحسن، وإلحاق ضمير الجمع به قبيح عند الأكثرين، فلا يجوزون كذبوا قوم نوح، ويجوزون كذبت فما الفرق؟ نقول: التأنيث قبل الجمع لأن الأنوثة والذكورة للفاعل أمر لا يتبدل ولم تحصل الأنوثة للفاعل بسبب فعلها الذي هو فاعله فليس إذا قلنا: ضربت هذه كانت هذه أنثى لأجل الضرب بخلاف الجمع، لأن الجمع للفاعلين بسبب فعلهم الذي هم فاعلوه، فإنا إذا قلنا: جمع ضربوا وهم ضاربون ليس مجرد اجتماعهم في الوجود يصحح قولنا: ضربوا وهم ضاربون، لأنهم إن اجتمعوا في مكان فهم جمع، ولكن إن لم يضرب الكل لا يصح قولنا: ضربوا، فضمير الجمع من الفعل فاعلون جمعهم بسبب الاجتماع في الفعل والفاعلية، وليس بسبب الفعل، فلم يجز أن يقال: ضربوا جمع، لأن الجمع لم يفهم إلا بسبب أنهم ضربوا جميعهم، فينبغي أن يعلم أولاً اجتماعهم في الفعل، فيقول: الضاربون ضربوا، وأما ضربت هند فصحيح، لأنه لا يصح أن يقال: التأنيث لم يفهم إلا بسبب أنها ضربت، بل هي كانت أنثى فوجد منها ضرب فصارت ضاربة، وليس الجمع كانوا جمعًا فضربوا فصاروا ضاربين، بل صاروا ضاربين لاجتماعهم في الفعل ولهذا ورد الجمع على اللفظ بعد ورود التأنيث عليه فقيل: ضاربة وضاربات ولم يجمع اللفظ أولاً لأنثى ولا لذكر، ولهذا لم يحسن أن يقال: ضرب هند، وحسن بالإجماع ضرب قوم والمسلمون.

المسألة الثانية: لما قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ﴾ ما الفائدة في قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا﴾؟ نقول:

الجواب عنه من وجوه الأول: أن قوله: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ أي بآياتنا وآية الانشقاق فكذبوا. الثاني كذبت قوم نوح المرسلين وقالوا: لم يبعث الله رسولاً وكذبوهم في التوحيد: فكذبوا عبدنا كما كذبوا غيره وذلك لأن قوم نوح مشركون يعبدون الأصنام ومن يعبد الأصنام يكذب كل رسول وينكر الرسالة لأنه يقول: لا تعلق لله بالعالم السفلي وإنما أمره إلى الكواكب فكان مذهبهم التكذيب فكذبوا. الثالث: قوله تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾ للتصديق والرد عليهم تقديره: كذبت قوم نوح وكان تكذيبهم عبدنا أي لم يكن تكذيبًا بحق كما يقول القائل: كذبني فكذب صادقًا.

**المسألة الثالثة**: كثيرًا ما يخص الله الصالحين بالإضافة إلى نفسه كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي﴾ [الحجر: ٤٢] ﴿يَٰعِبَادِيَ﴾ [العنكبوت: ٥٦] ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا﴾ [ص: ١٧] ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [يوسف: ٢٤] وكل واحد عبده فما السر فيه؟ نقول: الجواب عنه من وجوه: الأول: ما قيل: في المشهور أن الإضافة إليه تشريف منه فمن خصصه بكونه عبده شرف وهذا كقوله تعالى: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ [البقرة: ١٢٥] وقوله تعالى: ﴿نَاقَةُ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ٧٣]. الثاني: المراد من عبدنا أي الذي عبدنا فالكل عباد لأنهم مخلوقون للعبادة لقوله: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] لكن منهم من عبد فحقق المقصود فصار عبده، ويؤيد هذا قوله تعالى: ﴿كُونُوا عِبَادًا لِّي﴾ [آل عمران: ٧٩] أي حققوا المقصود. الثالث: الإضافة تفيد الحصر فمعنى عبدنا هو الذي لم يقل: بمعبود سوانا، ومن اتبع هواه فقد اتخذ إلهًا فالعبد المضاف هو الذي بكليته في كل وقت لله فأكله وشربه وجميع أموره لوجه الله تعالى وقليل ما هم.

**المسألة الرابعة**: ما الفائدة في اختيار لفظ العبد مع أنه لو قال رسولنا لكان أدل على قبح فعلهم؟ نقول: قوله عبدنا أدل على صدقه وقبح تكذيبهم من قوله رسولنا لو قاله لأن العبد أقل تحريفًا لكلام السيد من الرسول، فيكون كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٦].

**المسألة الخامسة**: قوله تعالى ﴿وَقَالُوا مَجْنُونٌ﴾ إشارة إلى أنه أتى بالآيات الدالة على صدقه حيث رأوا ما عجزوا منه، وقالوا: هو مصاب الجن أو هو لزيادة بيان قبح صنعهم حيث لم يقنعوا بقولهم إنه كاذب، بل قالوا مجنون، أي يقول مالا يقبله عاقل، والكاذب العاقل يقول ما يظن به أنه صادق فقالوا: مجنون أي يقول مالم يقل به عاقل فبين مبالغتهم في التكذيب.

**المسألة السادسة**: ﴿وَازْدُجِرَ﴾ إخبار من الله تعالى أو حكاية قولهم، نقول: فيه خلاف منهم من قال: إخبار من الله تعالى وهو عطف على كذبوا، وقالوا: أي هم كذبوا وهو ازدجر أي أوذي وزجر، وهو كقوله تعالى: ﴿ كُذِّبُوا وَأُوذُوا﴾ [الأنعام: ٣٤] وعلى هذا إن قيل: لو قال كذبوا عبدنا وزجروه كان الكلام أكثر مناسبة، نقول: لا بل هذا أبلغ لأن المقصود تقوية قلب النبي ﷺ بذكر من تقدمه فقال: وازدجر أي فعلوا ما يوجب الإنزجار من دعائهم حتى ترك دعوتهم وعدل

عن الدعاء إلى الإيمان إلى الدعاء عليهم، ولو قال: زجروه ما كان يفيد أنه تأذى منهم لأن في السعة يقال: آذوني ولكن ما تأذيت، وأما أوذيت فهو كاللازم لا يقال إلا عند حصول الفعل لا قبله، ومنهم من قال: ﴿وَٱزۡدُجِرَ﴾ حكاية قولهم أي هم قالوا ازدجر، تقديره قالوا: مجنون مزدجر، ومعناه: ازدجره الجن أو كأنهم قالوا: جن وازدجر، والأول أصح ويترتب عليه:

قوله تعالى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ۝١٠ فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ۝١١﴾

ترتيبًا في غاية الحسن لأنهم لما زجروه وانزجر هو عن دعائهم دعا ربه أني مغلوب وفيه مسائل:

**المسألة الأولى**: قرئ (إِنِّي) بكسر الهمزة على أنه دعاء، فكأنه قال: إني مغلوب، وبالفتح على معنى بأني.

**المسألة الثانية**: ما معنى مغلوب؟ نقول فيه وجوه الأول: غلبني الكفار فانتصر لي منهم الثاني: غلبتني نفسي وحملتني على الدعاء عليهم فانتصر لي من نفسي، وهذا الوجه نقله ابن عطية وهو ضعيف الثالث: وجه مركب من الوجهين وهو أحسن منهما وهو أن يقال: إن النبي ﷺ لا يدعو على قومه ما دام في نفسه احتمال وحلم، واحتمال نفسه يمتد ما دام الإيمان منهم محتملاً، ثم إن يأسه يحصل والاحتمال يفر بعد اليأس بمدة، بدليل قوله تعالى لمحمد ﷺ: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ﴾ [الكهف: ٦]، ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ﴾ [فاطر: ٨] وقال تعالى: ﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٧] فقال نوح: يا إلهي إن نفسي غلبتني وقد أمرتني بالدعاء عليهم فأهلكهم، فيكون معناه (إِنِّي) مغلوب بحكم البشرية أي غلبت وعيل صبري فانتصر لي منهم لا من نفسي.

**المسألة الثالثة**: فانتصر معناه انتصر لي أو لنفسك فإنهم كفروا بك وفيه وجوه أحدها: فانتصر لي مناسب لقوله مغلوب ثانيها: فانتصر لك ولدينك فإني غلبت وعجزت عن الانتصار لدينك ثالثها: فانتصر للحق ولا يكون فيه ذكره ولا ذكر ربه، وهذا يقوله قوي النفس بكون الحق معه، يقول القائل: اللهم أهلك الكاذب منا، وانصر المحق منا.

**ثم قال تعالى: ﴿فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ﴾ عقيب دعائه، وفيه مسائل:**

**المسألة الأولى**: المراد من الفتح والأبواب والسماء حقائقها أو هو مجاز؟ نقول فيه قولان أحدهما: حقائقها وللسماء أبواب تفتح وتغلق ولا استبعاد فيه وثانيهما: هو على طريق الاستعارة، فإن الظاهر أن الماء كان من السحاب، وعلى هذا فهو كما يقول القائل في المطر الوابل جرت ميازيب السماء وفتح أفواه القرب أي كأنه ذلك، فالمطر في الطوفان كان بحيث يقول القائل فتحت أبواب السماء، ولا شك أن المطر من فوق كان في غاية الهطلان.

**المسألة الثانية**: قوله تعالى: ﴿فَفَتَحۡنَآ﴾ بيان أن الله انتصر منهم وانتقم بماء لا بجند أنزله،

كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ۝٢٨ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ [يس: ٢٨، ٢٩] بيانًا لكمال القدرة، ومن العجيب أنهم كانوا يطلبون المطر سنين فأهلكهم بمطلوبهم.

**المسألة الثالثة**: الباء في قوله: ﴿بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾ ما وجهه وكيف موقعه؟ نقول فيه وجهان أحدهما: كما هي في قول القائل فتحت الباب بالمفتاح وتقديره هو أن يجعل كأن الماء جاء وفتح الباب وعلى هذا تفسير قول من يقول: يفتح الله لك بخير أي يقدر خيرًا يأتي ويفتح الباب، وعلى هذا ففيه لطيفة وهي من بدائع المعاني، وهي أن يجعل المقصود مقدمًا في الوجود، ويقول كأن مقصودك جاء إلى باب مغلق ففتحه وجاءك، وكذلك قول القائل: لعل الله يفتح برزق، أي يقدر رزقًا يأتي إلى الباب الذي كالمغلق فيدفعه ويفتحه، فيكون الله قد فتحه بالرزق ثانيهما: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ﴾ مقرونة ﴿بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾ والانهمار الانسكاب والانصباب صبًا شديدًا، والتحقيق فيه أن المطر يخرج من السماء التي هي السحاب خروج مترشح من ظرفه، وفي ذلك اليوم كان يخرج خروج مرسل خارج من باب.

**قوله تعالى: ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۝١٢﴾**

وفيه من البلاغة ما ليس في قول القائل: وفجرنا عيون الأرض، وهذا بيان التمييز في كثير من المواضع، إذا قلت ضاق زيد ذرعًا، أثبت مالا يثبته قولك ضاق ذرع زيد.

**وفيه مسائل:**

**المسألة الأولى**: قال: ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾ ولم يقل ففتحنا السماء أبوابًا، لأن السماء أعظم من الأرض وهي للمبالغة، ولهذا قال: ﴿أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [القمر: ١١] ولم يقل: أنابيب ولا منافذ ولا مجاري أو غيرها.

**وأما قوله تعالى**: ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾ فهو أبلغ من قوله: وفجرنا عيون الأرض، لأنه يكون حقيقة لا مبالغة فيه، ويكفي في صحة ذلك القول أن يجعل في الأرض عيونًا ثلاثة، ولا يصلح مع هذا في السماء إلا في قول القائل: فأنزلنا من السماء ماء أو مياهًا، ومثل هذا الذي ذكرناه في المعنى لا في المعجزة، والحكمة قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٢١] حيث لا مبالغة فيه، وكلامه لا يماثل كلام الله ولا يقرب منه، غير أني ذكرته مثلاً: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠].

**المسألة الثانية**: العيون في عيون الماء حقيقة أو مجاز؟ نقول: المشهور أن لفظ العين مشترك، والظاهر أنها حقيقة في العين التي هي آلة الأبصار ومجاز في غيرها، أما في عيون الماء فلأنها تشبه العين الباصرة التي يخرج منها الدمع، أو لأن الماء الذي في العين كالنور الذي في العين غير أنها مجاز مشهور صار غالبًا حتى لا يفتقر إلى القرينة عند الاستعمال إلا للتمييز بين

العينين، فكما لا يحمل اللفظ على العين الباصرة إلا بقرينة، كذلك لا يحمل على الفوارة إلا بقرينة مثل: شربت من العين واغتسلت منها، وغير ذلك من الأمور التي توجد في الينبوع، ويقال: عانه يعينه إذا أصابه بالعين، وعينه تعيينًا، حقيقته جعله بحيث تقع عليه العين، وعاينه معاينة وعيانًا، وعين أي صار بحيث تقع عليه العين.

**المسألة الثالثة**: قوله تعالى: ﴿فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ﴾ قرىء فالتقى الماءان، أي النوعان، منه ماء السماء وماء الأرض، فتثنى أسماء الأجناس على تأويل صنف، وتجمع أيضًا، يقال: عندي تمران وتمور وأتمار على تأويل نوعين وأنواع منه والصحيح المشهور: ﴿فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ﴾ وله معنى لطيف، وذلك أنه تعالى لما قال: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾ [القمر: ١١] ذكر الماء وذكر الانهمار وهو النزول بقوة، فلما قال: ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾ كان من الحسن البديع أن يقول: ما يفيد أن الماء نبع منها بقوة، فقال: ﴿فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ﴾ أي فار الماء من العين بقوة حتى ارتفع والتقى بماء السماء، ولو جرى جريًا ضعيفًا لما كان هو يلتقي مع ماء السماء بل كان ماء السماء يرد عليه ويتصل به، ولعل المراد من قوله: ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ [هود: ٤٠] مثل هذا.

**وقوله تعالى**: ﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ فيه وجوه: الأول: على حال قد قدرها الله تعالى كما شاء. الثاني: على حال قدر أحد الماءين بقدر الآخر. الثالث: على سائر المقادير، وذلك لأن الناس اختلفوا، فمنهم من قال: ماء السماء كان أكثر، ومنهم من قال: ماء الأرض، ومنهم من قال: كانا متساويين، فقال: على أي مقدار كان، والأول إشارة إلى عظمة أمر الطوفان، فإن تنكير الأمر يفيد ذلك، يقول القائل: جرى على فلان شيء لا يمكن أن يقال إشارة إلى عظمته، وفيه احتمال آخر، وهو أن يقال: التقى الماء، أي اجتمع على أمر هلاكهم، وهو كان مقدورًا مقدرًا، وفيه رد على المنجمين الذين يقولون إن الطوفان كان بسبب اجتماع الكواكب السبعة حول برج مائي، والغرق لم يكن مقصودًا بالذات، وإنما ذلك أمر لزم من الطوفان الواجب وقوعه، فقال: لم يكن ذلك إلا لأمر قد قدر، ويدل عليه أن الله تعالى أوحى إلى نوح بأنهم من المغرقين.

**قوله تعالى**: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾

أي سفينة، حذف الموصوف وأقام الصفة مقامه، إشارة إلى أنها كانت من ألواح مركبة موثقة بدثر، وكان انفكاكها في غاية السهولة، ولم يقع فهو بفضل الله، والدسر المسامير.

**وقوله تعالى**: ﴿تَجْرِى﴾ أي سفينة ذات ألواح جارية، وقوله تعالى: ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ أي بمرأى منا أو بحفظنا، لأن العين آلة ذلك فتستعمل فيه.

**وقوله تعالى**: ﴿جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ يحتمل وجوهًا: أحدها: أن يكون نصبه بقوله: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ﴾ أي حملناه جزاء، أي ليكون ذلك الحمل جزاء الصبر على كفرانهم. وثانيها: أن يكون بقوله: ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ لأن فيه معنى حفظنا، أي ما تركناه عن أعيننا وعوننا جزاء له. ثالثها: أن يكون

بفعل حاصل من مجموع ما ذكره كأنه قال: فتحنا أبواب السماء وفجرنا الأرض عيونًا وحملناه، وكل ذلك فعلناه جزاء له، وإنما ذكرنا هذا، لأن الجزاء ما كان يحصل إلا بحفظه وإنجائه لهم، فوجب أن يكون جزاء منصوبًا بكونه مفعولاً له بهذه الأفعال.

**ولنذكر ما فيه من اللطائف في مسائل:**

**المسألة الأولى**: قال في السماء: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [القمر: ١١]لأن السماء ذات الرجع وما لها فطور، ولم يقل: وشققنا السماء، وقال في الأرض: ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ﴾ [القمر: ١٢]لأنها ذات الصدع.

**الثانية**: لما جعل المطر كالماء الخارج من أبواب مفتوحة واسعة، ولم يقل في الأرض وأجرينا من الأرض بحارًا وأنهارًا، بل قال: ﴿عُيُونًا﴾ والخارج من العين دون الخارج من الباب ذكر في الأرض أنه تعالى فجرها كلها، فقال: ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ﴾ لتقابل كثرة عيون الأرض سعة أبواب السماء فيحصل بالكثرة ههنا ما حصل بالسعة هاهنا.

**الثالثة**: ذكر عند الغضب سبب الإهلاك وهو فتح أبواب السماء وفجر الأرض بالعيون، وأشار إلى الإهلاك بقوله تعالى: ﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ [القمر: ١٢]أي أمر الإهلاك ولم يصرح وعند الرحمة ذكر الإنجاء صريحًا بقوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ﴾ وأشار إلى طريق النجاة بقوله: ﴿ذَاتِ أَلْوَٰحٍ﴾ وكذلك قال في موضع آخر: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ﴾ [العنكبوت: ١٤]، ولم يقل فأهلكوا، وقال: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾ [العنكبوت: ١٥]فصرح بالإنجاء ولم يصرح بالإهلاك إشارة إلى سعة الرحمة وغاية الكرم أي خلقنا سبب الهلاك ولو رجعوا لما ضرهم ذلك السبب كما قال، ﷺ: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا﴾ [هود: ٤٢]وعند الإنجاء أنجاه وجعل للنجاة طريقًا وهو اتخاذ السفينة ولو انكسرت لما ضره بل كان ينجيه فالمقصود عند الإنجاء هو النجاة فذكر المحل والمقصود عند الإهلاك إظهار البأس فذكر السبب صريحًا.

**الرابعة**: قوله تعالى: ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ أبلغ من حفظنا، يقول القائل اجعل هذا نصب عينك ولا يقول احفظه طلبًا للمبالغة.

**الخامسة**: ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ يحتمل أن يكون المراد بحفظنا، ولهذا يقال: الرؤية لسان العين.

**السادسة**: قال: كان ذلك جزاء على ما كفروا به لا على إيمانه وشكره فما جوزي به كان جزاء صبره على كفرهم، وأما جزاء شكره لنا فباق، وقرىء: (جِزَاءً) بكسر الجيم أي مجازاة كقتال ومقاتلة وقرىء: (لِمَنْ كَانَ كَفَرَ) بفتح الكاف، وأما: (كُفِرَ) ففيه وجهان: أحدهما: أن يكون كفر مثل شكر يعدى بالحرف وبغير حرف يقال شكرته وشكرت له، قال تعالى: ﴿وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]وقال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. ثانيهما: أن يكون من الكفر لا من الكفران أي جزاء لمن ستر أمره وأنكر شأنه ويحتمل أن يقال: كفر به وترك الظهور المراد.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٥﴾

وفي العائد إليه الضمير وجهان أحدهما: عائد إلى مذكور وهو السفينة التي فيها ألواح وعلى هذا ففيه وجهان أحدهما: ترك الله عينها مدة حتى رؤيت وعلمت وكانت على الجودي بالجزيرة وقيل بأرض الهند وثانيهما: ترك مثلها في الناس يذكر وثاني الوجهين الأولين أنه عائد إلى معلوم أي تركنا السفينة آية، والأول أظهر وعلى هذا الوجه يحتمل أن يقال: ﴿تَّرَكْنَٰهَآ﴾ أي جعلناها آية لأنها بعد الفراغ منها صارت متروكة ومجعولة يقول القائل: تركت فلانًا مثلة أي جعلته، لما بينا أنه من فرغ من أمر تركه وجعله فذكر أحد الفعلين بدلاً عن الآخر.

**وقوله تعالى:** ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ إشارة إلى أن الأمر من جانب الرسل قد تم ولم يبق إلا جانب المرسل إليهم بأن كانوا منذرين متفكرين يهتدون بفضل الله فهل من مدكر مهتد، وهذا الكلام يصلح حثًا ويصلح تخويفًا وزجرًا **وفيه مسائل:**

**الأولى:** قال هاهنا ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ﴾ وقال في العنكبوت: ﴿وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً﴾ [العنكبوت: ١٥] قلنا هما وإن كانا في المعنى واحدًا على ما تقدم بيانه لكن لفظ الترك يدل على الجعل والفراغ بالأيام فكأنها هنا مذكورة بالتفصيل حيث بين الإمطار من السماء وتفجير الأرض وذكر السفينة بقوله: ﴿ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾ [القمر: ١٣] وذكر جريها فقال: ﴿تَّرَكْنَٰهَآ﴾ إشارة إلى تمام الفعل المقدور وقال هناك ﴿وَجَعَلْنَٰهَآ﴾ إشارة إلى بعض ذلك فإن قيل: إن كان الأمر كذلك فكيف قال ههنا ﴿وَحَمَلْنَٰهُ﴾ [القمر: ١٣] ولم يقل: وأصحابه وقال هناك ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾ [العنكبوت: ١٥]؟ نقول: النجاة ههنا مذكورة على وجه أبلغ مما ذكره هناك لأنه قال: ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤] أي حفظنا وحفظ السفينة حفظ لأصحابه وحفظ لأموالهم ودوابهم والحيوانات التي معهم فقوله: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾ لا يلزم منه إنجاء الأموال إلا ببيان آخر والحكاية في سورة هود أشد تفصيلاً وأتم فلهذا قال: ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ [هود: ٤٠] يعني المحمول ثم قال تعالى: ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ﴾ [هود: ٤٤] تصريحًا بخلاص السفينة وإشارة إلى خلاص كل من فيها وقوله: ﴿ءَايَةً﴾ منصوبة على أنها مفعول ثان للترك لأنه بمعنى الجعل على ما تقدم بيانه وهو الظاهر، ويحتمل أن يقال حال فإنك تقول تركتها وهي آية وهي إن لم تكن على وزن الفاعل والمفعول فهي في معناه كأنه قال: تركناها دالة، ويحتمل أن يقال: نصبها على التمييز لأنها بعض وجوه الترك كقوله ضربته سوطًا.

**المسألة الثانية:** ﴿مُّدَّكِرٍ﴾ مفتعل من ذكر يذكر وأصله مُذْتَكِرٌ (لَمَّا) كان مخرج الذال قريبًا من مخرج التاء، والحروف المتقاربة المخرج يصعب النطق بها على التوالي ولهذا إذا نظرت إلى الذال مع التاء عند النطق تقرب الذال من أن تصير تاء والتاء تقرب من أن تصير دالاً فجعل التاء دالاً ثم أدغمت الدال فيها ومنهم من قرأ على الأصل مذتكر ومنهم من قلب التاء دالاً وقرأ مذدكر

ومن اللغويين من يقول في مدكر مذدكر فيقلب التاء ولا يدغم ولكلٍ وجهة، والمدكر المعتبر المتفكر، وفي قوله: ﴿مُّدَّكِرٍ﴾ إما إشارة إلى ما في قوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢] أي هل من يتذكر تلك الحالة وإما إلى وضوح الأمر كأنه حصل للكل آيات الله ونسوها ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ يتذكر شيئًا منها.

## قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝١٦﴾

**وفيه وجهان أحدهما:** أن يكون ذلك استفهامًا من النبي ﷺ تنبيهًا له ووعدًا بالعاقبة وثانيهما: أن يكون عامًا تنبيهًا للخلق ونذر أسقط منه ياء الإضافة كما حذف ياء يسري في قوله تعالى: ﴿وَالَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ [الفجر: ٤] وذلك عند الوقف ومثله كثير كما في قوله تعالى: ﴿فَإِيَّٰىَ فَاعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت: ٥١] ﴿وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ﴾ [يس: ٤٣] وقوله تعالى: ﴿يَٰعِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾ [الزمر: ١٦] وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢] وقرئ بإثبات الياء: (عَذَابِي وَنُذُرِي)، **وفيه مسائل:**

**الأولى:** ما الذي اقتضى الفاء في قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ﴾؟ نقول: أما إن قلنا إن الاستفهام من النبي ﷺ، فكأنه تعالى قال له قد علمت أخبار من كان قبلك فكيف كان أي بعدما أحاط بهم علمك بنقلها إليك، وأما إن قلنا الاستفهام عام فنقول لما قال: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٥] فرض وجودهم وقال: يا من يتذكر، وعلم الحال بالتذكير: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي﴾ ويحتمل أن يقال: هو متصل بقوله: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ تقديره كيف كان عذابي.

**المسألة الثانية:** ما رأوا العذاب ولا النذر فكيف استفهم منهم؟ نقول: أما على قولنا الاستفهام من النبي ﷺ فقد علم لما علم، وأما على قولنا عام فهو على تقدير الإدكار وعلى تقدير الادكار يعلم الحال، ويحتمل أن يقال: إنه ليس باستفهام وإنما هو إخبار عن عظمة الأمر كما في قوله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ ۝ مَا الْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة: ١-٢] و﴿الْقَارِعَةُ ۝ مَا الْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: ١، ٢] وهذا لأن الاستفهام يذكر للإخبار كما أن صيغة هل تذكر للاستفهام فيقال زيد في الدار؟ بمعنى هل زيد في الدار، ويقول المنجز وعده هل صدقت؟ فكأنه تعالى قال: عذابي وقع وكيف كان أي كان عظيمًا وحينئذ لا يحتاج إلى علم من يستفهم منه.

**المسألة الثالثة:** قال تعالى من قبل: ﴿فَفَتَحْنَا﴾ [القمر: ١١]، ﴿وَفَجَّرْنَا﴾ [القمر: ١٢]، ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤] ولم يقل كيف كان عذابنا نقول لوجهين أحدهما: لفظي وهو أن ياء المتكلم يمكن حذفها لأنها في اللفظ تسقط كثيرًا فيما إذا التقى ساكنان، تقول: غلامي الذي، وداري التي، وهنا حذفت لتواخي آخر الآيات، وأما النون والألف في ضمير الجمع فلا تحذف وأما الثاني: وهو المعنوي فنقول: إن كان الاستفهام من النبي ﷺ فتوحيد الضمير للأنباء، وفي فتحنا وفجرنا لترهيب العصاة، ونقول: قد ذكرنا أن قوله: ﴿مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٥] فيه إشارة إلى قوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] فلما وحد الضمير بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ قال فكيف كان.

**المسألة الرابعة**: النذر جمع نذير فهل هو مصدر كالنسيب والنحيب أو فاعل كالكبير والصغير؟ نقول: أكثر المفسرين على أنه مصدر ههنا، أي كيف كان عاقبة عذابي وعاقبة إنذاري والظاهر أن المراد الأنباء، أي كيف كان عاقبة أعداء الله ورسله؟ هل أصاب العذاب من كذب الرسل أم لا؟ فإذا علمت الحال يا محمد فاصبر فإن عاقبة أمرك كعاقبة أولئك النذر ولم يجمع العذاب لأنه مصدر ولو جمع لكان في جمعه تقدير وفرض ولا حاجة إليه، فإن قيل: قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾ [القمر: ٢٣] أي بالإنذارات لأن الإنذارات جاءتهم، وأما الرسل فقد جاءهم واحد، نقول: كل من تقدم من الأمم الذين أشركوا بالله وكذبوا بالرسل وقالوا: ما أنزل الله من شيء وكان المشركون مكذبين بالكل ما خلا إبراهيم عليه السلام فكانوا يعتقدون فيه الخير لكونه شيخ المرسلين فلا يقال (كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ)، أي بالأنبياء بأسرهم، كما أنكم أيها المشركون تكذبون بهم.

## قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾

**ثم قال تعالى**: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ وفيه وجوه الأول: للحفظ فيمكن حفظه ويسهل، ولم يكن شيء من كتب الله تعالى يحفظ على ظهر القلب غير القرآن.

**وقوله تعالى**: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ أي هل من يحفظ ويتلوه الثاني: سهلناه للاتعاظ حيث أتينا فيه بكل حكمة الثالث: جعلناه بحيث يعلق بالقلوب ويستلذ سماعه ومن لا يفهم يتفهمه ولا يسأم من سمعه وفهمه ولا يقول قد علمت فلا أسمعه بل كل ساعة يزداد منه لذة وعلمًا. الرابع: وهو الأظهر أن النبي ﷺ لما ذكر بحال نوح عليه السلام وكان له معجزة قيل له: إن معجزتك القرآن ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ تذكرة لكل أحد وتتحدى به في العالم ويبقى على مرور الدهور، ولا يحتاج كل من يحضرك إلى دعاء ومسألة في إظهار معجزة، وبعدك لا ينكر أحد وقوع ما وقع كما ينكر البعض انشقاق القمر، وقوله تعالى: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ أي متذكر لأن الافتعال والتفعل كثيرًا ما يجيء بمعنى، وعلى هذا فلو قال قائل: هذا يقتضي وجود أمر سابق فنسي، نقول: ما في الفطرة من الانقياد للحق هو كالمنسي فهل من مدكر يرجع إلى ما فطر عليه وقيل: فهل من مدكر أي حافظ أو متعظ على ما فسرنا به قوله تعالى: ﴿يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ وقوله: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ وعلى قولنا المراد متذكر إشارة إلى ظهور الأمر فكأنه لا يحتاج إلى نكر، بل هو أمر حاصل عنده لا يحتاج إلى معاودة ما عند غيره.

## قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾﴾

**وفيه مسائل:**

**الأولى**: قال في قوم نوح: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ [الشعراء: ١٠٥] ولم يقل في عاد كذبت قوم هود وذلك

لأن التعريف كلما أمكن أن يؤتى به على وجه أبلغ فالأولى أن يؤتى به والتعريف بالاسم العلم أولى من التعريف بالإضافة إليه، فإنك إذا قلت: بيت الله لا يفيد ما يفيد قولك الكعبة، فكذلك إذا قلت: رسول الله لا يفيد ما يفيد قولك محمد فعاد اسم علم للقوم لا يقال قوم هود أعرف لوجهين أحدهما: أن الله تعالى وصف عادًا بقوم هود حيث قال: ﴿أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ [هود: ٦٠] ولا يوصف الأظهر بالأخفى والأخص بالأعم ثانيهما: أن قوم هود واحد وعاد، قيل: إنه لفظ يقع على أقوام ولهذا قال تعالى: ﴿عَادًا ٱلْأُولَىٰ﴾ [النجم: ٥٠] لأنا نقول: أما قوله تعالى: ﴿لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ [هود: ٦٠] فليس ذلك صفة وإنما هو بدل ويجوز في البدل أن يكون دون المبدل في المعرفة، ويجوز أن يبدل عن المعرفة بالنكرة، وأما عادًا الأولى فقد قدمنا أن ذلك لبيان تقدمهم أي عادًا الذين تقدموا وليس ذلك للتمييز والتعريف كما تقول محمد النبي شفيعي والله الكريم ربي ورب الكعبة المشرفة لبيان الشرف لا لبيانها وتعريفها كما تقول: دخلت الدار المعمورة من الدارين وخدمت الرجل الزاهد من الرجلين فتبين المقصود بالوصف.

**المسألة الثانية:** لم يقل كذبوا هودًا كما قال: ﴿فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا﴾ [القمر: ٩] وذلك لوجهين أحدهما: أن تكذيب نوح كان أبلغ وأشد حيث دعاهم قريبًا من ألف سنة وأصروا على التكذيب، ولهذا ذكر الله تعالى تكذيب نوح في مواضع ولم يذكر تكذيب غير نوح صريحًا وإن نبه عليه (في) واحد منها في الأعراف قال: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ﴾ [الأعراف: ٦٤] وقال حكاية عن نوح: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ﴾ [الشعراء: ١١٧] وقال: ﴿إِنَّهُمْ عَصَوْنِى﴾ [نوح: ٢١] وفي هذه المواضع لم يصرح بتكذيب قوم غيره منهم إلا قليلاً ولذلك قال تعالى في مواضع ذكر شعيب فكذبوه: وقال ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا﴾ [الأعراف: ٩٢] وقال تعالى عن قومه: ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [الأعراف: ٦٦] لأنه دعا قومه زمانًا مديدًا وثانيهما: أن حكاية عاد مذكورة ههنا على سبيل الاختصار فلم يذكر إلا تكذيبهم وتعذيبهم فقال: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾ كما قال: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ ولم يذكر دعاءه عليهم وإجابته كما قال في نوح.

**المسألة الثالثة:** قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ قبل أن بين العذاب وفي حكاية نوح بين العذاب، ثم قال: ﴿فَكَيْفَ كَانَ﴾ فما الحكمة فيه؟ نقول: الاستفهام الذي ذكره في حكاية نوح مذكور ههنا، وهو قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ كما قال من قبل ومن بعد في حكاية ثمود غير أنه تعالى حكى في حكاية عاد ﴿فَكَيْفَ كَانَ﴾ مرتين، المرة الأولى استفهم ليبين كما يقول المعلم لمن لا يعرف كيف المسألة الفلانية ليصير المسئول سائلاً، فيقول: كيف هي فيقول إنها كذا وكذا فكذلك ههنا قال: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى﴾ فقال السامع: بين أنت فإني لا أعلم فقال: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا﴾ [القمر: ١٩] وأما المرة الثانية فاستفهم للتعظيم كما يقول القائل للعارف المشاهد كيف فعلت وصنعت فيقول: نعم ما فعلت ويقول: أتيت بعجيبة فيحقق عظمة الفعل بالاستفهام، وإنما ذكر ههنا المرة الأولى ولم يذكر في موضع آخر لأن الحكاية ذكرها مختصرة

فكان يفوت الاعتبار بسبب الاختصار فقال: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى﴾ حثًا على التدبر والتفكر، وأما الاختصار في حكايتهم فلأن أكثر أمرهم الاستكبار والاعتماد على القوة وعدم الالتفات إلى قول النبي ﷺ، ويدل على قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥] وذكر استكبارهم كثيرًا، وما كان قوم محمد ﷺ مبالغين في الاستكبار وإنما كانت مبالغتهم في التكذيب ونسبته إلى الجنون، وذكر حالة نوح على التفصيل فإن قومه جمعوا بين التكذيب والاستكبار، وكذلك حال صالح عليه السلام ذكرها على التفصيل لشدة مناسبتها بحال محمد ﷺ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾﴾

**وفيه مسائل:**

**المسألة الأولى**: قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى﴾ [القمر: ١٨] بتوحيد الضمير هناك ولم يقل عذابنا، وقال: هاهنا ﴿إِنَّآ﴾، ولم يقل إني، والجواب ما ذكرناه في قوله تعالى: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [القمر: ١١].

**المسألة الثانية**: الصرصر فيها وجوه: أحدها: الريح الشديدة الصوت من الصرير والصرة شدة الصياح. ثانيها: دائمة الهبوب من أصر على الشيء إذا دام وثبت، وفيه بحث وهو أن الأسماء المشتقة هي التي تصلح لأن يوصف بها، وأما أسماء الأجناس فلا يوصف بها سواء كانت أجرامًا أو معاني، فلا يقال: إنسان رجل جاء ولا يقال: لون أبيض وإنما يقال: إنسان عالم وجسم أبيض. وقولنا: أبيض معناه شيء له بياض، ولا يكون الجسم مأخوذًا فيه، ويظهر ذلك في قولنا رجل عالم فإن العالم شيء له علم حتى الحداد والخباز ولو أمكن قيام العلم بهما لكان عالمًا ولا يدخل الحي في المعنى من حيث المفهوم فإنا إذا قلنا: عالم يفهم أن ذلك حي لأن اللفظ ما وضع لحي يعلم بل اللفظ وضع لشيء يعلم ويزيده ظهورًا قولنا: معلوم فإنه شيء يعلم أو أمر يعلم وإن لم يكن شيئًا، ولو دخل الجسم في الأبيض لكان قولنا جسم أبيض كقولنا جسم له بياض فيقع الوصف بالجثة، إذا علمت هذا فمن المستفاد بالجنس شيء دون شيء، فإن قولنا الهندي يقع على كل منسوب إلى الهند وأما المهند فهو سيف منسوب إلى الهند فيصح أن يقال: عبد هندي وتمر هندي ولا يصح أن يقال: مهند وكذا الأبلق ولون آخر في فرس ولا يقال للثوب أبلق، كذلك الأفطس أنف فيه تقعير إذا قال لقائل: أنف أفطس فيكون كأنه قال أنف به فطس فيكون وصفه بالجثة وكان ينبغي أن لا يقال فرس أبلق ولا أنف أفطس ولا سيف مهند وهم يقولون فما الجواب؟ وهذا السؤال يرد على الصرصر لأنها الريح الباردة، فإذا قال: ريح صرصر فليس ذلك كقولنا: ريح باردة فإن الصرصر هي الريح الباردة فحسب، فكأنه قال: ريح باردة فنقول: الألفاظ التي في معانيها أمران فصاعدًا، كقولنا: عالم فإنه يدل على شيء له علم ففيه

شيء وعلم على ثلاثة أقسام: أحدها: أن يكون الحال هو المقصود والمحل تبع كما في العالم والضارب والأبيض فإن المقاصد في هذه الألفاظ العلم والضرب والبياض بخصوصها، وأما المحل فمقصود من حيث إنه على عمومه حتى أن البياض لو كان يبدل بلون غيره اختل مقصوده كالأسود. وأما الجسم الذي هو محل البياض إن أمكن أن يبدل وأمكن قيام البياض بجوهر غير جسم لما اختل الغرض، ثانيها: أن يكون المحل هو المقصود كقولنا الحيوان لأنه اسم لجنس ما له الحياة لا كالحي الذي هو اسم لشيء له الحياة، فالمقصود هنا المحل وهو الجسم حتى لو وجد حي ليس بجسم لا يحصل مقصود من قال: الحيوان ولو حمل اللفظ على الله الحي الذي لا يموت لحصل غرض المتكلم ولو حمل لفظ الحيوان على فرس قائم أو إنسان نائم لم تفارقه الحياة لم يبق للسامع نفع ولم يحصل للمتكلم غرض فإن القائل إذا قال لإنسان قائم وهو ميت هذا حيوان ثم بان موته لا يرجع عما قال بل يقول: ما قلت إنه حي بل قلت إنه حيوان فهو حيوان فارقته الحياة، ثالثها: ما يكون الأمران مقصودين كقولنا رجل وامرأة وناقة وجمل فإن الرجل اسم موضوع لإنسان ذكر والمرأة لإنسان أنثى والناقة لبعير أنثى والجمل لبعير ذكر فالناقة إن أطلقت على حيوان فظهر فرسًا أو ثور اختل الغرض وإن بان جملاً كذلك، إذا علمت هذا ففي كل صورة كان المحل مقصودًا إما وحده وإما مع الحال فلا يوصف به فلا يقال جسم حيوان ولا يقال بعير ناقة وإنما يجعل ذلك جملة، فيوصف بالجملة، فيقال جسم هو حيوان وبعير هو ناقة، ثم إن الأبلق والأفطس شأنه الحيوان من وجه وشأنه العالم من وجه وكذلك المهند لكن دليل ترجيح الحال فيه ظاهر، لأن المهند لا يذكر إلا لمدح السيف، والأفطس لا يقال إلا لوصف الأنف لا لحقيقته، وكذلك الأبلق بخلاف الحيوان فإنه لا يقال لوصفه، وكذلك الناقة، إذا علمت هذا فالصرصر يقال لشدة الريح أو لبردها فوجب أن يعمل به ما يعمل بالبارد والشديد فجاز الوصف وهذا بحث عزيز.

**المسألة الثالثة**: قال تعالى هاهنا ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ وقال في الطور: ﴿وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾ [الذاريات: ٤١] فعرف الريح هناك ونكرها هنا لأن العقم في الريح أظهر من البرد الذي يضر النبات أو الشدة التي تعصف الأشجار لأن الريح العقيم هي التي لا تنشيء سحابًا ولا تلقح شجرًا وهي كثيرة الوقوع، وأما الريح المهلكة الباردة فقلما توجد، فقال: الريح العقيم أي هذا الجنس المعروف، ثم زاده بيانًا بقوله: ﴿مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ﴾ [الذاريات: ٤٢] فتميزت عن الرياح العقم، وأما الصرصر فقليلة الوقوع فلا تكون مشهورة فنكرها.

**المسألة الرابعة**: قال هنا ﴿فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾ وقال في السجدة: ﴿فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ [فصلت: ١٦] وقال في الحاقة: ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ [الحاقة: ٧] والمراد من اليوم هنا الوقت والزمان كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣٣] وقوله: ﴿مُّسْتَمِرٍّ﴾ يفيد ما يفيده الأيام لأن الاستمرار ينبئ عن إمرار الزمان كما تنبئ عنه الأيام، وإنما

اختلف اللفظ مع اتحاد المعنى، لأن الحكاية هنا مذكورة على سبيل الاختصار، فذكر الزمان ولم يذكر مقداره ولذلك لم يصفها، ثم إن فيه قراءتين إحداهما: ﴿يَوۡمِ نَحۡسٍ﴾ بإضافة يوم، وتسكين نحس على وزن نفس، وثانيتهما: (يَوْمٍ نَحِسٍ) بتنوين الميم وكسر الحاء على وصف اليوم بالنحس، كما في قوله تعالى: ﴿فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ﴾ [فصلت: ١٦] فإن قيل أيتهما أقرب؟ قلنا: الإضافة أصح، وذلك لأن من يقرأ: (يَوْمٍ نَحِسٍ مُسْتَمِرٍّ) يجعل المستمر صفة ليوم، ومن يقرأ ﴿يَوۡمِ نَحۡسٖ مُّسۡتَمِرّٖ﴾ يكون المستمر وصفًا لنحس، فيحصل منه استمرار النحوسة فالأول أظهر وأليق، فإن قيل: من يقرأ يوم نحس بسكون الحاء، فماذا يقول في النَّحْس؟ نقول: يحتمل أن يقول هو تخفيف نَحِس كَفَخْذ وفَخِذ في غير الصفات، ونصر ونصر ورعد ورعد، وعلى هذا يلزمه أن يقول تقديره: يوم كائن نحس، كما تقول في قوله تعالى: ﴿بِجَانِبِ ٱلۡغَرۡبِيِّ﴾ [القصص: ٤٤] ويحتمل أن يقول: نحس ليس بنعت، بل هو اسم معنى أو مصدر، فيكون كقولهم يوم برد وحر، وهو أقرب وأصح.

**المسألة الخامسة**: ما معنى ﴿مُّسۡتَمِرّٖ﴾؟ نقول فيه وجوه: الأول: ممتد ثابت مدة مديدة من استمر الأمر إذا دام، وهذا كقوله تعالى: ﴿فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ﴾ [فصلت: ١٦] لأن الجمع يفيد معنى الاستمرار والامتداد، وكذلك قوله: ﴿حُسُومٗاۖ﴾ [الحاقة: ٧]، الثاني: شديد من المرة كما قلنا من قبل في قوله: ﴿سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ﴾ [القمر: ٢] وهذا كقولهم أيام الشدائد، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ﴾ [فصلت: ١٦] فإنه يذيقهم المر المضر من العذاب.

## قوله تعالى: ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ ۝٢٠﴾

**فيه مسائل:**

**المسألة الأولى**: ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ﴾ وصف أو حال؟ نقول: يحتمل الأمرين جميعًا، إذ يصح أن يقال: أرسل ريحًا صرصرًا نازعة للناس، ويصح أن يقال: أرسل الريح نازعة، فإن قيل: كيف يمكن جعلها حالاً، وذو الحال نكرة؟ نقول: الأمر هنا أهون منه في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّنَ ٱلۡأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزۡدَجَرٌ﴾ [القمر: ٤] فإنه نكرة، وأجابوا عنه بأن ﴿مَا﴾ موصوفة فتخصصت فحسن جعلها ذات الحال، فكذلك نقول ههنا الريح موصوفة بالصرصر، والتنكير فيه للتعظيم، وإلا فهي ثلاثة فلا يبعد جعلها ذات حال، وفيه وجه آخر، وهو أنه كلام مستأنف على فعل وفاعل، كما تقول: جاء زيد جذبني، وتقديره جاء فجذبني، كذلك ههنا قال: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا﴾ [القمر: ١٩] فأصبحت ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ﴾ ويدل عليه قوله تعالى: ﴿فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ﴾ [الحاقة: ٧] فالتاء في قوله: ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ﴾ إشارة إلى ما أشار إليه بقوله: ﴿صَرۡعَىٰ﴾ وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ﴾ فيه وجوه: أحدها: نزعتهم فصرعتهم: ﴿كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ﴾ كما قال: ﴿صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ﴾. ثانيها: نزعتهم فهم بعد النزع: كأنهم أعجاز نخل وهذا أقرب، لأن الانقعار قبل الوقوع، فكأن الريح تنزع (الْوَاحِدَ) وتقعره فينقعر فيقع فيكون صريعًا، فيخلو

الموضع عنه فيخوى، وقوله في الحاقة: ﴿فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ إشارة إلى حالة بعد الانقعار الذي هو بعد النزع، وهذا يفيد أن الحكاية ههنا مختصرة حيث لم يشر إلى صرعهم وخلو منازلهم عنهم بالكلية، فإن حال الانقعار لا يحصل الخلو التام إذ هو مثل الشروع في الخروج والأخذ فيه. ثالثها: تنزعهم نزعًا بعنف كأنهم أعجاز نخل تقعرهم فينقعروا إشارة إلى قوتهم وثباتهم على الأرض، وفي المعنى وجوه: أحدها: أنه ذكر ذلك إشارة إلى عظمة أجسادهم وطول أقدادهم. ثانيها: ذكره إشارة إلى ثباتهم في الأرض، فكأنهم كانوا يعملون أرجلهم في الأرض ويقصدون المنع به على الريح. وثالثها: ذكره إشارة إلى يبسهم وجفافهم بالريح، فكانت تقتلهم وتحرقهم ببردها المفرط فيقعون كأنهم أخشاب يابسة.

**المسألة الثانية**: قال هاهنا: ﴿مُّنقَعِرٍ﴾ فذكر النخل، وقال في الحاقة: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ فأنثها، قال المفسرون: في تلك السورة كانت أواخر الآيات تقتضي ذلك لقوله: ﴿مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ١٩] ﴿مُّنْهَمِرٍ﴾ [القمر: ١١]. ﴿مُّنتَشِرٌ﴾ [القمر: ٧] وهو جواب حسن، فإن الكلام كما يزين بحسن المعنى يزين بحسن اللفظ، ويمكن أن يقال: النخل لفظه لفظ الواحد، كالبقل والنمل ومعناه معنى الجمع، فيجوز أن يقال فيه: نخل منقعر ومنقعرة ومنقعرات، ونخل خاوٍ وخاوية وخاويات ونخل باسق وباسقة وباسقات، فإذا قال قائل: منقعر أو خاوٍ أو باسق جرد النظر إلى اللفظ ولم يراع جانب المعنى، وإذا قال: منقعرات أو خاويات أو باسقات جرد النظر إلى المعنى ولم يراع جانب اللفظ، وإذا قال: منقعرة أو خاوية أو باسقة جمع بين الاعتبارين من حيث وحدة اللفظ، وربما قال: منقعرة على الإفراد من حيث اللفظ، وألحق به تاء التأنيث التي في الجماعة إذا عرفت هذا فنقول: ذكر الله تعالى لفظ النخل في مواضع ثلاثة، ووصفها على الوجوه الثلاثة، فقال: ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ﴾ [ق: ١٠] فإنها حال منها وهي كالوصف، وقال: ﴿نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧] وقال: ﴿نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ فحيث قال: ﴿مُّنقَعِرٍ﴾ كان المختار ذلك لأن المنقعر في حقيقة الأمر كالمفعول، لأنه الذي ورد عليه القعر فهو مقعور، والخاو والباسق فاعل ومعناه إخلاء ما هو مفعول من علامة التأنيث أولاً، كما تقول: امرأة كفيل، وامرأة كفيلة، وامرأة كبير، وامرأة كبيرة. وأما الباسقات، فهي فاعلات حقيقة، لأن البسوق أمر قام بها، وأما الخاوية، فهي من باب حسن الوجه، لأن الخاوي موضعها، فكأنه قال: نخل خاوية المواضع، وهذا غاية الإعجاز حيث أتى بلفظ مناسب للألفاظ السابقة واللاحقة من حيث اللفظ، فكان الدليل يقتضي ذلك، بخلاف الشاعر الذي يختار اللفظ على المذهب الضعيف لأجل الوزن والقافية.

قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ۝٢١ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝٢٢ ﴾

وتفسيره قد تقدم والتكرير للتقرير، وفي قوله: ﴿ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ لطيفة ما ذكرناها، وهي تثبت بسؤال وجواب لو قال القائل: أكثر المفسرين على أن النذر في هذا الموضع جمع نذير الذي هو مصدر معناه إنذار، فما الحكمة في توحيد العذاب حيث لم يقل: فكيف كان أنواع عذابي ووبال

إنذاري؟ نقول: فيه إشارة إلى غلبة الرحمة الغضب، وذلك لأن الإنذار إشفاق ورحمة، فقال: الإنذارات التي هي نعم ورحمة تواترت، فلما لم تنفع وقع العذاب دفعة واحدة، فكانت النعم كثيرة، والنقمة واحدة وسنبين هذا زيادة بيان حين نفسر قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣] حيث جمع الآلاء وكثر ذكرها وكررها ثلاثين مرة، ثم بين الله تعالى حال قوم آخرين.

## قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾﴾

وقد تقدم تفسيره غير أنه في قصة عاد قال: ﴿كَذَّبَتْ﴾ [القمر: ١٨] ولم يقل: بالنذر، وفي قصة نوح قال: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥] فنقول: هذا يؤيد ما ذكرنا من أن المراد بقوله: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ [القمر: ٩] أن عادتهم ومذهبهم إنكار الرسل وتكذيبهم فكذبوا نوحًا بناء على مذهبهم وإنما صرح ههنا لأن كل قوم يأتون بعد قوم وأتاهما رسولان فالمكذب المتأخر يكذب المرسلين جميعًا حقيقة والأولون يكذبون رسولاً واحدًا حقيقة ويلزمهم تكذيب من بعده بناء على ذلك لأنهم لما كذبوا من تقدم في قوله: الله تعالى واحد، والحشر كائن، ومن أرسل بعده كذلك قوله ومذهبه لزم منه أن يكذبوه ويدل على هذا أن الله تعالى قال في قوم نوح: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ﴾ [الأعراف: ٦٤] وقال في عاد: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟﴾ [هود: ٥٩] وأما قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥] فإشارة إلى أنهم كذبوا وقالوا ما يفضي إلى تكذيب جميع المرسلين، ولهذا ذكره بلفظ الجمع المعرف للاستغراق، ثم إنه تعالى قال هناك عن نوح: ﴿رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ﴾ [الشعراء: ١١٧] ولم يقل: كذبوا رسلك إشارة إلى ما صدر منهم حقيقة لا أن ما ألزمهم لزمه. إذا عرفت هذا فلما سبق قصة ثمود ذكر رسولين ورسولهم ثالثهم قال: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ﴾ هذا كله إذا قلنا إن النذر جمع نذير بمعنى منذر، أما إذا قلنا إنها الإنذارات فنقول: قوم نوح وعاد لم تستمر المعجزات التي ظهرت في زمانهم، وأما ثمود فأنذروا وأخرج لهم ناقة من صخرة وكانت تدور بينهم وكذبوا فكان تكذيبهم بإنذارات وآيات ظاهرة فصرح بها، وقوله: ﴿فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ﴾ [القمر: ٢٤] يؤيد الوجه الأول، لأن من يقول لا أتبع بشرًا مثلي وجميع المرسلين من البشر يكون مكذبًا للرسل والباء في قوله ﴿بِٱلنُّذُرِ﴾ يؤيد الوجه الثاني لأنا بينا أن الله تعالى في تكذيب الرسل عدى التكذيب بغير حرف فقال: ﴿كَذَّبُوهُ﴾ [الأعراف: ٦٤] ﴿وَكَذَّبُوا۟﴾ . . . ﴿رُسُلَنَا﴾ [غافر: ٧٠] ﴿فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا﴾ [القمر: ٩] ﴿كَذَّبُونِ﴾ [المؤمنون: ٢٦] وقال: ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٤] ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ [البقرة: ٣٩] فعدى بحرف لأن التكذيب هو النسبة إلى الكذب والقائل هو الذي يكون كاذبًا حقيقة والكلام والقول يقال فيه كاذب مجازًا وتعلق التكذيب بالقائل أظهر فيستغني عن الحرف بخلاف القول، وقد ذكرنا ذلك وبيناه بيانًا شافيًا.

قوله تعالى: ﴿فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾﴾

**وفي قوله تعالى: ﴿فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ﴾ مسائل:**

المسألة الأولى: زيدًا ضربته وزيد ضربته كلاهما جائز والنصب مختار في مواضع منها هذا الموضع وهو الذي يكون ما يرد عليه النصب والرفع بعد حرف الاستفهام، والسبب في اختيار النصب أمر معقول وهو أن المستفهم يطلب من المسئول أن يجعل ما ذكره بعد حرف الاستفهام مبدأ لكلامه ويخبر عنه، فإذا قال: أزيد عندك معناه أخبرني عن زيد واذكر لي حاله، فإذا انضم إلى هذه الحالة فعل مذكور ترجح جانب النصب فيجوز أن يقال: أزيدًا ضربته وإن لم يجب فالأحسن ذلك فإن قيل: من قرأ ﴿أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ﴾ كيف ترك الأجود؟ نقول: نظرًا إلى قوله تعالى: ﴿فَقَالُوٓا۟﴾ إذ ما بعد القول لا يكون إلا جملة اسمية والاسمية أولى والأولى أقوى وأظهر.

المسألة الثانية: إذا كان بشرًا منصوبًا بفعل، فما الحكمة في تأخر الفعل في الظاهر؟ نقول: قد تقدم مرارًا أن البليغ يقدم في الكلام ما يكون تعلق غرضه به أكثر وهم كانوا يريدون تبيين كونهم محقين في ترك الاتباع فلو قالوا: أنتبع بشرًا يمكن أن يقال نعم اتبعوه وماذا يمنعكم من اتباعه، فإذا قدموا حاله وقالوا هو نوعنا بشر ومن صنفنا رجل ليس غريبًا نعتقد فيه أنه يعلم ما لا نعلم أو يقدر مالا نقدر وهو واحد وحيد وليس له جند وحشم وخيل وخدم فكيف نتبعه، فيكونون قد قدموا الموجب لجواز الامتناع من الاتباع، واعلم أن في هذه الآية إشارات إلى ذلك أحدها: نكَّروه حيث قالوا ﴿أَبَشَرًا﴾ ولم يقولوا: أنتبع صالحًا أو الرجل المدعي النبوة أو غير ذلك من المعرفات والتنكير تحقير ثانيها: قالوا أبشرًا ولم يقولوا أرجلاً ثالثها: قالوا ﴿مِّنَّا﴾ وهو يحمل أمرين أحدهما من صنفنا ليس غريبًا، وثانيهما ﴿مِّنَّا﴾ أي تبعنا يقول القائل لغيره أنت منا فيتأذى السامع ويقول: لا بل أنت منا ولست أنا منكم، وتحقيقه أن من للتبعيض والبعض يتبع الكل لا الكل يتبع البعض رابعها: ﴿وَٰحِدًا﴾ يحتمل أمرين أيضًا أحدهما: وحيدًا إلى ضعفه وثانيهما: واحدًا أي هو من الآحاد لا من الأكابر المشهورين، وتحقيق القول في استعمال الآحاد في الأصاغر حيث يقال: هو من آحاد الناس هو أن من لا يكون مشهورًا بحسب ولا نسب إذا حدث عنه من لا يعرفه فلا يمكن أن يقول عنه قال فلان أو ابن فلان فيقول قال واحد وفعل واحد فيكون ذلك غاية الخمول، لأن الأرذل لا ينضم إليه أحد فيبقى في أكثر أوقاته واحدًا فيقال: للأرذال آحاد.

**وقوله تعالى عنهم:** ﴿إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾ يحتمل وجهين: أحدهما: أن يكونوا قد قالوا في جواب من يقول لهم إن لم تتبعوه تكونوا في ضلال، فيقولون له: لا بل إن تبعناه نكون في ضلال. ثانيهما: أن يكون ذلك ترتيبًا على ما مضى أي حاله ما ذكرنا من الضعف والوحدة فإن اتبعناه نكون في ضلال وسعر أي جنون على هذا الوجه، فإن قلنا: إن ذلك قالوه على سبيل

الجواب فيكون القائل قال لهم: إن لم تتبعوه فإنا إذًا في الحال في ضلال وفي سعر في العقبى فقالوا: لا بل لو اتبعناه فإنا إذًا في الحال في ضلال وفي سعر من الذل والعبودية مجازًا فإنهم ما كانوا يعترفون بالسعير.

**المسألة الثالثة**: السعير في الآخرة واحد فكيف جمع؟ نقول: الجواب عنه من وجوه: أحدها: في جهنم دركات يحتمل أن تكون كل واحدة سعيرًا أو فيها سعير. ثانيها: لدوام العذاب عليهم فإنه كلما نضجت جلودهم يبدلهم جلودًا كأنهم في كل زمان في سعير آخر وعذاب آخر. ثالثها: لسعة السعير الواحد كأنها سعر يقال للرجل الواحد: فلان ليس برجل واحد بل هو رجال.

**قوله تعالى: ﴿أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾﴾**

وقد تقدم أن النفي بطريق الاستفهام أبلغ لأن من قال: ما أنزل عليه الذكر ربما يعلم أو يظن أو يتوهم أن السامع يكذبه فيه فإذا ذكر بطريق الاستفهام يكون معناه أن السامع يجيبني بقوله: ما أنزل فيجعل الأمر حينئذ منفيًا ظاهرًا لا يخفى على أحد بل كل أحد يقول: ما أنزل، والذكر الرسالة أو الكتاب إن كان ويحتمل أن يراد به ما يذكره من الله تعالى كما يقال الحق ويراد به ما يحل من الله، **وفيه مسائل:**

**المسألة الأولى**: قولهم أألقي بدل أأنزل وفيه إشارة إلى ما كانوا ينكرونه من طريق المبالغة وذلك لأن الإلقاء إنزال بسرعة والنبي كان يقول: «جَاءَنِي الْوَحْيُ مَعَ الْمَلَكِ فِي لَحْظَةٍ يَسِيرَةٍ» فكأنهم قالوا: الملك جسم والسماء بعيدة فكيف ينزل في لحظة فقالوا: أألقي وما قالوا: أأنزل، وقولهم عليه إنكار آخر كأنهم قالوا: ما ألقى ذكر أصلاً، قالوا: إن ألقى فلا يكون عليه من بيننا وفينا من هو فوقه في الشرف والذكاء، وقولهم أألقى بدل عن قولهم أألقى الله للإشارة إلى أن الإلقاء من السماء غير ممكن فضلاً عن أن يكون من الله تعالى.

**المسألة الثانية**: عرَّفوا الذكر ولم يقولوا: أألقى عليه ذكر، وذلك لأن الله تعالى حكى إنكارهم لما لا ينبغي أن ينكر فقال: أنكروا الذكر الظاهر المبين الذي لا ينبغي أن ينكر فهو كقول القائل: أنكروا المعلوم.

**المسألة الثالثة**: ﴿بَلْ﴾ يستدعي أمرًا مضروبًا عنه سابقًا فما ذاك؟ نقول قولهم: أألقي للإنكار فهم قالوا: ما ألقي، ثم إن قولهم: أألقي عليه الذكر لا يقتضي إلا أنه ليس بنبي، ثم قالوا: بل هو ليس بصادق.

**المسألة الرابعة**: ﴿كَذَّابٌ﴾ فعال من فاعل للمبالغة أو يقال: بل من فاعل كخياط وتمار؟ نقول: الأول هو الصحيح الأظهر على أن الثاني من باب الأولى لأن المنسوب إلى الشيء لا بد له من أن يكثر من مزاولة الشيء فإن من خاط يومًا ثوبه مرة لا يقال له خياط، إذا عرفت هذا فنقول المبالغة إما في الكثرة، وإما في الشدة فالكذاب، إما شديد الكذب يقول مالا يقبله العقل أو كثير الكذب، ويحتمل أن يكونوا وصفوه به لاعتقادهم الأمرين فيه وقولهم: ﴿أَشِرٌ﴾ إشارة

إلى أنه كذب لا لضرورة وحاجة إلى خلاص كما يكذب الضعيف، وإنما هو استغنى وبطر وطلب الرياسة عليكم وأراد اتباعكم له فكان كل وصف مانعًا من الاتباع لأن الكاذب لا يلتفت إليه، ولا سيما إذا كان كذبه لا لضرورة، وقرئ: (أَشَرٌّ) فقال المفسرون: هذا على الأصل المرفوض في الأشر والأخير على وزن أفعل التفضيل، وإنما رفض الأصل فيه لأن أفعل إذا فسر قد يفسر بأفعل أيضًا والثاني بأفعل ثالث، مثاله إذا قال: ما معنى الأعلم؟ يقال: هو الأكثر علمًا فإذا قيل: الأكثر ماذا؟ فيقال: الأزيد عددًا أو شيء مثله فلا بد من أمر يفسر به الأفعل لا من بابه فقالوا: أفعل التفضيل والفضيلة أصلها الخير والخير أصل في باب أفعل فلا يقال: فيه أخير، ثم إن الشر في مقابلة الخير يفعل به ما يفعل بالخير فيقال هو شر من كذا وخير من كذا والأشر في مقابلة الأخير، ثم إن خيرًا يستعمل في موضعين: أحدهما: مبالغة الخير بفَعْل أو أَفْعل على اختلاف يقال: هذا خَيرٌ وهذا أَخْيرُ ويستعمل في مبالغة خير على المشابهة لا على الأصل فمن يقول: أشر يكون قد ترك الأصل المستعمل لأنه أخذ في الأصل المرفوض بمعنى هو شر من غيره وكذا معنى الأعلم أن علمه خير من علم غيره، أو هو خير من غرة الجهل كذلك القول في الأضعف وغيره.

قوله تعالى: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ۝٢٦﴾

**فإن قال قائل:** سيعلم للاستقبال ووقت أنزال القرآن على محمد ﷺ كانوا قد علموا، لأن بعد الموت تتبين الأمور وقد عاينوا ما عاينوا فكيف القول فيه؟ نقول: فيه وجهان أحدهما: أن يكون هذا القول مفروض الوقوع في وقت قولهم: بل هو كذاب أشر، فكأنه تعالى قال يوم قالوا: بل هو كذاب أشر سيعلمون غدًا وثانيهما: أن هذا التهديد بالتعذيب لا بحصول العلم بالعذاب الأليم وهو عذاب جهنم لا عذاب القبر فهم سيعذبون يوم القيامة وهو مستقبل وقوله تعالى: ﴿غَدًا﴾ لقرب الزمان في الإمكان والأذهان ثم إن قلنا: إن ذلك للتهديد بالتعذيب لا للتكذيب فلا حاجة إلى تفسيره بل يكون ذلك إعادة لقولهم من غير قصد إلى معناه، وإن قلنا: هو للرد والوعد ببيان انكشاف الأمر فقوله تعالى: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا﴾ معناه سيعلمون غدًا أنهم الكاذبون الذين كذبوا لا لحاجة وضرورة، بل بطروا وأشروا لما استغنوا، وقوله تعالى: ﴿غَدًا﴾ يحتمل أن يكون المراد يوم القيامة، ويحتمل أن يكون المراد يوم العذاب وهذا على الوجه الأول.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ۝٢٧﴾

**وفيه مسائل:**

**المسألة الأولى:** قوله: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ﴾ بمعنى الماضي أو بمعنى المستقبل، إن كان بمعنى الماضي فكيف يقول: ﴿فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ﴾ وإن كان بمعنى المستقبل فما الفرق بين حكاية عاد وحكاية ثمود حيث قال هناك: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ﴾ [القمر: ١٩] وقال هاهنا: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ﴾ بمعنى إنا

نرسل؟ نقول: هو بمعنى المستقبل، وما قبله وهو قوله: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا﴾ يدل عليه، فإن قوله: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ﴾ كالبيان له، كأنه قال سيعلمون حيث: نرسل الناقة وما بعده من قوله: ﴿فَٱرْتَقِبْهُمْ﴾ ﴿وَنَبِّئْهُمْ﴾ [القمر: ٢٨] أيضًا يقتضي ذلك، فإن قيل قوله تعالى: ﴿فَنَادَوْا۟﴾ [القمر: ٢٩] دليل على أن المراد الماضي قلنا سنجيب عنه في موضعه، وأما الفارق فنقول: حكاية ثمود مستقصاة في هذا الموضع حيث ذكر تكذيب القوم بالنذر وقولهم لرسولهم وتصديق الرسل بقوله: ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ وذكر المعجزة وهي الناقة وما فعلوه بها والعذاب والهلاك يذكر حكاية على وجه الماضي والمستقبل ليكون وصفه للنبي ﷺ كأنه حاضرها فيقتدي بصالح في الصبر والدعاء إلى الحق ويثق بربه في النصر على الأعداء بالحق فقال: إني مؤيدك بالمعجزة القاطعة، واعلم أن الله تعالى ذكر في هذه السورة خمس قصص، وجعل القصة المتوسطة مذكورة على أتم وجه لأن حال صالح كان أكثر مشابهة بحال محمد ﷺ، لأنه أتى بأمر عجيب أرضي كان أعجب مما جاء به الأنبياء، لأن عيسى عليه السلام أحيا الميت لكن الميت كان محلاً للحياة فأثبت بإذن الله الحياة في محل كان قابلاً لها، وموسى عليه السلام انقلبت عصاه ثعبانًا فأثبت الله له في الخشبة الحياة لكن الخشبة نبات كان له قوة في النماء يشبه الحيوان في النمو فهو أعجب، وصالح عليه السلام كان الظاهر في يده خروج الناقة من الحجر والحجر جماد لا محل للحياة ولا محل للنمو (فِيهِ) والنبي ﷺ أتى بأعجب من الكل وهو التصرف في جرم السماء الذي يقول المشرك لا وصول لأحد إلى السماء ولا إمكان لشقه وخرقه، وأما الأرضيات فقالوا: إنها أجسام مشتركة المواد يقبل كل واحد منها صورة الأخرى، والسموات لا تقبل ذلك فلما أتى بما عرفوا فيه أنه لا يقدر على مثله آدمي كان أتم وأبلغ من معجزة صالح عليه السلام التي هي أتم معجزة من معجزات من كان من الأنبياء غير محمد ﷺ وفيه لطيفة وهو أن اسم الفاعل إذا كان بمعنى الماضي وذكر معه مفعوله فالواجب الإضافة تقول: وحشي قاتل عم النبي ﷺ. فإن قلنا: قاتل عم النبي بالإعمال فلا بد من تقدير الحكاية في الحال كما في قوله تعالى: ﴿وَكَلْبُهُم بَـٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾ [الكهف: ١٨] على أنه يحكي القصة في حال وقوعها تقول: خرجت أمس فإذا زيد ضارب عمرًا كما تقول: يضرب عمرًا، وإن كان الضرب قد مضى، وإذا كان بمعنى المستقبل فالأحسن الإعمال تقول: إني ضارب عمرًا غدًا، فإن قلت إني ضارب عمرو غدًا حيث كان الأمر وقع وكان جاز لكنه غير الأحسن، والتحقيق فيه أن قولنا: ضارب وسارق وقاتل أسماء في الحقيقة غير أن لها دلالة على الفعل فإذا كان الفعل تحقق في الماضي فهو قد عدم حقيقة فلا وجود للفعل في الحقيقة ولا في التوقع فيجب الحمل على ما للاسم من الإضافة وترك ما للفعل من الإعمال لغلبة الإسمية وفقدان الفعل بالماضي، وإذا كان الفعل حاضرًا أو متوقعًا في الاستقبال فله وجود حقيقة أو في التوقع فتجوز الإضافة لصورة الاسم، والإعمال لتوقع الفعل أو لوجوده ولكن الإعمال أولى لأن في الاستقبال لن يضرب يفيد لا يكون ضاربًا فلا ينبغي أن يضاف، أما

الإعمال فهو ينبئ عن توقع الفعل أو وجوده، لأنه إذا قال: زيد ضارب عمرًا فالسامع إذا سمع بضرب عمرو علم أنه يفعل فإذا لم يره في الحال يتوقعه في الاستقبال غير أن الإضافة تفيد تخفيفًا سقط بها التنوين والنون فتختار لفظًا لا معنى، إذا عرفت هذا فنقول: ﴿مُرۡسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ﴾ مع ما فيه من التخفيف فيه تحقيق الأمر وتقديره كأنه وقع وكان بخلاف ما لو قيل: إنا نرسل الناقة.

**المسألة الثانية**: ﴿فِتۡنَةٗ﴾ مفعول له فتكون الفتنة هي المقصودة من الإرسال لكن المقصود منه تصديق النبي ﷺ، وهو صالح عليه السلام لأنه معجزة فما التحقيق في تفسيره؟ نقول: فيه وجهان: أحدهما: أن المعجزة فتنة لأن بها يتميز حال من يثاب ممن يعذب، لأن الله تعالى بالمعجزة لا يعذب الكفار إلا إذا كان ينبئهم بصدقه من حيث نبوته فالمعجزة ابتلاء لأنها تصديق وبعد التصديق يتميز المصدق عن المكذب. وثانيهما: وهو أدق أن إخراج الناقة من الصخرة كان معجزة وإرسالها إليهم ودورانها فيما بينهم وقسمة الماء كان فتنة ولهذا قال: ﴿إِنَّا مُرۡسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتۡنَةٗ﴾ ولم يقل: إنا مخرجوا الناقة فتنة، والتحقيق في الفتنة والابتلاء والامتحان قد تقدم مرارًا وإليه إشارة خفية وهي أن الله تعالى يهدي من يشاء وللهداية طرق، منها ما يكون على وجه يكون للإنسان مدخل فيه بالكسب، مثاله يخلق شيئًا دالاً ويقع تفكر الإنسان فيه ونظره إليه على وجه يترجح عنده الحق فيتبعه وتارة يلجئه إليه ابتداء ويصونه عن الخطأ من صغره فإظهار المعجز على يد الرسول أمر يهدي به من يشاء اهتداء مع الكسب وهداية الأنبياء من غير كسب منهم بل يخلق فيهم علومًا غير كسبية فقوله: ﴿إِنَّا مُرۡسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتۡنَةٗ﴾ إشارة إليهم، ولهذا قال لهم: ومعناه على وجه يصلح لأن يكون فتنة وعلى هذا كل من كانت معجزته أظهر يكون ثواب قومه أقل، وقوله تعالى: ﴿فَٱرۡتَقِبۡهُمۡ﴾ أي فارتقبهم بالعذاب، ولم يقل: فارتقب العذاب إشارة إلى حسن الأدب والاجتناب عن طلب الشر وقوله تعالى: ﴿وَٱصۡطَبِرۡ﴾ يؤيد ذلك بمعنى إن كانوا يؤذونك فلا تستعجل لهم العذاب، ويحتمل أن يكون ذلك إشارة إلى قرب الوقت إلى أمرهما والأمر بحيث يعجز عن الصبر.

قوله تعالى: ﴿وَنَبِّئۡهُمۡ أَنَّ ٱلۡمَآءَ قِسۡمَةُۢ بَيۡنَهُمۡۖ كُلُّ شِرۡبٖ مُّحۡتَضَرٞ ۝٢٨ فَنَادَوۡاْ صَاحِبَهُمۡ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ۝٢٩﴾

أي مقسوم وصف بالمصدر مرادًا به المشتق منه كقوله ماء ملح وقوله زور وفيه ضرب من المبالغة يقال للكريم: كرم كأنه هو عين الكرم ويقال: فلان لطف محض، ويحتمل أن تكون القسمة وقعت بينهما لأن الناقة كانت عظيمة وكانت حيوانات القوم تنفر منها ولا ترد الماء وهي على الماء، فصعب عليهم ذلك فجعل الماء بينهما يومًا للناقة ويومًا للقوم، ويحتمل أن تكون لقلة الماء فشربه يومًا للناقة ويومًا للحيوانات، ويحتمل أن يكون الماء كان بينهم قسمة يوم لقوم ويوم لقوم ولما خلق الله الناقة كانت ترد الماء يومًا يومًا فكان الذين لهم الماء في غير يوم

ورودها يقولون: الماء كله لنا في هذا اليوم ويومكم كان أمس والناقة ما أخرت شيئًا فلا نمكنكم من الورود أيضًا في هذا اليوم فيكون النقصان واردًا على الكل وكانت الناقة تشرب الماء بأسره وهذا أيضًا ظاهر ومنقول والمشهور هنا الوجه الأوسط، ونقول: إن قومًا كانوا يكتفون بلبنها يوم ورودها الماء والكل ممكن ولم يرد في شيء خبر متواتر والثالث: قطع وهو من القسمة لأنها مثبتة بكتاب الله تعالى أما كيفية القسمة والسبب فلا وقوله تعالى: ﴿كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ مما يؤيد الوجه الثالث أي كل شرب محتضر للقوم بأسرهم لأنه لو كان ذلك لبيان كون الشرب محتضرًا للقوم أو الناقة فهو معلوم لأن الماء ما كان يترك من غير حضور وإن كان لبيان أنه تحضره الناقة يومًا والقوم يومًا فلا دلالة في اللفظ عليه، وأما إذا كانت العادة قبل الناقة على أن يرد الماء قوم في يوم وآخرون في يوم آخر، ثم لما خلقت الناقة كانت تنقص شرب البعض وتترك شرب الباقين من غير نقصان، فقال: ﴿كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ كم أيها القوم فردوا كل يوم الماء وكل شرب ناقص تقاسموه وكل شرب كامل تقاسموه.

**ثم قال تعالى:** ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ﴾ نداء المستغيث كأنهم قالوا: يالقدار للقوم، كما يقول القائل: بالله للمسلمين وصاحبهم قدار وكان أشجع وأهجم على الأمور ويحتمل أن يكون رئيسهم.

**وقوله تعالى:** ﴿فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾ يحتمل وجوهًا الأول: تعاطى آلة العقر فعقر الثاني: تعاطى الناقة فعقرها وهو أضعف الثالث: التعاطي يطلق ويراد به الإقدام على الفعل العظيم والتحقيق هو أن الفعل العظيم يقدم كل أحد فيه صاحبه ويبرئ نفسه، فمن يقبله ويقدم عليه يقال: تعاطاه كأنه كان فيه تدافع فأخذه هو بعد التدافع الرابع: أن القوم جعلوا له على عمله جعلاً فتعاطاه وعقر الناقة.

## قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝٣٠ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ۝٣١﴾

وقد تقدم بيانه وتفسيره غير أن هذه الآية ذكرها في ثلاثة مواضع ذكرها في حكاية نوح بعد بيان العذاب، وذكرها هاهنا قبل بيان العذاب، وذكرها في حكاية عاد قبل بيانه وبعد بيانه، فحيث ذكر قبل بيان العذاب ذكرها للبيان كما تقول: ضربت فلانًا أي ضرب وأيما ضرب، وتقول: ضربته وكيف ضربته أي قويًا، وفي حكاية عاد ذكرها مرتين للبيان والاستفهام وقد ذكرنا السبب فيه، ففي حكاية نوح ذكر الذي للتعظيم وفي حكاية ثمود ذكر الذي للبيان لأن عذاب قوم نوح كان بأمر عظيم عام وهو الطوفان الذي عم العالم ولا كذلك عذاب قوم هود فإنه كان مختصًا بهم.

**ثم قال تعالى:** ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ﴾ سمعوا صيحة فماتوا.

**وفيه مسائل:**

**المسألة الأولى:** كان في قوله: ﴿فَكَانُوا۟﴾ من أي الأقسام؟ نقول: قال النحاة تجيء تارة

بمعنى صار وتمسكوا بقول القائل:

بِتَيْمَاءَ قَفْرٍ وَالْمَطِيُّ كَأَنَّهَا ... قَطَا الْحَزْنِ قَدْ كَانَتْ فِرَاخًا بُيُوضُهَا[1]

بمعنى صارت فقال بعض المفسرين: في هذا موضع إنها بمعنى صار، والتحقيق أن كان لا تخالف غيرها من الأفعال الماضية اللازمة التي لا تتعدى والذي يقال إن كان تامة وناقصة وزائدة وبمعنى صار فليس ذلك يوجب اختلاف أحوالها اختلافًا يفارق غيرها من الأفعال وذلك لأن كان بمعنى وجد أو حصل أو تحقق غير أن الذي وجد تارة يكون حقيقة الشيء وأخرى صفة من صفاته فإذا قلت: كانت الكائنة وكن فيكون جعلت الوجود والحصول للشيء في نفسه فكأنك قلت: وجدت الحقيقة الكائنة وكن أي احصل فيوجد في نفسه وإذا قلت: كان زيد عالمًا أي وجد علم زيد، غير أنا نقول في وجد زيد عالمًا إن عالمًا حال، وفي كان زيد عالمًا نقول: إنه خبر كقولنا حصل زيد عالمًا غير أن قولنا وجد زيد عالمًا ربما يفهم منه أن الوجود والحصول لزيد في تلك الحال كما تقول قام زيد منتحيًا حيث يكون القيامة لزيد في تلك الحال، وقولنا: كان زيد عالمًا ليس معناه كان زيد وفي تلك الحال هو عالم لكن هذا لا يوجب أن كان على خلاف غيره من الأفعال اللازمة التي لها بالحال تعلق شديد، لأن من يفهم من قولنا حصل زيد اليوم على أحسن حال ما نفهمه من قولنا خرج زيد اليوم في أحسن زي لا يمنعه مانع من أن يفهم من قولنا: كان زيد على أحسن حال مثل ما فهم هناك، إذا عرفت هذا فنقول: الفعل الماضي يطلق تارة على ما يوجد في الزمان المتصل بالحاضر، كقولنا: قام زيد في صباه، ويطلق تارة على ما يوجد في الزمان الحاضر كقولنا قام زيد فقم وقم فإن زيدًا قام، وكذلك القول في كان ربما يقال كان زيد قائمًا عام كذا وربما يقال كان زيد قائمًا الآن كما في قام زيد فقوله تعالى: ﴿فَكَانُوا﴾ فيه استعمال الماضي فيما اتصل بالحال فهو كقولك أرسل عليهم صيحة فماتوا أي متصلًا بتلك الحال، نعم لو استعمل في هذا الموضع صار يجوز لكن كان وصار كل واحد بمعنى في نفسه وليس وإنما يلزم حمل كان على صار إذا لم يمكن أن يقال هو كذا كما في البيت حيث لا يمكن أن يقال: البيوض فراخ، وأما هنا يمكن أن يقال هم كهشيم ولولا الكاف لأمكن أن يقال: يجب حمل كان على صار إذا كان المراد أنهم انقلبوا هشيمًا كما يقلب الممسوخ وليس المراد ذلك.

المسألة الثانية: ما الهشيم؟ نقول هو المهشوم أي المكسور وسمي هاشم هاشمًا لهشمه الثريد في الجفان غير أن الهشيم استعمل كثيرًا في الحطب المتكسر اليابس، فقال المفسرون: كانوا كالحشيش الذي يخرج من الحظائر بعد البلا بتفتت، واستدلوا عليه بقوله تعالى: ﴿هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾[الكهف: ٥٤] وهو من باب إقامة الصفة مقام الموصوف كما يقال: رأيت جريحًا ومثله السعير.

(١) البيت ضمن قصيدة من البحر الطويل للشاعر عمرو بن أحمر الباهلي وقد تقدمت ترجمته.

المسألة الثالثة: لماذا شبههم به؟ قلنا: يحتمل أن يكون التشبيه بكونهم يابسين كالحشيش بين الموتى الذين ماتوا من زمان وكأنه يقول: سمعوا الصيحة فكانوا كأنهم ماتوا من أيام، ويحتمل أن يكون لأنهم انضموا بعضهم إلى بعض كما ينضم الرفقاء عند الخوف داخلين بعضهم في بعض فاجتمعوا بعضهم فوق بعض كحطب الحاطب الذي يصفه شيئًا فوق شيء منتظرًا حضور من يشتري منه شيئًا فإن الحطاب الذي عنده الحطب الكثير يجعل منه كالحظيرة، ويحتمل أن يكون ذلك لبيان كونهم في الجحيم أي كانوا كالحطب اليابس الذي للوقيد فهو محقق لقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] وقوله تعالى: ﴿فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٥] وقوله: ﴿أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا﴾ [نوح: ٢٥] كذلك ماتوا فصاروا كالحطب الذي لا يكون إلا للإحراق لأن الهشيم لا يصلح للبناء.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِٱلنُّذُرِ ۝ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ۝﴾

ثم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ والتكرار للتذكار.

ثم بين حال قوم آخرين وهم قوم لوط فقال: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِٱلنُّذُرِ ۝﴾.

ثم بين عذابهم وإهلاكهم، فقال: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ۝﴾.

**وفيه مسائل:**

**الأولى:** الحاصب فاعل من حصب إذا رمى الحصباء وهي اسم الحجارة والمرسل عليهم هو نفس الحجارة قال الله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الحجر: ٧٤] وقال تعالى عن الملائكة: ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ [الذاريات: ٣٣] فالمرسل عليهم ليس بحاصب فكيف الجواب عنه؟ نقول: الجواب من وجوه الأول: أرسلنا عليهم ريحًا حاصبًا بالحجارة التي هي الحصباء وكثر استعمال الحاصب في الريح الشديدة فأقام الصفة مقام الموصوف، فإن قيل: هذا ضعيف من حيث اللفظ والمعنى، أما اللفظ فلأن الريح مؤنثة قال تعالى: ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٦]، ﴿بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [يونس: ٢٢] وقال تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ﴾ [ص: ٣٦] وقال تعالى: ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ﴾ [سبأ: ١٢] وقال تعالى في: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾ [الحجر: ٢٢] وما قال لقاحًا ولا لقحة، وأما المعنى فلأن الله تعالى بين أنه أرسل عليهم حجارة من سجيل مسومة عليها علامة كل واحد وهي لا تسمى حصباء، وكان ذلك بأيدي الملائكة لا بالريح، نقول: تأنيث الريح ليس حقيقة ولها أصناف الغالب فيها التذكير كالإعصار، قال تعالى: ﴿فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ﴾ [البقرة: ٢٦٦] فلما كان حاصب حجارة كان كالذي فيه نار، وأما قوله: كان الرمي بالسجيل لا بالحصباء، وبأيدي الملائكة لا بالريح، فنقول: كل ريح يرمي بحجارة يسمى حاصبًا، وكيف لا والسحاب الذي يأتي بالبرد يسمى حاصبًا تشبيهًا للبرد بالحصباء، فكيف لا يقال في السجيل.

وأما الملائكة فإنهم حركوا الريح وهي حصبت الحجارة عليهم الجواب الثاني: المراد عذاب حاصب وهذا أقرب لتناوله الملك والحساب والريح وكل ما يفرض الجواب الثالث: قوله: ﴿حَاصِبًا﴾ هو أقرب من الكل لأن قوله: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا﴾ يدل على مرسل هو مرسل الحجارة وحاصبها، فإن قيل: كان ينبغي أن يقول حاصبين، نقول لما لم يذكر الموصوف رجح جانب اللفظ كأنه قال شيئًا حاصبًا إذ المقصود بيان جنس العذاب لا بيان من على يده العذاب، وهذا وارد على من قال: الريح مؤنث لأن ترك التأنيث هناك كترك علامة الجمع هنا.

**المسألة الثانية**: ما رتب الإرسال على التكذيب بالفاء فلم يقل: كذبت قوم لوط بالنذر فأرسلنا كما قال: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [القمر: ١١] لأن الحكاية مسوقة على مساق ما تقدم من الحكايات، فكأنه قال: ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ [القمر: ٣٠] كما قال من قبل ثم قيل: لا علم لنا به وإنماأنت العليم فأخبرنا، فقال: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا﴾.

**المسألة الثالثة**: ما الحكمة في ترك العذاب حيث لم يقل: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى﴾ كما قال في الحكايات الثلاث، نقول: لأن التكرار ثلاث مرات بالغ، ولهذا قال ﷺ: **«ألاَ هَلْ بلغت ثلاثا»**[1] وقال ﷺ: **«فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ بَاطِلٌ بَاطِلٌ»**[2] والإذكار تكرر ثلاث مرات فبثلاث مرار حصل التأكيد وقد بينا أنه تعالى ذكر: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى﴾ في حكاية نوح للتعظيم وفي حكاية ثمود للبيان وفي حكاية عاد أعادها مرتين للتعظيم والبيان جميعًا واعلم أنه تعالى ذكر: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى﴾ في ثلاث حكايات أربع مرات فالمرة الواحدة للإنذار، والمرات الثلاث للإذكار، لأن المقصود حصل بالمرة الواحدة، وقوله تعالى: ﴿ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣] ذكره مرة للبيان وأعادها ثلاثين مرة غير المرة الأولى كما أعاد: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ ثلاث مرات غير المرة الأولى فكان ذكر الآلاء عشرة أمثال ذكر العذاب إشارة إلى الرحمة التي قال في بيانها ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] وسنبين ذلك في سورة: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾.

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود في كتاب (البيوع) باب (في وضع الربا) (٣/ ١٤٤٨/ ١٤٤٩) حديث رقم (٣٣٣٤) والترمذي في كتاب (الرضاع) باب (في حق المرأة على زوجها) (٣/ ٤٦٧) حديث رقم (١١٦٣)، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه في كتاب (النكاح) باب (حق المرأة على الزوج) (١/ ٥٩٤) حديث رقم (١٨٥١)، وأحمد في (مسنده) (٣/ ٤٩٨/ ٤٢٦) جميعا من طريق أبي الأحوص... به.

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود في كتاب (النكاح) باب في الولي) (٢/ ٢٣٥) حديث رقم (٢٠٨٣) والترمذي في كتاب (النكاح) باب (لا نكاح إلا بولي) (٣/ ٣٩٨) حديث رقم (١١٠٢) من طريق سفيان بن عيينة... به وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن، وابن ماجه في كتاب (النكاح) باب (لا نكاح إلا بولي) (١/ ٦٠٥) حديث رقم (١٨٧٩) من طريق معاذ... به وأحمد في (مسنده) (٦/ ٤٧) من طريق إسماعيل... به وكذلك في (٦/ ١٦٥) من طريق عبد الرزاق... به والدارمي في كتاب (النكاح) باب (في اليتيمة تزوج) (١/ ٦٢٠) حديث رقم (٢١٨٤) والحميدي في (مسنده) (١) حديث رقم (٢٢٧) من طريق سفيان وعبد الله بن رجاء... به والحاكم في (المستدرك) (٢/ ١٦٨).

المسألة الرابعة: ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍۖ﴾ استثناء مماذا؟ إن كان من الذين قال فيهم: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا﴾ فالضمير في عليهم عائد إلى قوم لوط وهم الذين قال فيهم: ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطِۭ﴾ ثم قال: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ﴾ لكن لم يستثن عند قوله: ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطِۭ﴾ وآله من قومه فيكون آله قد كذبوا ولم يكن كذلك؟ الجواب عنه من وجهين: أحدهما: أن الاستثناء ممن عاد إليهم الضمير في عليهم وهم القوم بأسرهم غير أن قوله: ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطِۭ﴾ لا يوجب كون آله مكذبين، لأن قول القائل: عصى أهل بلدة كذا يصح وإن كان فيها شرذمة قليلة يطيعون فكيف إذا كان فيهم واحد أو اثنان من المطيعين لا غير، فإن قيل: ماله حاجة إلى الاستثناء لأن قوله: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ﴾ يصح وإن نجا منهم طائفة يسيرة نقول: الفائدة لما كانت لا تحصل إلا ببيان إهلاك من كذب وإنجاء من آمن فكان ذكر الإنجاء مقصودًا، وحيث يكون القليل من الجمع الكثير مقصودًا لا يجوز التعميم والإطلاق من غير بيان حال ذلك المقصود بالاستثناء أو بكلام منفصل مثاله: ﴿فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ۝٣٠ إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾ [الحجر: ٣٠، ٣١] استثنى الواحد لأنه كان مقصودًا، وقال تعالى: ﴿وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [النمل: ٢٣] ولم يستثن إذ المقصود بيان أنها أوتيت، لا بيان أنها ما أوتيت، وفي حكاية إبليس كلاهما مراد ليعلم أن من تكبر على آدم عوقب ومن تواضع أثيب كذلك القول هاهنا، وأما عند التكذيب فكأن المقصود ذكر المكذبين فلم يستثن الجواب الثاني: أن الاستثناء من كلام مدلول عليه، كأنه قال: إنا أرسلنا عليهم حاصبًا فما أنجينا من الحاصب إلا آل لوط، وجاز أن يكون الإرسال عليهم والإهلاك يكون عامًا كما في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ﴾ [الأنفال: ٢٥] فكان الحاصب أهلك من كان الإرسال عليه مقصودًا ومن لم يكن كذلك كأطفالهم ودوابهم ومساكنهم فما نجا منهم أحد إلا آل لوط.

فإن قيل إذا لم يكن الاستثناء من قوم لوط بل كان من أمر عام فيجب أن يكون لوط أيضًا مستثنى؟ نقول: هو مستثنى عقلاً لأن من المعلوم أنه لا يجوز تركه وإنجاء أتباعه والذي يدل عليه أنه مستثنى قوله تعالى عن الملائكة: ﴿نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ﴾ [العنكبوت: ٣٢] في جوابهم لإبراهيم عليه السلام حيث قال: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطٗاۚ﴾ [العنكبوت: ٣٢] فإن قيل قوله في سورة الحجر: ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمۡ﴾ [الحجر: ٥٩] استثناء من المجرمين وآل لوط لم يكونوا مجرمين فكيف استثنى منهم؟ والجواب مثل ما ذكرنا فأحد الجوابين إنا أرسلنا إلى قوم يصدق عليهم إنهم مجرمون وإن كان فيهم من لم يجرم ثانيهما: إلى قوم مجرمين بإهلاك يعم الكل إلا آل لوط، وقوله تعالى: ﴿نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ﴾ كلام مستأنف لبيان وقت الإنجاء أو لبيان كيفية الاستثناء لأن آل لوط كان يمكن أن يكونوا فيهم ولا يصيبهم الحاصب كما في عاد كانت الريح تقلع الكافر ولا يصيب المؤمن منها مكروه أو يجعل لهم مدفعًا كما في قوم نوح، فقال: ﴿نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ﴾ أي أمرناهم بالخروج من القرية في آخر الليل والسحر قبيل الصبح وقيل هو السدس الأخير من الليل.

## قوله تعالى: ﴿ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَاۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ۝٣٥ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ۝٣٦ ﴾

أي ذلك الإنجاء كان فضلاً منا كما أن ذلك الإهلاك كان عدلاً ولو أهلكوا لكان ذلك عدلاً، قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥] قال الحكماء العضو الفاسد يقطع ولا بد أن يقطع معه جزء من الصحيح ليحصل استئصال الفساد، غير أن الله تعالى قادر على التمييز التام فهو مختار إن شاء أهلك من آمن وكذب، ثم يثبت الذين أهلكهم من المصدقين في دار الجزاء وإن شاء أهلك من كذب، فقال: نعمة من عندنا إشارة إلى ذلك وفي نصبها وجهان: أحدهما: أنه مفعول له كأنه قال: نجيناهم نعمة منا. ثانيهما: على أنه مصدر، لأن الإنجاء منه إنعام فكأنه تعالى قال: أنعمنا عليهم بالإنجاء إنعامًا وقوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ﴾ فيه وجهان: أحدهما: ظاهر وعليه أكثر المفسرين وهو أنه من آمن كذلك ننجيه من عذاب الدنيا ولا نهلكه وعدًا لأمة محمد ﷺ المؤمنين بأنه يصونهم عن الإهلاكات العامة والسيئات المطبقة الشاملة. وثانيهما: وهو الأصح أن ذلك وعد لهم وجزاؤهم بالثواب في دار الآخرة كأنه قال: كما نجيناهم في الدنيا، أي كما أنعمنا عليهم ننعم عليهم يوم الحساب والذي يؤيد هذا أن النجاة من الإهلاكات في الدنيا ليس بلازم، ومن عذاب الله في الآخرة لازم بحكم الوعيد، وكذلك ينجي الله الشاكرين من عذاب النار ويذر الظالمين فيه، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَاۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٥] وقوله تعالى: ﴿ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ٨٥] والشاكر محسن فعلم أن المراد جزاؤهم في الآخرة.

**ثم قال تعالى:** ﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ﴾ وفيه تبرئة لوط عليه السلام وبيان أنه أتى بما عليه فإنه تعالى لما رتب التعذيب على التكذيب وكان من الرحمة أن يؤخره ويقدم عليه الإنذارات البالغة بين ذلك فقال: أهلكناهم وكان قد أنذرهم من قبل، وفي قوله: ﴿ بَطْشَتَنَا﴾ وجهان: أحدهما: المراد البطشة التي وقعت وكان يخوفهم بها، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾ [القمر: ٣٤] فكأنه قال: إنا أرسلنا عليهم ما سبق، ذكرها للإنذار بها والتخويف. وثانيهما: المراد بها ما في الآخرة كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [الدخان: ١٦] وذلك لأن الرسل كلهم كانوا ينذرون قومهم بعذاب الآخرة كما قال تعالى: ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ [الليل: ١٤] وقال: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ﴾ [غافر: ١٨] وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ [النبأ: ٤٠] إلى غير ذلك، وعلى ذلك ففيه لطيفة وهي أن الله تعالى قال: ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج: ١٢] وقال هاهنا: ﴿بَطْشَتَنَا﴾ ولم يقل: بطشنا وذلك لأن قوله تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ بيان لجنس بطشه، فإذا كان جنسه شديدًا فكيف الكبرى منه، وأما لوط عليه السلام فذكر لهم البطشة

الكبرى لئلا يكون مقصرًا في التبليغ، وقوله تعالى: ﴿فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾ يدل على أن النذر هي الإنذارات.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ۝٣٧﴾

والمراودة من الرود، ومنه الإرادة وهي قريبة من المطالبة غير أن المطالبة تستعمل في العين يقال: طالب زيد عمرًا بالدراهم، والمراودة لا تستعمل إلا في العمل يقال: راوده عن المساعدة، ولهذا تعدى المراودة إلى مفعول ثان بعن، والمطالبة بالباء، وذلك لأن الشغل منوط باختيار الفاعل، والعين قد توجد من غير اختيار منه وهذا فرق الحال، فإذا قلت: أخبرني بأمره تعين عليه الخبر العين بخلاف ما إذا قيل عن كذا، ويزيد هذا ظهورًا قول القائل: أخبرني زيد عن مجيء فلان، وقوله: أخبرني بمجيئه فإن من قال عن مجيئه ربما يكون الإخبار عن كيفية المجيء لا عن نفسه وأخبرني بمجيئه لا يكون إلا عن نفس المجيء والضيف يقع على الواحد والجماعة، وقد ذكرناه في سورة الذاريات وكيفية المراودة مذكورة فيما تقدم، وهي أنهم كانوا مفسدين وسمعوا بضيف دخلوا على لوط فراودوه عنهم. وقوله: ﴿فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ﴾ نقول: إن جبريل كان فيهم فضرب ببعض جناحه على وجوههم فأعماهم. **وفي الآية مسائل:**

**الأولى:** الضمير في راودوه إن كان عائدًا إلى قوم لوط فما في قوله: ﴿أَعْيُنَهُمْ﴾ أيضًا عائدًا إليهم فيكون قد طمس أعين قوم ولم يطمس إلا أعين قليل منهم وهم الذين دخلوا دار لوط، وإن كان عائدًا إلى الذين دخلوا الدار فلا ذكر لهم فكيف القول فيه؟ نقول: المراودة حقيقة حصلت من جمع منهم لكن لما كان الأمر من القوم وكان غيرهم ذلك مذهبه أسندها إلى الكل ثم بقوله راودوه حصل قوم هم المراودون حقيقة فعاد الضمير في أعينهم إليهم مثاله قول القائل: الذين آمنوا صلوا فصحت صلاتهم فيكون هم في صلاتهم عائدًا إلى الذين صلوا بعدما آمنوا ولا يعود إلى مجرد الذين آمنوا لأنك لو اقتصرت على الذين آمنوا فصحت صلاتهم لم يكن كلامًا منظومًا ولو قلت الذين صلوا فصحت صلاتهم صح الكلام، فعلم أن الضمير عائد إلى ما حصل بعد قوله: ﴿رَاوَدُوهُ﴾ والضمير في راودوه عائد إلى المنذرين المتمارين بالنذر.

**المسألة الثانية:** قال ههنا: ﴿فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ﴾ وقال في يس: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ [يس: ٦٦] فما الفرق؟ نقول: هذا مما يؤيد قول ابن عباس فإنه نقل عنه أنه قال: المراد من الطمس الحجب عن الإدراك فما جعل على بصرهم شيء غير أنهم دخلوا ولم يروا هناك شيئًا فكانوا كالمطموسين، وفي يس أراد أنه لو شاء لجعل على بصرهم غشاوة، أي ألزق أحد الجفنين بالآخر فيكون على العين جلدة فيكون قد طمس عليها، وقال غيره: إنهم عموا وصارت عينهم مع وجههم كالصفحة الواحدة، ويؤيده قوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا عَذَابِى﴾ لأنهم إن بقوا مصرين ولم يروا شيئًا هناك لا يكون ذلك عذابًا والطمس بالمعنى الذي قاله غير ابن عباس عذاب، فنقول:

الأولى أن يقال: إنه تعالى حكى ههنا ما وقع وهو طمس العين وإذهاب ضوئها وصورتها بالكلية حتى صارت وجوههم كالصفحة الملساء ولم يمكنهم الإنكار لأنه أمر وقع، وأما هناك فقد خوفهم بالممكن المقدور عليه فاختار ما يصدقه كل أحد ويعرف به وهو الطمس على العين، لأن إطباق الجفن على العين أمر كثير الوقوع وهو بقدرة الله تعالى وإرادته فقال: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ﴾[يس: ٦٦] وما شققنا جفنهم عن عينهم وهو أمر ظاهر الإمكان كثير الوقوع والطمس على ما وقع لقوم لوط نادر، فقال: هناك على أعينهم ليكون أقرب إلى القبول.

**المسألة الثالثة**: قوله تعالى: ﴿فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ خطاب ممن وقع ومع من وقع؟ قلنا: فيه وجوه: أحدها: فيه إضمار تقديره فقلت: على لسان الملائكة ذوقوا عذابي. ثانيها: هذا خطاب مع كل مكذب تقديره كنتم تكذبون فذوقوا عذابي فإنهم لما كذبوا ذاقوه. ثالثها: أن هذا الكلام خرج مخرج كلام الناس فإن الواحد من الملوك إذا أمر بضرب مجرم وهو شديد الغضب فإذا ضرب ضربًا مبرحًا وهو يصرح والملك يسمع صراخه يقول عند سماع صراخه ذق إنك مجرم مستأهل ويعلم الملك أن المعذب لا يسمع كلامه ويخاطب بكلامه المستغيث الصارخ وهذا كثير فكذلك لما كان كل أحد بمرأى من الله تعالى يسمع إذا عذب معاندًا كان قد سخط الله عليه يقول: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾[الدخان: ٤٩] ﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ﴾[السجدة: ١٤] ﴿فَذُوقُواْ عَذَابِي﴾ ولا يكون به مخاطبًا لمن يسمع ويجيب، وذلك إظهار العدل أي لست بغافل عن تعذيبك فتتخلص بالصراخ والضراعة، وإنما أنا بك عالم وأنت له أهل لما قد صدر منك، فإن قيل: هذا وقع بغير الفاء، وأما بالفاء فلا تقول: وبالفاء فإنه ربما يقول: كنتم تكذبون فذوقوا.

**المسألة الرابعة**: النذر كيف يذاق؟ نقول: معناه ذق فعلك أي مجازاة فعلك وموجبه ويقال: ذق الألم على فعلك وقوله: ﴿فَذُوقُواْ عَذَابِي﴾ كقولهم: ذق الألم، وقوله: ﴿وَنُذُرِ﴾ كقولهم ذق فعلك أي ذق ما لزم من إنذاري، فإن قيل: فعلى هذا لا يصح العطف لأن قوله: ﴿فَذُوقُواْ عَذَابِي﴾ وما لزم من إنذاري وهو العذاب يكون كقول القائل: ذوقوا عذابي وعذابي؟ نقول: قوله تعالى: ﴿فَذُوقُواْ عَذَابِي﴾ أي العاجل منه، وما لزم من إنذاري وهو العذاب الآجل، لأن الإنذار كان به على ما تقدم بيانه، فكأنه قال: ذوقوا عذابي العاجل وعذابي الآجل، فإن قيل: هما لم يكونا في زمان واحد، فكيف يقال: ذوقوا، نقول: العذاب الآجل أوله متصل بآخر العذاب العاجل، فهما كالواقع في زمان واحد وهو كقوله تعالى: ﴿أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا﴾[نوح: ٢٥].

## قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾﴾

أي العذاب الذي عم القوم بعد الخاص الذي طمس أعين البعض، **وفيه مسائل**:

المسألة الأولى: ﴿صَبَّحَهُم﴾ فيه دلالة على الصبح، فما معنى: ﴿بُكْرَةً﴾؟ نقول: فائدته تبيين انطراقه فيه، فقوله: ﴿بُكْرَةً﴾ يحتمل وجهين أحدهما: أنها منصوبة على أنها ظرف، ومثله نقوله في قوله تعالى: ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾[الإسراء: ١] وفيه بحث، وهو أن الزمخشري قال: ما الفائدة

في قوله: ﴿لَيۡلًا﴾ وقال: جوابًا في التنكير دلالة على أنه كان في بعض الليل، وتمسك بقراءة من قرأ: ﴿مِّنَ ٱلَّيۡلِ﴾ وهو غير ظاهر، والأظهر فيه أن يقال: بأن الوقت المبهم يذكر لبيان أن تعيين الوقت ليس بمقصود المتكلم وأنه لا يريد بيانه، كما يقول: خرجنا في بعض الأوقات، مع أن الخروج لا بد من أن يكون في بعض الأوقات، فإنه لا يريد بيان الوقت المعين، ولو قال: خرجنا، فربما يقول السامع: متى خرجتم، فإذا قال: في بعض الأوقات أشار إلى أن غرضه بيان الخروج لا تعيين وقته، فكذلك قوله تعالى: ﴿صَبَّحَهُم بُكۡرَةً﴾ أي بكرة من البكر و﴿أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلًا﴾ أي ليلًا من الليالي فلا أبينه، فإن المقصود نفس الإسراء، ولو قال: أسرى بعبده من المسجد الحرام، لكان للسامع أن يقول: أيما ليلة؟ فإذا قال: ليلة من الليالي قطع سؤاله وصار كأنه قال: لا أبينه، وإن كان القائل ممن يجوز عليه الجهل، فإنه يقول: لا أعلم الوقت، فهذا أقرب فإذا علمت هذا في أسرى ليلًا، فاعلم مثله في: ﴿صَبَّحَهُم بُكۡرَةً﴾ ويحتمل أن يقال: على هذا الوجه: ﴿صَبَّحَهُم﴾ بمعنى قال لهم: عموا صباحًا استهزاء بهم، كما قال: ﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١] فكأنه قال: جاءهم العذاب بكرة كالمصبح، والأول أصح، ويحتمل في قوله تعالى: ﴿صَبَّحَهُم بُكۡرَةً﴾ على قولنا: إنها منصوبة على الظرف مالا يحتمله قوله تعالى: ﴿أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلًا﴾ وهو أن: ﴿صَبَّحَهُم﴾ معناه أتاهم وقت الصبح، لكن التصبيح يطلق على الإتيان في أزمنة كثيرة من أول الصبح إلى ما بعد الإسفار، فإذا قال: ﴿بُكۡرَةً﴾ أفاد أنه كان أول جزء منه، وما أخر إلى الإسفار، وهذا أوجه وأليق، لأن الله تعالى أوعدهم به وقت الصبح، بقوله: ﴿إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُ﴾ [هود: ٨١] وكان من الواجب بحكم الإخبار تحققه بمجيء العذاب في أول الصبح، ومجرد قوله: ﴿صَبَّحَهُم﴾ ما كان يفيد ذلك، وهذا أقوى لأنك تقول: صبيحة أمس بكرة واليوم بكرة، فيأتي فيه ما ذكرنا من أن المراد بكرة من البكر الوجه الثاني: أنها منصوبة على المصدر من باب ضربه سوطًا ضربًا فإن المنصوب في ضربته ضربًا على المصدر، وقد يكون غير المصدر كما في ضربته سوطًا ضربًا، لا يقال: ضربًا سوطًا بين أحد أنواع الضرب، لأن الضرب قد يكون بسوط وقد يكون بغيره، وأما: ﴿بُكۡرَةً﴾ فلا يبين ذلك، لأنا نقول: قد بينا أن بكرة بين ذلك، لأن الصبح قد يكون بالإتيان وقت الإسفار، وقد يكون بالإتيان بالأبكار، فإن قيل: مثله يمكن أن يقال: في ﴿أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلًا﴾ قلنا: نعم، فإن قيل: ليس هناك بيان نوع من أنواع الإسراء، نقول: هو كقول القائل: ضربته شيئًا، فإن شيئًا لا بد منه في كل ضرب، ويصح ذلك على أنه نصب على المصدر، وفائدته ما ذكرنا من بيان عدم تعلق الغرض بأنواعه، وكأن القائل يقول: إني لا أبين ما ضربته به، ولا أحتاج إلى بيانه لعدم تعلق المقصود به ليقطع سؤال السائل: بماذا ضربه بسوط أو بعصا، فكذلك القول في: ﴿أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلًا﴾ يقطع سؤال السائل عن الإسراء، لأن الإسراء هو السير أول الليل، والسرى هو السير آخر الليل أو غير ذلك.

**المسألة الثانية:** ﴿مُّسۡتَقِرٌّ﴾ يحتمل وجوهًا: أحدها: عذاب لا مدفع له، أي يستقر عليهم

ويثبت، ولا يقدر أحد على إزالته ورفعه أو إحالته ودفعه. ثانيها: دائم، فإنهم لما أهلكوا نقلوا إلى الجحيم، فكأن ما أتاهم عذاب لا يندفع بموتهم، فإن الموت يخلص من الألم الذي يجده المضروب من الضرب والمحبوس من الحبس، وموتهم ما خلصهم. ثالثها: عذاب مستقر عليهم لا يتعدى غيرهم، أي هو أمر قدره الله عليهم وقرره فاستقر، وليس كما يقال: إنه أمر أصابهم اتفاقًا كالبرد الذي يضر زرع قوم دون قوم، ويظن به أنه أمر اتفاقي، وليس لو خرجوا من أماكنهم لنجوا كما نجا آل لوط، بل كان ذلك يتبعهم، لأنه كان أمرًا قد استقر.

**المسألة الثالثة:** الضمير في ﴿صَبَّحَهُم﴾ عائد إلى الذين عاد إليهم الضمير في أعينهم فيعود لفظًا إليهم للقرب، ومعنى إلى الذين تماروا بالنذر، أو الذين عاد إليهم الضمير في قوله: ﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا﴾ [القمر: ٣٦].

**قوله تعالى:** ﴿فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾﴾

**ثم قال تعالى:** ﴿فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ مرة أخرى، لأن العذاب كان مرتين أحدهما: خاص بالمراودين، والآخر عام.

**وقوله تعالى:** ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ قد فسرناه مرارًا وبينا ما لأجله تكرارًا.

**قوله تعالى:** ﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ **وفيه مسائل:**

**المسألة الأولى:** ما الفائدة في لفظ: ﴿ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ بدل قوم فرعون؟ نقول: القوم أعم من الآل، فالقوم كل من يقوم الرئيس بأمرهم أو يقومون بأمره، والآل كل من يؤول إلى الرئيس خيرهم وشرهم أو يؤول إليهم خيره وشره، فالبعيد الذي لا يعرفه الرئيس ولا يعرف هو عين الرئيس وإنما يسمع اسمه، فليس هو بآله، إذا عرفت الفرق، نقول: قوم الأنبياء الذين هم غير موسى عليهم السلام، لم يكن فيهم قاهر يقهر الكل ويجمعهم على كلمة واحدة، وإنما كانوا هم رؤساء وأتباعًا، والرؤساء إذا كثروا لا يبقى لأحد منهم حكم نافذ على أحد، أما على من هو مثله فظاهر، وأما على الأراذل فلأنهم يلجئون إلى واحد منهم ويدفعون به الآخر، فيصير كل واحد برأسه، فكأن الإرسال إليهم جميعًا، وأما فرعون فكان قاهرًا يقهر الكل، وجعلهم بحيث لا يخالفونه في قليل ولا كثير، فأرسل الله إليه الرسول وحده، غير أنه كان عنده جماعة من التابعين المقربين مثل قارون تقدم عنده لماله العظيم، وهامان لدهائه، فاعتبرهم الله في الإرسال، حيث قال: في مواضع: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ [الزخرف: ٤٦] وقال تعالى: ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾ . . . ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ﴾ [غافر: ٢٣، ٢٤] وقال في العنكبوت: ﴿وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ﴾ [العنكبوت: ٣٩] لأنهم إن آمنوا آمن الكل بخلاف الأقوام الذين كانوا قبلهم وبعدهم، فقال: ﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ﴾ وقال كثيرًا مثل هذا كما في

قوله: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]، ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ﴾ [غافر: ٢٨]وقال: بلفظ الملأ أيضًا كثيرًا.

**المسألة الثانية**: قال: ﴿وَلَقَدْ جَآءَ﴾ ولم يقل في غيرهم جاء لأن موسى عليه السلام ما جاءهم، كما جاء المرسلون أقوامهم، بل جاءهم حقيقة حيث كان غائبًا عن القوم فقدم عليهم، ولهذا قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [الحجر: ٦١]وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨]حقيقة أيضًا لأنه جاءهم من الله من السموات بعد المعراج، كما جاء موسى قومه من الطور حقيقة.

**المسألة الثالثة**: النذر إن كان المراد منها الإنذارات وهو الظاهر، فالكلام الذي جاءهم على لسان موسى ويده تلك، وإن كان المراد الرسل فهو لأن موسى وهرون عليهما السلام جاءه وكل مرسل تقدمهما جاء لأنهم كلهم قالوا ما قالا من التوحيد وعبادة الله وقوله بعد ذلك: ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ من غير فاء تقتضي ترتب التكذيب على المجيء فيه وجهان: أحدهما: أن الكلام تم عند قوله: ﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ﴾ وقوله: ﴿كَذَّبُواْ﴾ كلام مستأنف والضمير عائد إلى كل من تقدم ذكرهم من قوم نوح إلى آل فرعون. ثانيهما: أن الحكاية مسوقة على سياق ما تقدم، فكأنه قال: (فَكَيْفَ كان عذابي ونذر وَقَدْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ)، وعلى الوجه الأول آياتنا كلها ظاهرة، وعلى الوجه الثاني المراد آياته التي كانت مع موسى عليه السلام وهي التسع في قول أكثر المفسرين، ويحتمل أن يقال: المراد أنهم كذبوا بآيات الله كلها السمعية والعقلية فإن في كل شيء له آية تدل على أنه واحد.

**وقوله تعالى:** ﴿فَأَخَذْنَـٰهُمْ﴾ إشارة إلى أنهم كانوا كالآبقين أو إلى أنهم عاصون يقال: أخذ الأمير فلانًا إذا حبسه، وفي قوله: ﴿عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ لطيفة وهي أن العزيز المراد منه الغالب لكن العزيز قد يكون (الَّذِي) يغلب على العدو ويظفر به وفي الأول يكون غير متمكن من أخذه لبعده إن كان هاربًا ولمنعته إن كان محاربًا، فقال أحد غالب لم يكن عاجزًا وإنما كان ممهلاً.

قوله تعالى: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَـٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾﴾

تنبيهًا لهم لئلا يأمنوا العذاب فإنهم ليسوا بخير من أولئك الذين أهلكوا وفيه مسائل:

**المسألة الأولى**: الخطاب مع أهل مكة فينبغي أن يكون كفارهم بعضهم وإلا لقال: أنتم خير من أولئكم، وإذا كان كفارهم بعضهم فكيف قال: ﴿أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ﴾ ولم يقل: أم لهم كما يقول القائل: جاءنا الكرماء فأكرمناهم، ولا يقول: فأكرمناكم؟ نقول: الجواب عنه من وجهين أحدهما: أن المراد منه أكفاركم المستمرون على الكفر الذين لا يرجعون وذلك لأن جمعًا عظيمًا ممن كان كافرًا من أهل مكة يوم الخطاب أيقنوا بوقوع ذلك، والعذاب لا يقع إلا بعد العلم بأنه لم يبق من القوم من يؤمن فقال: الذين يصرون منكم على الكفر يا أهل مكة خير، أم الذين

أصروا من قبل؟ فيصح كون التهديد مع بعضهم، وأما قوله تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ بَرَآءَةٌ﴾ ففيه وجهان. أحدهما: أم لكم لعمومكم براءة فلا يخاف المصر منكم لكونه في قوم لهم براءة. وثانيهما: أم لكم براءة إن أصررتم فيكون الخطاب عامًا والتهديد كذلك، فالشرط غير مذكور وهو الإصرار.

**المسألة الثانية**: ما المراد بقوله: ﴿خَيْرٌ﴾، وقول القائل: خير يقتضي اشتراك أمرين في صفة محمودة مع رجحان أحدهما على الآخر ولم يكن فيهم خير ولا صفة محمودة؟ نقول: الجواب عنه من وجوه أحدها: منع اقتضاء الاشتراك يدل عليه قول حسان:

أتهجوه ولست له بكفءٍ فشرُّكما لخيرِكما الفِداءُ (١)

مع اختصاص الخير بالنبي عليه السلام والشر بمن هجاه وعدم اشتراكهما في شيء منهما ثانيها: أن ذلك عائد إلى ما في زعمهم أي: أيزعم كفاركم أنهم خير من الكفار المتقدمين الذين أهلكوا وهم كانوا يزعمون في أنفسهم الخير، وكذا فيمن تقدمهم من عبدة الأوثان ومكذبي الرسل وكانوا يقولون: إن الهلاك كان بأسباب سماوية من اجتماع الكواكب على هيئة مذمومة ثالثها: المراد: أكفاركم أشد قوة، فكأنه قال: أكفاركم خير في القوة؟ والقوة محمودة في العرف رابعها: أن كل موجود ممكن ففيه صفات محمودة وأخرى غير محمودة فإذا نظرت إلى المحمودة في الموضعين وقابلت إحداهما بالأخرى، تستعمل فيها لفظ الخير، وكذلك في الصفات المذمومة تستعمل فيها لفظ الشر؟ فإذا نظرت إلى كافرين وقلت: أحدهما خير من الآخر فلك حينئذ أن تريد أحدهما خير من الآخر في الحسن والجمال، وإذا نظرت إلى مؤمنين يؤذيانك قلت: أحدهما شر من الآخر، أي في الأذية لا الإيمان فكذلك هاهنا أكفاركم خير لأن النظر وقع على ما يصلح مخلصًا لهم من العذاب، فهو كما يقال أكفاركم فيهم شيء مما يخلصهم لم يكن في غيرهم فهم خير أم لا شيء فيهم يخلصهم لكن الله بفضله أمنهم لا بخصال فيهم.

**المسألة الثالثة**: ﴿أَمْ لَكُمْ بَرَآءَةٌ﴾ إشارة إلى سبب آخر من أسباب الخلاص، وذلك لأن الخلاص إما أن يكون بسبب أمر فيهم أو لا يكون كذلك، فإن كان بسبب أمر فيهم وذلك السبب لم يكن في غيرهم من الذين تقدموهم فيكونون خيرًا منهم وإن كان لا بسبب أمر فيهم فيكون بفضل الله ومسامحته إياهم وإيمانه إياهم من العذاب فقال لهم: أنتم خير منهم فلا تهلكون أم لستم بخير منهم لكن الله آمنكم وأهلكهم وكل واحد منهما منتف فلا تأمنوا، وقوله تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ بَرَآءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ إشارة إلى لطيفة وهي أن العاقل لا يأمن إلا إذا حصل له الجزم بالأمن أو صار له آيات تقرب الأمر من القطع، فقال: لكم براءة يوثق بها وتكون متكررة في الكتب، فإن الحاصل في بعض الكتب ربما يحتمل التأويل أو يكون قد تطرق إليه التحريف والتبديل كما في

---

(١) حسان بن ثابت هو الصحابي المعروف بشاعر الرسول وتقدمت ترجمته.

التوراة والإنجيل، فقال: هل حصل لكم براءة متكررة في كتب تأمنون بسببها العذاب فإن لم يكن كذلك لا يجوز الأمن لكن البراءة لم تحصل في كتب ولا كتاب واحد ولا شبه كتاب، فيكون أمنهم من غاية الغفلة وعند هذا تبين فضل المؤمن، فإنه مع ما في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، من الوعد لا يأمن وإن بلغ درجة الأولياء والأنبياء، لما في آيات الوعيد من احتمال التخصيص، وكون كل واحد ممن يستثنى من الأمة ويخرج عنها فالمؤمن خائف والكافر آمن في الدنيا، وفي الآخرة الأمر على العكس.

قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾﴾

تتميمًا لبيان أقسام الخلاص وحصره فيها، وذلك لأن الخلاص إما أن يكون لاستحقاق من يخلص عن العذاب كما أن الملك إذا عذب جماعة ورأى فيهم من أحسن إليه فلا يعذبه، وإما أن يكون لأمر في المخلص كما إذا رأى فيهم من له ولد صغير أو أم ضعيفة فيرحمه وإن لم يستحق ويكتب له الخلاص، وإما أن لا يكون فيه ما يستحق الخلاص بسببه ولا في نفس المعذب مما يوجب الرحمة لكنه لا يقدر عليه بسبب كثرة أعوانه وتعصب إخوانه، كما إذا هرب واحد من الملك والتجأ إلى عسكر يمنعون الملك عنه، فكما نفى القسمين الأولين كذلك نفى القسم الثالث وهو التمنع بالأعوان وتحزب الإخوان **وفيه مسائل:**

**المسألة الأولى:** في حسن الترتيب وذلك لأن المستحق لذاته أقرب إلى الخلاص من المرحوم، فإن المستحق لم يوجد فيه سبب العذاب والمرحوم وجد فيه ذلك، ووجد المانع من العذاب، وما لا سبب له لا يتحقق أصلاً، وماله مانع ربما لا يقوى المانع على دفع السبب، وما في نفس المعذب من المانع أقوى من الذي بسبب الغير، لأن الذي من عنده يمنع الداعية ولا يتحقق الفعل عند عدم الداعية، والذي من الغير بسبب التمنع لا يقطع قصده بل يجتهد وربما يغلب فيكون تعذيبه أضعاف ما كان من قبل، بخلاف من يرق له قلبه وتمنعه الرحمة فإنها وإن لم تمنعه لكن لا يزيد في حمله وحبسه وزيادته في التعذيب عند القدرة، فهذا ترتيب في غاية الحسن.

**المسألة الثانية:** ﴿جَمِيعٌ﴾ فيه فائدتان إحداهما الكثرة والأخرى الاتفاق، كأنه قال: نحن كثير متفقون فلنا الانتصار ولا يقوم غير هذه اللفظة مقامها من الألفاظ المفردة، إنما قلنا: إن فيه فائدتين لأن الجمع يدل على الجماعة بحروفه الأصلية من ج م ع وبوزنه وهو فعيل بمعنى مفعول على أنهم جمعوا جمعيتهم العصبية، ويحتمل أن يقال: معناه نحن الكل لا خارج عنا إشارة إلى أن من اتبع النبي ﷺ لا اعتداد به قال تعالى في نوح: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾[الشعراء: ١١١] ﴿إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ﴾[هود: ٢٧] وعلى هذا ﴿جَمِيعٌ﴾ يكون التنوين فيه لقطع الإضافة كأنهم قالوا: نحن جمع الناس.

**المسألة الثالثة**: ما وجه إفراد المنتصر مع أن نحن ضمير الجمع؟ نقول: على الوجه الأول ظاهر لأنه وصف الجزء الآخر الواقع خبرًا فهو كقول القائل: أنتم جنس منتصر وهم عسكر غالب والجميع كالجنس لفظه لفظ واحد، ومعناه جمع فيه الكثرة، وأما على الوجه الثاني فالجواب عنه من وجهين: أحدهما: أن المعنى وإن كان جميع الناس لا خارج عنهم إلا من لا يعتد به، لكن لما قطع ونون صار كالمنكر في الأصل فجاز وصفه بالمنكر نظرًا إلى اللفظ فعاد إلى الوجه الأول. وثانيهما: أنه خبر بعد خبر، ويجوز أن يكون أحد الخبرين معرفة والآخرين نكرة، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝١٤ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۝١٥ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٤ - ١٦] وعلى هذا فقوله: ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾ أفرده لمجاورته ﴿جَمِيعٌ﴾، ويحتمل أن يقال معنى: ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾ أن جميعًا بمعنى كل واحد كأنه قال: نحن كل واحد منا منتصر، كما تقول: هم جميعهم أقوياء بمعنى أن كل واحد منهم قوي، وهم كلهم علماء أي كل واحد عالم فترك الجمع واختار الإفراد لعود الخبر إلى كل واحد فإنهم كانوا يقولون: كل واحد منا يغلب محمدًا ﷺ كما قال أبي بن خلف الجمحي وهذا فيه معنى لطيف وهو أنهم ادعوا أن كل واحد غالب، والله رد عليهم بأجمعهم بقوله:

## قوله تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ۝٤٥﴾

وهو أنهم ادعوا القوة العامة بحيث يغلب كل واحد منهم محمدًا ﷺ والله تعالى بين ضعفهم الظاهر الذي يعمهم جميعهم بقوله: ﴿وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ وحينئذ يظهر سؤال وهو أنه قال: ﴿وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ ولم يقل: يولون الأدبار. وقال في موضع آخر: ﴿يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ [آل عمران: ١١١] وقال: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ﴾ [الأحزاب: ١٥] وقال في موضع آخر: ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ [الأنفال: ١٥] فكيف تصحيح الإفراد وما الفرق بين المواضع؟ نقول: أما التصحيح فظاهر لأن قول القائل: فعلوا كقوله فعل هذا وفعل ذاك وفعل الآخر. قالوا: وفي الجمع تنوب مناب الواوات التي في العطف، وقوله: ﴿يُوَلُّونَ﴾ بمثابة يول هذا الدبر، ويول ذاك ويول الآخر أي كل واحد يولي دبره، وأما الفرق فنقول اقتضاء أواخر الآيات حسن الإفراد، فقوله: ﴿وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ إفراده إشارة إلى أنهم في التولية كنفس واحدة، فلا يتخلف أحد عن الجمع ولا يثبت أحد للزحف فهم كانوا في التولية كدبر واحد، وأما في قوله: ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ أي كل واحد يوجد به ينبغي أن يثبت ولا يولي دبره، فليس المنهي هناك توليتهم بأجمعهم بل المنهي أن يولي واحد منهم دبره، فكل أحد منهي عن تولية دبره، فجعل كل واحد برأسه في الخطاب ثم جمع الفعل بقوله: ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ﴾ ولا يتم إلا بقوله: ﴿ٱلْأَدْبَارَ﴾ وكذلك في قوله: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ١٥] أي كل واحد قال: أنا أثبت ولا أولي دبري، وأما في قوله: ﴿لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَـٰرَ﴾ [الحشر: ١٢] فإن المراد المنافقون الذين وعدوا اليهود

وهم متفرقون بدليل قوله تعالى: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾[الحشر: ١٤] ، وأما في هذا الموضع فهم كانوا يدًا واحدة على من سواهم.

قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ۝٤٦﴾

إشارة إلى أن الأمر غير مقتصر على انهزامهم وإدبارهم بل الأمر أعظم منه فإن الساعة موعدهم فإنه ذكر ما يصيبهم في الدنيا من الدبر، ثم بين ما هو منه على طريقة الإصرار، هذا قول أكثر المفسرين، والظاهر أن الإنذار بالساعة عام لكل من تقدم، كأنه قال: أهلكنا الذين كفروا من قبلك وأصروا وقوم محمد عليه السلام ليسوا بخير منهم فيصيبهم ما أصابهم إن أصروا، ثم إن عذاب الدنيا ليس لإتمام المجازاة فإتمام المجازاة بالأليم الدائم.

**وفيه مسائل:**

**المسألة الأولى:** ما الحكمة في كون اختصاص الساعة موعدهم مع أنها موعد كل أحد؟ نقول: الموعد الزمان الذي فيه الوعد والوعيد والمؤمن موعود بالخير ومأمور بالصبر فلا يقول هو: متى يكون، بل يفوض الأمر إلى الله، وأما الكافر فغير مصدق فيقول: متى يكون العذاب؟ فيقال له: اصبر فإنه آت يوم القيامة، ولهذا كانوا يقولون: ﴿عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾[ص: ١٦] وقال: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾[الحج: ٤٧] .

**المسألة الثانية:** أدهى من أي شيء؟ نقول: يحتمل وجهين: أحدهما: ما مضى من أنواع عذاب الدنيا. ثانيهما: أدهى الدواهي فلا داهية مثلها.

**المسألة الثالثة:** ما المراد من قوله: ﴿وَأَمَرُّ﴾؟ قلنا: فيه وجهان أحدهما: هو مبالغة من المر وهو مناسب لقوله تعالى: ﴿فَذُوقُواْ عَذَابِى﴾[القمر: ٣٧] وقوله: ﴿ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ﴾[القمر: ٤٨] وعلى هذا فأدهى أي أشد وأمر أي آلم، والفرق بين الشديد والأليم أن الشديد يكون إشارة إلى أنه لا يطيقه أحد لقوته ولا يدفعه أحد بقوته، مثاله ضعيف ألقي في ماء يغلبه أو نار لا يقدر على الخلاص منها، وقوي ألقي في بحر أو نار عظيمة يستويان في الألم والعذاب ويتساويان في الإيلام لكن يفترقان في الشدة فإن نجاة الضعيف من الماء الضعيف بإعانة معين ممكن، ونجاة القوي من البحر العظيم غير ممكن. ثانيهما: أمر مبالغة في المار إذ هي أكثر مرورًا بهم إشارة إلى الدوام، فكأنه يقول: أشد وأدوم، وهذا مختص بعذاب الآخرة، فإن عذاب الدنيا إن اشتد قتل المعذب وزال فلا يدوم وإن دام بحيث لا يقتل فلا يكون شديدًا. ثالثها: أنه المرير وهو من المرة التي هي الشدة، وعلى هذا فإما أن يكون الكلام كما يقول القائل: فلان نحيف نحيل وقوي شديد، فيأتي بلفظين مترادفين إشارة إلى التأكيد وهو ضعيف، وإما أن يكون أدهى مبالغة من الداهية التي هي اسم الفاعل من دهاه أمر كذا إذا أصابه، وهو أمر صعب لأن الداهية صارت كالاسم الموضوع للشديد على وزن الباطية والسائبة التي لا تكون من أسماء الفاعلين، وإن كانت الداهية أصلها

ذلك، غير أنها استعملت استعمال الأسماء وكتبت في أبوابها وعلى هذا يكون معناه ألزم وأضيق، أي هي بحيث لا تدفع.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ ﴾

**ثم قال تعالى:** ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴾ **وفي الآية مسائل:**

**الأولى:** فيمن نزلت الآية في حقهم؟ أكثر المفسرين اتفقوا على أنها نازلة في القدرية روى الواحدي في تفسيره قال: سمعت الشيخ رضي الدين المؤيد الطوسي بنيسابور، قال: سمعت عبد الجبار قال: أخبرنا الواحدي قال: أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد السراج قال: أخبرنا أبو محمد عبد الله الكعبي، قال: حدثنا حمدان بن صالح الأشج حدثنا عبد الله بن عبد العزيز بن أبي داود، حدثنا سفيان الثوري عن زياد بن إسماعيل المخزومي عن محمد بن عباد بن جعفر عن أبي هريرة قال: جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر، فأنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴾ إلى قوله: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ (١) وكذلك نقل عن النبي ﷺ أن هذه الآية نزلت في القدرية. وروي عن عائشة عن النبي ﷺ أنه قال: «مَجُوسُ هَذِهِ الأُمَّةِ الْقَدَرِيَّةُ» (٢) وهم المجرمون الذين سماهم الله تعالى في قوله: ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴾ وكثرت الأحاديث في القدرية وفيها مباحث الأول: في معنى القدرية الذين قال النبي ﷺ: نزلت الآية فيهم، فنقول: كل فريق في خلق الأعمال يذهب إلى أن القدري خصمه، فالجبري يقول القدري من يقول: الطاعة والمعصية ليستا بخلق الله وقضائه وقدره، فهم قدرية لأنهم ينكرون القدر والمعتزلي يقول: القدري هو الجبري الذي يقول حين يزني ويسرق الله قدرني فهو قدري لإثباته القدر، وهما جميعًا يقولان لأهل السنة الذي يعترف بخلق الله وليس من العبد إنه قدري، والحق أن القدري الذي نزلت فيه الآية هو الذي ينكر القدر ويقول بأن الحوادث كلها حادثة بالكواكب واتصالاتها ويدل عليه قوله جاء مشركو قريش يحاجون رسول الله ﷺ في القدر فإن مذهبهم ذلك، وما كانوا يقولون مثل ما يقول المعتزلة إن الله خلق لي سلامة الأعضاء وقوة الإدراك ومكنني من الطاعة والمعصية، والله قادر على أن

---

(١) أخرجه مسلم في (صحيحه) (٤/ ٢٠٤٦/ ٢٦٥٦) من طريق سفيان عن زياد بن إسماعيل عن محمد بن عباد بن جعفر المخزومي عن أبي هريرة. . . به.

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود في كتاب (السنة) باب (في القدر) (٤/ ٢٠٠٣) حديث رقم (٤٦٩١) وأورده الهيثمي في (مجمعه) (٧/ ٢٠٥) ورواه الطبراني في (الأوسط) ورجاله رجال الصحيح وفيه زكريا بن منظور وثقه أحمد بن صالح وغيره وضعفه جماعة، والحاكم في (المستدرك) (١/ ٨٥) قال الذهبي: علي شرطهما إن صح لأبي حازم سماع عن ابن عمر رضي الله عنهما.

يخلق في الطاعة إلجاء والمعصية إلجاء، وقادر على أن يطعم الفقير الذي أطعمه أنا بفضل الله، والمشركون كانوا يقولون: ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾ [يس: ٤٧] منكرين لقدرة الله تعالى على الإطعام، وأما قوله ﷺ: «مَجُوسُ هَذِهِ الأُمَّةِ هُمُ القَدَرِيَّةُ» فنقول: المراد من هذه الأمة، إما الأمة التي كان محمد ﷺ مرسلاً إليهم سواء آمنوا به أو لم يؤمنوا كلفظ القوم، وإما أمته الذين آمنوا به فإن كان المراد الأول فالقدرية في زمانه هم المشركون الذين أنكروا قدرة الله على الحوادث فلا يدخل فيهم المعتزلة، وإن كان المراد هو الثاني فقوله: «مَجُوسُ هَذِهِ الأُمَّةِ» يكون معناه الذين نسبتهم إلى هذه الأمة كنسبة المجوس إلى الأمة المتقدمة، لكن الأمة المتقدمة أكثرهم كفرة، والمجوس نوع منهم أضعف شبهة وأشد مخالفة للعقل فكذلك القدرية في هذه الأمة تكون نوعًا منهم أضعف دليلاً ولا يقتضي ذلك الجزم بكونهم في النار فالحق أن القدري هو الذي ينكر قدرة الله تعالى، إن قلنا: إن النسبة للنفي أو الذي يثبت قدرة غير الله تعالى على الحوادث إن قلنا: إن النسبة للإثبات وحينئذ يقطع بكونه: ﴿فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾ وإنه ذائق مس سقر.

**البحث الثاني:** في بيان من يدخل في القدرية التي في النص ممن هو منتسب إلى أنه من أمة محمد ﷺ، إن قلنا: القدرية سموا بهذا الاسم لنفيهم قدرة الله تعالى فالذي يقول لا قدرة لله على تحريك العبد بحركة هي الصلاة وحركة هي الزنا مع أن ذلك أمر ممكن لا يبعد دخوله فيهم، وأما الذي يقول: بأن الله قادر غير أنه لم يجبره وتركه مع داعية العبد كالوالد الذي يجرب الصبي في حمل شيء تركه معه لا لعجز الوالد بل للابتلاء والامتحان، لا كالمفلوج الذي لا قوة له إذا قال لغيره: احمل هذا فلا يدخل فيهم ظاهرًا وإن كان مخطئًا، وإن قلنا إن القدرية سموا بهذا الاسم لإثباتهم القدرة على الحوادث لغير الله من الكواكب، والجبري الذي قال: هو الحائط الساقط الذي لا يجوز تكليفه بشيء لصدور الفعل من غيره وهم أهل الإباحة، فلا شك في دخوله في القدرية فإنه يكفر بنفيه التكليف وأما الذي يقول: خلق الله تعالى فينا الأفعال وقدرها وكلفنا، ولا نسئل عما يفعل فما هو منهم.

**البحث الثالث:** اختلف القائلون في التعصب أن الاسم بالمعتزلة أحق أم بالأشاعرة؟ فقالت: المعتزلة الاسم بكم أحق لأن النسبة تكون للإثبات لا للنفي، يقال للدهري: دهري لقوله بالدهر، وإثباته، وللمباحي إباحي لإثباته الإباحة وللثنوية ثنوية لإثباتهم الاثنين وهما النور والظلمة، وكذلك أمثله وأنتم تثبتون القدر، وقالت الأشاعرة: النصوص تدل على أن القدري من ينفي قدرة الله تعالى ومشركو قريش ما كانوا قدرية إلا لإثباتهم قدرة لغير الله، قالت: المعتزلة إنما سمي المشركون قدرية لأنهم قالوا: إن كان قادرًا على الحوادث كما تقول يا محمد فلو شاء الله لهدانا ولو شاء لأطعم الفقير، فاعتقدوا أن من لوازم قدرة الله تعالى على الحوادث خلقه الهداية فيهم إن شاء، وهذا مذهبكم أيها الأشاعرة، والحق الصراح أن كل واحد من المسلمين الذين ذهبوا إلى المذهبين خارج عن القدرية، ولا يصير واحد منهم قدريًّا إلا إذا صار

النافي نافيًا للقدرة والمثبت منكرًا للتكليف.

المسألة الثانية: المجرمون هم المشركون ههنا كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ﴾ [السجدة: ١٢] وقوله: ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى﴾ [المعارج: ١١] وفي قوله: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾ [الرحمن: ٤١] فالآية عامة، وإن نزلت في قوم خاص. وجرمهم تكذيب الرسل والنذر بالإشراك وإنكار الحشر وإنكار قدرة الله تعالى على الإحياء بعد الإماتة، وعلى غيره من الحوادث.

المسألة الثالثة: ﴿فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾ يحتمل وجوهًا ثلاثة أحدها: الجمع بين الأمرين في الدنيا أي هم في الدنيا في ضلال وجنون لا يعقلون ولا يهتدون، وعلى هذا فقوله: ﴿يُسْحَبُونَ﴾ بيان حالهم في تلك الصورة وهو أقرب ثانيها: الجمع في الآخرة أي هم في ضلال الآخرة وسعر أيضًا. أما السعر فكونهم فيها ظاهر، وأما الضلال فلا يجدون إلى مقصدهم أو إلى ما يصلح مقصدًا وهم متحيرون سبيلاً، فإن قيل: الصحيح هو الوجه الأخير لا غير لأن قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ﴾ ظرف القول أي يوم يسحبون يقال لهم ذوقوا، وسنبين ذلك فنقول: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ﴾ يحتمل أن يكون منصوبًا بعامل مذكور أو مفهوم غير مذكور، والاحتمال الأول له وجهان أحدهما: العامل سابق وهو معنى كائن ومستقر غير أن ذلك صار نسيًا منسيًا ثانيهما: العامل متأخر وهو قوله: ﴿ذُوقُوا۟﴾ تقديره: ذوقوا مس سقر يوم يسحب المجرمون، والخطاب حينئذ مع من خوطب بقوله: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ﴾ [القمر: ٤٣] والاحتمال الثالث: أن المفهوم هو أن يقال لهم: يوم يسحبون ذوقوا، وهذا هو المشهور، وقوله تعالى: ﴿ذُوقُوا۟﴾ استعارة وفيه حكمة وهو أن الذوق من جملة الإدراكات فإن المذوق إذا لاقى اللسان يدرك أيضًا حرارته وبرودته وخشونته وملاسته، كما يدرك سائر أعضائه الحسية ويدرك أيضًا طعمه ولا يدركه غير اللسان، فإدراك اللسان أتم، فإذا تأذى من نار تأذى بحرارته ومرارته إن كان الحار أو غيره لا يتأذى إلا بحرارته فإذن الذوق إدراك لمسي أتم من غيره في الملموسات فقال: ﴿ذُوقُوا۟﴾ إشارة إلى أن إدراكهم بالذوق أتم الإدراكات فيجتمع في العذاب شدته وإيلامه بطول مدته ودوامه، ويكون المدرك له لا عذر له يشغله وإنما هو على أتم ما يكون من الإدراك فيحصل الألم العظيم. وقد ذكرنا أن على قول الأكثرين يقال لهم أو نقول مضمر. وقد ذكرنا أنه لا حاجة إلى الإضمار إذا كان الخطاب مع غير من قيل في حقهم: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ﴾ فإنه يصير كأنه قال: ذوقوا أيها المكذبون بمحمد ﷺ مس سقر يوم يسحب المجرمون المتقدمون في النار.

## قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾

**وفيه مسائل:**

**الأولى:** المشهور أن قوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ﴾ متعلق بما قبله كأنه قال: ذوقوا فإنا كل شيء خلقناه

بقدر، أي هو جزاء لمن أنكر ذلك، وهو كقوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩] والظاهر أنه ابتداء كلام وتم الكلام عند قوله: ﴿ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ﴾ [القمر: ٤٨] ثم ذكر بيان العذاب لأن عطف: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ﴾ [القمر: ٥٠] يدل على أن قوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ ليس آخر الكلام. ويدل عليه قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] وقد ذكر في الآية الأولى الخلق بقوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ﴾ فيكون من اللائق أن يذكر الأمر فقال: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ﴾ [القمر: ٥٠] وأما ما ذكر من الجدل فنقول النبي ﷺ تمسك عليهم بقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ﴾ [القمر: ٤٧] إلى قوله: ﴿ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ﴾ [القمر: ٤٨] وتلا آية أخرى على قصد التلاوة، ولم يقرأ الآية الأخيرة اكتفاء بعلم من علم الآية كما تقول في الاستدلالات: ﴿لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم﴾ [النساء: ٢٩] الآية: ﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١٢١] الآية: ﴿إِذَا تَدَايَنتُم﴾ [البقرة: ٢٨٢] الآية إلى غير ذلك.

**المسألة الثانية**: (كُلَّ) قرئ بالنصب وهو الأصح المشهور، وبالرفع فمن قرأ بالنصب فنصبه بفعل مضمر يفسره الظاهر كقوله: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ﴾ [يس: ٣٩] وقوله: ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ﴾ [الإنسان: ٣١] وذلك الفعل هو خلقناه وقد فسره قوله: ﴿خَلَقْنَٰهُ﴾ كأنه قال: إنا خلقنا كل شيء بقدر، وخلقناه على هذا لا يكون صفة لشيء كما في قوله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات: ٤٩] غير أن هناك يمنع من أن يكون صفة كونه خاليًا عن ضمير عائد إلى الموصوف، وههنا لم يوجد ذلك المانع، وعلى هذا فالآية حجة على المعتزلة لأن أفعالنا شيء فتكون داخلة في كل شيء فتكون مخلوقة لله تعالى، ومن قرأ بالرفع لم يمكنه أن يقول كما يقول في قوله: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾ [فصلت: ١٧] حيث قرئ بالرفع لأن كل شيء نكرة فلا يصح مبتدأ فيلزمه أن يقول: كل شيء خلقناه فهو بقدر، كقوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: ٨] في المعنى، وهذان الوجهان ذكرهما ابن عطية في تفسيره وذكر أن المعتزلي يتمسك بقراءة الرفع ويحتمل أن يقال: القراءة الأولى وهو النصب له وجه آخر، وهو أن يقال: نصبه بفعل معلوم لا بمضمر مفسر وهو قدرنا أو خلقنا، كأنه قال: إنا خلقنا كل شيء خلقناه بقدر، أو قدرنا كل شيء خلقناه بقدر، وإنما قلنا: إنه معلوم لأن قوله: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [غافر: ٦٢] دل عليه، وقوله: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: ٨] دل على أنه قدر وحينئذ لا يكون في الآية دلالة على بطلان قول المعتزلي وإنما يدل على بطلان قوله: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢] وأما على القراءة الثانية وهي الرفع، فنقول: جاز أن يكون كل شيء مبتدأ وخلقناه بقدر خبره وحينئذ تكون الحجة قائمة عليهم بأبلغ وجه، وقوله: ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ نكرة فلا يصلح مبتدأ ضعيف لأن قوله: ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ عم الأشياء كلها بأسرها، فليس فيه المحذور الذي في قولنا: رجل قائم، لأنه لا يفيد فائدة ظاهرة، وقوله: ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ يفيد ما يفيد زيد خلقناه وعمرو خلقناه مع زيادة فائدة، ولهذا جوزوا ما أحد خير منك لأنه أفاد العموم ولم يحسن قول القائل أحد خير منك حيث لم يفد العموم.

**المسألة الثالثة**: ما معنى القدر؟ قلنا: فيه وجوه أحدها: المقدار كما قال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾[الرعد: ٨] وعلى هذا فكل شيء مقدر في ذاته وفي صفاته، أما المقدر في الذات فالجسم وذلك ظاهر فيه وكذلك القائم بالجسم من المحسوسات كالبياض والسواد، وأما الجوهر الفرد مالا مقدار له والقائم بالجوهر مالا مقدار له بمعنى الامتداد كالعلم والجهل وغيرهما، فنقول: ههنا مقادير لا بمعنى الامتداد، أما الجوهر الفرد فإن الاثنين منه أصغر من الثلاثة، ولولا أن حجمًا يزداد به الامتداد، وإلا لما حصل دون الامتداد فيه، وأما القائم بالجوهر فله نهاية وبداية، فمقدار العلوم الحادثة والقدر المخلوقة متناهية، وأما الصفة فلأن لكل شيء ابتدىء زمانًا فله مقدار في البقاء لكون كل شيء حادثًا، فإن قيل: الله تعالى وصف به، ولا مقدار له ولا ابتداء لوجوده، نقول: المتكلم إذا كان موصوفًا بصفة أو مسمى باسم، ثم ذكر الأشياء المسماة بذلك الاسم أو الأشياء الموصوفة بتلك الصفة، وأسند فعلاً من أفعاله إليه يخرج هو عنه، كما يقول القائل: رأيت جميع من في هذا البيت فرأيتهم كلهم أكرمني، ويقول ما في البيت أحد إلا وضربني أو ضربته يخرج هو عنه لا لعدم كونه مقتضى الاسم، بل بما في التركيب من الدليل على خروجه عن الإرادة، فكذلك قوله: ﴿خَلَقْنَٰهُ﴾ و﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[الزمر: ٦٢] يخرج عنه لا بطريق التخصيص، بل بطريق الحقيقة إذا قلنا: إن التركيب وضعي، فإن هذا التركيب لم يوضع حينئذ إلا لغير المتكلم ثانيها: القدر التقدير، قال الله تعالى: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾[المرسلات: ٢٣] وقال الشاعر:

وَقَدْ قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مَا هُوَ قَادِرُ

أي قدر ما هو مقدر، وعلى هذا فالمعنى أن الله تعالى لم يخلق شيئًا من غير تقدير، كما يرمي الرامي السهم فيقع في موضع لم يكن قد قدره، بل خلق الله كما قدر بخلاف قول الفلاسفة إنه فاعل لذاته والاختلاف للقوابل، فالذي جاء قصيرًا أو صغيرًا فلاستعداد مادته، والذي جاء طويلاً أو كبيرًا فلاستعداد آخر، فقال تعالى: ﴿كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ منا فالصغير جاز أن يكون كبيرًا، والكبير جاز خلقه صغيرًا ثالثها: ﴿بِقَدَرٍ﴾ هو ما يقال مع القضاء، يقال بقضاء الله وقدره، وقالت الفلاسفة في القدر الذي مع القضاء: إن ما يقصد إليه فقضاء وما يلزمه فقدر، فيقولون: خلق النار حارة بقضاء وهو مقضي به لأنها ينبغي أن تكون كذلك، لكن من لوازمها أنها إذا تعلقت بقطن عجوز أو وقعت في قصب صعلوك تخرقه، فهو بقدر لا بقضاء، وهو كلام فاسد، بل القضاء ما في العلم والقدر ما في الإرادة فقوله: ﴿كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ أي بقدره مع إرادته، لا على ما يقولون إنه موجب ردًا على المشركين.

## قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ۝٥٠﴾

أي إلا كلمة واحدة، وهو قوله له: ﴿كُن﴾[يس: ٨٢] هذا هو المشهور الظاهر، وعلى هذا فالله

إذا أراد شيئًا قال له: ﴿كُن﴾ فهناك شيئان: الإرادة والقول، فالإرادة والقول، فالإرادة قدر، والقول قضاء، وقوله: ﴿وَٰحِدَةٌ﴾ يحتمل أمرين أحدهما: بيان أنه لا حاجة إلى تكرير القول إشارة إلى نفاذ الأمر ثانيهما: بيان عدم اختلاف الحال، فأمره عند خلق العرش العظيم كأمره عند خلق النمل الصغير، فأمره عند الكل واحد وقوله: ﴿ كَلَمْحِۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ تشبيه الكون لا تشبيه الأمر، فكأنه قال: أمرنا واحدة، فإذن المأمور كائن كلمح بالبصر، لأنه لو كان راجعًا إلى الأمر لا يكون ذلك صفة مدح يليق به، فإن كلمة ﴿كُن﴾ شيء أيضًا يوجد كلمح بالبصر هذا هو التفسير الظاهر المشهور، وفيه وجه ظاهر ذهب إليه الحكماء، وهي أن مقدورات الله تعالى هي الممكنات يوجدها بقدرته، وفي عدمها خلاف لا يليق بيانه بهذا الموضع لطوله لا لسبب غيره، ثم إن الممكنات التي يوجدها الله تعالى قسمان أحدهما: أمور لها أجزاء ملتئمة عند التئامها يتم وجودها، كالإنسان والحيوان والأجسام النباتية والمعدنية وكذلك الأركان الأربعة، والسموات، وسائر الأجسام وسائر ما يقوم بالأجسام من الأعراض، فهي كلها مقدرة له وحوادث، فإن أجزاءها توجد أولاً، ثم يوجد فيها التركيب والالتئام بعينها، ففيها تقديرات نظرًا إلى الأجزاء والتركيب والأعراض وثانيهما: أمور ليس لها أجزاء ومفاصل ومقادير امتدادية، وهي الأرواح الشريفة المنورة للأجسام، وقد أثبتها جميع الفلاسفة إلا قليلاً منهم، ووافقهم جمع من المتكلمين، وقطع بها كثير ممن له قلب من أصحاب الرياضات وأرباب المجاهدات، فتلك الأمور وجودها واحد ليس يوجد أولاً أجزاء، وثانيًا تتحقق تلك الأجزاء بخلاف الأجسام والأعراض القائمة بها، إذا عرفت هذا قالوا: الأجسام خلقية قدرية، والأرواح إبداعية أمرية، وقالوا إليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] فالخلق في الأجسام والأمر في الأرواح ثم قالوا: لا ينبغي أن يظن بهذا الكلام أنه على خلاف الأخبار فإنه ﷺ قال: «أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّه الْعَقْلُ»(١)، وروى عنه عليه السلام أنه قال: «خَلَقَ اللَّه الْأَرْوَاحَ قَبْلَ الْأَجْسَامِ بِأَلْفَيْ عَامٍ»(٢) وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢] فالخلق أطلق على إيجاد الأرواح والعقل لأن إطلاق الخلق على ما يطلق عليه الأمر جائز، وإن العالم بالكلية حادث وإطلاق الخلق بمعنى الإحداث جائز، وإن كان في حقيقة الخلق تقدير في أصل اللغة ولا كذلك في الإحداث، ولولا الفرق بين العبارتين وإلا لا استقبح الفلسفي من أن يقول المخلوق قديم كما يستقبح من أن المحدث قديم، فإذن قوله ﷺ خلق الله الأرواح بمعنى أحدثها بأمره، وفي هذا الإطلاق فائدة عظيمة وهي أنه ﷺ لو غير العبارة وقال في الأرواح أنها موجودة بالأمر والأجسام بالخلق لظن الذي لم يرزقه الله العلم الكثير أن الروح ليست بمخلوقة بمعنى ليست بمحدثة فكان يضل

---

(١) موضوع: أورده الصاغاني في (الموضوعات) (١/ ٢) وقال: موضوع وأورده الحافظ في (الفتح) (٦/ ٢٨٩) وقال: ليس له طريق ثبت، وأورده العجلوني في (كشف الخفا) (١/ ٢٦٣) وقال: قال الصاغاني: موضوع باتفاق.

(٢) أورده العجلوني في (كشف الخفا) (١/ ٢٢٨) وقال: ضعيف.

والنبي ﷺ بعث رحمة، وقالوا: إذا نظرت إلى قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء: ٨٥] وإلى قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الحديد: ٤] وإلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا﴾ [المؤمنون: ١٤] تجد التفاوت بين الأمر والخلق والأرواح والأشباح حيث جعل لخلق بعض الأجسام زمانًا ممتدًا هو ستة أيام وجعل لبعضها تراخيًا وترتيبًا بقوله: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا﴾ وبقوله: ﴿فَخَلَقْنَا﴾ ولم يجعل للروح ذلك، ثم قالوا: ينبغي أن لا يظن بقولنا هذا إن الأجسام لا بد لها من زمان ممتد وأيام حتى يوجدها الله تعالى فيه، بل الله مختار إن أراد خلق السموات والأرض والإنسان والدواب والشجر والنبات في أسرع من لمح البصر لخلقها كذلك، ولكن مع هذا لا تخرج عن كونها موجودات حصلت لها أجزاء ووجود أجزائها قبل وجود التركيب فيها ووجودها بعد وجود الأجزاء والتركيب فيها فهي ستة ثلاثة في ثلاثة كما يخلق الله الكسر والإنكسار في زمان واحد ولهما ترتيب عقلي. فالجسم إذن كيفما فرضت خلقه ففيه تقدير وجودات كلها بإيجاد الله على الترتيب والروح لها وجود واحد بإيجاد الله تعالى هذا قولهم. ولنذكر ما في الخلق والأمر من الوجود المنقولة والمعقولة أحدها: ما ذكرنا أن الأمر هو كلمة: ﴿كُن﴾ والخلق هو ما بالقدرة والإرادة ثانيها: ما ذكروا في الأجسام أن منها الأرواح ثالثها: هو أن الله له قدرة بها الإيجاد وإرادة بها التخصيص، وذلك لأن المحدث له وجود مختص بزمان وله مقدار معين فوجوده بالقدرة واختصاصه بالزمان بالإرادة فالذي بقدرته خلق والذي بالإرادة أمر حيث يخصصه بأمره بزمان ويدل عليه المنقول والمعقول، أما المنقول فقوله تعالى: ﴿إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] جعل ﴿كُن﴾ لتعلق الإرادة، واعلم أن المراد من: ﴿كُن﴾ ليس هو الحرف والكلمة التي من الكاف والنون، لأن الحصول أسرع من كلمة كن إذا حملتها على حقيقة اللفظ فإن الكاف والنون لا يوجد من متكلم واحد إلا الترتيب ففي كن لفظ زمان والكون بعد بدليل قوله تعالى: ﴿فَيَكُونُ﴾ بالفاء فإذن لو كان المراد يكن حقيقة الحرف والصوت لكان الحصول بعده بزمان وليس كذلك، فإن قال قائل: يمكن أن يوجد الحرفان معًا وليس كلام الله تعالى ككلامنا يحتاج إلى الزمان قلنا: قد جعل له معنى غير ما نفهمه من اللفظ. وأما المعقول فلأن الاختصاص بالزمان ليس لمعنى وعلة وإن كان بعض الناس ذهب إلى أن الخلق والإيجاد لحكمة وقال: بأن الله خلق الأرض لتكون مقر الناس أو مثل هذا من الحكم ولم يمكنه أن يقول: خلق الأرض في الزمان المخصوص لتكون مقرًا لهم لأنه لو خلقها في غير ذلك لكانت أيضًا مقرًا لهم فإذن التخصيص ليس لمعنى فهو لمحض الحكمة فهو يشبه أمر الملك الجبار الذي يأمر ولا يقال له: لم أمرت ولم فعلت ولا يعلم مقصود الآمر إلا منه رابعها: هو أن الأشياء المخلوقة لا تنفك عن أوصاف ثلاثة أو عن وصفين متقابلين، مثاله الجسم لا بد له بعد خلقه أن يكون متحيزًا ولا بد له من أن يكون ساكنًا أو متحركًا فإيجاده أولاً بخلقه وما هو عليه بأمره يدل عليه قوله تعالى:

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف: ٥٤]إلى أن قال: ﴿مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [الأعراف: ٥٤]فجعل مالها بعد خلقها من الحركة والسكون وغيرهما بأمره ويدل عليه قوله ﷺ: «أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى الْعَقْلُ فَقَالَ لَهُ أَقْبِلْ فَأَقْبَلَ ثُمَّ قَالَ لَهُ أَدْبِرْ فَأَدْبَرَ» (١)جعل الخلق في الحقيقة والأمر في الوصف، وكذلك قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [السجدة: ٤]ثم قال: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَآءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ﴾ [السجدة: ٥] وقد ذكرنا تفسيره. خامسها: مخلوقات الله تعالى على قسمين أحدهما: خلقه الله تعالى في أسرع ما يكون كالعقل وغيره وثانيهما: خلقه بمهلة كالسموات والإنسان والحيوان والنبات، فالمخلوق سريعًا أطلق عليه الأمر والمخلوق بمهلة أطلق عليه الخلق، وهذا مثل الوجه الثاني سادسها: ما قاله فخر الدين الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [فصلت: ١١]وهو أن الخلق هو التقدير والإيجاد بعده بعدية ترتيبية لا زمانية ففي علم الله تعالى أن السموات تكون سبع سموات في يومين تقديرية فهو قدر خلقه كما علم وهو إيجاد فالأول خلق والثاني وهو الإيجاد أمر وأخذ هذا من المفهوم اللغوي قال الشاعر:

وَبَعْضُ النَّاسِ يَخْلُقُ ثُمَّ لاَ يَفْرِي (٢)

أي يقدر ولا يقطع ولا يفصل كالخياط الذي يقدر أولاً ويقطع ثانيًا وهو قريب إلى اللغة لكنه بعيد الاستعمال في القرآن، لأن الله تعالى حيث ذكر الخلق أراد الإيجاد منه قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ﴾ [العنكبوت: ٦١]ومنه قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ﴾ [يس: ٧٧] وليس المراد أنا قدرنا أنه سيوجد منها إلى غير ذلك سابعها: الخلق هو الإيجاد ابتداء والأمر هو ما به الإعادة فإن الله خلق الخلق أولاً بمهلة ثم يوم القيامة ببعثهم في أسرع من لحظة، فيكون قوله: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ﴾ كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ [الصافات: ١٩]وقوله: ﴿صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ [يس: ٢٩]﴿نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ [الحاقة: ١٣]وعلى هذا فقوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩] إشارة إلى الوحدانية. وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ﴾ إلى الحشر فكأنه بين الأصل الأول والأصل الآخر بالآيات ثامنها: الإيجاد خلق والإعدام أمر، يعني يقول للملائكة الغلاظ الشداد أهلكوا وافعلوا فلا يعصون الله ما أمرهم ولا يقفون الامتثال على إعادة الأمر مرة أخرى فأمره مرة واحدة يعقبه العدم والهلاك.

**وفيه لطيفة:** وهي أن الله تعالى جعل الإيجاد الذي هو من الرحمة بيده، والإهلاك يسلط عليه رسله وملائكته، وجعل الموت بيد ملك الموت ولم يجعل الحياة بيد ملك، وهذا مناسب لهذا الموضع لأنه بين النعمة بقوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]وبيّن قدرته على النقمة فقال:

(١)تقدم.

(٢)هذا هو الشطر الثاني من البيت ضمن قصيدة من البحر الكامل وهو هكذا:

فَلأَنتَ تَفري ما خَلَقتَ وَبَعضُ القَومِ يَخلُقُ ثُمَّ لا يَفري

وهو للشاعر زهير بن أبي سلمى وقد تقدمت ترجمته.

﴿ وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ ﴾ . ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابِۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١٨]وهو كقوله: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ [المؤمنون: ٢٧]عند العذاب، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا﴾ [هود: ٦٦] وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾ [هود: ٨٢]وكما ذكر في هذه الحكايات العذاب بلفظ الأمر وبَيَّن الإهلاك به، كذلك هاهنا ولا سيما إذا نظرت إلى ما تقدم من الحكايات ووجدتها عين تلك الحكايات يقوي هذا القول، وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ أَشۡيَاعَكُمۡ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾ [القمر: ٥١]يدل على صحة هذا القول. تاسعها: في معنى اللمح بالبصر وجهان: أحدهما: النظر بالعين، يقال: لمحته ببصري، كما يقال: نظرت إليه بعيني والباء حينئذٍ كما يذكر في الآيات، فيقال: كتبت بالقلم، واختار هذا المثال لأن النظر بالعين أسرع حركة توجد في الإنسان؛ لأن العين وُجد فيها أمور تعين على سرعة الحركة: أحدها: قرب المحرك منها، فإن المحرك العصبية ومنبتها الدماغ، والعين في غاية القرب منه. ثانيها: صغر حجمها، فإنها لا تعصى على المحرك ولا تثقل عليه بخلاف العظام. ثالثها: استدارة شكلها فإن دحرجة الكرة أسهل من دحرجة المربع والمثلث. رابعها: كونها في رطوبة مخلوقة في العضو الذي هو موضعها، وهذه الحكمة في أن المرئيات في غاية الكثرة، بخلاف المأكولات والمسموعات والمقاصد التي تقصد بالأرجل والمذوقات، فلولا سرعة حركة الآلة التي بها إدراك المبصرات لما وصل إلى الكل إلا بعد طول زمان.

**وثانيهما:**اللمح بالبصر معناه البرق يخطف بالبصر ويمر به سريعًا، والباء حينئذٍ للإلصاق لا للاستعانة، كقوله: مررت به، وذلك في غاية السرعة. وقوله: ﴿ بِٱلۡبَصَرِ﴾ فيه فائدة وهي غاية السرعة فإنه لو قال: كلمح البرق حين برق ويبتدئ حركته من مكان وينتهي إلى مكان آخر في أقل زمان يفرض، لصح، لكن مع هذا فالقدر الذي مروره يكون بالبصر أقل من الذي يكون من مبتداه إلى منتهاه، فقال: ﴿ كَلَمۡحِۭ﴾ لا كما قيل: من المبدأ إلى المنتهى، بل القدر الذي يمر بالبصر وهو غاية القلة ونهاية السرعة.

## قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ أَشۡيَاعَكُمۡ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ ﴿٥٣﴾﴾

**ثم قال تعالى:**﴿ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ أَشۡيَاعَكُمۡ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾ والأشياع: الأشكال، وقد ذكرنا أن هذا يدل على أن قوله: ﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ﴾ [القمر: ٥٠]تهديد بالإهلاك، والثاني ظاهر.

**وقوله تعالى:**﴿ وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ﴾ إشارة إلى أن الأمر غير مقتصر على إهلاكهم، بل الإهلاك هو العاجل، والعذاب الآجل الذي هو معد لهم على ما فعلوه مكتوب عليهم، والزبر هي كتب الكتبة الذين قال تعالى فيهم: ﴿ كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ﴾ [الانفطار: ٩- ١١]و﴿ فَعَلُوهُ﴾ صفة شيء، والنكرة توصف بالجمل.

**وقوله تعالى:**﴿ وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ﴾ تعميم للحكم، أي ليست الكتابة مقتصرة على ما

فعلوه، بل ما فعله غيرهم أيضًا مسطور، فلا يخرج عن الكتب صغيرة ولا كبيرة، وقد ذكرنا في قوله تعالى: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾ [سبأ: ٣] أن في قوله: ﴿أَكْبَرُ﴾ فائدة عظيمة وهي أن من يكتب حساب إنسان فإنما يكتبه في غالب الأمر لئلا ينسى، فإذا جاء بالجملة العظيمة التي يأمن نسيانها ربما يترك كتابتها ويشتغل بكتابة ما يخاف نسيانه، فلما قال: ﴿وَلَآ أَكْبَرُ﴾ أشار إلى الأمور العظام التي يؤمن من نسيانها أنها مكتوبة، أي ليست كتابتنا مثل كتابتكم التي يكون المقصود منها الأمن من النسيان، فكذلك نقول هاهنا وفي قوله: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف: ٤٩] وفي جميع هذه المواضع قدم الصغيرة لأنها أليق بالتثبت عند الكتابة، فيبتدئ بها حفظًا عن النسيان في عادة الخلق فأجرى الله الذكر على عادتهم، وهذا يؤيد ما ذكرنا من قبل أن كلًّا وإن كان نكرة يحسن الابتداء به للعموم وعدم الإبهام.

## قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾﴾

قد ذكرنا تفسير المتقين والجنات في سور منها (والطور) وأما النهر ففيه قراءات: فتح النون والهاء كحَجَر وهو اسم جنس، ويقوم مقام الأنهار، وهذا هو الظاهر الأصح. **وفيه مسائل:**

**المسألة الأولى**: لا شك أن كمال اللذة بالبستان أن يكون الإنسان فيه، وليس من اللذة بالنهر أن يكون الإنسان فيه، بل لذته أن يكون في الجنة عند النهر، فما معنى قوله تعالى: ﴿وَنَهَرٍ﴾؟ نقول: قد أجبنا عن هذا في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الذاريات: ١٥] في سورة الذاريات، وقلنا: المراد في خلال العيون، وفيما بينها من المكان، وكذلك في جنات لأن الجنة هي الأشجار التي تستر شعاع الشمس؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فِي ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ﴾ [المرسلات: ٤١]. وإذا كانت الجنة هي الأشجار الساترة، فالإنسان لا يكون في الأشجار وإنما يكون بينها أو خلالها، فكذلك النهر، ونزيد هاهنا وجهًا آخر: وهو أن المراد (في جنات وعند نهر) لكون المجاورة تحسن إطلاق اللفظ الذي لا يحسن إطلاقه عند عدم المجاورة، كما قال:

عَلَفْتُهَا تِبْنًا وَمَاءً بَارِدًا(١)

وقالوا: تقلدت سيفًا ورمحًا. والماء لا يُعلف والرمح لا يُتقلد ولكن لمجاورة التبن والسيف حسن الإطلاق، فكذلك هنا لم يأت في الثاني بما أتى به في الأول من كلمة (في).

**المسألة الثانية**: وحَّد النهر مع جمع الجنات وجَمَع الأنهار في كثير من المواضع كما في قوله تعالى: ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [البقرة: ٢٥] إلى غيره من المواضع، فما الحكمة فيه؟ نقول: أما

---

(١) هذا شطر الثاني من البيت للشاعر ذو الرمة والبيت هكذا:

لَمّا حَطَطْتُ الرِحلَ عَنها وارِدا    عَلَفتُها تِبنًا وَماءً بارِدا

وذو الرمة تقدمت ترجمته.

على الجواب الأول فنقول: لما بيّن أن معنى في نهر: في خلال. فلم يكن للسامع حاجة إلى سماع الأنهار؛ لعلمه بأن النهر الواحد لا يكون له خلال. وأما في قوله تعالى: ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ [البقرة: ٢٥] فلو لم يجمع الأنهار لجاز أن يفهم أن في الجنات كلها نهرًا واحدًا، كما في الدنيا، فقد يكون نهر واحد ممتد جارٍ في جنات كثيرة. وأما على الثاني فنقول: الإنسان يكون في جنات لأنا بينا أن الجمع في (جنات) إشارة إلى سعتها وكثرة أشجارها وتنوعها، والتوحيد عندما قال: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾ [محمد: ١٥] وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١] لاتصال أشجارها ولعدم وقوع القيعان الخربة بينها، وإذا علمت هذا فالإنسان في الدنيا إذا كان في بيت في دار، وتلك الدار في محلة، وتلك المحلة في مدينة، يقال: إنه في بلدة كذا، وأما القرب فإذا كان الإنسان في الدنيا بين نهرين بحيث يكون قربه منهما على السواء يقال: إنه جالس عند نهرين، فإذا قرب من أحدهما يقال: من عند أحد نهرين دون الآخر، لكن في دار الدنيا لا يمكن أن يكون عند ثلاثة أنهار، وإنما يمكن أن يكون عند نهرين والثالث منه أبعد من النهرين، فهو في الحقيقة ليس يكون في زمان واحد عند أنهار، والله تعالى يذكر أمر الآخرة على ما نفهمه في الدنيا، فقال: (عند نهر) لما بينا أن قوله: ﴿وَنَهَرٍ﴾ وإن كان يقتضي (في نهر) لكن ذلك للمجاورة كما في (تقلدت سيفًا ورمحًا)، وأما قوله: ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ فحقيقته مفهومة عندنا لأن الجنة الواحدة قد يجري فيها أنهار كثيرة أكثر من ثلاثة وأربعة، فهذا ما فيه مع أن أواخر الآيات يحسن فيها التوحيد دون الجمع ويحتمل أن يقال ﴿وَنَهَرٍ﴾ التنكير للتعظيم. وفي الجنة نهر وهو أعظم الأنهر وأحسنها، وهو الذي من الكوثر، ومن عين الرضوان، وكان الحصول عنده شرفًا وغبطة وكل أحد يكون له مقعد عنده وسائر الأنهار تجري في الجنة ويراها أهلها ولا يرون القاعد عندها، فقال: ﴿فِي جَنَّـٰتٍ وَنَهَرٍ﴾ أي ذلك النهر الذي عنده مقاعد المؤمنين، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾ [البقرة: ٢٤٩] لكونه غير معلوم لهم، وفي هذا وجه حسن أيضًا، ولا يحتاج على الوجهين أن نقول: نهر في معنى الجمع لكونه اسم جنس.

المسألة الثالثة: قال هاهنا: ﴿فِي﴾ وقال في الذاريات: ﴿وَعُيُونٍ﴾ [الذاريات: ١٥] فما الفرق بينهما؟ نقول: إنا إن قلنا: في (نهر) معناه (في خلال) فالإنسان يمكن أن يكون في الدنيا في خلال عيون كثيرة تحيط به إذا كان على موضع مرتفع من الأرض، والعيون تنفجر منه وتجري، فتصير أنهارًا عند الامتداد، ولا يمكن أن يكون وفي خلال أنهار وإنما هي نهران فحسب، وأما إن قلنا: إن المراد: (عند نهر) فكذلك وإن قلنا: مرأى عظيم عليه مقاعد، فنقول: يكون ذلك النهر ممتدًّا واصلاً إلى كل واحد، وله عنده مقاعد عيون كثيرة تابعة، فالنهر للتشريف والعيون للتفرج والتنزه مع أن النهر العظيم يجتمع مع العيون الكثيرة، فكان النهر مع وحدته يقوم مقام العيون مع كثرتها، وهذا كله مع النظر إلى أواخر الآيات هاهنا وهناك، يحسن ذكر لفظ الواحد هاهنا والجمع هناك.

المسألة الرابعة: قرئ: (فِي جَنَّاتٍ وَنُهُرٍ) على أنها جمع نهار إذ لا ليل هناك، وعلى هذا

فكلمة (في) حقيقة فيه فقوله: ﴿فِي جَنَّٰتٍ﴾ ظرف مكان، وقوله: (ونُهُر) أي: وفي نُهُر، إشارة إلى ظرف زمان، وقرئ (ونُهْر) بسكون الهاء وضم النون على أنه جمع نهر كأُسْد في جمع أسد، نقله الزمخشري، ويحتمل أن يقال: نُهُر بضم الهاء جمع نَهَر كثُمُر في جمع ثَمَر.

## قوله تعالى: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ۝٥٥﴾

**فيه مسائل:**

**المسألة الأولى:** ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾، كيف مخرجه؟ نقول: يحتمل وجهين: أحدهما: أن يكون على صورة بدل، كما يقول القائل: فلان في بلدة كذا، في دار كذا. وعلى هذا يكون مقعد من جملة الجنات موضعًا مختارًا له مزية على ما في الجنات من المواضع، وعلى هذا قوله: ﴿عِندَ مَلِيكٍ﴾ لأنا بينا في أحد الوجوه أن المراد من قوله: ﴿فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ﴾ [القمر: ٥٤] في جنات عند نهر، فقال: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ ويحتمل أن يقال: ﴿عِندَ مَلِيكٍ﴾ صفة مقعد صدق، تقول: درهم في ذمة مليء خير من دينار في ذمة معسر. وقليل عند أمين أفضل من كثير عند خائن. فيكون صفة وإلا لما حسن جعله مبتدأ. ثانيهما: أن يكون: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ كالصفة لجنات ونهر، أي في جنات ونهر موصوفين بأنهما في مقعد صدق، تقول: وقفة في سبيل الله أفضل من كذا و﴿عِندَ مَلِيكٍ﴾ صفة بعد صفة.

**المسألة الثانية:** قوله: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ يدل على لبث لا يدل عليه المجلس، وذلك لأن قعد وجلس ليسا على ما يُظن أنهما بمعنى واحد لا فرق بينهما، بل بينهما فرق ولكن لا يظهر إلا للبارع، والفرق هو أن القعود جلوس فيه مكث حقيقة واقتضاء، ويدل عليه وجوه: **الأول:** هو أن الزمِن يسمى مُقعدًا ولا يسمى مجلسًا لطول المكث حقيقة، ومنه سمي قواعد البيت والقواعد من النساء: قواعد ولا يقال لهن: جوالس لعدم دلالة الجلوس على المكث الطويل، فذِكر القواعد في الموضعين لكونه مستقرًا بيِّن الدوام والثبات على حالة واحدة، ويقال للمركوب من الإبل: (قعود) لدوام اقتعاده اقتضاء، وإن لم يكن حقيقة فهو لصونه عن الحمل واتخاذه للركوب كأنه وجد فيه نوع قعود دائم اقتضى ذلك ولم يرد للإجلاس. **الثاني:** النظر إلى تقاليب الحروف، فإنك إذا نظرت إلى (ق ع د) وقلبتها تجد معنى المكث في الكل فإذا قدمت القاف رأيت قعد وقدع بمعنى، ومنه تقادع الفراش بمعنى تهافت، وإذا قدمت العين رأيت عقد وعدق بمعنى المكث في غاية الظهور وفي عدق لخفاء، يقال: أعدِق بيدك الدلو في البئر، إذا أَمَره بطلبه بعد وقوعه فيها. والعودقة خشبة عليها كُلاب يخرج معه الدلو الواقع في البئر، وإذا قدمت الدال رأيت دقع ودعق، والمكث في الدقع ظاهر والدقعاء هي التراب الملتصق بالأرض، والفقر المدقع هو الذي يلصق صاحبه بالتراب. وفي دعق أيضًا إذ الدعق مكان تطؤه الدواب بحوافرها فيكون صُلبًا أجزاؤه متداخل بعضها ببعض لا يتحرك شيء منها عن موضعه. الوجه الثالث: الاستعمالات في القعود إذا اعتبرت ظهر ما ذكرنا، قال تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾ [النساء: ٩٥] والمراد الذي لا

يكون بعده اتباع وقال تعالى: ﴿مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾[آل عمران: ١٢١] مع أنه تعالى قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾[الصف: ٤] فأشار إلى الثبات العظيم. وقال تعالى: ﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟﴾[الأنفال: ٤٥] فالمقاعد إذن هي المواضع التي يكون فيها المقاتل بثبات ومكث، وإطلاق مقعدة على العضو الذي عليه القعود أيضًا يدل عليه. إذا عرفت هذا الفرق بين الجلوس والقعود حصل لك فوائد، منها هاهنا فإنه يدل على دوام المكث وطول اللبث، ومنها في قوله تعالى: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾[ق: ١٧] فإن القعيد بمعنى الجليس والنديم. ثم إذا عرف هذا وقيل للمفسرين الظاهرين: فما الفائدة في اختيار لفظ القعيد يدل لفظ الجليس مع أن الجليس أشهر؟ يكون جوابهم أن آخر الآيات من قوله: ﴿حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾[ق: ١٦] ﴿مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ﴾[ق: ٢٣] وقوله: ﴿جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾[هود: ٥٩] يناسب القعيد لا الجليس وإعجاز القرآن ليس في السجع، وإذا نظرت إلى ما ذكر تبين لك فائدة جليلة معنوية حكمية في وضع اللفظ المناسب؛ لأن القعيد دل على أنهما لا يفارقانه ويداومان الجلوس معه، وهذا هو المعجز؛ وذلك لأن الشاعر يختار اللفظ الفاسد لضرورة الشعر والسجع ويجعل المعنى تبعًا للفظ، والله تعالى بَيَّن الحكمة على ما ينبغي، وجاء باللفظ على أحسن ما ينبغي، وفائدة أخرى في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟﴾[المجادلة: ١١] فإن قوله: ﴿فَٱفْسَحُوا۟﴾ إشارة إلى الحركة، وقوله: ﴿فَٱنشُزُوا۟﴾ إشارة إلى ترك الجلوس، فذكر المجلس إشارة إلى أن ذلك موضع جلوس فلا يجب ملازمته، وليس بمقعد حتى لا يفارقونه.

**المسألة الثالثة:** ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ وجهان: أحدهما: مقعد صدق، أي صالح، يقال: (رجل صدق) للصالح و(رجل سوء) للفاسد، وقد ذكرناه في سورة ﴿إِنَّا فَتَحْنَا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾[الفتح: ١٢]، وثانيهما: الصدق المراد منه ضد الكذب، وعلى هذا ففيه وجهان: الأول: مقعد صدق من أخبر عنه وهو الله ورسوله. الثاني: مقعد ناله مَن صَدَّق فقال بأن الله واحد وأن محمدًا رسوله، ويحتمل أن يقال: المراد أنه مقعد لا يوجد فيه كذب؛ لأن الله تعالى صادق ويستحيل عليه الكذب، ومن وصل إليه امتنع عليه الكذب؛ لأن مظنة الكذب الجهل والواصل إليه يعلم الأشياء كما هي، ويستغني بفضل الله عن أن يكذب ليستفيد بكذبه شيئًا فهو مقعد صدق، وكلمة ﴿عِندَ﴾ قد عرفت معناها والمراد منه قرب المنزلة والشأن لا قرب المعنى والمكان.

**وقوله تعالى:** ﴿مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ لأن القربة من الملوك لذيذة كلما كان الملك أشد اقتدارًا كان المتقرب منه أشد التذاذًا، وفيه إشارة إلى مخالفة معنى القرب منه من معنى القرب من الملوك، فإن الملوك يقربون من يكون ممن يحبونه وممن يرهبونه، مخافة أن يعصوا عليه وينحازوا إلى عدوه فيغلبونه، والله تعالى قال: ﴿مُّقْتَدِرٍ﴾ لا يقرب أحدًا إلا بفضله.

والحمد لله، وصلاته على سيدنا محمد خير خلقه وآله وصحبه وسلامه.

## سورة القمر

مكيَّة كلُّها في قول الجمهور. وقال مقاتل: إلا ثلاثَ آيات من قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾ [الآية: ٤٤] إلى قوله: ﴿وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾[١] [الآية: ٤٦] ولا يصحُّ على ما يأتي[٢]. وهي خمس وخمسون آيةً[٣].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ۝٥ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ۝٦ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ ۖ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ۝٨﴾

قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ «اقْتَرَبَت»: أي: قربت، مثل ﴿أَزِفَتِ الْآزِفَةُ﴾ [النجم: ٥٧] على ما بيَّنَّاه. فهي بالإضافة إلى ما مضى قريبة؛ لأنَّه قد مضى أكثرُ الدنيا، كما روى قتادة عن أنس قال: خطب رسولُ الله ﷺ وقد كادتِ الشمسُ تغيب فقال: «ما بقي من دنياكم فيما مضى إلّا مثل ما بقي من هذا اليوم فيما مضى» وما نرى من الشمس إلا يسيراً[٤]. وقال كعب ووهب: الدنيا ستَّة آلاف سنة. قال وهب: قد

---

(١) النكت والعيون ٥/٤٠٨.

(٢) عند الآية (٤٥) من هذه السورة.

(٣) الوسيط ٤/٢٠٦.

(٤) أخرجه بهذا اللفظ الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة ٧/١٢١، وأخرجه أيضاً ابن عدي في الكامل ٦/ ٢٣٤٤ بنحوه، قال ابن عدي: ولموسى بن خلف عن قتادة، عن أنس غير هذا يرويه عن موسى ابنه خلف وغير ابنه، ولا أرى بروايته بأساً.

وأخرجه أيضاً الحاكم في المستدرك ٢/ ٤٤٤ عن ابن عمر ﷺ بنحوه، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الذهبي في التلخيص: كُثَيِّر [من رجال الإسناد] ضعَّفه النسائي، ومشَّاه غيره.

مضى منها خمسة آلاف سنة، وستُّ مئة سنة. ذكره النحَّاس.

ثم قال تعالى: «وَانْشَقَّ الْقَمَرُ» أي: وقد انشقَّ القمر. وكذا قرأ حُذيفة: «اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَقَدِ انْشَقَّ الْقَمَرُ»[١] بزيادة «قد»، وعلى هذا الجمهور من العلماء، ثبت ذلك في «صحيح البخاري» وغيره من حديث ابن مسعود[٢] وابن عمر[٣] وأنس[٤] وجبير ابن مُطْعِم[٥] وابن عباس[٦] ﷺ. وعن أنس قال: سأل أهلُ مكَّة النبيَّ ﷺ آيةً، فانشقَّ القمر بمكَّة مرَّتين فنزلت: «اقْتَرَبَتِ السّاعَةُ وانْشَقَّ الْقَمَرُ» إلى قوله: «سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ» يقول: ذاهب. قال أبو عيسى الترمذيُّ: هذا حديث حسن صحيح[٧].

ولفظ البخاريِّ[٨] عن أنس قال: انشقَّ القمر فرقتين. وقال قوم: لم يقع انشقاق القمر بعدُ وهو منتظر، أي: اقترب قيام الساعة وانشقاق القمر، وأنَّ الساعة إذا قامت انشقت السماء بما فيها من القمر وغيره[٩]. وكذا قال القشيريُّ. وذكر الماورديُّ[١٠]: أنَّ هذا قول الجمهور، وقال: لأنَّه إذا انشقَّ ما بقي أحد إلا رآه؛ لأنه آية، والناس في الآيات سواء. وقال الحسن: اقتربت الساعة، فإذا جاءت انشقَّ القمر بعد النفخة الثانية. وقيل: «وَانْشَقَّ الْقَمَرُ» أي: وضح الأمر وظهر، والعرب تضرب بالقمر مثلاً فيما وَضَح، قال:

أقيمُوا بَنِي أمِّي صُدُورَ مَطِيِّكُمْ فإنِّي إلى حَيٍّ سِواكم لأَمْيَلُ

(١) القراءات الشاذة ص١٤٧، والمحتسب ٢/ ٢٩٧.

(٢) البخاري (٣٦٣٦)، ومسلم (٢٨٠٠)، وأحمد (٣٥٨٣).

(٣) مسلم (٢٨٠١).

(٤) البخاري (٣٦٣٧)، ومسلم (٢٨٠٢)، وأحمد (١٢٦٨٨).

(٥) الترمذي (٣٢٨٩)، وأحمد (١٦٧٥٠).

(٦) البخاري (٣٦٣٨)، ومسلم (٢٨٠٣).

(٧) الترمذي (٣٢٨٦)، وهو عند أحمد (١٢٦٨٨)، ومسلم (٢٨٠٢)، ولم يرد ذكر الآيتين عند مسلم.

(٨) برقم (٤٨٦٨)، وهو عند مسلم (٢٨٠٢): (٤٧)، وأحمد (١٣٩١٨).

(٩) المفهم ٧/ ٤٠٥ وعزاه للحسن البصري.

(١٠) في النكت والعيون ٥/ ٤٠٩.

فقد حُمَّتِ الحاجاتُ والليلُ مُقْمِرٌ وشُدَّت لِطيَّاتٍ مَطايا وأَرْحُلُ[(١)]

وقيل: انشقاق القمر: هو انشقاق الظلمة عنه بطلوعه في أثنائها، كما يُسمَّى الصبح فَلَقاً؛ لانفلاق الظلمة عنه. وقد يعبَّر عن انفلاقه بانشقاقه، كما قال النابغة:

فلمَّا أدْبَروا ولَهُمْ دَوِيٌّ دعانا عِند شَقِّ الصُّبحِ داعِ[(٢)]

قلت: وقد ثبت بنقل الآحاد العدول أنَّ القمر انشقَّ بمكَّة، وهو ظاهر التنزيل، ولا يلزم أن يستوي الناس فيها؛ لأنَّها كانت آيةً ليليَّة، وأنَّها كانت باستدعاء النبيِّ ﷺ من الله تعالى عند التحدِّي[(٣)]. فروي أنَّ حمزة بن عبد المطلب ـ حين أسلم غضباً من سبِّ أبي جهلٍ الرسولَ ﷺ ـ طلب أن يُريَه آيةً يزداد بها يقيناً في إيمانه[(٤)]. وقد تقدَّم في «الصحيح» أنَّ أهل مكَّة هم الذين سألوا وطلبوا أن يُريَهم آيةً، فأراهم انشقاق القمر فلقتين كما في حديث ابن مسعود وغيره.

وعن حذيفة أنَّه خطب بالمدائن ثم قال: ألا إنَّ الساعة قد اقتربت، وإنَّ القمر قد انشقَّ على عهد نبيِّكم ﷺ[(٥)].

وقد قيل: هو على التقديم والتأخير، وتقديره: انشقَّ القمر واقتربت الساعة، قاله ابن كيسان. وقد مرَّ عن الفرَّاء أنَّ الفعلين إذا كانا متقاربي المعنى، فلك أن تقدِّم وتؤخِّر، عند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾[(٦)].

قوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوۡا۟ ءَايَةً يُعۡرِضُوا۟﴾ هذا يدلُّ على أنَّهم رأوا انشقاق القمر[(٧)].

---

(١) القائل الشنفرى الأزدي، وهو في ذيل أمالي القالي ص٢٠٣، وخزانة الأدب ٣/ ٤٣٠، وقوله: أقيموا بني أمِّي... إلخ، يقال: أقام صدر مطيَّته: إذا جدَّ في السير، يؤذن قومه بالرحيل. وقوله: حمَّت الحاجات... إلخ، يريد: تنبَّهوا من رقدتكم فهذا وقت الحاجة. والطِّيَّة: النِّيَّة. الخزانة ٣/ ٣٤١.

(٢) النكت والعيون ٥/ ٤٠٩، ونسبه للنابغة الجعدي، ولم نقف عليه في ديوانه.

(٣) المفهم ٧/ ٤٠٤.

(٤) النكت والعيون ٥/ ٤٠٩.

(٥) أخرجه بهذا اللفظ الزجَّاج في معاني القرآن له ٥/ ٨٤، وأخرجه أيضاً عبد الرزاق (٥٢٨٥)، وابن أبي شيبة ٢/ ١١٥، و١٣/ ٣٧٨، والطبري ٢٢/ ١٠٧ - ١٠٨، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٧٠٦) و(٧٠٧) عن أبي عبد الرحمن السلمي.

(٦) الآية (٨) من سورة النجم، وسلفت ص١٦ من هذا الجزء.

(٧) الوسيط ٤/ ٢٠٧.

قال ابن عباس: اجتمع المشركون إلى رسول الله ﷺ، وقالوا: إن كنتَ صادقاً فاشقق لنا القمر فرقتين، نصف على أبي قُبيس ونصف على قُعَيْقِعَان، فقال لهم رسول الله ﷺ: «إن فعلتُ تؤمنون»؟ قالوا: نعم؟ وكانت ليلةَ بدر، فسأل رسولُ الله ﷺ ربَّه أن يعطيَه ما قالوا، فانشقَّ القمر فرقتين، ورسولُ الله ﷺ ينادي المشركين: «يا فلان يا فلان اشهدوا»[١].

وفي حديث ابن مسعود: انشقَّ القمر على عهد رسولِ الله ﷺ، فقالت قريش: هذا من سحر ابن أبي كبشة، سَحَرَكم فاسألوا السُّفَّار. فسَألوهم فقالوا: قد رأينا القمر انشقَّ، فنزلت: «اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ القَمَرُ. وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا»[٢]. أي: إن يروا آيةً على صِدْقِ محمَّد ﷺ أعرضوا عن الإيمان[٣].

﴿وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ أي: ذاهب، من قولهم: مَرَّ الشيءُ واستمرَّ: إذا ذهب[٤]، قاله أنس وقتادة ومجاهد والفرَّاء والكسائيُّ وأبو عبيدة[٥]، واختاره النحَّاس. وقال أبو العالية والضحَّاك: محكَم قويٌّ شديد[٦]. وهو من المِرَّة: وهي القوَّة[٧]، كما قال لقيط:

حتى استمرَّتْ عَلَى شَزْرٍ مَرِيرَتُهُ مُرُّ العَزِيمَةِ لَا رتّاً[٨] ولا ضَرَعا

(١) زاد المسير ٨/ ٢٨٧، وأخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة (٢٠٩) بتمامه، وضعَّفه ابن حجر في فتح الباري ٧/ ١٨٣. وأخرجه أيضاً الزجَّاج في معاني القرآن له ٥/ ٨٤-٨٥ عن ابن زيد مختصراً. وأبو قبيس وقعيقعان: جبلان بمكة. معجم البلدان ١/ ٨٠ و ٤/ ٣٧٩.

(٢) أخرجه الطيالسي (٢٩٥)، والطبري ٢٢/ ١٠٦ - ١٠٧، وأبو نعيم في دلائل النبوة (٢١١).

(٣) الوسيط ٤/ ٢٠٧.

(٤) الصحاح (مرر).

(٥) النكت والعيون ٥/ ٤١٠ عن أنس وأبي عبيدة، والمحرر الوجيز ٥/ ٢١٢ عن قتادة ومجاهد والكسائي، وأما قول الفراء فهو في معاني القرآن له ٣/ ١٠٤، وقول مجاهد في تفسيره ٢/ ٦٣٥، وأخرجه عنه ـ وعن قتادة أيضاً ـ الطبري ٢٢/ ١١٣.

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٢٥٨، وزاد المسير ٨/ ٨٩.

(٧) الصحاح (مرر).

(٨) في (م): لا قحماً. وكذا جاءت الرواية في الكامل للمبرد ٣/ ١٣٥٠، والقحم: الكبير المسنّ. اللسان (قحم)، والبيت سلف ص١٣ من هذا الجزء.

وقال الأخفش: هو مأخوذ من إمرار الحبل، وهو شدَّة فَتْله[١].

وقيل: معناه: مُرٌّ من المرَارة. يقال: أَمَرَّ الشيءُ: صار مُرّاً، وكذلك مَرَّ الشيءُ [يَمَرُّ] بالفتح مرارةً، فهو مُرٌّ، وأمَرَّه غيرُه ومرَّرَه[٢]. وقال الربيع: مستمرٌّ: نافذ. يمان: ماضٍ. أبو عبيدة: باطل.

وقيل: دائم. قال:

وليس على شيء قويم بمُسْتَمِرّ[٣]

أي: بدائم. وقيل: يُشبِهِ بعضه بعضاً[٤]، أي: قد استمرَّت أفعال محمد على هذا الوجه فلا يأتي بشيء له حقيقة، بل الجميع تخييلات. وقيل: معناه: قد مرَّ من الأرض إلى السماء[٥].

﴿وَكَذَّبُوا۟﴾ نبيَّنا ﴿وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ﴾ أي: ضلالاتهم واختياراتهم. ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾ أي: يستقرُّ بكلِّ عامل عمله، فالخير مستقرٌّ بأهله في الجنة، والشَّرُّ مستقرٌّ بأهله في النار[٦].

وقرأ شيبة: «مُسْتَقَر» بفتح القاف[٧]، أي: لكلِّ شيء وقت يقع فيه من غير تقدُّم وتأخُّر. وقد روي عن أبي جعفر بن القَعْقاع: «وَكُلُّ أَمْرٍ مسْتَقِرٍّ» بكسر القاف والراء[٨]، جعله نعتاً لـ «أمرٍ»، و «كُلُّ» على هذا يجوز أن يرتفع بالابتداء، والخبر

(١) النكت والعيون ٥/ ٤١٠ .

(٢) الصحاح (مرر)، وما بين حاصرتين منه.

(٣) القائل امرؤ القيس، وهو في ديوانه ص١٠٩، وصدره:

ألا إنَّما الدنيا ليالٍ وأعْصُرٌ

(٤) النكت والعيون ٥/ ٤١٠ .

(٥) النكت والعيون ٥/ ٤١٠ وعزاه إلى مجاهد.

(٦) النكت والعيون ٥/ ٤١٠ وعزاه إلى قتادة، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/ ١١٤- ١١٥ .

(٧) الكشاف ٤/ ٣٦ ولم يعزها، وعزاها ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٢١٢ إلى نافع وابن نصاح.

(٨) القراءات الشاذة ص١٤٧ ، والمحتسب ٢/ ٢٩٧ ، والنشر ٢/ ٣٨٠ .

محذوف، كأنَّه قال: وكلُّ أمر مستقر في أمِّ الكتاب كائن[١]. ويجوز أن يرتفع بالعطف على الساعة، المعنى: اقتربت الساعة وكلُّ أمرٍ مستقر[٢]، أي: اقترب استقرار الأمور يوم القيامة[٣]. ومن رفعَه جعله خبراً عن «كلّ».

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ﴾ أي: من بعض الأنباء، فذكر سبحانه من ذلك ما علم أنَّهم يحتاجون إليه، وأنَّ لهم فيه شفاء. وقد كان هناك أمور أكثر من ذلك، وإنَّما اقتصَّ علينا ما عَلِمَ أنَّ بنا إليه حاجة، وسكت عمَّا سوى ذلك، وذلك قوله تعالى: «وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ» أي: جاء هؤلاء الكفار من أنباء الأمم الخالية[٤] ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ أي: ما يزجرهم عن الكفر لو قبلوه[٥]. وأصله: مُزْتَجَر، فقلبت التاء دالاً؛ لأنَّ التاء حرف مهموس، والزاي حرف مجهور، فأبدل من التاء دالاً توافقها في المخرج، وتوافق الزاي في الجهر[٦]. و «مُزْدجَر» من الزجر: وهو الانتهاء[٧]، يقال: زَجَره وازدَجَره، فانزجَر وازدَجَر[٨]، وزجرته أنا فانزجر، أي: كففته فكفَّ، كما قال:

فأصبحَ ما يطلبُ الغانيا تُ مُزْدَجَراً عن هواه ازدجارا[٩]

وقرئ: «مُزَّجَرٌ» بقلب تاء الافتعال زاياً، وإدغام الزايِّ فيها، حكاه الزمخشريُّ[١٠].

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٨٦ .
(٢) الكشاف ٤/ ٣٦ .
(٣) المحتسب ٢/ ٢٩٧ .
(٤) النكت والعيون ٥/ ٤١٠ .
(٥) تفسير أبي الليث ٣/ ٢٩٨ .
(٦) البيان لابن الأنباري ٢/ ٤٠٣ ، ومشكل إعراب القرآن لمكي ٢/ ٦٩٧ .
(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٢١٢ .
(٨) الصحاح (زجر).
(٩) القائل الأعشى ميمون بن قيس، وهو في ديوانه ص٩٥ بنحوه.
(١٠) في الكشاف ٤/ ٣٦ .

﴿حِكْمَةٌ بَٰلِغَةٌ﴾ يعني: القرآن[١]، وهو بدل من «ما» من قوله: «مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ». ويجوز أن يكون خبر ابتداء محذوف، أي: هو حكمة[٢].

﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾ إذا كذَّبوا وخالفوا، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾[٣] [يونس: ١٠١] ف «مَا» نفي، أي: ليست تغني عنهم النذر. ويجوز أن يكون استفهاماً بمعنى التوبيخ، أي: فأيُّ شيء تغني النذر عنهم وهم معرضون عنها[٤]. و«النُّذُرُ» يجوز أن تكون بمعنى الإنذار، ويجوز أن تكون جمع نذير[٥].

قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي: أعرِض عنهم[٦]. قيل: هذا منسوخ بآية السيف[٧]. وقيل: هو تمام الكلام.

ثم قال: ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ العامل في «يَوْمَ»: «يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ»، أو «خُشَّعاً»[٨]، أو فعل مضمر تقديره: واذكر يوم. وقيل: على حذف حرف الفاء وما عملت فيه من جواب الأمر، تقديره: فتولَّ عنهم فإنَّ لهم يوم يدعو الداعي. وقيل: تَوَلَّ عنهم يا محمَّد، فقد أقمت الحجَّة، وأبصرهم يوم يدعو الداعي. وقيل: أي أعرض عنهم يوم القيامة ولا تسأل عنهم وعن أحوالهم، فإنَّهم يدعون ﴿إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾ وينالهم عذاب شديد. وهو كما تقول: لا تسأل عما جرى على فلان: إذا أخبرته بأمر عظيم. وقيل: أي: وكلّ أمر مستقرّ يوم يدعو الداعي.

وقرأ ابن كثير: «نُكْرٍ» بإسكان الكاف[٩]، وضمَّها الباقون، وهما لغتان، كعُسْر

---

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ٢٩٨ .

(٢) الكشاف ٤/ ٣٦ .

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٢٥٩ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٨٥ .

(٥) تفسير البغوي ٤/ ٢٥٩ .

(٦) تفسير أبي الليث ٣/ ٢٩٨ .

(٧) زاد المسير ٨/ ٩٠ .

(٨) إعراب القرآن لمكي ٢/ ٦٩٨ .

(٩) السبعة ص٦١٧ ، والتيسير ص٢٠٥ .

وعُسُر، وشُغْل وشُغُل[١]، ومعناه: الأمر الفظيع العظيم، وهو يوم القيامة[٢]. والداعي هو: إسرافيل عليه السلام[٣]. وقد روي عن مجاهد وقتادة أنَّهما قرأا: «إِلَى شَيْءٍ نُكِرَ» بكسر الكاف وفتح الراء على الفعل المجهول[٤].

﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ﴾ الخشوع في البصر: الخضوع والذِّلَّة، وأضاف الخشوع إلى الأبصار؛ لأنَّ أثر العزِّ والذُّل يتبيَّن في ناظر الإنسان[٥]، قال الله تعالى: ﴿أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ﴾ [النازعات:٩] وقال تعالى: ﴿خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ [الشورى:٤٥]. ويقال: خَشَع واختَشَع: إذا ذلَّ. وخَشَع ببصره، أي: غضَّه[٦].

وقرأ حمزة والكسائيُّ وأبو عمرو: «خَاشِعاً» بالألف[٧]، ويجوز في أسماء الفاعلين إذا تقدَّمت على الجماعة التوحيدُ، نحو: «خَاشِعاً أَبْصَارُهُم» والتأنيث نحو: «خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ»[٨] ويجوز الجمع نحو: «خُشَّعاً أَبْصَارُهُمْ» قال:

وَشَبَابٍ حَسَنٍ أَوْجُهُهُمْ ... مِنْ إِيادِ بنِ نِزارِ بنِ مَعَدْ[٩]

و «خُشَّعاً» جمع خاشع، والنصب فيه على الحال من الهاء والميم في «عَنْهُمْ» فيقبح الوقف على هذا التقدير على «عَنْهُمْ». ويجوز أن يكون حالاً من المضمر في

---

(١) حجة القراءات لابن زنجلة ص٦٨٨ .

(٢) الكشاف ٤/ ٣٦ .

(٣) تفسير أبي الليث ٣/ ٢٩٨ .

(٤) القراءات الشاذة ص١٤٧ ، والمحتسب ٢/ ٢٩٨ ، ونسباه إلى مجاهد والجحدري وأبي قلابة. وينظر البحر المحيط ٨/ ١٧٥ .

(٥) الكشاف ٤/ ٣٦ .

(٦) الصحاح (خشي).

(٧) السبعة ص٦١٨ ، والتيسير ص٢٠٥ .

(٨) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٨٦ ، وما بعده منه، و«خاشعة» قراءة أُبيٍّ وابن مسعود. القراءات الشاذة ص١٤٧ .

(٩) القائل: أبو دؤاد الإيادي، وهو في ديوانه ص٣٠٥ .

«يَخْرُجُونَ» فيوقف على «عَنْهُمْ»[(١)]. وقُرِئَ: «خُشَّعٌ أَبْصَارُهُمْ» على الابتداء والخبر، ومحلُّ الجملة النصب على الحال، كقوله:

حَـاضِـرَاه الـجـودُ والْـكَـرَمُ[(٢)]

﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ أي: القبور، واحدها: جَدَث. ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ * مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ﴾. وقال في موضع آخر: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة: ٤] صفتان في وقتين مختلفين، أحدهما: عند الخروج من القبور، يخرجون فزِعين لا يهتدون أين يتوجَّهون، فيدخل بعضُهم في بعض، فهم حينئذٍ كالفراش المبثوث بعضه في بعض لا جهة له يقصدها. فإذا سمعوا المنادي قصدوه فصاروا كالجراد المنتشر؛ لأنَّ الجراد له وجه يقصدها[(٣)].

و«مُهْطِعِينَ» معناه: مسرعين، قاله أبو عبيدة. ومنه قول الشاعر:

بِـدِجْـلَـةَ دَارُهـمْ ولـقـد أراهـم بِـدِجْـلَـةَ مُـهْـطِـعِـينَ إلى الـسَّـمـاعِ[(٤)]

الضحاك: مقبلين. قتادة: عامدين. ابن عباس: ناظرين. عكرمة: فاتحين آذانهم إلى الصوت[(٥)]. والمعنى متقارب.

يقال: هَطَع الرجلُ يَهْطَعُ هُطُوعاً: إذا أقبل على الشيء ببصره لا يُقلِع عنه، وأهطع: إذا مدَّ عنقه وصوَّب رأسه. قال الشاعر:

---

(١) مشكل إعراب القرآن لمكي ٢/ ٦٩٨، وذكر الأنباري في إيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٩١٣ أن الوقف على «فتولَّى عنهم»: وقف غير تامٍّ.

(٢) الكشاف ٤/ ٣٦، والقراءة في البحر المحيط ٨/ ١٧٦، والبيت للأخطل، وهو في ديوانه ص٣٩، وروايته هكذا:

إذا أتـيـتَ أبـا مـروان تـسـألـه وجـدتَـه حـاضـراه الـجـود والـحَـسَـبُ

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٢١٣.

(٤) النكت والعيون ٥/ ٤١١، وقول أبي عبيدة في مجاز القرآن له ٢/ ٢٤٠، والبيت ليزيد بن مفرِّغ، وسلف ١٢/ ١٥٨.

(٥) النكت والعيون ٥/ ٤١١.

تَعَبَّدَنِي نِمْرُ بنُ سَعْدٍ وقد أرى ونِمْرُ بنُ سَعْدٍ لِي مُطِيعٌ ومُهْطِعُ

وبعير مُهْطِع: في عنقه تصويبٌ خِلْقَةً. وأهطع في عَدْوه، أي: أسرَع[١].

﴿يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ يعني: يوم القيامة؛ لما ينالهم فيه من الشِّدَّة[٢].

**قوله تعالى:** ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ ذكر جملاً من وقائع الأمم الماضية؛ تأنيساً للنبيِّ ﷺ، وتعزيةً له. «قَبْلَهُمْ» أي: قبل قومك. ﴿فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا﴾ يعني: نوحاً[٣].

الزَّمخشَري[٤]: فإن قلتَ: ما معنى قوله: «فَكَذَّبُوا» بعد قوله: «كَذَّبَتْ»؟ قلت: معناه: كَذَّبوا فكَذَّبوا عبدنا، أي: كذَّبوه تكذيباً على عقب تكذيب، كلما مضى منهم قَرْن مكذِّب تبعه قَرْن مكذِّب، أو كذَّبت قومُ نوح الرسلَ فكذَّبوا عبدنا، أي: لما كانوا مكذِّبين بالرسل جاحدين للنبوة رأساً، كذَّبوا نوحاً؛ لأنَّه من جملة الرسل.

﴿وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ﴾ أي: هو مجنون ﴿وَٱزْدُجِرَ﴾ أي: زجر عن دعوى النبوَّة بالسبِّ والوعيد بالقتل[٥]. وقيل: إنَّما قال: «وَازْدُجِرَ» بلفظ ما لم يُسَمَّ فاعله؛ لأنَّه رأس آية.

﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ﴾ أي: دعا عليهم حينئذٍ نوح وقال: رَبِّ ﴿أَنِّى مَغْلُوبٌ﴾ أي: غلبوني

---

(١) الصحاح (هطع)، والبيت ذكره الزمخشري في الكشاف ٤/ ٣٧، ولم ينسبه، ولم نقف على قائله.

(٢) النكت والعيون ٥/ ٤١١.

(٣) تفسير أبي الليث ٣/ ٢٩٨.

(٤) الكشاف ٤/ ٣٧.

(٥) تفسير البغوي ٤/ ٢٦٠.

بتمرُّدهم ﴿فَٱنتَصِرۡ﴾ أي: فانتصر لي[١]. وقيل: إنَّ الأنبياء كانوا لا يَدْعُون على قومهم بالهلاك إلا بإذن الله عزَّ وجلَّ لهم فيه.

﴿فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: فأجبنا دعاءه، وأمرناه باتخاذ السفينة، وفتحنا أبواب السماء ﴿بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ﴾ أي: كثير، قاله السُّدِّيُّ. قال الشاعر:

أعينيَّ جُودَا بالدُّموعِ الهَوامرِ ... على خيرِ بادٍ من مَعَدٍّ وحاضِرِ[٢]

وقيل: إنَّه المنصبُّ المتدفِّق. ومنه قول امرئ القيس يصف غَيثاً:

رَاحَ تَمْرِيهِ الصَّبَا ثم انتَحَى ... فيه شُؤْبُوبُ جَنُوبٍ مُنْهَمِرْ[٣]

الهَمْر: الصَّبُّ. وقد هَمَر الماءُ والدَّمْعُ يَهْمِرُ هَمْراً. وهَمَر أيضاً: إذا أكثر الكلام وأسرع. وهَمَر له من ماله، أي: أعطاه[٤]. قال ابن عباس: ففتحنا أبواب السماء بماء [مُنْهَمِرٍ] من غير سحاب لم يقلع أربعين يوماً[٥].

وقرأ ابن عامر ويعقوب: «فَفَتَّحْنَا» مشدَّدة على التكثير. الباقون: «فَفَتَحْنَا» مخفَّفاً[٦]. ثم قيل: إنَّه فتح رتاجها وسعة مسالكها. وقيل: إنَّه المجرة، وهي شَرَج السماء، ومنها فتحت بماء منهمر، قاله عليٌّ ﷺ[٧].

﴿وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا﴾ قال عُبَيد بن عُمير: أوحى الله إلى الأرض أن تُخرِج

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢١٤.

(٢) النكت والعيون ٥/ ٤١٢، وما بعده منه أيضاً، ولم نقف على قائل البيت.

(٣) ديوان امرئ القيس ص١٤٥، قال شارحه: راح: يعني السحاب. وتمريه: تحركه وتديره. والصبا: أحمد الرياح عند العرب وأجلبها للخير. والشؤبوب: دفعة المطر وشدته.

(٤) الصحاح (همر) دون قوله: وهمر أيضاً: إذا أكثر الكلام وأسرع. فهو من تفسير أبي الليث ٣/ ٢٩٩.

(٥) عرائس المجالس ص٥٨ بنحوه، وما بين حاصرتين لم يرد في النسخ الخطية.

(٦) تفسير أبي الليث ٣/ ٢٩٩، وقراءة ابن عامر في السبعة ص٦١٨، والتيسير ص١٠٢، وقراءة يعقوب في النشر ٢/ ٢٥٨.

(٧) النكت والعيون ٥/ ٤١٢، وأخرجه عنه ابن أبي حاتم ١٠/ ٣٣٢٠ (١٨٧٠٤) والشَّرَج: العُروة. الصحاح (شرج).

ماءَها، فتفجَّرت بالعيون، وإنَّ عيناً تأخَّرت، فغضب عليها فجعل ماءها مُرّاً أُجاجاً إلى يوم القيامة.

﴿فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ﴾ أي: ماء السماء وماء الأرض ﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ أي: على مقدار لم يزد أحدهما على الآخر، حكاه ابن قتيبة[١]. أي: كان ماء السماء والأرض سواء. وقيل: «قُدِرَ» بمعنى: قُضي عليهم. قال قتادة: قدّر لهم إذا كفروا أن يَغْرَقُوا.

وقال محمد بن كعب: كانت الأقوات قبل الأجساد، وكان القَدَر قبل البلاء، وتلا هذه الآية[٢]. وقال: «الْتَقَى الْمَاءُ» والالتقاء إنَّما يكون في اثنين فصاعداً؛ لأنَّ الماء يكون جمعاً وواحداً[٣]. وقيل: لأنَّهما لما اجتمعا صارا ماء واحداً[٤].

وقرأ الجَحْدريُّ: «فَالْتَقَى الْمَاءَانِ». وقرأ الحسن: «فَالْتَقَى الْمَاوَانِ»[٥]. وهما خلاف المرسوم. القُشيريُّ: وفي بعض المصاحف: «فَالْتَقَى الْمَاوَانِ» وهي لغة طيِّء. وقيل: كان ماء السماء بارداً مثل الثلج، وماء الأرض حارّاً مثل الحميم.

﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ﴾ أي: على سفينة ذات ألواحٍ[٦]. ﴿وَدُسُرٍ﴾ قال قتادة: يعني: المسامير التي دُسِرت بها السفينة، أي: شُدَّت، وقاله القُرَظِيُّ وابن زيد وابن جبير[٧]، ورواه الوالبيُّ عن ابن عباس[٨]. وقال الحسن وشَهْر بن حَوْشَب وعكرمة:

---

(١) النكت والعيون ٥/ ٤١٢، وما بعده منه، وكلام ابن قتيبة في غريب القرآن له ص٤٣٢.

(٢) أخرجه الطبري ٢٢/ ١٢٣.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٢٦٠.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٨٨.

(٥) القراءات الشاذة ص١٤٧.

(٦) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٨٧.

(٧) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٨٩ عدا قول ابن جبير فنسبه إليه الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٤١٢، وأخرجه عنهم الطبري ٢٢/ ١٢٣ - ١٢٤.

(٨) زاد المسير ٨/ ٩٣.

هي صدر السفينة التي يضرب بها المَوْج، سُمِّيت بذلك؛ لأنَّها تَدْسُر الماء، أي: تدفعه[١]. والدَّسْرُ: الدَّفع[٢] والمَخْر. ورواه العَوْفيُّ عن ابن عباس قال: الدَّسْر: كَلْكَل السفينة[٣].

وقال الليث: الدِّسار: خيط من ليف تُشدُّ به ألواح السفينة. وفي «الصحاح»[٤]: الدِّسار واحد الدُّسُر: وهي خيوط تشدُّ بها ألواح السفينة. يقال: هي المسامير، وقال تعالى: «عَلَى ذَاتِ أَلْواحٍ وَدُسُرٍ». ودُسْر أيضاً مثل عُسُر وعُسْر. والدَّسْر: الدفع، قال ابن عباس في العنبر: إنَّما هو شيء يَدْسُره البحر دَسْراً، أي: يدفعه. ودَسَر بالرمح، ورجل مِدْسَر.

﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ أي: بمرأى منَّا. وقيل: بأمرنا. وقيل: بحفظ منَّا وكِلَاءة، وقد مضى في «هود»[٥]. ومنه قول الناس للمودَّع: عينُ اللهِ عليك، أي: حفظه وكِلاءته.[٦] وقيل: بِوَحينا. وقيل: أي: بالأعين النابعة من الأرض[٧]. وقيل: بأعين أوليائنا من الملائكة الموكَّلين بحفظها[٨]، وكلُّ ما خلَق اللهُ تعالى يمكن أن يُضاف إليه. وقيل: أي: تجري بأوليائنا، كما في الخبر: مرض عين من عيوننا فلم تَعُدْه[٩].

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٨٩ وعزاه للحسن، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/ ١٢٤ ، والنكت والعيون ٥/ ٤١٢ وعزاه لعكرمة.

(٢) الصحاح (دسر).

(٣) زاد المسير ٨/ ٩٣ ، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/ ١٢٥ .

(٤) (دسر)، وقول ابن عباس علَّقه البخاري قبل حديث (١٤٩٨)، ووصله البيهقي في السنن الكبرى ٤/ ١٤٦ .

(٥) ١١/ ١٠٨ - ١٠٩ .

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٢٦٠ . ومذهب السلف إثبات العين لله تعالى بلا تشبه ولا تأويل ولا تمثيل على ما يليق به سبحانه وتعالى.

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٢١٥ .

(٨) النكت والعيون ٥/ ٤١٣ على أن الصواب إثبات العين لله عز وجل على ما يليق بجلاله .

(٩) لم نقف عليه بهذا اللفظ، بل الوارد قوله ﷺ في الحديث القدسي عن ربِّ العزَّة: «مرضتُ فلم تَعُدْني..» وسلف ٢/ ٤٣٨ .

﴿جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ أي: جعلنا ذلك ثواباً وجزاءً لنوح على صبره على أذى قومه، وهو المكفور به، فاللام في «لِمَنْ» لام المفعول له[١]. وقيل: «كُفِرَ» أي: جحد، فـ«من» كناية عن نوح[٢]. وقيل: كناية عن الله، والجزاء بمعنى العقاب، أي: عقاباً لكفرهم بالله تعالى[٣].

وقرأ يزيد بن رومان وقتادة ومجاهد وحميد: «جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كَفَرَ» بفتح الكاف والفاء[٤]، بمعنى: كان الغَرَق جزاءً وعقاباً لمن كفر بالله[٥].

وما نجا من الغرق غير عوج بن عنق، كان الماء إلى حُجْزته، وسبب نجاته أنَّ نوحاً احتاج إلى خشبة السَّاج لبناء السفينة فلم يمكنه حملها، فحمل عُوجٌ تلك الخشبة إليه من الشام، فشكر الله له ذلك، ونَجَّاه من الغرق[٦].

﴿وَلَقَد تَّرَكْنَهَآ ءَايَةً﴾ يريد هذه الفعلة عِبْرة[٧]. وقيل: أراد السفينة[٨]، تركها آيةً لمن بعد قوم نوح، يعتبرون بها فلا يكذِّبون الرسل. قال قتادة: أبقاها الله بَباقِرْدَى من أرض الجزية عبرةً وآيةً، حتى نظرت إليها أوائل هذه الأمَّة، وكم من سفينة كانت بعدها فصارت رماداً[٩].

---

(١) الكشاف ٤/ ٣٨ .

(٢) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٠٧ .

(٣) النكت والعيون ٥/ ٤١٣ .

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢١٥ دون ذكر مجاهد وحميد، والقراءة عن يزيد وقتادة في القراءات الشاذة ص١٤٧ ، والمحتسب ٢/ ٢٩٨ .

(٥) تفسير أبي الليث ٣/ ٢٩٩ .

(٦) تفسير البغوي ٢/ ٣٨٦ ، والسَّاجُ: خشب يجلب من الهند، واحدته: ساجة. اللسان (سوج). والخبر من الإسرائيليات التالفة كما أشرنا إليه ٧/ ٣٩٦ - ٣٩٨ .

(٧) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٨٨ .

(٨) تفسير البغوي ٤/ ٢٦١ .

(٩) النكت والعيون ٥/ ٤١٣ ، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/ ١٢٨ ، وابن أبي حاتم ١٠/ ٣٣٢٠ (١٨٧٠٩)، وباقِرْدَى: موضع بالجزيرة يقع شرقي دجلة، بالقرب من جبل الجودي. معجم ما استعجم ١/ ٢٢٢ ، ومعجم البلدان ١/ ٤٦٦ ، ٤٧٦ .

﴿فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾ مُتَّعظ خائف[١]، وأصله مُذْتَكِر ـ مُفْتَعِل ـ من الذِّكْر، فثقلت على الألسنة، فقلبت التاء دالاً؛ لتوافق الذال في الجهر، وأدغمت الدال فيها[٢].

﴿فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ أي: إنذاري، قال الفرَّاء: الإنذار والنذر مصدران[٣]. وقيل: «نُذُر» جمع نذير، ونذير بمعنى الإنذار، كنكير بمعنى الإنكار[٤].

﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ﴾ أي: سهَّلناه للحفظ، وأعنَّا عليه من أراد حفظه، فهل من طالب لحفظه، فيُعان عليه؟ ويجوز أن يكون المعنى: ولقد هيَّأناه للذِّكْر، مِن يَسَّر ناقته للسَّفَر: إذا رَحَلها، ويَسَّر فرسه للغزو، إذا أسرجه وألجمه، قال:

وقُمْتُ إليهِ باللِّجامِ مُيَسِّراً هُنَالكَ يَجْزِيني الذي كنتُ أَصْنَعُ[٥]

وقال سعيد بن جبير: ليس من كتب الله كتابٌ يقرأ كلُّه ظاهراً إلا القرآن[٦]. وقال غيره: ولم يكن هذا لبني إسرائيل، ولم يكونوا يقرؤون التوراة إلا نظراً، غير موسى وهارون ويوشع بن نون وعُزير صلوات الله عليهم، ومن أجل ذلك افتُتنوا بعُزير لما كَتب لهم التوراة عن ظهر قلب حين أُحرقت، على ما تقدَّم بيانه في سورة «براءة»[٧] فيسَّر الله تعالى على هذه الأمَّة حِفْظَ كتابه ليذَّكَّروا ما فيه، أي: يفتعلوا الذّكر، والافتعال هو أن ينجع فيهم ذلك حتى يصير كالذات وكالتركيب فيهم.

﴿فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾ قارئ يقرؤه. وقال أبو بكر الورَّاق وابن شَوْذب: فهل من طالب

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٢٦١.

(٢) إعراب القرآن لمكي ٢/ ٦٩٧.

(٣) ونقله عنه البغوي ٤/ ٢٦١.

(٤) غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٣٢.

(٥) الكشاف ٤/ ٣٨، والبيت للأعرج عدي بن عمرو الطائي المعنى، وهو في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١/ ٣٥١.

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٢٦١، والوسيط ٤/ ٢٠٩.

(٧) ١٠/ ١٧٣، وينظر معاني القرآن للزجاج ٥/ ٨٨.

خير وعِلْم فيُعانَ عليه[١]، وكرِّر في هذه السورة؛ للتنبيه والإفهام. وقيل: إنَّ الله تعالى اقتصَّ في هذه السورة على هذه الأمَّة أنباء الأمم وقصص المرسلين، وما عاملتهم به الأُمم، وما كان من عقبى أمورهم وأمور المرسلين، فكان في كلِّ قصة ونبأ ذِكْرٌ للمستمع أن لو ادَّكر، وإنَّما كرَّر هذه الآية عند ذِكْر كلِّ قصة بقوله: «فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ» لأنَّ «هَلْ» كلمة استفهام تستدعي أفهامهم التي ركبت في أجوافهم، وجعلها حجَّة عليهم، فاللام من «هَلْ» للاستعراض، والهاء للاستخراج.

**قوله تعالى:** ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝١٨ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ۝١٩ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ۝٢٠ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝٢١ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝٢٢﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾ هم قوم هود. ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ وقعت «نُذُر» في هذه السورة في ستَّة أماكن محذوفة الياء في جميع المصاحف، وقرأها يعقوب مثبتة في الحالين، وورش في الوصل لا غير، وحذف الباقون. ولا خلاف في حذف الياء من قوله: «فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ» [الآية: ٥] والواو من قوله: «يَدْعُ». فأمَّا الياء من «الدَّاعِ» الأول فأثبتها في الحالين ابنُ مُحيصن ويعقوب وحُميد والبَزِّيُّ، وأثبتها ورش وأبو عمرو في الوصل، وحذف الباقون. وأما «الدَّاعِ» الثانية فأثبتها يعقوب وابنُ مُحَيْصن وابنُ كثير في الحالين، وأَثبتها أبو عمرو ونافع في الوصل، وحذفها الباقون[٢].

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ أي: شديدة البرد، قاله قتادة والضحَّاك[٣]. وقيل: شديدة الصوت[٤]. وقد مضى في «حم» السجدة[٥].

---

(١) أخرجه الدارمي (٣٤٧)، والطبري ٢٢/ ١٣٢ ، و وأبو نعيم في الحلية ٣/ ٧٦ من طريق ابن شوذب، عن مطر الوراق، وأورده الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٤١٣ ونسبه لقتادة، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/ ١٣١ .

(٢) السبعة ص٦١٧ – ٦١٨ ، والتيسير ص٢٠٦ ، والنشر ٢/ ١٣٨ ، ١٤١ ، ٣٨٠ .

(٣) النكت والعيون ٥/ ٤١٤ ، وأخرجه عنهما الطبري ٢٢/ ١٣٣ .

(٤) غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٣٢ .

(٥) عند الآية (١٦).

﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ﴾ أي: في يوم كان مشؤماً عليهم. وقال ابن عباس: أي: في يوم كانوا يتشاءمون به[١]. الزجَّاج[٢]: قيل: في يوم أربعاء. ابن عباس: كان آخِرَ أربعاء في الشهر، أفنى صغيرهم وكبيرهم.

وقرأ هارون الأعور: «نَحِس» بكسر الحاء[٣]، وقد مضى القول فيه في «حم» السجدة: ﴿فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ [الآية:١٦].

و«فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ» أي: دائم الشؤم، استمرَّ عليهم بنحوسه[٤]، واستمرَّ فيه العذاب إلى الهلاك. وقيل: استمرَّ بهم إلى نار جهنَّم[٥]. وقال الضحَّاك: كان مُرًّا عليهم[٦]. وكذا حكى الكسائي أنَّ قوماً قالوا: هو من المرَارة، يقال: مُرَّ الشيء وأمرَّ[٧]، أي: كان كالشيء المرِّ تكرهه النفوس. وقد قال: «فَذُوقُوا» والذي يُذاق قد يكون مُرّاً. وقد قيل: هو من المِرَّة، بمعنى القوَّة[٨]. أي: في يوم نحس مستمرٍّ مستحكم الشؤم، كالشيء المحكم الفتل الذي لا يُطاق نقضه.

فإن قيل: فإذا كان يوم الأربعاء يومَ نحس مستمرٍّ، فكيف يُستجاب فيه الدعاء؟ وقد جاء أنَّ النبيَّ ﷺ استجيب له فيه فيما بين الظهرِ والعصرِ. وقد مضى في «البقرة»[٩] حديث جابر بذلك؟ فالجواب ـ والله أعلم ـ ما جاء في خبر يرويه مسروق عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «أتاني جبريل فقال: إنَّ الله يأمرك أن تقضي باليمين مع الشاهد،

(١) الوسيط ٤/ ٢١٠.

(٢) في معاني القرآن له ٥/ ٨٩.

(٣) لم نقف عليها.

(٤) زاد المسير ٨/ ٩٥.

(٥) أخرجه الطبري ٢٢/ ١٣٥ عن قتادة.

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٢١٦.

(٧) الصحاح (مرر).

(٨) تهذيب اللغة ١٥/ ١٩٦.

(٩) ٣/ ١٨٤.

وقال: يوم الأربعاء يوم نحس مستمر»[١]. ومعلوم أنَّه لم يرد بذلك أنَّه نحس على الصالحين[٢]، بل أراد أنَّه نحس على الفجَّار والمفسدين، كما كانت الأيام النحسات المذكورة في القرآن، نحسات على الكفار من قوم عادٍ لا على نبيِّهم والمؤمنين به منهم، وإذا كان كذلك لم يبعد أن يمهل الظالم من أوَّل يوم الأربعاء إلى أن تزول الشمس، فإذا أدبر النهار ولم يحدث رجعة[٣]، استُجيب دعاء المظلوم عليه، فكان اليوم نحساً على الظالم، ودعاء النبيِّ ﷺ إنَّما كان على الكفار، وقول جابر في حديثه[٤]: لم ينزل بي أمر غليظ؛ إشارة إلى هذا، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ﴾ في موضع الصفة للريح، أي: تَقْلَعهم من مواضعهم[٥].

قيل: قلعتهم من تحت أقدامهم اقتلاعَ النخلة من أصلها[٦]. وقال مجاهد: كانت تقلعهم من الأرض، فترمي بهم على رؤوسهم فتندقُّ أعناقهم وتَبِين رؤوسهم عن

---

(١) لم نقف عليه من رواية مسروق، وأخرجه ابن عدي في الكامل ١/ ٢٣٨ من طريق إبراهيم بن أبي حية، عن أبيه، عن النبي ﷺ مرسلاً، وابن حبان في المجروحين ١/ ١٠٤ ، والبيهقي في السنن الكبرى ١٠/ ١٧٠ من طريق إبراهيم بن أبي حية، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر بن عبد الله مرفوعاً. قال ابن حبان: إبراهيم بن أبي حية يروي عن جعفر وهشام مناكير.

وأخرجه أيضاً ابن عدي في الكامل ٥/ ١٨٨٣ من طريق عيسى بن عبد الله، قال: حدثني أبي، عن أبيه، عن جده، عن علي موقوفاً. وعيسى بن عبد الله هو: عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، الكوفي، قال عنه ابن حبان في المجروحين ٢/ ١٢١ : يروي عن أبيه، عن آبائه أشياء موضوعة.

(٢) في (د) و(ف) و(م): المصلحين، والمثبت من (ظ) و(ك)، والمنهاج في شعب الإيمان للحليمي ١/ ٥٣٦ والكلام منه.

(٣) في المنهاج: ولم تحدث رجفة.

(٤) السالف ٣/ ١٨٤ ، والذي أشار إليه القرطبي آنفاً.

(٥) غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٣٣ .

(٦) تفسير أبي الليث ٣/ ٣٠٠ .

أجسادهم[١]. وقيل: تنزع الناس من البيوت. وقال محمد بن كعب عن أبيه: قال النبيُّ ﷺ: «انتزعت الريحُ الناسَ من قبورهم»[٢]. وقيل: حفروا حُفَراً ودخلوها، فكانت الريح تَنزعُهم منها وتكسرهم، وتبقى تلك الحفر كأنَّها أصول نخل قد هلك ما كان فيها، فتبقى مواضعها منقعرة[٣].

ويروى أنَّ سبعةً منهم حفروا حفراً وقاموا فيها ليردُّوا الريح. قال ابن إسحاق: لما هاجت الريح قام نفرٌ سبعة من عادٍ سُمِّي لنا منهم ستَّةٌ من أَيِّد[٤] عادٍ وأجسمِها، منهم عمرو بن الحليِّ، والحارث بن شداد، والهِلْقام، وابنا تِقْن[٥]، وخَلجَان بن سعد، فأَوْلجوا العيالَ في شِعْب بين جبلين، ثم اصطفُّوا على باب الشِّعب ليردُّوا الريح عمَّن في الشِّعب من العيال، فجعلت الريح تَجْعَفهم[٦] رجلاً رجلاً، فقالت امرأة من عادٍ:

ذهبَ الدهرُ بعمرِو بـ ... ـنِ حليٍّ والهنِيَّاتِ
ثم بالحارث والهِلْـ ... ـقامِ طَلَّاعِ الثنِيَّاتِ
والذي سدَّ مهبَّ الر ... يحِ أيَّامَ البلِيَّاتِ

الطبريُّ[٧]: في الكلام حذف، والمعنى: تنزع الناس فتتركهم كأنَّهم أعجاز نخل منقعِر، فالكاف في موضع نصب بالمحذوف. الزَّجاج[٨]: الكاف في موضع نصب

(١) المحرر الوجيز ٥/٢١٦.

(٢) تفسير البغوي ٤/٢٦١ دون عزوٍ، ولم نقف عليه عند غيره.

(٣) المحرر الوجيز ٥/٢١٦.

(٤) في (م): أشد. والمثبت من النسخ والطبري ٢٢/١٣٥، والكلام منه، والأبيات الآتية منه أيضاً، والأيِّد: القوي. التاج (أيد).

(٥) في الطبري: تيقن.

(٦) جعفه: صَرَعه، وضرب به الأرض. اللسان (جعف).

(٧) في التفسير ٢٢/١٣٨، ومشكل إعراب القرآن لمكي ٢/٦٩٩.

(٨) في معاني القرآن له ٥/٨٩.

على الحال، والمعنى: تنزع الناس مشبَّهين بأعجاز نخل. والتشبيه قيل: إنَّه للحُفَر التي كانوا فيها[١].

والأعجاز جمع عَجُز: وهو مؤخَّر الشيء[٢]. وكانت عاد موصوفين بطول القامة، فشُبِّهوا بالنخل انكبَّت لوجوهها. وقال: «أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ» للفظ النخل، وهو من الجمع الذي يذكَّر ويؤنَّث[٣]. والمنقعر: المنقلع من أصله، قعرتُ الشجرةَ قعراً: قلعتُها من أصلها فانقعرت. الكسائي: قعرتُ البئرَ، أي: نزلتُ حتى انتهيتُ إلى قعرها، وكذلك الإناء إذا شربت ما فيه حتى انتهيت إلى قعره. وأقعرتُ البئرَ: جعلتُ لها قعراً[٤].

وقال أبو بكر بنُ الأنباري: سئل المبرِّد بحضرة إسماعيل القاضي عن ألف مسألة هذه من جملتها، فقيل له: ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ [الأنبياء: ٨١] و﴿جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ [يونس: ٢٢]، وقوله: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧] و﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ [القمر: ٢٠] فقال: كلُّ ما ورَدَ عليك من هذا الباب فإن شئت رددته إلى اللفظ تذكيراً، أو إلى المعنى تأنيثاً. وقيل: إنَّ النخل والنخيل بمعنًى يذكَّر ويؤنَّث كما ذكرنا. ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ . وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ تقدَّم.

**قوله تعالى:** ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ﴾ هم قوم صالح كذَّبوا الرسل ونبيَّهم، أو كذَّبوا بالآيات التي هي النذر ﴿فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥ﴾ ونَدَعُ جماعةً[٥].

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٩٢ .

(٢) الصحاح (عجز).

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٩١ .

(٤) الصحاح (قعر).

(٥) تفسير الطبري ٢٢/ ١٣٩ .

وقرأ أبو الأشهب وابن السَّمَيْفَع وأبو السَّمَّال العدويُّ: «أَبَشَرٌ» بالرفع «وَاحِدٌ» كذلك رفع بالابتداء، والخبر: «نَتَّبِعُهُ». الباقون بالنصب على معنى: أنتَّبع بشراً منَّا واحداً نتبعه. وقرأ أبو السَّمَّال: «أَبَشَرٌ» بالرفع «مِنَّا واحِداً» بالنصب، رفع «أَبَشَرٌ» بإضمار فعل يدلُّ عليه «أَؤُلْقِيَ» كأنَّه قال: أينبَّأ بشرٌ منَّا، وقوله: «وَاحِداً» يجوز أن يكون حالاً من المضمر في «مِنَّا» والناصب له الظرف، والتقدير: أينبَّأ بشرٌ كائن منَّا منفرداً، ويجوز أن يكون حالاً من الضمير في «نَتَّبِعُهُ» منفرداً لا ناصر له[1].

﴿إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ﴾ أي: ذهاب عن الصواب[2] ﴿وَسُعُرٍ﴾ أي: جنون، من قولهم: ناقة مسعورة[3]، أي: كأنَّها من شدَّة نشاطها مجنونة[4]، ذكره ابن عباس[5]. قال الشاعر يصف ناقته:

تَخالُ بها سُعْراً إذا السَّفْرُ[6] هَزَّهَا ذَمِيلٌ وإيقاعٌ من السَّيْرِ مُتْعِبُ[7]

وقال ابن عباس أيضاً: السُّعر: العذاب[8]، وقاله الفراء[9]. مجاهد: بعد من

---

(١) المحتسب ٢/ ٢٩٨، وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٩٣، والكشاف ٤/ ٣٩، والمحرر الوجيز ٥/ ٢١٧، والبحر المحيط ٨/ ١٧٩.

(٢) تفسير الطبري ٢٢/ ١٣٩.

(٣) الكشاف ٤/ ٣٩.

(٤) غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٣٣.

(٥) الوسيط ٤/ ٢١١، وزاد المسير ٨/ ٩٦.

(٦) في (د)، و(ظ): العيس، وفي (ف): الشعر، والمثبت من (ك) و (م).

(٧) أورده الزمخشري في الكشاف ٤/ ٣٩ وروايته:

كأن بها سعراً إذا العيس هزَّها ذميل وإرخاء من السير متعب

وجاء بهامش (ك) وبعد البيت في (م): «الذميل: ضرب من سير الإبل. قال أبو عبيد: إذا ارتفع السير عن العَنَق قليلاً فهو التزيُّد، فإذا ارتفع عن ذلك فهو الذميل، ثم الرسيمُ، يقال: ذَمَل يَذْمُل ويَذمِل ذَمِيلاً. قال الأصمعي: ولا يَذمُل بعير يوماً وليلةً إلا مَهْريٌّ. قاله الجوهري». اهـ الصحاح (ذمل).

(٨) تفسير البغوي ٤/ ٢٦١.

(٩) في معاني القرآن له ٣/ ١٠٨.

الحقّ[١]. السديُّ: في احتراق[٢]. قال:

أصحوتَ اليومَ أمْ شاقَتْكَ هِرّ ... ومِنَ الْحُبِّ جُنُونٌ مُسْتَعِرْ[٣]

أي: متَّقد ومحترق. أبو عبيدة[٤]: هو جمع سعير، وهو لهيب النار. والبعير المجنون يذهب كذا وكذا لما يتلهَّب به من الحدَّة. ومعنى الآية: إنَّا إذاً لفي شقاء وعناء مما يلزمنا.

قوله تعالى: ﴿أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ أي: خُصِّصَ بالرسالة من بين آل ثمود، وفيهم من هو أكثر مالاً وأحسن حالاً؟! وهو استفهام معناه الإنكار[٥]. ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ أي: ليس كما يدَّعيه، وإنَّما يريد أن يتعاظم ويلتمس التكبُّر علينا من غير استحقاق. والأَشَر: المَرَح والتَجبُّر[٦] والنَّشاط[٧]. يقال: فرس أَشِر، إذا كان مرحاً نشيطاً، قال امرؤ القيس يصف كلباً:

فيدركنا فَغِمٌ داجِنٌ ... سمِيعٌ بصِيرٌ طَلُوبٌ نَكِرْ

أَلَصُّ الضُّرُوسِ حَنِيُّ الضُّلُوعِ ... تَبُوعٌ أَرِيبٌ نَشِيطٌ أَشِرْ[٨]

وقيل: «أَشِرٌ» بَطِر. والأَشَر: البَطَر، قال الشاعر:

---

(١) في تفسير مجاهد ٢/ ٦٣٧ : السعر: الضلال أيضاً.

(٢) النكت والعيون ٥/ ٤١٥ ، وفيه: الافتراق، بدل: الاحتراق.

(٣) القائل طرفة بن العبد، وهو في ديوانه ص٥٠ .

(٤) في مجاز القرآن له ٢/ ٢٤١ .

(٥) تفسير الطبري ٢٢/ ١٤٠ بنحوه.

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٢٦٢ .

(٧) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٢٤١ .

(٨) ديوان امرئ القيس ص١٦٠ - ١٦١ ، وفيه: أريب، بدل: طلوب، قال شارحه: الفَغِم: المولع بالشيء الحريص عليه. وداجن: آلف، قد عاود الصيد غير مرَّة. وألصُّ الضروس: ملتصقة بعضها إلى بعض. وحنيُّ الضلوع: ضلوعه منحنية معطوفة.

أَشِـرْتُـمْ بِـلُـبْـس الـخَـزِّ لـمّـا لَـبِـسْـتُـمُ ... ومِن قبلُ ما تَدْرونَ مَنْ فَتَحَ الْقُرَى[١]

وقد أَشِرَ بالكسر يأشَر أَشَراً، فهو أَشِر وأَشْرانُ، وقوم أُشَارى مثل سَكْران وسُكَارى، قال الشاعر:

وخَـلَّـت وُعُـولاً أُشَـارَى بـهـا ... وقـد أَزْهَـفَ الـطَّـعْـنُ أبـطـالَـهَـا[٢]

وقيل: إنَّه المتعدِّي إلى منزلة لا يستحقُّها[٣]، والمعنى واحد. وقال ابن زيد وعبدالرحمن بن حمَّاد: الأَشِر: الذي لا يبالي ما قال[٤].

وقرأ أبو جعفر وأبو قِلابة: «أَشَرُّ» بفتح الشين وتشديد الراء[٥]، يعني به: أشرّنا وأخبثنا.

﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا﴾ أي: سيرون العذاب يوم القيامة، أو في حال نزول العذاب بهم في الدنيا[٦].

وقرأ ابن عامر وحمزة بالتاء، على أنَّه من قول صالح لهم على الخطاب. الباقون بالياء؛ إخبار من الله تعالى لصالح عنهم[٧].

وقوله: «غَداً» على التقريب على عادة الناس في قولهم للعواقب: إنَّ مع اليوم غداً[٨]، قال:

---

(١) النكت والعيون ٥/ ٤١٥ ، ولم ينسبه.

(٢) الصحاح (أشر)، قال ابن برِّي في التنبيه والإيضاح ٢/ ٧٨ : البيت لميَّة بنت ضرار الضبيَّة ترثي أخاها، وأزهف الطعنُ أبطالها: أي: صَرَعها.

(٣) النكت والعيون ٥/ ٤١٥ .

(٤) أخرجه الطبري ٢٢/ ١٤٠ عن عبد الرحمن بن أبي حماد.

(٥) ذكرها العكبري في إملاء ما منَّ به الرحمن ٤/ ٣٦٦ - ٣٦٧ ، والفخر الرازي ٢٩/ ٥١ ولم ينسباها.

(٦) الوسيط ٤/ ٢١١ .

(٧) تفسير أبي الليث ٣/ ٣٠٠ ، والقراءة في السبعة ص٦١٨ ، والتيسير ص٢٠٦ .

(٨) تفسير البغوي ٤/ ٢٦٢ .

لِلموتِ فيها سِهامٌ غير مُخْطِئَةٍ مَنْ لم يكن مَيتاً في اليومِ ماتَ غَدَا[(١)]

وقال أبو الطَّمَحان[(٢)]:

أَلَا عَلِّلَانِي قبل نَوْحِ النَّوَائِحِ وقَبْل اضْطرَابِ النَّفْسِ بينَ الْجَوَانِحِ
وقبلَ غَدٍ يا لَهْفَ نفسِي على غَدٍ إذا رَاح أصحابي ولستُ برائِح

إنَّما أرادَ وقتَ الموت، ولم يُرِدْ غداً بعينه.

﴿مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ﴾ وقرأ أبو قلابة: «الْأَشَرُّ» بفتح الشين وتشديد الراء[(٣)]، جاء به على الأصل. قال أبو حاتم: لا تكاد العرب تتكلم بالأَشَرّ والأَخْيَر إلا في ضرورة الشعر، كقول رؤبة:

بِلَالُ خَيْرُ الناسِ وابنُ الأَخْيَرِ[(٤)]

وإنَّما يقولون: هو خير قومه، وهو شرُّ الناس، قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] وقال: ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ [مريم: ٧٥]. وعن أبي حيوة: بفتح الشين وتخفيف الراء[(٥)]. وعن مجاهد وسعيد بن جُبَير: ضمُّ الشين والراء والتخفيف[(٦)]، قال النحَّاس: وهو معنى «الأشِر» ومثله: رجل حَذِر وحَذُر.

---

(١) القائل أبو العتاهية، وهو في ديوانه ص١١١ ، وجاءت رواية عجزه هكذا:
من فاته اليوم سهم لم يفته غدا

(٢) في النسخ الخطية: أبو الطماح، وفي (م): الطرِمَّاح. والمثبت من مصادر التخريج، فالبيتان ذكرهما المرزوقي في شرح ديوان الحماسة ٣/ ١٢٦٦ ، والبصري في الحماسة البصرية ١/ ١٣٢ ، ونسباهما إلى أبي الطَّمَحان القيني، وجاء فيه: صدح، بدل: نوح. وارتقاء، بدل: اضطراب. وذكرهما ابن عبد ربِّه في العقد الفريد ٣/ ٢٤٨ ونسبهما إلى هدبة العذري، وفيه: اطلاع، بدل: اضطراب. ولم نقف على البيتين في ديوان الطرماح.

(٣) القراءات الشاذة ص١٤٧ ، والمحتسب ٢/ ٢٩٩ .

(٤) ذكره ابن جنيٍّ في المحتسب ٢/ ٢٩٩ ، ولم نقف عليه في ديوان رؤبة ولا العجاج.

(٥) القراءات الشاذة ص١٤٨ .

(٦) القراءات الشاذة ص١٤٨ ، والمحتسب ٢/ ٢٩٩ ، والبحر المحيط ٨/ ١٨٠ .

قوله تعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ﴾ أي: مخرجوها من الهضبة التي سألوها، فروي أنَّ صالحاً صلَّى ركعتين ودعا، فانصدعت الصخرةُ التي عيَّنوها عن سنامها، فخرجت ناقةٌ عُشَراء جرداء[(١)]. ﴿فِتْنَةً لَّهُمْ﴾ أي: اختباراً، وهو مفعول له[(٢)]. ﴿فَٱرْتَقِبْهُمْ﴾ أي: انتظر ما يصنعون. ﴿وَٱصْطَبِرْ﴾ أي: اصبر على أذاهم[(٣)]، وأصل الطاء في اصطبر تاء، فتحوَّلت طاء؛ لتكون موافقة للصاد في الإطباق[(٤)].

﴿وَنَبِّئْهُمْ﴾: أي: أخبِرهم ﴿أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ﴾ أي: بين آلِ ثمودَ وبين الناقة، لها يوم ولهم يوم[(٥)]، كما قال تعالى: ﴿لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الشعراء: ١٥٥] قال ابن عباس: كان يوم شِربهم لا تشرب الناقةُ شيئاً من الماء، وتسقيهم لبناً، وكانوا في نعيم، وإذا كان يوم الناقة شربت الماءَ كلَّه، فلم تُبْقِ لهم شيئاً[(٦)]. وإنَّما قال: «بَيْنَهُمْ» لأنَّ العرب إذا أخبروا عن بني آدم مع البهائم، غلَّبوا بني آدم[(٧)].

وروى أبو الزبير عن جابر قال: لما نزلنا الحجْرَ في مغزى رسول الله ﷺ تَبوك، قال: «أيُها الناس لا تسألوا في هذه الآيات، هؤلاء قوم صالح سألوا نبيَّهم أن يبعثَ الله

(١) عرائس المجالس ص٦٨، وفيه: وبراء، بدل: جرداء، وكذا جاءت في (م).

(٢) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٨٩.

(٣) الوسيط ٤/ ٢١١.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٩٤.

(٥) غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٣٣.

(٦) الوسيط ٤/ ٢١١.

(٧) تفسير البغوي ٤/ ٢٦٢.

لهم ناقةً، فبعث اللهُ عزَّ وجلَّ إليهم الناقة، فكانت تَرِدُ من ذلك الفجِّ فتشرب ماءَهم يوم وِردها، ويحلبون منها مثلَ الذي كانوا يشربون يوم غِبِّها» وهو معنى قوله تعالى: «وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ»[١].

﴿كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ الشِّرْب ـ بالكسر ـ الحَظُّ من الماء، وفي المثل: آخرها أقلُّها شِرْباً. وأصله في سقي الإبل؛ لأنَّ آخرَها يَرِدُ وقد نُزِفَ الحوضُ[٢].

ومعنى «مُحْتَضَرٌ» أي: يحضُره مَن هو له، فالناقة تَحضر الماءَ يوم وِردها، وتغيب عنهم يوم وِردهم، قاله مقاتل. وقال مجاهد: إنَّ ثمود يحضرون الماءَ يوم غبِّها فيشربون، ويحضرون اللبنَ يوم وِردها فيحتلبون[٣].

قوله تعالى: ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ﴾ يعني بالحضِّ على عَقْرها ﴿فَتَعَاطَىٰ﴾ عقرها ﴿فَعَقَرَ﴾ هَا، ومعنى تعاطى: تناول الفعل، من قولهم: عَطَوتُ، أي: تناولتُ[٤]، ومنه قول حسان:

كِلْتَاهُمَا حَلَبُ العَصِيرِ فعَاطِنِي بزجاجةٍ أرخاهما للمِفْصَلِ[٥]

قال محمد بن إسحاق: فكَمِنَ لها في أصل شجرة على طريقها، فرماها بسهم فانتظم به عَضَلة ساقها، ثم شدَّ عليها بالسيف فكشف عُرْقوبها، فخرَّت ورَغت رُغاءةً

---

(١) النكت والعيون ٥/ ٤١٥، وعرائس المجالس ص٧٣، والحديث أخرجه أحمد (١٤١٦٠)، والبزار (١٨٤٤ كشف الأستار)، والطبري ١٠/ ٢٩٦، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٣٧٥٥) من طريق ابن خُثَيْم، والطبراني في الأوسط (٩٠٦٥) من طريق ابن لهيعة، كلاهما عن أبي الزبير، عن جابر بنحوه. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/ ١٩٤ و ٧/ ٣٨: رواه أحمد والبزار والطبراني في الأوسط، ورجال أحمد رجال الصحيح.

(٢) الصحاح (شرب)، والمثل في مجمع الأمثال للميداني ١/ ٤١- ٤٢.

(٣) النكت والعيون ٥/ ٤١٦، وخبر مجاهد في تفسيره ٢/ ٦٣٧.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٩٥.

(٥) ديوان حسان ص١٨١، قال البغدادي في خزانة الأدب ٤/ ٣٨٩: كلتاهما... إلخ. أراد كلتا الممزوجة والصرف، حلبُ العنب، فناوِلْني أشدَّهما إرخاء وهي الصرف. والحلب: بمعنى المحلوب. والمفصل: روي بكسر الميم وفتح الصاد، وهو اللسان، لأنه آلة يُفصَل به، ويروى بفتح الميم وكسر الصاد، وهو موضع انفصال العضو.

واحدة تحَدّر سَقْبها من بطنها، ثم نَحرها وانطلق سَقْبها، حتى أتى صخرة في رأس جبل فرغا ثم لَاذَ بها، فأتاهم صالح عليه السلام، فلما رأى الناقة قد عُقِرت، بكى وقال: قد انتهكتم حرمةَ الله فأبشروا بعذاب الله[١]. وقد مضى في «الأعراف»[٢] بيان هذا المعنى. قال ابن عباس: وكان الذي عقرها: أحمر أزرق أشقر أكشف أقفى[٣]. ويقال في اسمه: قُدَار بن سالف. وقال الأفوه الأَوْديُّ:

أو قَبْلَه كقُدَارٍ حين تَابَعَهُ ... على الغَوَايةِ أقوامٌ فقد بادُوا

والعرب تسمِّي الجزَّار قُداراً؛ تشبيهاً بقُدَار بن سالف مشؤم آلِ ثمودَ، قال مُهلهِل:

إنَّا لَنَضْرِبُ بالسُّيُوفِ رؤُوسَهمْ ... ضَرْبَ القُدَارِ نَقِيعَةَ القُدَّامِ[٤]

وذكره زهير فقال:

فَتُنْتَجْ لكمْ غِلمانَ أَشْأَمَ كُلُّهُمْ ... كأحمرِ عادٍ ثُمَّ تُرْضِعْ فتَفْطِمِ[٥]

يريد: الحرب، فكنَّى عن ثمود بعاد.

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ يريد صيحة جبريلَ عليه السلام، وقد مضى في «هود»[٦]. ﴿فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾ وقرأ الحسن وقتادة وأبو العالية: «المحْتَظَر» بفتح الظاء[٧]، أرادوا الحظيرة. الباقون بالكسر، أرادوا صاحبَ الحظيرةِ.

---

(١) النكت والعيون ٥/ ٤١٦ .

(٢) ٩/ ٢٧٠ .

(٣) النكت والعيون ٥/ ٤١٦ ، وما بعده منه، والبيت في زهر الأكم لليوسي ٢/ ٢٧٥ ، وفيه: أو بعده، بدل: أو قبله.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢١٨ ، والبيت في الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي ٣/ ٧١ ، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٣/ ١٠٢٥ . قال أبو حيان: والقُدَّام: رؤساء الجيوش، والواحد: قادم. وقال المرزوقي: والنقيعة: بعير ينحره رئيس القوم قبل القسمة فيطعمه الناس كذلك.

(٥) شرح ديوان زهير ص٢٠ ، قال شارحه: تُنْتج: يعني الحرب. غلمان أشأم: غلمان شؤم. أي: كلهم في الشؤم كأحمر عاد، وإنما أراد أحمر ثمود. ثم ترضع فتفطم: يريد أنه يَتِمُّ أمر الحرب، كالمرأة إذا أرضعت ثم فطمت فقد تمَّت.

(٦) ١١/ ١٥٦ .

(٧) القراءات الشاذة ص١٤٨ ، والمحتسب ٢/ ٢٩٩ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٢١٨ .

وفي «الصحاح»[١] والمحتظِر: الذي يعمل الحظيرة. وقرئ: «كَهَشِيمِ المحتظَر» فمن كسره جعله الفاعلَ، ومن فتحه جعله المفعولَ به. ويقال للرجل القليل الخير: إنَّه لنَكِدُ الحظِيرةِ. قال أبو عبيد: أراه سمَّى أمواله حظيرة؛ لأنَّه حظرها عنده ومنَعَها، وهي فعيلة بمعنى مفعولة[٢].

المهدويُّ: من فتح الظاء من «المحتظر» فهو مصدر، والمعنى: كهشيم الاحتظار. ويجوز أن يكون «المحتظَر» هو الشجر المتَّخذ منه الحظيرة. قال ابن عباس: «المحتظِر»: هو الرجل يجعل لغنمه حظيرة بالشجر والشوك، فما سقط من ذلك وداسته الغنم فهو الهشيم[٣]. قال:

أَثَرْنَ عَجاجَةً كدخانِ نارٍ تشبُّ بغَرْقَدٍ بالٍ هَشِيمِ[٤]

وعنه: كحشيش تأكله الغنم. وعنه أيضاً: كالعظام النخرة المحترقة، وهو قول قتادة[٥]. وقال سعيد بن جُبير: هو التراب المتناثر من الحيطان في يوم ريح[٦]. وقال سفيان الثوري: هو ما تناثر من الحظيرة إذا ضربتها بالعصا، وهو فعيل بمعنى مفعول[٧]. وقال ابن زيد: العرب تسمِّي كلَّ شيء كان رطباً فيبس هشيماً[٨]. والحظْر: المنع، والمحتظر المفتعل، ويقال منه: احتظر على إبله وحظر، أي: جمع الشجر ووضع بعضه فوق بعض؛ ليمنع بَرْدَ الريح والسباع عن إبله[٩]، قال الشاعر:

(١) مادة: «حظر».

(٢) مجمع الأمثال للميداني ١/ ٤٧ .

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٢٦٢ .

(٤) النكت والعيون ٥/ ٤١٧ ، وما بعده منه أيضاً، ولم نقف على قائل البيت.

(٥) أخرجه عنهما الطبري ٢٢/ ١٤٥ - ١٤٦ .

(٦) النكت والعيون ٥/ ٤١٧ .

(٧) أخرجه الطبري ٢٢/ ١٤٨ .

(٨) تفسير البغوي ٤/ ٢٦٢ .

(٩) الوسيط ٤/ ٢١١ .

تَـرَى جِـيَـفَ الـمَـطِـيِّ بِـجَـانِـبِـيـهِ كَـأَنَّ عِـظَـامَـهَـا خَـشَـبُ الـهَـشِـيـمِ[١]

وعن ابن عباس: أنَّهم كانوا مثل القمح الذي ديس وهشم. فالمحتظر على هذا: الذي يتَّخذ حظيرة على زرعه، والهشيم: فُتات السنبلة والتبن. ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾.

**قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾﴾**

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ﴾ أخبر عن قوم لوط أيضاً لما كذَّبوا لوطاً ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾ أي: ريحاً ترميهم بالحصباء وهي الحصى[٢]. قال النّضر: الحاصب: الحصباء في الريح. وقال أبو عبيدة: الحاصب: الحجارة[٣]. وفي «الصحاح»[٤]: والحاصب: الريح الشديدة التي تثير الحصباء، وكذلك الحَصِبة، قال لَبِيد:

جَـرَّتْ عـلـيـهـا أَنْ خَـوَتْ مِـن أهـلـهـا أذيـالَـهـا كُـلُّ عَـصُـوفٍ حَـصِـبَـهْ

عصفت الريح، أي: اشتدَّت، فهي ريح عاصفٌ وعَصوف[٥]. وقال الفَرَزْدق[٦]:

مستقبلين شمالَ الشامِ تَضرِبُنا بحاصبٍ كنَديفِ القُطْنِ منثورِ

---

(١) القائل عمرو بن معدي كرب، وهو في الأصمعيات ص١٧٦ ، إلا أنه ورد فيه البيت هكذا:

تـرى جـيـف الـمـطـيِّ بـحـافـتـيـه كـأنَّ عـظـامـهـا الـرَّخَـم الـوقـوع

(٢) الكشاف ٤/ ٤٠ .

(٣) الوسيط ٤/ ٢١١ ، وكلام أبي عبيدة في مجاز القرآن له ٢/ ٢٤١ .

(٤) مادة (حصب)، والبيت الآتي للبيد وهو في شرح ديوانه ص٣٥٥ ، وسلف ١٣/ ١٢٤ .

(٥) الصحاح (عصف).

(٦) في ديوانه ١/ ٢١٣ ، وسلف ١٣/ ١٢٤ .

﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ﴾ يعني: من تبعه على دينه، ولم يكن إلا بنتاه[(١)] ﴿نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ﴾ قال الأخفش: إنَّما أجراه؛ لأنَّه نكرة، ولو أراد سَحَرَ يوم بعينه لما أجراه، ونظيره: ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا﴾ [البقرة: ٦١] لما نكَّره، فلما عرَّفه في قوله: ﴿ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [يوسف: ٩٩] لم يُجْرِ، وكذا قال الزجَّاج[(٢)]: «سحر» إذا كان نكرةً يُراد به سَحَراً من الأسحار يصرف، تقول: أتيته سحراً، فإذا أردتَ سَحَرَ يومكَ، لم تصرفه، تقول: أتيته سَحَر يا هذا، وأتيته بسحر. والسَّحَرُ: هو ما بين آخرِ الليل وطلوع الفجر، وهو في كلام العرب اختلاطُ سواد الليل ببياض أوَّل النهار؛ لأنَّ في هذا الوقت يكون مخاييل الليل ومخاييل النهار[(٣)].

﴿نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ إنعاماً منَّا على لوط وابنتَيْه، فهو نَصْب؛ لأنَّه مفعول له[(٤)]. ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ﴾ أي: من آمنَ بالله وأطاعه[(٥)].

﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم﴾ يعني: لوطاً، خوَّفهم ﴿بَطْشَتَنَا﴾ عقوبتنا، وأَخْذنا إيَّاهم بالعذاب ﴿فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ﴾ أي: شكُّوا فيما أنذرهم به الرسولُ ولم يصدِّقوه[(٦)]، وهو تفاعل من المِرْية[(٧)].

﴿وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ﴾ أي: أرادوا منه تمكينَهم ممَّن كان أتاه من الملائكة في هيئة الأضياف؛ طلباً للفاحشة على ما تقدّم[(٨)]. يقال: راوَدْته على كذا مُرَاوَدةً ورِوَاداً، أي: أَردتُه. ورَادَ الكلأَ يَرُوده رَوْداً ورِياداً، وارْتاده ارتياداً بمعنًى، أي: طلبه، وفي الحديث: «إذا بال أحدكم فلْيَرْتَدْ لِبوله» أي: يطلب مكاناً ليِّناً أو منحدراً[(٩)].

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٢٦٣ .
(٢) في معاني القرآن له ٥/ ٩٠ .
(٣) النكت والعيون ٥/ ٤١٨ .
(٤) في النسخ: (به)، والمثبت من معاني القرآن للزجاج ٥/ ٩٠ ، والكلام منه.
(٥) الكشاف ٤/ ٤٠ .
(٦) الوسيط ٤/ ٢١٢ .
(٧) تفسير الطبري ٢٢/ ١٤٩ .
(٨) ١١/ ١٧٦ .
(٩) الصحاح (رود)، والحديث أخرجه أحمد (١٩٥٣٧)، وأبو داود (٣) عن أبي موسى الأشعري ﷺ. قال المنذري في مختصر السنن ١/ ١٥ : فيه مجهول.

﴿فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ﴾ يُروى أنَّ جبريل عليه السلام ضربهم بجناحه فَعموا[١]. وقيل: صارت أعينهم كسائر الوجه لا يُرى لها شقٌّ، كما تطمس الريحُ الأعلامَ بما تسفي عليها من التراب[٢]. وقيل: لا، بل أعماهم اللهُ مع صحَّة أبصارهم، فلم يروهم[٣]. قال الضحَّاك: طمس اللهُ على أبصارهم فلم يروا الرسل، فقالوا: لقد رأيناهم حين دخلوا البيتَ، فأين ذهبوا؟ فرجعوا ولم يروهم[٤]. ﴿فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ أي: فقلنا لهم: ذوقوا، والمراد من هذا الأمر الخبر، أي: فأذقتهم عذابي الذي أنذرهم به لوط[٥].

﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾ أي: دائم عامٌّ استقرَّ فيهم حتى يفضي بهم إلى عذاب الآخرة[٦]. وذلك العذاب قَلْب قريتهم عليهم، وجعل أعلاها أسفلها. و«بُكْرَةً» هنا نكرة، فلذلك صرفت[٧]. ﴿فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ العذاب الذي نزل بهم من طمس الأعين غير العذاب الذي أُهلكوا[٨] به، فلذلك حسُن التكرير. ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ تقدَّم.

**قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾﴾**

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ﴾ يعني: القبط[٩]، و«النُّذُرُ» موسى

(١) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٩١، وأخرجه الطبري ٢٢/ ١٥٠ عن قتادة.

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٢٤١، وتفسير الطبري ٢٢/ ١٤٩ - ١٥٠.

(٣) النكت والعيون ٥/ ٤١٨.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٢٦٣.

(٥) تفسير الطبري ٢٢/ ١٥٢ بنحوه.

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٢٦٣.

(٧) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٩٨.

(٨) تفسير الرازي ٢٢/ ٦٣.

(٩) الوسيط ٤/ ٢١٢.

وهارون[١] وقد يطلق لفظ الجمع على الاثنين. ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ معجزاتنا الدَّالَّة على توحدينا ونبوَّة أنبيائنا[٢]، وهي العصا، واليد، والسِّنون، والطمسة، والطوفان، والجراد، والقمَّل، والضفادع، والدم. وقيل: «النُّذُرُ»: الرسل، فقد جاءهم يوسف وبَنُوهُ إلى أن جاءهم موسى، وقيل: «النذر» الإنذار[٣]. ﴿فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ﴾ أي: غالب في انتقامه ﴿مُّقْتَدِرٍ﴾ أي: قادر على ما أراد.

**قوله تعالى: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾**

قوله تعالى: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ﴾ خاطب العرب. وقيل: أراد كفَّار أمَّة محمَّد ﷺ[٤]. وقيل: استفهام، وهو استفهام إنكار[٥]، ومعناه النفي، أي: ليس كفاركم خيراً من كفَّار مَن تقدَّم من الأُمم الذين أهلكوا بكفرهم[٦]. ﴿أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ﴾ أي: في الكتب المنزلة على الأنبياء بالسلامة من العقوبة[٧]. وقال ابن عباس: أم لكم في اللوح المحفوظ براءةٌ من العذاب. ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾ أي: جماعة لا تطاق؛ لكثرة عددهم وقوَّتهم[٨]، ولم يقل: منتصرين؛ اتباعاً لرؤوس الآي[٩]، فردَّ اللهُ عليهم فقال: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ﴾ أي: جَمْعُ كفَّار مكَّة، وقد كان ذلك يوم بدر وغيره[١٠].

---

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ٣٠٣.
(٢) الوسيط ٤/ ٢١٢.
(٣) زاد المسير ٨/ ١٠٠.
(٤) أخرجه الطبري ٢٢/ ١٥٦ عن الربيع بن أنس.
(٥) تفسير البغوي ٤/ ٢٦٤.
(٦) النكت والعيون ٥/ ٤١٩.
(٧) غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٣٤.
(٨) النكت والعيون ٥/ ٤١٩.
(٩) تفسير البغوي ٤/ ٢٦٤.
(١٠) تفسير أبي الليث ٣/ ٣٠٣، والنكت والعيون ٥/ ٤١٩.

وقراءة العامة: «سَيُهْزَمُ» بالياء، على ما لم يُسَمَّ فاعله، «الْجَمْعُ» بالرفع. وقرأ رُوَيس عن يعقوب: «سَنَهْزِم» بالنون وكسر الزاي «الْجَمْعَ» نصباً[(١)].

﴿وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ قراءة العامة بالياء؛ على الخبر عنهم. وقرأ عيسى وابن إسحاق ورُوَيس عن يعقوب: «وَتُوَلُّونَ» بالتاء؛ على الخطاب[(٢)].

و«الدُّبُرَ» اسم جنس، كالدرهم والدينار، فوحّد، والمراد الجمع[(٣)]؛ لأجل رؤوس الآي. وقال مقاتل: ضرب أبو جهل فرسَه يوم بدر فتقدَّم من الصَّفِّ وقال: نحن ننتصر اليوم من محمَّد وأصحابه؛ فأنزل اللهُ تعالى: «نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِر. سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ»[(٤)].

وقال سعيد بن جبير: قال سعد بن أبي وقَّاص: لما نزل قوله تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ كنت لا أدري أيَّ الجَمْع ينهزم، فلما كان يوم بَدْر رأيتُ النبيَّ ﷺ يَثِب في الدرع ويقول: «اللَّهمَّ إنَّ قريشاً جاءتك تُحَادُّك وتُحادُّ رسولَك بفخرها وخيلها[(٥)] فَأَحِنْهُم[(٦)] الغداةَ». ثم قال: «سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ» فعرفتُ تأويلها[(٧)]. وهذا من معجزات النبيِّ ﷺ؛ لأنَّه أخبر عن غيب، فكان كما أخبر[(٨)].

---

(١) النشر ٢/ ٣٨٠.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٢٠، وزاد المسير ٨/ ١٠٠، والبحر المحيط ٨/ ١٨٣.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٢٦٤.

(٤) الكشاف ٤/ ٤١ ولم ينسبه.

(٥) في (م): وخيلائها.

(٦) في (م): فأخنهم. ولم تنقط في النسخ الخطية، والمثبت من مصادر التخريج، والحَيْنُ: الهلاك، وقد حان، وأحانه الله. القاموس (حين)، وأخنى عليهم بمعناه. القاموس (خني)، وسيذكره المصنف قريباً. ودعاؤه ﷺ على قريش ورد في خبر آخر عند ابن هشام في السيرة ١/ ٦٢، والواقدي في المغازي ١/ ٥٩ عن سعد بن معاذ.

(٧) لم نقف عليه من رواية سعد بن أبي وقاص، وأخرجه عبد الرزاق في التفسير ٢/ ٢٥٩، والطبري ٢٢/ ١٥٧، من طريق عكرمة، أن عمر قال: لما نزلت: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ﴾.. بنحوه.
وأخرجه الطبراني في الأوسط (٣٨٤١) من طريق معمر، عن قتادة، عن أنس: أن عمر بن الخطاب قال: لما نزلت: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾.. بنحوه. وبرقم (٩١١٧) عن أبي هريرة مطولاً، وذكرهما الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/ ٧٨، وقال عن الأول: وفيه محمد بن إسماعيل بن علي الأنصاري، ولم أعرفه. وقال عن الثاني: وفيه عبد العزيز بن عمران، وهو ضعيف.

(٨) تفسير أبي الليث ٣/ ٣٠٢.

أخنى عليه الدهر. أي: أتى عليه وأهلكه، ومنه قول النابغة:

أَخْنَى عليه الذي أَخْنَى على لُبَدِ

وأخنيت عليه: أفسدت[(١)]. قال ابن عباس: كان بين نزول هذه الآية وبين بدر سبع سنين، فالآية على هذا مكيَّة. وفي «البخاري»[(٢)] عن عائشة أمِّ المؤمنين رضي الله عنها قالت: لقد أُنزل على محمَّد ﷺ بمكَّة وإنِّي لجارية ألعب: «بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ». وعن ابن عباس أنَّ النبيَّ ﷺ قال ـ وهو في قبَّة له يوم بدر ـ: «أنشدُكَ عهدَكَ ووعدَكَ، اللَّهمَّ إن شئتَ لم تُعبدْ بعدَ اليوم أبداً» فأخذ أبو بكر رضي الله عنه بيده وقال: حَسْبُك يا رسولَ الله، فقد ألححتَ على ربِّك؛ وهو في الدِّرْع، فخرج وهو يقول: «سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ. بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ»[(٣)] يريد القيامة.

«وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ» أي: أدهى وأمرُّ مما لحقهم يوم بدر[(٤)]. و«أَدْهَى» من الداهية، وهي الأمر العظيم، يقال: دهاه أَمْرُ كذا، أي: أصابه دهواً ودهياً. وقال ابن السِّكِّيت: دَهَتْه داهيةٌ دَهْواء ودَهْياء، وهي توكيدٌ لها[(٥)].

**قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَـٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾**

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَـٰلٍ وَسُعُرٍ﴾ **فيه أربع مسائل:**

**الأولى**: قوله تعالى: «إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ» أي: في حَيْدةٍ عن الحقِّ و«سُعُرٍ» أي: احتراق[(٦)]. وقيل: جنون[(٧)]، على ما تقدَّم في هذه السورة.

---

(١) الصحاح (خني)، والبيت في ديوان النابغة الذبياني ص٣١، وروايته هكذا:

أمست خلاءً وأمسى أهلُها احتملوا أخنى عليها الذي أخنى على لبد

(٢) برقم (٤٨٧٦).

(٣) البخاري (٤٨٧٧)، وهو عند أحمد (٣٠٤٢).

(٤) معاني القرآن للفراء ٣/ ١١٠.

(٥) الصحاح (دهي)، وكلام ابن السكيت في إصلاح المنطق ص١٥٧.

(٦) تفسير الطبري ٢٢/ ١٥٩.

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٢٢١.

﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾: في «صحيح مسلم» عن أبي هريرة قال: جاء مشركو قريش يخاصمون رسولَ الله ﷺ في القَدَر، فنزلت: «يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ. إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ». خرَّجه الترمذيُّ أيضاً وقال: حديث حسن صحيح[١].

وروى مسلم عن طاوس قال: أدركتُ ناساً من أصحاب رسولِ الله ﷺ يقولون: كلُّ شيء بقَدَر. قال: وسمعت عبد الله بنَ عمر يقول: قال النبيُّ ﷺ: «كلُّ شيءٍ بقَدر حتى العَجْز والكَيْس، أو: الكَيْس والعَجْز»[٢]. وهذا إبطال لمذهب القدَريَّة.

«ذُوقُوا» أي: يقال لهم: ذوقوا[٣]. ومسُّها: ما يجدون من الألم عند الوقوع فيها[٤]. و«سَقَر» اسم من أسماء جهنَّم لا ينصرف؛ لأنَّه اسم مؤنَّث معرفة[٥]، وكذا: لَظَى، وجهنَّم. وقال عطاء: «سَقَر»: الطبق السادس من جهنَّم. وقال قُطْرب: «سَقَر» من سَقَرته الشمسُ وصَقَرته: لَوَّحَتْه. ويوم مُسْمَقِرٌ ومُصْمَقِرٌ: شديدُ الحرِّ[٦].

**الثانية**: قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ﴾ قراءة العامَّة: «كُلَّ» بالنصب. وقرأ أبو السَّمَّال: «كُلُّ» بالرفع على الابتداء[٧]. ومن نصب؛ فبإضمار فعل، وهو اختيار الكوفيين؛ لأنَّ «إنَّ» تطلب الفعل، فهي به أولى[٨]، والنصب أدلُّ على العموم في المخلوقات لله تعالى؛ لأنَّك لو حذفت «خَلَقْنَاهُ» المفسِّر، وأظهرتَ الأوَّل، لصار إنَّا

---

(١) مسلم (٢٦٥٦)، والترمذي (٢١٥٧)، وهو عند أحمد (٩٧٣٦)، وابن ماجه (٨٣)، والواحدي في أسباب النزول ص٤٢٥ .

(٢) مسلم (٢٦٥٥)، وهو عند أحمد (٥٨٩٣).

(٣) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٩٢ .

(٤) الكشاف ٤/ ٤١ .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٤٧ .

(٦) الصحاح (سقر) و(صقر).

(٧) القراءات الشاذة ص١٤٨ ، والمحتسب ٢/ ٣٠٠ .

(٨) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٠٠ .

خلقنا كلَّ شيء بقَدَر. ولا يصحُّ كون خلقناه صفة لشيء؛ لأنَّ الصفة لا تعمل فيما قبل الموصوف، ولا تكون تفسيراً لما يعمل فيما قبله[١].

**الثالثة**: الذي عليه أهل السنة أنَّ الله سبحانه قدَّر الأشياء، أي: عَلِمَ مقاديرها وأحوالها وأزمانها قبل إيجادها، ثم أَوجد منها ما سبق في عِلْمه أنَّه يوجده على نحو ما سبق في عِلْمه، فلا يحدث حدث في العالم العلويِّ والسفليِّ إلا وهو صادر عن عِلْمه تعالى وقدرته وإرادته دون خَلْقه، وأنَّ الخَلْق ليس لهم فيها إلا نوع اكتساب ومحاولة ونسبة وإضافة، وأنَّ ذلك كلَّه إنَّما حصل لهم بتيسير الله تعالى وبقُدرته وتوفيقه وإلهامه، سبحانه لا إله إلا هو، ولا خالقَ غيرُه، كما نصَّ عليه القرآن والسنة، لا كما قالت القدَريَّة وغيرهم من أنَّ الأعمال إلينا، والآجال بيد غيرنا.

قال أبو ذرٍّ ﷺ: قدم وفد نجران على رسولِ الله ﷺ فقالوا: الأعمال إلينا، والآجالُ بيد غيرنا، فنزلت هذه الآيات إلى قوله: «إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ» فقالوا: يا محمَّد يَكتُب علينا الذنبَ ويُعذِّبنا؟! فقال: «أنتم خصماء الله يوم القيامة»[٢].

**الرابعة**: روى أبو الزبير عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ مجوسَ هذه الأمَّة المكذِّبون بأقدار الله، إن مرِضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم، وإن لقيتموهم فلا تسلِّموا عليهم». خرَّجه ابن ماجه في «سننه»[٣]. وخرَّج أيضاً عن ابن عباس وجابر قالا: قال رسول الله ﷺ: «صنفان من أمتي ليس لهم في الإسلام نصيب: أهلُ الإرجاء والقَدَر»[٤].

---

(١) مشكل إعراب القرآن لمكي ٢/ ٧٠٢ .

(٢) أخرجه الواحدي في أسباب النزول ص٤٢٦ عن عطاء مرسلاً بنحوه.

(٣) برقم (٩٢)، وأخرجه أيضاً ابن أبي عاصم في السنة (٣٢٨)، والطبراني في الأوسط (٤٤٥٢) من طريق ابن جريج، عن أبي الزبير، به. قال البوصيري في مصباح الزجاجة ١/ ٥٥ : هذا إسناد ضعيف، فيه بقية ابن الوليد، وهو مدلِّس، وقد عنعنه. اهـ. وفي الباب عن ابن عمر وعن حذيفة، وهما عند أبي داود (٤٦٩١) و(٤٦٩٢)، وينظر كلام المنذري في مختصر السنن ٧/ ٥٨ - ٦١ حول الحديثين.

(٤) سنن ابن ماجه (٧٣)، وأخرجه أيضاً ابن أبي عاصم في السنة (٩٤٨). قال البوصيري في مصباح =

وأسند النحّاس: وحدَّثنا إبراهيم بن شريك الكوفي قال: حدَّثنا عقبةُ بنُ مكرم الضَّبيُّ قال: حدَّثنا يونس بنُ بكير، عن سعيد بن ميسرة، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «القدريَّة الذين يقولون: الخير والشرُّ بأيدينا. ليس لهم في شفاعتي نصيب ولا أنا منهم ولا هم منِّي»[(١)].

وفي «صحيح مسلم»[(٢)] أنَّ ابن عمر تبرَّأ منهم، ولا يتبرَّأ إلا من كافر، ثم أكَّد هذا بقوله: والذي يَحلِفُ به عبدُ الله بنُ عمر لو أنَّ لأحدهم مثلَ أُحُد ذهباً فأنفقه، ما قِبَلَ اللهُ منه حتى يؤمن بالقَدَر. وهذا مثل قوله تعالى في المنافقين: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: ٥٤] وهذا واضح. وقال أبو هريرة: قال النبيُّ ﷺ: «الإيمان بالقَدَر يُذهِب الهمَّ والحزن»[(٣)].

**قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾**

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ﴾ أي: إلا مرَّةً واحدة[(٤)]. ﴿كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ أي: قضائي في خلقي أسرعُ من لَمْح البصر[(٥)]. واللَّمْحُ: النظر بالعَجَلة، يقال: لَمَح

---

= الزجاجة ١/ ٥٢: هذا إسناد ضعيف، نزار بن حيان الأسدي قال ابن حبان في الضعفاء: يأتي عن عكرمة بما ليس من حديثه حتى يسبق القلب أنه المتعمِّد، لذلك لا يجوز الاحتجاج به بحال، وعبد الله ابن محمد الليثي مجهول. قاله الذهبي. اهـ

وأخرجه أيضاً الترمذي (٢١٤٩) عن ابن عباس وحده. قال الترمذي عقبه: وهذا حديث غريب حسن صحيح.

(١) وأخرجه أيضاً ابن عدي في الكامل ٣/ ١٢٢٤ بإسناده ومتنه، وورد في مطبوعه: عتبة، بدل: عقبة. وهو خطأ. قال ابن الجوزي في العلل المتناهية ١/ ١٦١ - ١٦٢: هذا حديث لا يصح، وقال ابن حبان: سعيد بن ميسرة [من رجال السند] يروي الموضوعات. اهـ

(٢) برقم (٨).

(٣) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب (٢٧٧)، وفيه مجاهيل.

(٤) معاني القرآن للفراء ٣/ ١١٠.

(٥) الوسيط ٤/ ٢١٦ وعزاه إلى ابن عباس رضي الله عنهما.

البرقَ ببصره[١]. وفي «الصحاح»[٢]: لَمَحَه وأَلمحه: إذا أَبصره بنَظَر خفيف، والاسم: اللَّمْحة، ولمَحَ البَرقُ والنجمُ لَمْحاً، أي: لمَع.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ﴾ أي: أشباهكم في الكفر من الأُمم الخالية[٣]. وقيل: أتباعكم وأعوانكم[٤]. ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ أي: مَن يتذكَّر.

قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ﴾ أي: جميع ما فعلته الأُمم قبلهم مِن خير أو شرٍّ كان مكتوباً عليهم، وهذا بيان قوله: «إِنَّا كُلَّ شيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدرٍ».

«في الزُّبُرِ» أي: في اللوح المحفوظ. وقيل: في كتب الحفظة[٥]. وقيل: في أُمِّ الكتاب[٦]. ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ أي: كلُّ ذنب كبير وصغير مكتوب على عامله قَبْلَ أن يفعله؛ ليجازى به، ومكتوب إذا فعله[٧]. سَطَرَ يَسْطُرُ سَطْراً: كَتَب، واستطَرَ مثله[٨].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ﴾ لما وصَف الكفَّار وصَف المؤمنين أيضاً. «وَنَهَرٍ» يعني: أنهار الماء والخمر والعسل واللَّبن، قاله ابن جريج[٩]. ووحَّد؛ لأنَّه رأس الآية[١٠]، ثم الواحد قد يُنبِئُ عن الجميع[١١]. وقيل: في «نَهَرٍ»: في ضياء وسَعة، ومنه النهار؛ لضيائه، ومنه: أنهرتُ الجُرْحَ، قال الشاعر:

---

(١) تهذيب اللغة ٥/ ٩٨.

(٢) مادة (لمح).

(٣) الوسيط ٤/ ٢١٦.

(٤) تفسير أبي الليث ٣/ ٣٠٣.

(٥) تفسير البغوي ٤/ ٢٦٦.

(٦) تفسير الطبري ٢٢/ ١٦٤ - ١٦٥ وأخرجه عن ابن زيد.

(٧) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٩٢.

(٨) الصحاح (سطر).

(٩) النكت والعيون ٥/ ٤٢٠.

(١٠) معاني القرآن للفراء ٣/ ١١٠ - ١١١.

(١١) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٩٣.

مَلَكْتُ بها كَفِّي فأنهرتُ فَتقَها يَرَى قائمٌ من دونها ما وراءَها[١]

وقرأ أبو مِجْلز وأبو نَهيك والأعرج وطلحة بنُ مصرِّف وقتادة: «وَنُهُرٍ» بضمَّتين[٢]، كأنَّه جمع نهار، لا ليلَ لهم، كسحاب وسُحُب. قال الفراء[٣]: أنشدني بعض العرب:

إنْ تَكُ لَيْلِيًّا فإنِّي نَهِرُ مَتَى أرى الصُّبحَ فلا أنتَظِرُ

أي: صاحب النهار. وقال آخر:

لَوْلا الثَّرِيدَانِ هَلَكْنا بالضُّمُرْ ثَرِيدُ لَيْلٍ وثَرِيدٌ بالنُّهُرْ[٤]

﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ أي: مجلس حقٍّ لا لغو فيه ولا تأثيم، وهو الجنَّة ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ أي: يقدر على ما يشاء. و«عِنْدَ» هاهنا عنديَّة القُربة والزلفة والمكانة والرتبة والكرامة والمنزلة[٥]. قال الصادق: مدح اللهُ المكانَ الصدقَ فلا يَقعُد فيه إلا أهل الصدق. وقرأ عثمان البَتِّي: «فِي مَقَاعِدِ صِدْقٍ» بالجمع[٦]، والمقاعد: مواضع قعود الناس في الأسواق وغيرها.

قال عبد الله بن بريدة: إنَّ أهل الجنَّة يدخلون كلَّ يوم على الجبَّار تبارك وتعالى، فيقرؤون القرآنَ على ربِّهم تبارك وتعالى، وقد جلس كلُّ إنسان مجلسه الذي هو مجلسه، على منابر من الدُّرِّ والياقوت والزَّبرجد والذَّهب والفضَّة بقَدْر أعمالهم، فلا

---

(١) غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٣٥، والقائل: قيس بن الخطيم، وسلف ١/ ٣٦٠.

(٢) القراءات الشاذة ص١٤٨، والمحتسب ٢/ ٣٠٠، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٢٢، والبحر المحيط ٨/ ١٨٤.

(٣) في معاني القرآن له ٣/ ١١١، وينظر تفسير الطبري ٢٢/ ١٦٧.

(٤) النكت والعيون ٥/ ٤٢٠، والبيت سلف ٢/ ٤٩٢.

(٥) لفظ العِنْد فيما يضاف إلى الله تعالى يختلف حاله ومعناه حسب وروده في الكلام وما يحفّ به من قرائن، فما كان ظاهره إرادة المكان ولم يرد ما يحمله على معنى آخر فينبغي أن يحمل على ظاهره وهو العلوّ والقرب من الله عز وجل، وينظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٥/ ٢٢٦.

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٢٦٦، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٢٢.

تَقَرّ أعينهم بشيء قطُّ كما تَقَرّ بذلك، ولم يسمعوا شيئاً أعظم ولا أحسن منه، ثم ينصرفون إلى منازلهم، قريرةً أعينُهم إلى مثلها من الغد[١].

وقال ثور بن يزيد عن خالد بن مَعْدان: بلغنا أنَّ الملائكة يأتون المؤمنين يومَ القيامة فيقولون: يا أولياءَ الله انطلِقوا. فيقولون: إلى أين؟ فيقولون: إلى الجنة. فيقول المؤمنون: إنكم تذهبون بنا إلى غير بغيتنا. فيقولون: فما بغيتكم؟ فيقولون: مقعد صِدْق عند مليك مقتدر[٢]. وقد روي هذا الخبر على الخصوص بهذا المعنى؛ ففي الخبر: أنَّ طائفةً من العقلاء بالله عزَّ وجلَّ تزفُّها الملائكة إلى الجنَّة والناس في الحساب، فيقولون للملائكة: إلى أين تحملوننا؟ فيقولون إلى الجنَّة. فيقولون: إنَّكم لتحملوننا إلى غير بغيتنا. فيقولون: وما بغيتكم؟ فيقولون: المقعد الصِّدْق مع الحبيب كما أخبر: «فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ»، والله أعلم.

تم تفسير سورة «القمر» والحمد لله.

---

(١) أورده الحكيم الترمذي في نوادر الأصول ص١٥٦ عن النبي ﷺ، من غير إسناد، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٣٩ وعزاه للحكيم الترمذي بإسناده عن بريدة مرفوعاً.

(٢) أورده الحكيم الترمذي في نوادر الأصول ص١٥٦ دون عزو، والسيوطي في الدر المنثور وعزاه للحكيم الترمذي بإسناده عن ثور بن يزيد.

# سُورَةُ القَمَرِ

مَكِّيَّةٌ، وآيُها خمسٌ وخمسونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(١ ـ ٢) ـ ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ رُوِيَ أنَّ الكُفَّارَ سألُوا رسولَ اللهِ ﷺ آيةً فانشقَّ القمرُ[1].

وقيل: معناهُ سينشقُّ يومَ القيامةِ.

ويؤيِّدُ الأوَّلَ أنَّه قُرِئَ: (وقد انشقَّ القمرُ)[2] أي: اقتربَت السَّاعةُ، وقد حصلَ مِن آياتِ اقترابِها انشقاقُ القمرِ.

وقوله: ﴿وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا﴾ عن تأمُّلِها والإيمانِ بها.

﴿وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ مُطَّرِدٌ. وهو يدلُّ على أنَّهم رَأَوْا قبلَهُ آياتٍ أُخرى مُترادفةً ومُعجزاتٍ مُتتابعةً حتَّى قالوا ذلك.

أو محكمٌ، مِن المرَّةِ[3]، يقال: أَمْرَرْتُه فاستمرَّ: إذا أحكَمْتَه فاستحكَمَ.

---

(١) رواه البخاري (٣٦٣٧)، ومسلم (٢٨٠٢) عن أنس رضي الله عنه.

(٢) وهي قراءة حذيفة، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٨)، و«المحتسب» (٢/ ٢٩٧).

(٣) (المرة) بالفتح والكسر؛ بمعنى القوة.

أو مُستبشعٌ، مِن استمرَّ الشَّيءُ: إذا اشتَدَّتْ مَرارتُه.

أو مارٌّ ذاهبٌ لا يبقى.

(٣) ـ ﴿وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ وهو ما زيَّنَ لهم الشَّيطانُ مِنْ ردِّ الحقِّ بعدَ ظُهورِه.

وذكرَهُما بلفظِ المُضِي للإشعارِ بأنَّهُما مِن عادَتِهم القَديمَةِ.

﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾ مُنتهٍ إلى غايةٍ مِن خذلانٍ أو نَصرٍ في الدُّنيا وشقاوةٍ أو سَعادةٍ في الآخرةِ، فإنَّ الشَّيءَ إذا انتهى إلى غايتِهِ ثبتَ واستقرَّ.

وقُرِئَ بالفتحِ[1]؛ أي: ذو مُستقَرٍّ بمعنى استقرارٍ[2]، وبالكسرِ والجرِّ[3] على أنَّه صفةُ ﴿أَمْرٍ﴾، ﴿وَكُلُّ﴾ معطوفٌ على ﴿ٱلسَّاعَةُ﴾.

(٤) ـ ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم﴾ في القرآنِ ﴿مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ﴾ أنباءِ القرونِ الخاليةِ، أو أنباءِ الآخرةِ.

﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ ازدجارٌ مِن تعذيبٍ أو وعيدٍ.

وتاءُ الافتعالِ تُقلَبُ دالًا مع الدَّالِ والذَّالِ والزَّايِ للتَّناسُبِ.

وقُرِئَ: (مُزَّجَر) بقلبِها زاءً وإدغامِها[4].

(٥) ـ ﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ﴾ غايتَها لا خَلَلَ فيها، وهي بدلٌ مِن (ما)، أو خبرٌ لِمَحذوفٍ.

---

(١) حكاها أبو حاتم عن شيبة، ورويت عن نافع، انظر: «تفسير الثعلبي» (٢٥/ ٢٠٦)، و«الكشاف» (٨/ ٥١٩)، و«البحر» (٢٠/ ٨٣).

(٢) في نسخة التفتازاني والخيالي: «الاستقرار».

(٣) انظر: «النشر» (٢/ ٣٨٠).

(٤) انظر: «الكشاف» (٨/ ٥٢٠)، و«البحر» (٢٠/ ٨١).

وقُرِئَ بالنَّصبِ حالًا مِن (ما)[١] فإنَّها مَوصولةٌ أو مخصوصةٌ بالصِّفةِ، فيجوزُ نَصبُ الحالِ عنها.

﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾ نفيٌ، أو استفهامُ إنكارٍ؛ أي: فأيَّ غَناءٍ تُغني النُّذُرُ، وهو جمعُ نَذيرٍ بمعنى المنذِرِ أو المُنذَرِ منه، أو مصدرٌ بمعنى الإنذارِ.

(٦) ـ ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ لعلمِكَ أنَّ الإنذارَ لا يُغنِي فيهِم.

﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ إسرافيلُ، ويجوزُ أَنْ يكونَ الدُّعاءُ فيه كالأمرِ في قولِه: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾، وإسقاطُ الياءِ اكتفاءً بالكسرةِ للتَّخفيفِ، وانتصابُ ﴿يَوْمَ﴾ بـ﴿يَخْرُجُونَ﴾، أو بإضمارِ (اذكر).

﴿إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ﴾ فظيعٍ تُنكرُهُ النُّفوسُ؛ لأنَّها لم تَعهَدْ مِثلَه، وهو هولُ القيامةِ.

وقرأ ابنُ كثيرٍ: ﴿نُكْرٍ﴾ بالتَّخفيفِ[٢]، وقُرِئَ: (نُكِرَ)[٣] بمعنى أُنكِرَ.

(٧) ـ ﴿خُشَّعًا أَبْصَـٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ أي: يخرجونَ مِن قُبورِهم خاشعًا ذليلًا أبصارُهم مِن الهولِ، وإفرادُه وتذكيرُه لأنَّ فاعِلَه ظاهرٌ غيرُ حقيقيِّ التَّأنيثِ.

وقُرِئَ: (خاشعةً)[٤] على الأصلِ، وقرأ ابنُ كثيرٍ ونافعٌ وابنُ عامرٍ وعاصمٌ: ﴿خُشَّعًا﴾[٥]، وإنَّما حَسُنَ ذلك ولم يحسنْ: مررتُ برجالٍ قائمينَ غِلمانُهم؛ لأنَّه ليسَ على صيغةٍ تشبهُ الفعلَ.

---

(١) انظر: «البحر» (٢٠/ ٨١) عن اليماني، وهو محمد بن السميفع، وأجازها الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ١٠٤) لكن لم يصرح بكونها قراءة، وعبارته: ولو نصب على القطع لأنه نكرة و﴿مَا﴾ معرفة كان صواباً.

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٦١٧)، و«التيسير» (ص: ٢٠٥).

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٨)، و«المحتسب» (٢/ ٢٩٨)، عن مجاهد والجحدري وأبي قلابة.

(٤) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٨) عن أبي وابن مسعود رضي الله عنهما.

(٥) انظر: «السبعة» (ص: ٦١٧)، و«التيسير» (ص: ٢٠٥).

وقُرِئَ: (خُشَّعٌ أَبصارُهُم)[١] على الابتداءِ والخبرِ، فتكونُ الجملةُ حالًا.

﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ في الكثرةِ والتَّموُّجِ والانتشارِ في الأمكِنَةِ.

(٨) ـ ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ﴾ مُسرعينَ مادِّي أعناقِهِم إليه أو ناظرينَ إليه.

﴿يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ صعبٌ.

(٩) ـ ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ قبلَ قومِك ﴿فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا﴾ نوحًا، وهو تفصيلٌ بعدَ إجمالٍ.

وقيل: معناهُ كذَّبُوه تكذيبًا على عقبِ تكذيبٍ، كلَّما خَلا مِنهم قرنٌ مُكَذِّبٌ تَبِعَه قرنٌ مُكذِّبٌ، أو كذَّبوهُ بعدما كذَّبُوا الرُّسُلَ.

﴿وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ﴾ هو مجنونٌ.

﴿وَٱزْدُجِرَ﴾ وزُجرَ عن التَّبليغِ بأنواعِ الأذيَّةِ.

وقيل: إنَّه مِن جملةِ قيلِهِم؛ أي: هو مجنونٌ وقد ازدجَرَتْه الجِنُّ وتَخبَّطَتْهُ.

(١٠) ـ ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى﴾ أي: بأنِّي. وقُرِئَ بالكسرِ على إرادةِ القولِ[٢].

﴿مَغْلُوبٌ﴾ غَلَبني قَومِي ﴿فَٱنتَصِرْ﴾ فانتَقِمْ لي مِنهُم، وذلك بعدَ يأسِه مِنْهُم، فقَدْ رُوِيَ أنَّ الواحدَ مِنْهُم كان يلقاهُ فيخنُقُهُ حتى يَخرَّ مغشيًّا عليه فيفيقُ ويقول: «اللهمَّ اغفِرْ لقَوْمِي فإنَّهُم لا يعلمونَ»[٣].

(١١) ـ ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾ مُنْصَبٍّ، وهو مبالغةٌ وتمثيلٌ لكثرةِ الأمطارِ وشدَّةِ انصبابِها.

---

(١) انظر: «الكشاف» (٨/ ٥٢١)، و«البحر» (٢٠/ ٨٩) دون نسبة.

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٨) عن عيسى وابن أبي إسحاق.

(٣) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (٢٨٠). وكذا الثعلبي في «تفسير» (٢٥/ ٢١٤) عن عبيد بن عمير، وعزاه السيوطي في «حاشيته على البيضاوي» (١١/ ٤٠١) إلى عبد بن حميد عن مجاهد.

وقرأ ابنُ عامرٍ ويعقوبُ: ﴿فَفَتَّحْنَا﴾ بالتَّشديدِ[١]؛ لكثرةِ الأبوابِ.

(١٢) ـ ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾ وجعَلْنا الأرضَ كُلَّها كأنَّها عيونٌ مُنفجِرَةٌ، وأصلُه: وفجَّرْنا عيونَ الأرضِ، فغُيِّرَ للمُبالغةِ.

﴿فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ﴾ ماءُ السَّماءِ وماءُ الأرضِ.

وقُرِئَ: (الماءانِ)[٢] لاختلافِ النَّوعينِ، (والماوانِ) بقلبِ الهمزةِ واوًا[٣].

﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ على حالٍ قَدَّرها اللهُ في الأزلِ مِن غيرِ تَفاوُتٍ.

أو على حالٍ قُدِّرَتْ وسُوِّيَت، وهو أنَّ قدْرَ ما أُنزِلَ[٤] على قدْرِ ما أُخرِجَ[٥].

أو على أمرٍ قدَّرهُ اللهُ وهو هلاكُ قومِ نوحٍ بالطُّوفانِ.

(١٣) ـ ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ﴾ ذاتِ أَخشابٍ عَريضَةٍ.

﴿وَدُسُرٍ﴾ ومساميرَ، جمع دِسَارٍ مِن الدَّسْرُ وهو: الدَّفعُ الشَّديدُ، وهي صفةٌ للسَّفينةِ أقيمَتْ مقامَها مِن حيثُ إنَّها شرحٌ لها تؤدِّي مُؤدَّاها[٦].

(١٤) ـ ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ بمَرأى منَّا؛ أي: محفوظةً بحفظِنا.

﴿جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ أي: فَعَلنا ذلك جزاءً لنوحٍ لأنَّه نعمةٌ كَفَروها، فإنَّ كلَّ نبيٍّ نعمةٌ مِن اللهِ ورحمةٌ على أمَّتِه، ويجوزُ أن يكونَ على حذفِ الجارِّ وإيصالِ الفعلِ إلى الضَّميرِ.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٦١٨)، و«التيسير» (ص: ٢٠٢)، و«النشر» (٢/ ٢٥٨).

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٨) عن الجحدري ومحمد بن كعب.

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٨).

(٤) في نسخة التفتازاني والخيالي زيادة: «من السماء».

(٥) في نسخة الخيالي زيادة: «من الأرض».

(٦) في نسخة الخيالي: «مرادها».

وقُرِئَ (لمن كان كَفَرَ)[١] أي: للكافرينَ.

(١٥) ـ ﴿وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ﴾ أي: السَّفينةَ، أو الفَعلةَ ﴿ءَايَةً﴾ يُعتبرُ بها إذ شاعَ خبرُها واشتَهرَ[٢].

﴿فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾ مُعتبرٍ.

وقُرِئَ: (مُذْتَكِر) على الأصلِ[٣]، و: (مُذَّكِر) بقلبِ التَّاءِ ذالًا والإدغامِ فيها[٤].

(١٦) ـ ﴿فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ استفهامُ تعظيمٍ ووعيدٍ، والنُّذُرُ يحتملُ المصدرَ والجمعَ.

(١٧) ـ ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ سهَّلناهُ أو هيَّأناهُ، مِن يسَّرَ ناقتَهُ للسَّفرِ: إذا رَحلَها.

﴿لِلذِّكۡرِ﴾ للادِّكارِ والاتِّعاظِ بأَنْ صرَّفنا فيهِ أنواعَ المواعظِ والعِبَرِ.

أو: للحفظِ بالاختصارِ وعذوبةِ اللَّفظِ.

﴿فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾ مُتَّعظٍ.

(١٨) ـ ﴿كَذَّبَتۡ عَادٞ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ وإنذاراتي لهم بالعذابِ قبلَ نُزولِه، أو لِمَن بعدَهُم في تَعذيبِهِم.

(١٩) ـ ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا﴾ باردًا، أو شديدَ[٥] الصَّوتِ.

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٨) عن يزيد بن رومان وعيسى، و«المحتسب» (٢/ ٢٩٨) عن يزيد بن رومان وقتادة.

(٢) في نسخة الفاروقي: «واستمر».

(٣) انظر: «الكشاف» (٨/ ٥٢٧)، و«البحر» (٢٠/ ٩٧).

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (٢٢/ ١٢٩) عن ابن مسعود رفعها للنبي ﷺ، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٦٩٧) عن قتادة، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٨ ـ ١٤٩) عن ابن مسعود وعيسى وقتادة.

(٥) في نسخة الفاروقي: «باردة أو شديدة».

﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ﴾ شـؤمٍ ﴿مُّسْتَمِرٍّ﴾ اسـتمرَّ شؤمُه، أو اسـتمرَّ عليهم حتى أهلَكَهُم، أو علـى جميعِهِـم كبيرِهـم وصَغيرِهم فلـم يُبْقِ مِنهم أحـدًا، أو اشـتدَّ مرارَتُه، وكانَ يـومَ الأربعاءِ آخرَ الشَّـهرِ.

(٢٠) ـ ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ﴾ تَقلَعُهُم، رُوِيَ أنَّهُم دخَلُوا في الشِّعابِ والحُفَرِ، وتمسَّكَ بَعضُهم ببعضٍ فنزعَتْهُم الرِّيحُ منها وصرعَتْهُم مَوْتى.

﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ أصولُ نخلٍ مُنقَلعٍ عَن مَغارِسه ساقطٍ على الأرضِ.

وقيـل: شُـبِّهُوا بالأعجـازِ لأنَّ الرِّيـحَ طيَّـرَتْ رُؤوسَـهُم وطَرَحتْ أَجسـادَهُم، وتذكيـرُ ﴿مُّنقَعِرٍ﴾ للحمـلِ علـى اللَّفـظِ، والتَّأنيـثُ في قولـه: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧] للمَعنى.

(٢١) ـ ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ كرَّرَهُ للتَّهويلِ.

وقيـل: الأوَّلُ لِمَـا حـاقَ بهـم في الدُّنيـا، والثَّانـي لِمَا يحيـقُ بهم فـي الآخرةِ، كمـا قـالَ أيضًـا فـي قِصَّتِهـم: ﴿لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ﴾ [فصلت: ١٦].

(٢٢ ـ ٢٣) ـ ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ﴾ بالإنذاراتِ[1] أو المواعظِ أو الرُّسُلِ.

(٢٤) ـ ﴿فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا﴾ مِن جنسِنا أو مِن جُملَتِنا لا فضلَ له علينا، وانتصابُه بفعلٍ يُفسِّرُه ما بعدَه.

وقُرِئَ بالرَّفعِ على الابتداءِ[2]، والأوَّلُ أوجَهُ للاستفهامِ.

---

(١) في نسخة الفاروقي والتفتازاني: «بالإنذار».

(٢) انظر: «الكامل» للهذلي (ص: ٦٤٢) عن أبي السمال، وذكرها ابن جني في «المحتسب» (٢/ ٢٩٨) =

﴿وَٰحِدًا﴾ مُنفردًا لا تبعَ له أو مِن آحادِهم دونَ أشرافِهِم.

﴿نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾ جمعُ سعيرٍ، كأنَّهم عكسُوا عليه فرتَّبُوا على اتِّباعِهم إيَّاه ما رتَّبَه على تركِ اتِّباعِهُم له.

وقيل: السُّعُرُ: الجنونُ، ومنه: ناقةٌ مَسعورةٌ.

(٢٥) ـ ﴿أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ﴾ الكتابُ والوحيُ ﴿عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ وفينا مَن هو أحقُّ منه بذلك.

﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ حمَلَهُ بطَرُه على التَّرفُّعِ علينا بادِّعائِه.

(٢٦) ـ ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا﴾ عندَ نزولِ العَذابِ بهم، أو يومَ القيامةِ.

﴿مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ﴾ الذي حملَهُ أَشَرُهُ على الاستكبارِ عن الحقِّ وطلبِ الباطلِ، أصالحٌ أم مَن كذَّبَه.

وقرأ ابنُ عامرٍ وحمزةُ ورُوَيسٌ ﴿ستَعْلَمُونَ﴾[١] على الالتفاتِ، أو حكايةِ ما أجابَهُم به صالحٌ.

وقُرِئَ: (الأَشُر) كقولِهم: حَذُر في حَذِرٍ[٢]، و: (الأشَرُّ)[٣] أي: الأبلغُ في الشَّرارةِ، وهو أصلٌ مرفوضٌ كالأخيَرِ.

---

= عن أبي السمال لكن بلفظ: (أبشر منا واحداً) برفع (بشر) ونصب (واحداً)، وقال في توجيهها: فأما انتصاب (واحداً) فإن شئت جعلته حالاً من الضمير في (منا)؛ أي: أينبأ بشرٌ كائن منا؟ والناصب لهذه الحال الظرف، كقولك: زيد في الدار جالساً. وإن شئت جعلته حالاً من الضمير في قوله: (نتبعه)؛ أي: نتبعه واحداً منفرداً ولا ناصر له.

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٦١٨)، و«التيسير» (ص: ٢٠٦)، و«النشر» (٢/ ٣٠٤).

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٨)، و«المحتسب» (٢/ ٢٩٩) عن مجاهد والأزدي.

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٨)، و«الزاهر» لابن الأنباري (١/ ٣٧٥)، و«المحتسب» (٢/ ٢٩٩) عن أبي قلابة.

(٢٧) ـ ﴿إِنَّا مُرۡسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ﴾ مُخرِجُوها وباعِثُوها ﴿فِتۡنَةٗ لَّهُمۡ﴾ امتحانًا لهم ﴿فَٱرۡتَقِبۡهُمۡ﴾ فانتَظِرهُم وتبَصَّرْ ما يصنعونَ ﴿وَٱصۡطَبِرۡ﴾ على أذاهُم.

(٢٨) ـ ﴿وَنَبِّئۡهُمۡ أَنَّ ٱلۡمَآءَ قِسۡمَةُۢ بَيۡنَهُمۡ﴾ مقسومٌ لها يومٌ ولهم يومٌ، و﴿بَيۡنَهُمۡ﴾ لتغليبِ العقلاءِ.

﴿كُلُّ شِرۡبٖ مُّحۡتَضَرٞ﴾ يحضُرهُ صاحبُه في نَوبَتِه، أو يحضرُ عنه غيرُه.

(٢٩) ـ ﴿فَنَادَوۡاْ صَاحِبَهُمۡ﴾ قُدارَ بنَ سالفٍ أُحَيْمِرَ ثمودَ.

﴿فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾ فاجترأَ على تعاطي قَتلِها فقتلَها، أو فتَعاطى السَّيفَ فقتَلَها. والتَّعاطي: تناوُلُ الشَّيءِ بتكلُّفٍ.

(٣٠ ـ ٣١) ـ ﴿فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ٣٠ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ صيحةَ جبرئيلَ ﴿فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ﴾ كالشَّجرِ اليابسِ المنكسرِ[1] الذي يتَّخِذُه من يعملُ الحظيرةَ لأجلِها، أو كالحشيشِ اليابسِ الذي يجمَعُه صاحبُ الحظيرةِ لماشيَتِه في الشِّتاءِ.

وقُرِئَ بفتحِ الظَّاءِ[2]؛ أي: كهَشيمِ الحَظيرةِ أو الشَّجرِ المتَّخذِ لها.

(٣٢ ـ ٣٤) ـ ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ٣٢ كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطِۭ بِٱلنُّذُرِ ٣٣ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا﴾ ريحًا تحصبُهُم بالحجارةِ؛ أي: ترميهِم.

﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٖۖ نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ﴾ في سحرٍ، وهو آخرُ الليلِ، أو مُسْحِرِينَ.

(٣٥) ـ ﴿نِّعۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَاۚ﴾ إنعامًا منا، وهو عِلَّةٌ لـ﴿نجينا﴾.

﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَن شَكَرَ﴾ نعمتَنا بالإيمانِ والطَّاعةِ.

---

(١) في نسخة الفاروقي: «المتكسر».

(٢) وهي قراءة الحسن، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٩)، و«المحتسب» (٢/ ٢٩٩).

(٣٦) ـ ﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم﴾ لوطٌ ﴿بَطْشَتَنَا﴾ أخذَتَنا بالعذابِ ﴿فَتَمَارَوْاْ بِٱلنُّذُرِ﴾ فكذَّبُوا[١] بالنُّذرِ مُتشاكِّين.

(٣٧) ـ ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ﴾ قَصدُوا الفجورَ بهم ﴿فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ﴾ فمَسحناها وسَوَّيناهَا بسائرِ الوجهِ.

رُوِيَ أنَّهُم لَمَّا دخلُوا داره عَنْوةً صَفَقهم جبرئيلُ صفقةً فأَعْماهُم[٢].

﴿فَذُوقُواْ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ فقلنا لهم: ذوقوا، على ألسِنةِ الملائكةِ، أو ظاهرِ الحالِ.

(٣٨) ـ ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً﴾ وقُرِئَ: (بُكْرَةَ) غيرَ مَصروفةٍ[٣]، على أنَّ المرادَ بها أوَّلُ نهارٍ معيَّنٍ.

﴿عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾ يستقرُّ بهم حتى[٤] يُسلِّمهُم إلى النَّارِ.

(٣٩ ـ ٤٠) ـ ﴿فَذُوقُواْ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ كرَّر ذلك في كلِّ قصَّةٍ إشعارًا بأن تكذيبَ كُلِّ رسولٍ مقتضٍ لنُزولِ العذابِ، واستماعَ كلِّ قصةٍ مُستدعٍ للادِّكارِ والاتِّعاظِ، واستئنافًا للتَّنبيهِ والإيقاظِ لئلَّا يَغلِبَهُم السَّهوُ والغفلةُ، وهكذا تكريرُ قولِه: ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ و﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ ونحوِهما.

(٤١) ـ ﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ﴾ اكتفَى بذكرِهِم عن ذكرِهِ للعلمِ بأنَّه أَولى بذلك.

---

(١) في نسخة الفاروقي والتفتازاني: «فكذبوه».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٥١٩) عن حجاج عن ابن جريج، وعن أبي بكر بن عبد الله، وعن قتادة عن حذيفة، دخل حديث بعضهم في بعض، وبنحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥١٨) عن ابن عباس، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٥١٩) عن السدي.

(٣) انظر: «الكشاف» (٨/ ٥٣٤)، و«البحر» (٢٠/ ١٠٨).

(٤) في نسخة الفاروقي: «إلى أن».

(٤٢) ـ ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا﴾ يعني: الآياتِ التِّسعَ ﴿فَأَخَذۡنَٰهُمۡ أَخۡذَ عَزِيزٖ﴾ لا يُغالَبُ.

﴿مُّقۡتَدِرٍ﴾ لا يعجزُه شيءٌ.

(٤٣) ـ ﴿أَكُفَّارُكُمۡ﴾ يا معشرَ العربِ ﴿خَيۡرٞ مِّنۡ أُوْلَٰٓئِكُمۡ﴾ الكفَّارِ المَعدُودينَ قوَّةً وعُدَّةً أو مكانةً ودينًا عندَ اللهِ.

﴿أَمۡ لَكُم بَرَآءَةٞ فِي ٱلزُّبُرِ﴾ أم نُزِّلَ لَكُم في الكتبِ السَّماويَّةِ أنَّ مَن كفرَ مِنْكُم فهو في أمانٍ مِن العذابِ.

(٤٤) ـ ﴿أَمۡ يَقُولُونَ نَحۡنُ جَمِيعٞ﴾ جماعةٌ أمرُنا مُجتمِعٌ.

﴿مُّنتَصِرٞ﴾ ممتنعٌ لا نُرامُ، أو ﴿مُّنتَصِرٞ﴾ مِن الأعداءِ لا نُغلبُ، أو مُتناصرٌ ينصرُ بعضُنا بعضًا، والتَّوحيدُ على لفظِ الجَميعِ.

(٤٥) ـ ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ أي: الأدبارَ، وإفرادُه لإرادةِ الجنسِ، أو لأنَّ كلَّ واحدٍ يُولي دبرَهُ، وقد وقعَ ذلك يومَ بدرٍ، وهو مِن دلائلِ النبوَّةِ.

وعن عُمرَ رضيَ اللهُ عنه أنَّه لَمَّا نَزلَتْ قال: لم أعلَمْ ما هيَ، فلمَّا كانَ يومُ بدرٍ رأيتُ رَسولَ اللهِ ﷺ يلبسُ الدِّرعَ ويقول: ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ﴾ فعلمتُه[1].

(٤٦) ـ ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ﴾ مَوعدُ عذابِهم الأصليُّ، وما يحيقُ بهم في الدُّنيا فمن طلائعِه.

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٨٢٩) من حديث أنس رضي الله عنه: أن عمر رضي الله عنه قال: لما نزلت... فذكره، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٧٨): رواه الطبراني في الأوسط، وفيه محمد بن إسماعيل بن علي الأنصاري، ولم أعرفه.

رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ ٢٦١)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٥٧)، من حديث عكرمة عن عمر رضي الله عنه، وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٧/ ٦٨١).

﴿وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ﴾ أشَدُّ، والدَّاهيةُ: أمرٌ فظيعٌ لا يهتدى لدَوائِه ﴿وَأَمَرُّ﴾ مَذاقًا من عذابِ الدُّنيا.

(٤٧) ـ ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ﴾ عن الحقِّ في الدُّنيا ﴿وَسُعُرٍ﴾ ونيرانٍ في الآخرةِ.

(٤٨) ـ ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ يُجَرُّونَ عليها.

﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ أي: يقالُ لهم: ذوقوا حرَّ النَّارِ وألَمَها، فإنَّ مَسَّها سببٌ للتَّألُّم بها. وسَقَر علَمٌ لجهنَّم، ولذلك لم تُصرَف، مِن سَقَرَتْه النَّارُ وصَقَرَتْه: إذا لَوَّحَتْه.

(٤٩) ـ ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ أي: إنَّا خلقنا كلَّ شيءٍ مُقدَّرًا مُرتَّبًا على مُقتَضى الحكمةِ، أو مُقدَّرًا مَكتوبًا في اللوحِ قبل وُقوعِه.

و﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ منصوبٌ بفعلٍ يُفسِّرُه ما بعدَه، وقُرِئَ بالرَّفعِ على الابتداءِ[1]، وعلى هذا فالأولى أن يجعلَ ﴿خَلَقْنَاهُ﴾ خبرًا لا نعتًا ليُطابِقَ المشهورةَ في الدَّلالةِ، على أنَّ كلَّ شيءٍ مخلوقٌ بقدرٍ، ولعلَّ اختيارَ النَّصبِ هاهنا مع الإضمارِ لِمَا فيه مِن النُّصوصيَّةِ على المقصودِ.

(٥٠) ـ ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ﴾ إلَّا فِعْلَةٌ واحدةٌ، وهو الإيجادُ بلا معالجةٍ ومُعاناةٍ، أو إلَّا كلمةٌ واحدةٌ، وهو قولُه: كُن.

﴿كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ في اليُسْرِ والسُّرعةِ.

وقيل: معناهُ مَعنى قولِه تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ﴾ [النحل: ٧٧].

(٥١) ـ ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾ أشباهَكُم في الكفرِ ممَّنْ قبلَكُم ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ مُتَّعظٍ.

(٥٢) ـ ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ مكتوبٌ في كتبِ الحفظةِ.

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٩)، و«المحتسب» (٢/ ٣٠٠)، عن أبي السمال.

(٥٣) ـ ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾ من الأعمالِ ﴿مُّسْتَطَرٌ﴾ مسطورٌ في اللَّوحِ.

(٥٤) ـ ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ﴾ أنهارٍ، واكتُفِيَ باسمِ الجنسِ، أو سَعَةٍ، أو ضياءٍ من النَّهارِ، وقُرِئَ بسكونِ الهاء[1]، (ونُهُر) جمع نَهَر[2]، كأَسَدٍ وأُسُدٍ.

(٥٥) ـ ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ في مكانٍ مَرضِيٍّ. وقُرِئَ: (مَقاعدِ صدقٍ)[3].

﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ مُقربينَ عندَ مَن تعالى أمرُه في الملكِ والاقتدارِ بحيثُ أبهمَهُ ذَوُو الأفهامِ.

عن النبيِّ عليه السَّلامُ: «مَن قرأَ سورةَ القمرِ في كلِّ غِبٍّ بعثَهُ اللهُ يومَ القيامةِ ووجههُ كالقمرِ ليلةَ البدرِ»[4].

***

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٩) عن أبي نهيك واليماني وأبي مجلز.

(٢) انظر: «المحتسب» (٢/ ٣٠٠) عن زهير الفرقبي.

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٩) عن عثمان التيمي.

(٤) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ١٩٢)، والمستغفري في «فضائل القرآن» (١٢٢١)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢٠٦)، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور. وانظر: «الفتح السماوي» للمناوي (٣/ ١٠١٩).

## سورة القمر[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ ﴾.

﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ الآية، هذه السورة مكية وقيل غير ذلك. ومناسبة أول السورة لآخر ما قبلها ظاهرة؛ قال «أزفت الأزفة»[2] وقال «اقتربت الساعة» وسبب نزولها[3] أن مشركي قريش قالوا للرسول عليه السلام: إن كنت صادقاً فشُقَّ لنا القمر فرقتين. ووعدوا بالإيمان إن فعل. وكانت ليلة بدر، فسأل ربه فانشقّ القمر نصفين: نصفاً على الصفا ونصفاً على قُعَيْقعان[4]. فقال أهل مكة: آية سماوية لا يعمل فيها السحر. فقال أبو

---

(١) مكية وآياتها خمس وخمسون.

(٢) الآية ٥٧ من النجم.

(٣) انظر البخاري ٤ : ١٨٤٣، وأسباب النزول ص٢٦٨، والفتح الرّباني ٢٢:٤٣، ومسلم ٤ : ٢١٥٨.

(٤) ق: قيقعان. وهو جبل بمكة، انظر معجم البلدان «قعيقعان».

جهل: اصبروا حتى يأتينا أهل البوادي، فإن أخبروا بانشقاقه فهو صحيح، وإلاّ فقد سحر محمد أعيننا. فجاؤوا وأخبروا بانشقاق القمر، فأعرض أبو جهل وقال: سحر مستمرٌ.

﴿وَكَذَّبُوا﴾ أي: بالآيات وبمن جاء بها، أي قالوا: هذا سحر مستمرٌ، سحرنا محمد. ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ أي: شهوات أنفسهم وما يهوون. ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ﴾ أي: له غاية ينتهي إليها.

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ﴾ أي: من الأخبار الواردة في القرآن في إهلاك من كذّب الأنبياء وما يؤولون إليه في الآخرة. ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ أي: ازدجار رادع لهم عمّا هم فيه.

و﴿حِكْمَةٌ﴾ بدل من «مزدجر». ووصفت الحكمة بـ«بالغة» لأنها تبلغ من مقصد الوعظ والبيان لمن له عقل ما لا يبلغ غيرها. ﴿فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾ يجوز أن تكون «ما» نافية، وأن تكون استفهاماً يراد به التقرير؛ أي: فأيّ شيء تغني النذر مع هؤلاء الكفرة؟.

ثم سلّى رسول الله ﷺ فقال ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ [أي]: أعرِضْ عنهم فإنّ الإنذار لا يجدي فيهم. ثم ذكر شيئاً من أحوال الآخرة وما يؤولون إليه إذ ذاك، متعلّقاً[1] باقتراب الساعة فقال ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾. والناصب لـ«يوم»: اذكر، مضمرةً.

وانتصبْ «خُشَّعاً» وخاشعة وخاشعاً[2]، على الحال من ضمير «يخرجون». والعامل فيه «يخرجون» لأنه فعل متصرّف. وفي هذا دليل على بطلان مذهب

---

(١) ق: متعلق.

(٢) في قراءات أخر، انظر البحر ٨: ١٧٥.

الجرمي أنه لا يجوز تقدّم الحال على الفعل وإن كان متصرّفاً، وقد قالت العرب: شتّى تؤوب الحَلَبة[1]. فشتّى حال وقد تقدمت على عاملها [٥٢٧/ب] وهو تؤوب لأنه فعل متصرف.

﴿مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ أي: من القبور. ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ﴾ جملة حالية، شبّههم بالجراد في الكثرة والتموّج. ﴿مُّهْطِعِينَ﴾ قال أبو عبيدة: مسرعين.

﴿يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ لما يشاهدون من مخايل هوله وما يرتقبون من سوء منقلبهم فيه.

﴿ ۞كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾.

﴿ ۞كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ أي: قبل قريش قوم نوح. وفيه وعيد لقريش وضَرْب مثلٍ لهم. ومفعول «كذّبت» محذوف أي: كذّبت الرسل فكذّبوا نوحاً. لمّا كانوا مكذّبين بالرسل جاهدين للنبوة رأساً، كذّبوا نوحاً لأنه من جملة الرسل.

وفي لفظ ﴿عَبْدَنَا﴾ تشريف وخصوصية بالعبودية كقوله ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴿٤١﴾﴾ [الأنفال].

﴿وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ﴾ أي: هو مجنون. لمّا رأوا الآيات الدالّة على صدقه قالوا هو مصاب الجن، لم يقنعوا بتكذيبه حتى نسبوه إلى الجنون.

---

(١) انظر مجمع الأمثال ١: ٣٧١.

والظاهر أن قوله «وازدجر» إخبار من الله تعالى، أي: انتهروه[١] وازدجروه بالسبّ والتخويف.

﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ﴾ أي: غلبني قومي، فلم يسمعوا منّي ويئست من إجابتهم لي. ﴿فَٱنتَصِرْ﴾ أي: فانتقم بعذاب[٢] تبعثه عليهم. وإنما دعا عليهم بعدما يئس منهم وتفاقم أمرهم.

﴿فَفَتَحْنَآ﴾ بيان أن الله تعالى انتصر منهم وانتقم. ومن العجب أنهم كانوا يطلبون المطر سنين، فأهلكهم الله تعالى بمطلوبهم[٣]. ﴿أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ﴾ جعل الماء كأنه آلة يفتح بها. ﴿بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾ أي: شديد غزير.

وانتصب ﴿عُيُونًا﴾ على التمييز، جعلت الأرض كلها كأنها عيون تتفجّر. وهذا أبلغ من: وفجّرنا عيون الأرض. ﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ في اللوح [المحفوظ] أنه يكون، وهو هلاك قوم نوح بالطوفان. ولذلك ذكر نجاة نوح بعدها في قوله ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾. والدّسر: المسامير التي تُشدّ بها السفينة. وذات الألواح: هي السفينة.

﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ أي: بمرأى منّا. ﴿جَزَآءً﴾ أي: مجازاة. ﴿لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ أي: لنوح عليه السلام؛ إذ كان نعمة أهداها الله تعالى إلى قومه لأن يؤمنوا فكفروها. المعنى أنّ حَمْله في السفينة ومن آمن معه كان جزاءً له على صبره على قومه المئين[٤] من السنين. و«مَن» كناية عن نوح عليه السلام. قال:

---

(١) ق: انتهروا.

(٢) ق: بعد أن.

(٣) ق: لمطلوبهم.

(٤) ق: المبين.

معنى: لمن كُفر: لمن جُحِدت نبوّته. والضمير في «تركناها» عائد على الفعلة والقصّة.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ تهويل لما حلّ بقوم نوح من العذاب وإعظام له؛ إذ قد استأصل جميعهم وقطع دابرهم فلم ينسلْ منهم أحد. أي: فكيف[1] كان عاقبة إنذاري. والنّذر: جمع نذير وهو الإنذار وفيه توقيف لقريش على ما حلّ بالمكذّبين أمثالهم.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا﴾ أي: سهّلنا القرآن. ﴿لِلذِّكْرِ﴾ أي: للادّكار والاتّعاظ، لما ضمّنه من المواعظ والوعد والوعيد. ﴿فَهَلْ [٥٢٨/أ] مِن مُّدَّكِرٍ﴾ أي: من متّعظ.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ
مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ
يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا
نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾
سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ
وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْاْ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ
فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُواْ كَهَشِيمِ
ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾﴾.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ الآية، الصّرصر: الريح الشديدة[2] الصوت الباردة. ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ﴾ يجوز أن تكون صفة للريح، وأن تكون حالاً

(١) ق: وكيف.

(٢) ق: الشديد.

منها لأنها وُصفت، فقربت من المعرفة، وأن تكون مستأنفة. وجاء الظاهر مكان المضمر ليشمل ذكورهم وإناثهم. والجملة التشبيهية حال من «الناس» وهي حال مقدّرة. شبّههم بأعجاز النخل المنقعر إذ تساقطوا على الأرض أمواتاً، وهم جثث عظام طوال. والأعجاز: الأصول بلا فروع قد انقلعت من مغارسها. وقيل: كانت الرّيح تقطع رؤوسهم فتُبقي أجساداً بلا رؤوس فأشبهت أعجاز النخل التي انقلعت من مغرسها.

وقرىء: أبشراً، بنصب «بشراً» على الاشتغال، ونصب «واحداً» صفةً له، تقديره: أنتّبع بشراً. ﴿إِنَّآ إِذًا﴾ أي: إن اتّبعناه، فنحن في ضلال، أي: في بعد عن الصواب وحيرة. ﴿وَسُعُرٍ﴾ أي: عذاب.

ثم زادوا عليه في الإنكار والاستبعاد فقالوا ﴿أَءُلْقِيَ﴾ أي: أُنزل. قيل: وكأنه يتضمن العجلة في الفعل. والعرب تستعمل هذا الفعل في العجلة. و﴿ٱلذِّكْرُ﴾ هنا الوحي والرسالة وما جاءهم به من الحكمة والموعظة، ثم قالوا: ليس الأمر كما يزعم[1] ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ أي: بَطِرٌ يريد العلوّ علينا.

وفي قوله ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا﴾ تهديد ووعيد ببيان انكشاف الأمر. والمعنى أنهم هم الكاذبون الأشرون. وأورد ذلك مورد الإبهام والاحتمال، وإن كانوا هم المعنيّين.

﴿إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ﴾ أي: ابتلاءً واختباراً. وآنس بذلك صالحاً. ولمّا هدّدهم بقوله «سيعلمون غدا» وكانوا قد ادّعَوْا أنه كاذب، قالوا: ما الدليل على صدقك؟. قال الله تعالى «إنا مرسلوا الناقة» أي: مخرجوها من الهضبة التي سألوها. ﴿فَٱرْتَقِبْهُمْ﴾ أي: فانتظرهم وتبصّر ما هم فاعلون. ﴿وَٱصْطَبِرْ﴾

---

(١) ق: تزعم.

على أذاهم ولا تعجل حتى يأتي أمر الله.

﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ﴾ أي: ماء البئر التي لهم. ﴿قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ﴾ أي: بين ثمود والناقة. ﴿كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ أي: محضّر[1] لهم وللناقة.

﴿فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ﴾ وهو قدار بن سالف. ﴿فَتَعَاطَىٰ﴾ هو مطاوع عاطى. وكأنّ هذه الفعلة تدافعها الناس وعاطاها[2] بعضهم بعضاً فتعاطاها قدار، وتناول العقر بيده. ولمّا كانوا راضين، نسب إليهم ذلك في قوله ﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ ۝٧٧﴾ [الأعراف].

والصّيحة التي أُرسلت عليهم؛ يروى أن جبريل عليه السلام صاح في طرف منازلهم، فتفتّتوا وهمدوا، وصاروا كهشيم المحتظر، وهو ما تفتّت من الشجر وتهشّم. و﴿ٱلْمُحْتَظِرِ﴾ الذي يعمل الحظيرة، فإنه تتفتّت منه حالة العمل [٥٢٨/ ب] وتتساقط[3].

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ۝٣٣ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ۝٣٤
نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ۝٣٥ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ۝٣٦
وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ۝٣٧ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً
عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣٨ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ۝٣٩ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝٤٠
وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ۝٤١ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ۝٤٢
أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ۝٤٣ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ۝٤٤
سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ۝٤٥﴾.

---

(١) ق: محضور.

(٢) ق: وعطاها.

(٣) ق: يتفتت.. ويتساقط.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ﴾ الآية، تقدمت قصة لوط عليه السلام[١].

والحاصب: من الحصباء وهو المعنيّ بقوله ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ۝٨٢﴾ [هود]. ﴿بِسَحَرٍ﴾ هو بكرة، فلذلك صُرف.

وانتصب ﴿نِّعْمَةً﴾ على أنه مفعول من أجله، أي: أنجيناهم لإنعامنا عليهم. ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي﴾ أي: مثل ذلك الإنعام والتّنجية نجزي من شكر إنعامنا وآمن وأطاع.

﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم [بَطْشَتَنَا]﴾ أي: أَخْذتنا لهم بالعذاب. ﴿فَتَمَارَوْا﴾ أي: تشكّكوا وتعاطوا ذلك. ﴿بِالنُّذُرِ﴾ أي: بالإنذار.

﴿فَطَمَسْنَا﴾ الطمس حقيقة؛ جرّ جبريل عليه السلام جناحه على أعينهم فاستوت مع وجوههم. ﴿فَذُوقُوا﴾ أي: فقلت لهم على ألسنة الملائكة: ذوقوا.

﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم﴾ أي: أول [النهار] وباكره، كقوله ﴿مُشْرِقِينَ ۝٧٣﴾ [الحجر].

﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ هي التّسع. والتوكيد هنا كهو في قوله ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ[٢] [ءَايَاتِنَا كُلَّهَا] ۝٥٦﴾ [طه]. والظاهر أن الضمير في «كذبوا» وفي «فأخذناهم» عائد على آل فرعون. ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ[٣] عَزِيزٍ﴾ لا يغالب. ﴿مُّقْتَدِرٍ﴾ لا يعجزه شيء، وهو كناية [عن] الله تعالى.

---

(١) انظر الآيات ٧٧-٨٣ من هود.

(٢) ق: ولقد رأينا.

(٣) ق: أي أخذ.

﴿أَكُفَّارُكُمْ﴾ خطاب لأهل مكّة. ﴿خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ﴾ وقفهم على توبيخهم؛ أي: ليس كفاركم خيراً من أولئك، بل هم مثلهم أو شرٌّ منهم. ﴿أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ أي: ألكم في الكتب الإلهية براءة من عذاب الله تعالى.

﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ أي: واثقون بجماعتنا منتصرون بقوّتنا[1].

﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ﴾ خطاب للرسول عليه السلام.

و﴿الدُّبُرَ﴾[2] هنا اسم جنس. وحسّن اسم الجنس هنا كونه فاصلة.

﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾
يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا
أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن
مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ
الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾.

﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ انتقل من تلك الأقوال إلى أمر الساعة التي عذابها أشدّ عليهم من كل هزيمة وقتال. ﴿وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ أي: أفظع وأشدّ. والداهية: الأمر المنكر الذي لا يُهتدى لدفعه وهي الرزيّة العظمى، تحلّ بالشخص. ﴿وَأَمَرُّ﴾ من المرارة، استعارة لصعوبة الشيء على النفس.

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ﴾ أي: في حيرة وتخبّط في الدّنيا. ﴿وَسُعُرٍ﴾ أي: احتراق في الآخرة، جُعلوا فيه من حيث إنّ مصيرهم إليه. ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ﴾ يُجرّون في النار على وجوههم.

---

(١) ق: أي أنفوز كما عتنا بمنتصر قوتنا.

(٢) ق: فالدبر.

﴿ذُوقُواْ﴾ أي: مقولاً لهم: ذوقوا مسّ سقر. و﴿سَقَرَ﴾ لا ينصرف للتأنيث المجازي والعلمية، وهو اسم من أسماء جهنم.

﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ منصوب على الاشتغال؛ أي: خلقنا كل شيء. ﴿بِقَدَرٍ﴾ أي: مقدور لله تعالى كما جاء في الحديث[١] «أن تؤمن بالقدر خيره وشرّه».

﴿وَمَآ أَمْرُنَآ﴾ إلا كلمة واحدة وهي كن. ﴿كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ﴾ تشبيه بأعجل ما يحسّ.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ﴾ أي: الفرق المتشايعة في مذهب ودين.

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ﴾ أي: فعلته الأمم المكذّبة محفوظ عليهم إلى يوم [٥٢٩/أ] القيامة، قاله ابن عباس. ومعنى ﴿فِي ٱلزُّبُرِ﴾ في دواوين الحفظة.

﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾ من الأعمال ومن كل ما هو كائن. ﴿مُّسْتَطَرٌ﴾ أي: مسطور في اللوح. يقال: سطرت وأسطرت بمعنى واحد.

وقرىء: ونَهْرْ، على الإفراد والمراد به الجنس. وحسّنه كونه جاء فاصلة.

وقرىء: في مقعد، على الإفراد ويراد به اسم الجنس. وقرىء: في مقاعد، على الجمع. و﴿عِندَ﴾[٢] تدلّ على تقريب المكانة من الله تعالى.

(١) أخرجه مسلم ١: ٣٧ من حديث عمر بن الخطاب.

(٢) ق: وقيل.

# مفردات سورة القمر

الجَدَث: القبر، وتُبدَلُ ثاؤه فاءً، فيقال: جَدَف، كما أبدلوا في «ثَمّ» فقالوا: «فَمّ»[1].

انهمرَ الماء: نزلَ بقوَّةٍ غزيراً، قال الشاعر:

راحَ تَمريهِ الصَّبا ثمَّ انتَحى ... فيهِ شُؤبوبُ جَنوبٍ مُنْهَمِرْ[2]

الدُّسُر: المسامير التي تُشدُّ بها السفينة، واحِدُها دِسار، نحو كِتاب وكُتُب، ويقال: دَسرْتُ السفينة: إذا شددتُها بالمسامير[3].

وقال الليث[4] وصاحب «الصحاح»[5]: «الدُّسُر»: خيوطٌ تُشَدُّ بها ألواحُ السفينة.

الصَّرصر: الشديدة الصوت، أو البرد. إمَّا من صرير الباب وهو تصويته، أو من الصِّرِّ الذي هو البرد[6]. وهو بناء متأصِّل على وزن فَعْلَل عند الجمهور.

---

(١) الصحاح (جدف)، وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٨٧.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢١٤. والبيت لامرىء القيس، وهو في ديوانه ص ١٤٥، قال شارحه: راح: يعني السحاب. وتَمْريه: تحركة وتديره. والصَّبا: أحمَدُ الرياح عند العرب، وأجلبُها للخير. والشُّؤبوب: دفعةُ المطر وشدَّتُه.

(٣) تفسير الثعلبي ٦/ ٣٥.

(٤) فيما نقل عنه القرطبي في تفسيره ٢٠/ ٨٣، وفيه: وقال الليث: الدِّسار: خيط من ليفٍ تُشَدُّ به ألواح السفينة.

(٥) مادة (دسر).

(٦) الصحاح (صرر).

العَجُز: مُؤخَّر الشيء[١].

المُنْقَعِر: المُنْقَلِع من أصله، قعرتُ الشجرةَ قعراً: قلَعْتُها من أصلها فانقعرَتْ. والبئرَ: نزلتُ حتى انتهيتُ إلى قعرها. والإناءَ: شربتُ ما فيه حتى انتهيتُ إلى قعره. وأقعَرْتُ البئرَ: جعلتُ لها قَعْراً[٢].

الأشَر: البَطَر. وقد أشِرَ ـ بالكسر ـ يأشَرُ أشراً، فهو أشِرٌ وآشِرٌ وأشْران، وقوم أُشَارى مثل سَكران وسُكارى[٣].

سَقَر: علمٌ لجهنم مُشتَقٌّ من سَقَرَتْه النار ـ بالسين ـ وصَقَرتْه ـ بالصاد ـ إذا لوَّحَتْه[٤]. قال ذو الرُّمَّة:

إذا ذابتِ الشَّمسُ اتَّقى صَقَراتِها بأفنانِ مَرْبوعِ الصَّريمةِ مُعْيِلِ[٥]

وامتنعت «سَقَر» من الصرف للعلمية والتأنيث[٦]، تنزَّلَتْ حركةُ وسطه تنزُّل الحرف الرابع في زينب.

* * *

## سورة القمر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢

---

(١) الصحاح (عجز).

(٢) الصحاح (قعر).

(٣) الصحاح (أشر).

(٤) الصحاح (سقر) و(صقر).

(٥) ديوان ذي الرمَّة ٣/١٤٥٨. قال شارحه: وقوله: إذا ذابت الشمس، أي: كأنها سيلٌ من شدة الحر. والصَّقْرة: شدة وقع الشمس. مربوع: أصابها الربيع فاخضرَّت. والصَّريمة: قطعة من الرمل تنقطع فتنفرد. وأعيَلَتِ الشجرة: إذا خرج ورقُها.

(٦) معاني القرآن للزجاج ٥/٩٢.

وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ
مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ
نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ
ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾
فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى
ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ
﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ
لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾.

التفسير هذه السورة مكية في قول الجمهور. وقيل: هي ممَّا نزل يوم بدر[1]. وقال مقاتل: مكية إلَّا ثلاث آيات، أولها: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ﴾ وآخرها ﴿أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾[2] [الآية: ٤٦].

وسبب نزولها أنَّ مشركي قريش قالوا للرسول ﷺ: إن كنتَ صادقاً فشُقَّ لنا القمر فرقتين، ووعدوه بالإيمان إن فَعَل، وكانت ليلةَ بدر، فسأل ربَّه، فانشقَّ القمرُ، نصفٌ على الصَّفا ونصفٌ على قُعَيْقِعان[3]. فقال أهل مكة: آيةٌ سماويةٌ لا يعمل فيها السحر، فقال أبو جهل: اصبروا حتى تأتينا أهلُ البوادي، فإنْ أَخبروا بانشقاقه فهو صحيح، وإلَّا فقد سحَرَ محمدٌ أعيُنَنا. فجاؤوا فأخبروا بانشقاق القمر، فأعرض أبو جهل وقال: سحرٌ مُسْتمر[4].

وعن ابن عباس: شُقَّ القمرُ باثنتين، شطرة على السُّويداء، وشطرة على

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢١١.
(٢) النكت والعيون ٥/ ٤٠٨.
(٣) تحرفت في (أ) و(ع) والمطبوع إلى: قيقعان. والخبر أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة (٢٠٩) عن ابن عباس ﷺ. وضعَّفه ابن حجر في فتح الباري ٧/ ١٨٣. وقُعَيْقِعان: جبل بمكة. معجم البلدان ٤/ ٣٧٩.
(٤) تفسير أبي الليث ٣/ ٢٩٧ بنحوه.

الخَنْدَمة[١]. وعنه: انشقَّ القمرُ بمكة مرَّتين. وعنه: انفلق فلقتين، فلقة ذهبت وفلقة بقيت[٢].

ومناسبة أول السورة لآخر ما قبلها ظاهرةٌ، قال: ﴿أَزِفَتِ ٱلْأَزِفَةُ﴾ [النجم: ٥٧] وقال: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾[٣].

وممَّن عاين انشقاقَ القمر ابنُ مسعود وجُبير بن مُطْعِم، وأخبر به ابنُ عمر وأنسٌ وحذيفةُ وابنُ عباس[٤].

وحين أرى اللهُ الناسَ انشقاقَ القمر قال الرسول ﷺ: «اشهدوا»[٥] وقال المشركون إذ ذاك: سحَرَنا محمد[٦]. وقال بعضهم: سحر القمر[٧].

والأمَّة مُجمِعةٌ على خلاف مَنْ زعم أنَّ قولَه: ﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ معناه أنَّه ينشقُّ يوم القيامة، ويردُّه من الآية قوله: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝﴾[٨] فلا يناسب هذا الكلام أن يأتيَ إلَّا بعد ظهور ما سألوهُ معيَّناً من انشقاق القمر.

---

(١) تحرفت في (أ) و(ع) والمطبوع إلى: الحديبية. والخبر أخرجه الثعلبي في تفسيره ٦/ ٣٢. والخَنْدمة: جبل بمكة. معجم البلدان ٢/ ٣٩٢.

(٢) الكشاف ٤/ ٣٥-٣٦.

(٣) تفسير الرازي ٢٩/ ٢٨.

(٤) الكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٢١١. وحديث ابن مسعود أخرجه البخاري (٣٦٣٦)، ومسلم (٢٨٠٠)، وأحمد (٣٥٨٣). وحديث جبير بن مطعم أخرجه أحمد (١٦٧٥٠)، والترمذي (٣٢٨٩). وحديث ابن عمر أخرجه مسلم (٢٨٠١). وحديث أنس أخرجه البخاري (٣٦٣٧)، ومسلم (٢٨٠٢)، وأحمد (١٢٦٨٨). وحديث حذيفة أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٥٢٨٥)، وابن أبي شيبة (٣٥٩٤٤)، والزجاج في معاني القرآن ٥/ ٨٤، والطبري ٢٢/ ١٠٧-١٠٨، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٧٠٦) و(٧٠٧). وحديث ابن عباس أخرجه البخاري (٣٦٣٨)، ومسلم (٢٨٠٣).

(٥) هو جزء من حديث ابن مسعود وابن عمر ﷺ.

(٦) هو جزء من حديث جبير بن مطعم ﷺ.

(٧) أخرجه الفاكهي في أخبار مكة (٢٣٦٣)، والحاكم ٢/ ٤٧١ عن ابن مسعود ﷺ. والطبراني في المعجم الكبير (١١٦٤٢) عن ابن عباس ﷺ.

(٨) الكشاف ٤/ ٣٦ بنحوه.

وقيل: سألوا آيةً في الجملة، فأراهم هذه الآية السماوية وهي من أعظم الآيات، وذلك التأثير في العالم العلوي.

وقرأ حذيفة: «وقد انشقَّ القمر»[١] أي: اقتربت وتقدَّم من آيات اقترابها انشقاقُ القمر، كما تقول: أقبل الأمير وقد جاء المُبشِّر بقدومه. وخطب حذيفةُ بالمدائن ثم قال: ألا إنَّ الساعةَ قد اقتربت، وإنَّ القمر قد انشقَّ على عهدِ نبيِّكم[٢].

ولا التفاتَ إلى قول الحسن: إنَّ المعنى: إذا جاءت الساعة انشقَّ القمر بعد النفخة الثانية[٣]. ولا إلى قول مَنْ قال: إنَّ انشقاقَه عبارةٌ عن انشقاق الظُّلمة عند طلوعه في أثنائها، فالمعنى: ظهر الأمرُ، فإنَّ العرب تضرب القمر مثلاً فيما وضح، كما يُسمَّى الصبحُ فلَقاً عند انفلاق الظُّلمة عنه، وقد يُعبَّر عن الانفلاق بالانشقاق، قال النابغة[٤]:

فلمَّا أدبروا ولهم دَوِيٌّ  دعانا عندَ شَقِّ الصُّبحِ داعي

وهذه أقوال فاسدة، ولولا أنَّ المفسِّرين ذكروها لأضربتُ عن ذكرها صفحاً.

﴿وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟﴾ وقُرِىء: «وإن يُرَوا» مبنيًّا للمفعول، أي: من شأنهم وحالتهم أنَّهم متى ما رأوا ما يدلُّ على صدق الرسول ﷺ من الآيات الباهرة أعرضوا عن الإيمان به وبتلك الآية. وجاءت الجملة شرطيةً ليدُلَّ على أنَّهم في الاستقبال على مثل حالهم في الماضي.

﴿وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ أي: دائمٌ، ومنه قول الشاعر:

---

(١) القراءات الشاذة ص ١٤٧، والمحتسب ٢/ ٢٩٧.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٥٢٨٥)، وابن أبي شيبة (٣٥٩٤٤)، والزجاج في معاني القرآن ٥/ ٨٤، والطبري ٢٢/ ١٠٧-١٠٨، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٧٠٦) و(٧٠٧). والكلام بتمامه في الكشاف ٤/ ٣٦.

(٣) القول ذكره القرطبي ٢٠/ ٧٢.

(٤) هو الجعدي كما ذكر الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٤٠٩ والكلام منه. ولم أجده في ديوان النابغة.

ألا إنَّـمـا الـدنـيـا لـيـالٍ وأعـصُـرٌ      وليـس عـلـى شـيءٍ قَـوِيـمٍ بـمُـسـتـمِرّْ

أي: بدائم[١].

لمَّا رأوا الآياتِ متواليةً لا تنقطع قالوا ذلك[٢]. وقال أبو العالية والضحاك والأخفش: ﴿مُّسْتَمِرٌّ﴾: مشدودٌ مُوثَقٌ، من مرائر الحبل، أي: سِحْرٌ قد أُحكِم، ومنه قول الشاعر:

حتى استـمـرَّتْ عـلـى شَـزرٍ مَـريـرَتُـهُ      صِـدْقُ الـعـزيـمـةِ لا رَتًّـا ولا ضَـرَعـا[٣]

وقال أنس ويمان وقتادة ومجاهد والكسائي والفرَّاء واختاره النحاس: ﴿مُّسْتَمِرٌّ﴾: مارٌّ ذاهبٌ زائلٌ عن قريب[٤]؛ علَّلوا بذلك أنفُسَهم.

وقيل: ﴿مُّسْتَمِرٌّ﴾: شديد المرارة، أي: مُسْتَبْشعٌ عندنا مُرٌّ، يقال: مَرَّ الشيءُ وأمَرَّ: إذا صارَ مُرًّا، وأمَرَّ غيرَه ومَرَّه يكون لازماً ومتعدياً[٥].

وقيل: ﴿مُّسْتَمِرٌّ﴾ يشبه بعضُه بعضاً[٦]، أي: استمرَّتْ أفعالُه على هذا الوجه من التخيُّلات.

---

(١) النكت والعيون ٥/ ٤١٠، والبيت لامرىء القيس، وهو في ديوانه ص ١٠٩.

(٢) الكشاف ٤/ ٣٦.

(٣) البيت للقيط بن زرارة، وهو في الكامل للمبرِّد ٢/ ٦٨٢، والمحرر الوجيز ٥/ ٢١٢ والكلام منه دون قول الأخفش، وتفسير القرطبي ٢٠/ ١٣ و٧٤، وفيه: مُرُّ، بدل: صِدْقُ. وفي الكامل: لا قَحماً، بدل: لارتًّا. والقَحْمُ: الكبير المسن. والرَّتُّ: الرئيس من الرجال في الشرف والعطاء. والضَّرَعُ: الصغيرُ السِّنِّ الضعيف. اللسان (قحم) و(رتت) و(ضرع). وقول الأخفش في النكت والعيون ٥/ ٤١٠.

(٤) تفسير القرطبي ٢٠/ ٧٤ و٧٥ بنحوه. وهو في تفسير الثعلبي ٦/ ٣٣، والمحرر الوجيز ٥/ ٢١٢، وتفسير البغوي ٤/ ٢٥٨ عن قتادة ومجاهد والكسائي والفراء. وقول الفراء في معاني القرآن له ٣/ ١٠٤. وأخرجه الطبري ٢٢/ ١١٣ عن مجاهد وقتادة.

(٥) الكشاف ٤/ ٣٦ بنحوه.

(٦) النكت والعيون ٥/ ٤١٠. والكلام من تفسير القرطبي ٢٠/ ٧٥.

وقيل: ﴿مُّسْتَمِرٌّ﴾: مارٌّ من الأرض إلى السماء[١]، أي: بلغ من سحره أنَّه سحَرَ القمر.

﴿وَكَذَّبُوا﴾ أي: بالآيات وبمن جاء بها، أي: قالوا: هذا سِحْرٌ مستمِر، سحَرَنا محمد.

﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ أي: شهواتِ أنفسِهم وما يَهْوَون[٢].

﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾ قرأ الجمهور: «مُستَقِرٌ» بكسر القاف وضمِّ الراء، مبتدأ وخبر.

قال مقاتل: أي: له غايةٌ ينتهي إليها[٣]. وقال الكلبي: مستقرٌّ له حقيقةٌ، فما كان في الدنيا فسيظهر، وما كان في الآخرة فسيُعْرَف[٤]. وقال قتادة: معناه: أنَّ الخيرَ يستقِرُّ بأهل الخير، والشرَّ بأهل الشرّ[٥]. وقيل: يستقرُّ الحقُّ ظاهراً ثابتاً، والباطلُ زاهقاً ذاهباً[٦]. وقيل: وكلُّ أمرٍ من أمرِهم وأمْرِه يستقِرُّ على خِذلانٍ أو نُصرةٍ في الدنيا، وسعادةٍ أو شقاوةٍ في الآخرة[٧].

وقرأ شيبة: «مُستَقَرّ» بفتح القاف. ورُوِيَتْ عن نافعٍ. وقال أبو حاتم: لا وجهَ لفَتْحِ القاف[٨]. انتهى. وخُرِّجَتْ على حذف مضاف، أي: ذو استقرارٍ، وزمانَ استقرارٍ.

---

(١) النكت والعيون ٥/ ٤١٠ عن مجاهد.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ١١٢.
(٣) تفسير الثعلبي ٦/ ٣٣.
(٤) تفسير البغوي ٤/ ٢٥٨.
(٥) النكت والعيون ٥/ ٤١٠، والوسيط للواحدي ٤/ ٢٠٧، وتفسير البغوي ٤/ ٢٥٨. وأخرجه الطبري ٢٢/ ١١٤-١١٥.
(٦) المحرر الوجيز ٥/ ١١٢.
(٧) الكشاف ٤/ ٣٦.
(٨) المحرر الوجيز ٥/ ١١٢ ولم يذكر القراءة عن شيبة، وهي عنه في تفسير القرطبي ٢٠/ ٧٥، والمشهور عن نافع ـ بكسر القاف ـ كقراءة الجمهور.

وقرأ أبو جعفر وزيد بن علي: «مُسْتَقِرٍّ» بكسر القاف والراء معاً صفة لـ«أمرٍ»[١]. وخرَّجَه الزمخشريّ[٢] على أن يكون «وكلُّ» عطفاً على الساعة، أي: اقتربتِ الساعةُ واقتربَ كلُّ أمرٍ مستقرٌ يستقِرُّ ويتبيَّنُ حالُه. وهذا بعيدٌ؛ لطول الفصل بجُمَلٍ ثلاث، وبعيدٌ أن يوجد مثلُ هذا التركيب في كلام العرب، نحو: أكلتُ خبزاً، وضربتُ خالداً، وإنْ يَجِىءْ زيدٌ أُكْرِمْه، ورحَلَ إلى بني فلان، ولحماً. فيكون «ولحماً» عطفاً على «خبزاً»، بل لا يوجَدُ مثلُه في كلام العرب.

وخرَّجه صاحبُ «اللوامح» على أنَّه خبرٌ لـ «كلُّ» فهو مرفوعٌ في الأصل، لكنَّه جُرَّ للمجاورة، وهذا ليس بجيِّدٍ؛ لأنَّ الخفْضَ على الجوار في غاية الشذوذ، ولأنَّه لم يُعهَدْ في خبر المبتدأ، إنَّما عُهِدَ في الصفة على اختلاف بين[٣] النُّحاة في وجوده، والأسهلُ أن يكون الخبرُ مُضمراً لدلالة المعنى عليه، والتقدير: وكلُّ أمرٍ مستقِرٌ بالِغوه؛ لأنَّ قبلَه «وكذَّبوا واتَّبعوا أهواءَهم» أي: وكلُّ أمرٍ مستقرٌ لهم في القدر من خيرٍ أو شرٍّ بالِغُه هم.

وقيل: الخبر «حكمةٌ بالغةٌ»، ويكون «ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مُزْدَجَر» اعتراضٌ بين المبتدأ وخبره.

﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ﴾ أي: من الأخبار الواردة في القرآن في إهلاك مَنْ كذَّبَ الأنبياء وما يؤولون إليه في الآخرة ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ أي: ازدجارٌ رادعٌ لهم عمَّا هم فيه، أو موضع ازدجارٍ وارتداع، أي: ذلك موضعُ ازدجارٍ أو مَظِنةٌ له[٤].

وقرىء: «مُزَّجَر» بإبدال تاء الافتعال زاياً وإدغام الزاي فيها.

---

(١) القراءات الشاذة ص ١٤٧، والمحتسب ٢/ ٢٩٧ عن أبي جعفر، والمشهور عنه كقراءة الجمهور.
(٢) في الكشاف ٤/ ٣٦.
(٣) كلمة «بين» من (د٣) و(يه).
(٤) الكشاف ٤/ ٣٦ بنحوه.

وقرأ زيد بن علي: «مُزْجِر» اسم فاعل من أزْجَر، أي: صار ذا زَجْرٍ، كأعشب، أي: صار ذا عُشْبٍ(١).

وقرأ الجمهور: «حكمةٌ بالغةٌ» برفعهما.

وجَوَّزوا أن تكون «حكمةٌ» بدلاً من «مُزْدَجر»، أو من «ما»، أو خبرَ مبتدأٍ محذوف(٢). وتقدَّم قولُ مَنْ جعلَه خبراً عن «كل» في قراءة من قرأ: «مستقرٍّ» بالجر.

وقرأ اليماني: «حكمةً بالغةً»، بالنصب فيهما، حالاً من «ما»، سواء كانت «ما» موصولةً أم موصوفةً تخصَّصت بالصفة(٣).

ووُصِفَتِ الحكمةُ بـ «بالغة»؛ لأنَّها تبلغُ غيرَها.

﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾ مع هؤلاء الكفرة. ثمَّ سلَّى رسولَه ﷺ فقال: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي: أعرِضْ عنهم، فإنَّ الإنذار لا يُجدي فيهم. ثمَّ ذكر شيئاً من أحوال الآخرة وما يؤولون إليه إذ ذاك متعلِّقٌ باقتراب الساعة، فقال: ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾(٤).

والناصب لـ «يومَ» «اذكُرْ» مضمرة. قاله الرُّمَّاني. أو «يخرجون». وقال الحسن: المعنى: فتولَّ عنهم إلى يوم(٥). وهذا ضعيف من جهة اللَّفظ ومن جهة المعنى؛ أمَّا من جهة اللفظ فحذف إلى، وأمَّا من جهة المعنى فإنَّ تولِّيه عنهم ليس مُغَيًّا بـ «يومَ يدعُ الداع».

وجُوِّز أن يكون منصوباً بقوله: «فما تغني النُّذر» ويكون «فتوَلَّ عنهم» اعتراضاً. وأن يكون منصوباً بقوله: «يقول الكافرون»، ومنصوباً على إضمار «انتظر»،

(١) الكشاف ٤/ ٣٦، ونقله عنه القرطبي في تفسيره ٢٠/ ٧٦.
(٢) تفسير الرازي ٢٩/ ٣٢، والقولان الثاني والثالث في معاني القرآن للزجاج ٥/ ٨٥، وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٨٦، وإملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٢٤٩، والكشاف ٤/ ٣٦.
(٣) الكشاف ٤/ ٣٦ دون نسبة القراءة.
(٤) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ١١٢، وتفسير أبي الليث ٣/ ٢٩٨.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ١١٢، وهو دون قول الحسن في الكشاف ٤/ ٣٦.

ومنصوباً بقوله: «فتوَلَّ». وهذا ضعيف جدًّا. ومنصوباً بـ «مستَقِرّ» وهو بعيدٌ أيضاً.

وحُذِفَتِ الواوُ من «يَدْعُ» في الرسم إتباعاً للنُّطق، والياء من «الداع» تخفيفاً، أُجريَتْ «أل» مجرى ما عاقبها وهو التنوين، فكما تُحذف معه حُذفت معها[١].

والدَّاع: هو إسرافيل، أو جبرائيل، أو مَلَكٌ غيرُهما موكَّلٌ بذلك. أقوال[٢].

وقرأ الجمهور: «نُكُر» بضمِّ الكاف، وهو صفةٌ على فُعُل، وهو قليل في الصفات، ومنه: رجلٌ شُلُل، أي: خفيفٌ في الحاجة، وناقةٌ أُجُد، ومشيةٌ سُجُح، وروضةٌ أُنُف[٣].

وقرأ الحسن، وابن كثير، وشِبْل: بإسكان الكاف[٤]، كما قالوا: شُغْل وشُغُل، وعُسْر وعُسُر[٥].

وقرأ مجاهد، وأبو قِلابة، والجَحْدري، وزيد بن علي: «نُكِرَ» فعلاً ماضياً مبنيًّا للمفعول، أي: جُهِلَ فنُكِرَ[٦].

وقال الخليل: النُّكر: نعتٌ للأمر الشديد، والرجل الداهية[٧]، أي: تُنكِره النفوس؛ لأنَّها لم تعهَدْ مثلَه وهو يوم القيامة[٨]. وقال مالك بن عوف النَّضري:

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ١١٢ بنحوه.

(٢) تفسير الرازي ٢٩/ ٣٣. والقول بأنه إسرافيل مرويٌّ عن مقاتل كما في تفسير أبي الليث ٣/ ٢٩٨، والوسيط للواحدي ٤/ ٢٠٨، ومجمع البيان ٢٧/ ٦٧.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ١١٢-١١٣. والناقةُ الأُجُد: القوية الموثَّقة الخَلْق. ومشيةٌ سُجُح، أي: سهلة. وروضة أُنُف، أي: لم يرعَها أحد، أو: لم تُوطأ. اللسان (أجد) و(سجح) و(أنف).

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ١١٢، ووقع في مطبوعه: بكسر الكاف. وقراءة ابن كثير في السبعة ص ٦١٧، والتيسير ص ٢٠٥.

(٥) تفسير القرطبي ٢٠/ ٧٧-٧٨. وينظر حجة القراءات لابن زنجلة ص ٦٨٨.

(٦) القراءات الشاذة ص ١٤٧، والمحتسب ٢/ ٢٩٨ دون نسبة القراءة لزيد بن علي.

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٢١٣.

(٨) الكشاف ٤/ ٣٦.

اقْـدُمْ مَـحـاجِ إنَّـه يـومٌ نُـكُـرْ مثلي على مِثْلِكَ يَحمي ويَكُرّ(١)

وقرأ قتادة، وأبو جعفر، والحسن، وشيبة، والأعرج، والجمهور: «خُشَّعاً» جمع تكسير(٢). وابن عباس، وابن جُبير، ومجاهد، والجَحْدري، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: «خاشعاً» بالإفراد(٣). وقرأ أُبيٌّ وابن مسعود: «خاشعةً»(٤). وجمع التكسير أكثر في كلام العرب. وقال الفرَّاء وأبو عبيدة: كلُّه جائز(٥). انتهى. ومِثال جمع التكسير قول الشاعر:

بِمُطَّرِدٍ لَدْنٍ صِحاحٍ كُعوبُهُ وذي رَوْنَقٍ عَضْبٍ يقُدُّ القوانِسا(٦)

ومثال الإفراد قوله:

ورجالٍ حَسَنٍ أوجُهُهُمْ مِن إيادِ بنِ نزارِ بنِ مَعَدّ(٧)

وقال آخر:

يرمي الفِجاجَ بهِ الرُّكبانُ مُعترِضاً أعناقَ بُزَّلِها مُرْخًى لها الجُدُلُ(٨)

---

(١) البيت في معجم الشعراء ص ١٦١، والمحرر الوجيز ٥/ ١١٣، واللسان وتاج العروس (محج)، والمَحاج: اسم فرس معروفة من خيل العرب. وفي التاج: اسم خيل أبي جهل.

(٢) قراءة أبي جعفر في النشر ٢/ ٣٨٠. وتنظر قراءة الباقين في المحرر الوجيز ٥/ ٢١٣.

(٣) قراءة أبي عمرو وحمزة والكسائي في السبعة ص ٦١٨، والتيسير ص ٢٠٥. وتنظر قراءة الباقين في المحرر الوجيز ٥/ ٢١٣.

(٤) القراءات الشاذة ص ١٤٧.

(٥) تفسير الثعلبي ٦/ ٣٤ عن الفراء وحده. وينظر معاني القرآن للفراء ٣/ ١٠٥.

(٦) البيت لحُسَيل بن سُجيح، كما في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٢/ ٥٦٩، وللتبريزي ٢/ ٦٥، واللسان وتاج العروس (قنس). المراد بالمطَّرد هنا الرمح، والاطِّراد في الرمح: تقوُّمه وتوافق أنابيبه عند الهزّ، واللَّدْن: المسوَّى اللَّيِّن. والقَدُّ: القطع طُولاً. والقوانس: أعلى البَيض.

(٧) البيت لأبي دؤاد الإيادي، وهو في ديوانه ص ٣٠٥، وسيرة ابن هشام ١/ ٧٤، ورسالة الملائكة ص ١٥٣. وفي الديوان ورسالة الملائكة: وشبابٍ، بدل: ورجالٍ. وفي السيرة: وفُتُوٍّ.

(٨) البيت للقطامي كما في جمهرة أشعار العرب ٢/ ٨٠٧، والحماسة البصرية ٢/ ٣٦١. البُزَّل، جمع بازل: وهو البعير الذي انشقَّ نابُه. والجُدل، جمع جديل: وهو الزمام. اللسان (بزل) و(جدل).

وانتصب «خُشَّعاً» و«خاشعاً» و«خاشعةً» على الحال من ضمير «يخرجون»، والعامل فيه «يخرجون»؛ لأنَّه فِعْلٌ مُتَصَرِّف[1]. وفي هذا دليلٌ على بطلان مذهب الجَرْمي بأنَّه لا يجوز تقدُّم الحال على الفعل وإن كان مُتَصرِّفاً، وقد قالت العرب: شَتَّى تؤوبُ الحَلَبَة[2]، «فشتَّى» حالٌ، وقد تقدَّمت على عاملها وهو «تؤوب»؛ لأنَّه فِعْلٌ مُتَصرِّف. وقال الشاعر:

سريعاً يهونُ الصَّعبُ عند أُولِي النُّهى إذا برجاءٍ صادقٍ قابلوا البأسا[3]

ف «سريعاً» حال، وقد تقدَّمت على عاملها وهو «يهون».

وقيل: هو حالٌ من الضمير المجرور في «عنهم» من قوله: «فتوَلَّ عنهم»[4].

وقيل: هو مفعول بـ «يَدْعُ» أي: قوماً خُشَّعاً، أو فريقاً خُشَّعاً[5]. وفيه بُعْدٌ، ومن أفرد «خاشعاً» وذكَّرَ فعلى تقدير: تخشَعُ أبصارُهم، ومن قرأ: «خاشعةً» وأنَّثَ، فعلى تقدير: تخشَعُ، ومن قرأ: «خُشَّعاً» جمع تكسير؛ فلأنَّ الجمع موافقٌ لما بعده وهو «أبصارُهم»، وموافقٌ للضمير الذي هو صاحب الحال في «يخرجون»، وهو نظير قولهم: مررتُ برجالٍ كرامٍ آباؤهم.

وقال الزمخشري: و«خُشَّعاً» على يَخْشَعْنَ أبصارُهم، وهي لغة من يقول: أكلوني البراغيثُ، وهم طيِّىء[6]. انتهى. ولا يجري جمعُ التكسير مجرى جمع السلامة، فيكون على تلك اللغة النادرة القليلة، وقد نَصَّ سيبويه[7] على أنَّ جمعَ التكسير أكثرُ في كلام العرب، فكيفَ يكونُ أكثرَ ويكون على تلك اللغة النادرة

---

(١) المحرر الوجيز ٥/٢١٣.

(٢) ذكره الميداني في مجمع الأمثال ١/٣٥٨ وقال: يُضرب في اختلاف الناس وتفرُّقهم في الأخلاق.

(٣) لم أقف على قائله.

(٤) مشكل إعراب القرآن ٢/٦٩٨.

(٥) إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/٢٤٩.

(٦) الكشاف ٤/٣٦.

(٧) الكتاب ٢/٤٢.

القليلة؟ وكذا قال الفرَّاء[١] حين ذكر الإفراد مُذَكَّراً ومؤنَّثاً وجمعَ التكسير، قال: لأنَّ الصِّفة متى تقدَّمت على الجماعة جازَ فيها جميعُ ذلك، والجمعُ موافقٌ للفظِها فكان أشبه. انتهى. وإنَّما يُخَرَّج على تلك اللغة إذا كان الجمعُ مجموعاً بالواو والنون، نحو: مررتُ بقومٍ كريمين آباؤهم. والزمخشريُّ قاس جمعَ التكسير على هذا الجمع السالم، وهو قياس فاسد يردُّه النقل عن العرب أنَّ جمع التكسير أجوَدُ من الإفراد كما ذكرناه عن سيبويه، وكما دلَّ عليه كلامُ الفرَّاء.

وجُوِّزَ أن يكون في «خُشَّعاً» ضميرٌ و«أبصارُهم» بدلٌ منه. وقرئ: «خُشَّعٌ أبصارُهم» وهي جملة في موضع الحال، و«خُشَّعٌ» خبرٌ مقدَّم[٢].

وخشوع الأبصار كنايةٌ عن الذِّلَّة، وهي في العيون أظهر منها في سائر الجوارح، وكذلك أفعال النفس من ذِلَّةٍ وعزَّةٍ وحياءٍ وصلفٍ وخوفٍ وغير ذلك[٣].

﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ﴾ جملة حالية أيضاً[٤]، شبَّههم بالجراد في الكثرة والتموُّج، ويقال: جاؤوا كالجراد في الجيش الكثير المتموِّج، ويقال: كالدَّبى[٥]. وجاء تشبيهُهم أيضاً بالفَراش المبثوث[٦]، وكلٌّ من الجراد والفراش في الخارجين يوم الحشر شَبَهٌ منهما. وقيل: يكونون أولاً كالفراش حين يموجون فَزِعين لا يهتدون أين يتوجَّهون؛ لأنَّ الفراشَ لا جهةَ له يقصدها، ثمَّ كالجراد المنتشر إذا توجَّهوا إلى المحشر والداعي، فهما تشبيهان باعتبار وقتين. قال معناه مكي بن أبي طالب[٧].

---

(١) بنحوه في معاني القرآن له ٣/ ٨٥.

(٢) الكشاف ٤/ ٣٦.

(٣) الكلام من الكشاف ٤/ ٣٦، والمحرر الوجيز ٥/ ٢١٣.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٨٧، وإملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٢٤٩.

(٥) تحرف في (ع) والمطبوع إلى: كالذباب. والدَّبى: الجراد قبل أن يطير. اللسان (دبي). والكلام من الكشاف ٤/ ٣٧.

(٦) كما في سورة القارعة الآية (٤).

(٧) في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٩٨، والمراد بقوله: قال معناه، يعني به إعراب الجملة حالاً. والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٢١٣، وزاد المسير ٨/ ٩١.

﴿مُّهْطِعِينَ﴾ قال أبو عبيدة: مُسْرِعين، ومنه قوله:

بِدِجْلَةَ دارُهُمْ ولقد أراهُمْ بِدِجْلَةَ مُهطِعينَ إلى السَّماعِ[(١)]

زاد غيره: مادِّي أعناقِهم[(٢)]. وزاد غيره: مع هَزٍّ ورَهَقٍ ومدِّ بصرٍ نحو المَقْصِد، إمَّا لخوفٍ أو طمعٍ ونحوه[(٣)]. وقال قتادة: عامدين. وقال الضحاك: مُقبِلين. وقال عكرمة: فاتحين آذانَهم إلى الصوت. وقال ابن عباس: ناظرين[(٤)]. ومنه قول الشاعر:

تَعَبَّدني نِمْرُ بنُ سعدٍ وقد أرى ونِمْرُ بنُ سعدٍ لي مُطيعٌ ومُهْطِعُ[(٥)]

وقيل: خافضين ما بين أعينهم[(٦)]. وقال سفيان: شاخصة[(٧)] أبصارهم إلى السماء.

﴿يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ لما يشاهدون من مَخايل هَوْله، وما يرتقبون من سوء مُنْقَلَبهم فيه[(٨)].

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ أي: قبل قريش ﴿قَوْمُ نُوحٍ﴾ فيه وعيدٌ لقريش وضَرْبُ مثلٍ لهم[(٩)].

ومفعول «كذَّبَتْ» محذوف، أي: كذَّبت الرُّسُلَ؛ فكذبوا نوحاً عليه السلام لمَّا كانوا مُكذِّبين بالرسل جاحدين للنبوَّة رأساً، كذَّبوا نوحاً؛ لأنَّه من جملة الرسل. ويجوز أن يكون المحذوفُ نوحاً أوَّلَ مجيئه إليهم، فكذَّبوه تكذيباً يعقبه تكذيبٌ،

---

(١) البيت ليزيد بن مفرغ، وهو في ديوانه ص ١١٠. والكلام من النكت والعيون ٥/ ٤١١، وقول أبي عبيدة في مجاز القرآن له ٢/ ٢٤٠.
(٢) الكشاف ٤/ ٣٧.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٢١٣.
(٤) النكت والعيون ٥/ ٢١١، وأخرج الطبري ٢٢/ ١١٩ قول قتادة وابن عباس.
(٥) لم أقف على قائله، وهو دون نسبة في الكشاف ٤/ ٣٧، واللسان (هطع)، وتفسير القرطبي ٢٠/ ٨٠.
(٦) النكت والعيون ٥/ ٤١١ ونسبه لتميم، وفيه: قابضين، بدل: خافضين.
(٧) في (أ) و(ع): خاشعة، والمثبت من (يه) و(د٣) وتفسير الطبري ٢٢/ ١١٩ فقد أخرجه عنه.
(٨) المحرر الوجيز ٥/ ٢١٣.
(٩) الكلام من الكشاف ٤/ ٣٧، والمحرر الوجيز ٥/ ٢١٣.

كلَّما مضى منهم قرنٌ مُكذِّب تبِعَه قرنٌ مُكَذِّب[١].

وفي لفظ «عبدنا» تشريفٌ وخصوصيةٌ بالعبودية، كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ [الأنفال: ٤١] ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾[٢] [الإسراء: ١].

﴿وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ﴾ أي: هو مجنون، لمَّا رأوا الآيات الدالة على صدقه قالوا: هو مُصابُ الجن، لم يقنعوا[٣] بتكذيبه حتى نسبوه إلى الجنون، أي: يقول ما لا يقبَلُهُ عاقل، وذلك مبالغةٌ في تكذيبهم.

﴿وَٱزْدُجِرَ * فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ﴾ الظاهر أنَّ قوله: ﴿وَٱزْدُجِرَ﴾ من إخبار الله تعالى، أي: انتهروه وزجروه بالسبِّ والنَّجْه[٤] والتخويف. قاله ابن زيد، وقرأ: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ﴾ [الشعراء: ١١٦].

قيل: والمعنى: إنَّهم فعلوا به ما يوجب الانزجار من دعائهم حتى ترك دعوتهم إلى الإيمان، وعدل إلى الدعاء عليهم[٥].

وقال مجاهد: ﴿وَٱزْدُجِرَ﴾ من تمام قولهم، أي: قالوا: وازْدُجِر، أي: استُطير جنوناً، أي: ازدجَرَتْه الجِنُّ وذهبَتْ بلُبِّه وتخبَّطَتْه[٦].

وقرأ ابنُ أبي إسحاق، وعيسى، والأعمش، وزيد بن عليّ، ورُويَتْ عن عاصم: «إنِّي» بكسر الهمزة[٧]، على إضمار القول على مذهب البصريين، أو على إجراء الدعاء مجرى القول على مذهب الكوفيين.

---

(١) الكشاف ٤/ ٣٧ بنحوه مع تقديم وتأخير.
(٢) تفسير الرازي ٢٩/ ٣٥ بنحوه.
(٣) تحرفت في (د٣) و(يه) إلى: ثم تتبعوا. والكلام من تفسير الرازي ٢٩/ ٣٥.
(٤) النَّجْه: استقبالك الرجل بما يكره. أو: هو أقبح الردّ. اللسان (نجه). والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٢١٣-٢١٤.
(٥) تفسير الرازي ٢٩/ ٣٦.
(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٢١٤.
(٧) القراءات الشاذة ص ١٤٧ عن ابن أبي إسحاق وعيسى، والمحرر الوجيز ٥/ ٢١٤ عنهما وعن عاصم، والمشهور عنه كقراءة الجمهور، يعني بفتح الهمزة.

وقرأ الجمهور بفتحها، أي: بأنِّي مغلوبٌ، أي: غلبَني قومي فلم يسمعوا منِّي، ويئِسْتُ من إجابتِهم لي(١).

﴿فَٱنتَصِرْ﴾ أي: فانتقِمْ بعذابٍ تبعثُه عليهم، وإنَّما دعا عليهم بعدما يئس منهم وتفاقم أمرُهم، وكان الواحدُ من قومه يخنقه إلى أن يخِرَّ مغشيًّا عليه، وقد كان يقول: «اللهمَّ اغفِرْ لقومي فإنَّهم لا يعلمون»(٢).

ومتعلَّق «فانتصِرْ» محذوف. وقيل: التقدير: فانتصِرْ لي منهم بأن تُهلِكَهم. وقيل: فانتصِرْ لنفسك إذ كذَّبوا رسولك، فوقعتِ الإجابةُ، وللمتصوِّفة قولٌ في ﴿مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾ حكاه ابن عطية يُوقَفُ عليه في «كتابه»(٣).

﴿فَفَتَحْنَآ﴾ بيانٌ أنَّ الله تعالى انتصرَ منهم وانتقم. قيل: ومن العجب أنَّهم كانوا يطلبون المطر سنين، فأهلكهم الله تعالى بمطلوبهم(٤).

﴿أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ﴾ جعل الماءَ كأنَّه آلةٌ يُفتَحُ بها، كما تقول: فتحتُ البابَ بالمفتاح، وكأنَّ الماء جاءَ وفتح الأبواب، فجعل المقصود وهو الماء مقدَّماً في الوجود على فتح الباب المغلق. ويجوز أن تكون الباء للحال، أي: ملتبسةً بماءٍ مُنْهَمِرٍ.

وقرأ ابن عامر، وأبو جعفر، والأعرج، ويعقوب: «ففَتَّحْنا» مشدَّداً(٥) والجمهور مخفَّفاً.

﴿أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ﴾ هذا عند الجمهور مَجازٌ وتشبيه؛ لأنَّ المطرَ كَثُرَ كأنَّه نازلٌ من

---

(١) الكشاف ٤/ ٣٧، وما بعده منه.

(٢) أخرج البخاري (٣٤٧٧)، ومسلم (١٧٩٢)، وأحمد (٣٦١١) ـ واللفظ له ـ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لكأنِّي أنظرُ إلى رسول الله ﷺ يحكي نبيًّا ضربه قومُه، فهو يمسح عن وجهه الدم، ويقول: «ربِّ اغفِرْ لقومي فإنَّهم لا يعلمون».

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٢١٤.

(٤) تفسير الرازي ٢٩/ ٣٧، وما بعده منه.

(٥) قراءة ابن عامر في السبعة ص ٦١٨، والتيسير ص ١٠٢. وقراءة أبي جعفر ويعقوب في النشر ٢/ ٢٥٨. وقراءة الأعرج في المحرر الوجيز ٥/ ٢١٤.

أبواب، كما تقول: فُتِحَتْ أبوابُ القِرَب، وجَرَت مزاريب السماء[١]. وقال عليٌّ وتَبِعَه النقَّاش: يعني بالأبواب المَجَرَّة: وهي شَرَجُ السماء كشَرَج العَيْبَة[٢].

وذهب قومٌ إلى أنَّها حقيقة، فُتِحتْ في السماء أبوابٌ جرى منها الماء[٣]، ومِثلُه مرويٌّ عن ابن عباس قال: أبوابُ السماء فُتحَتْ من غير سحاب، لم تُقلِعْ أربعين يوماً[٤].

قال السُّدِّي: ﴿مُّنۡهَمِرٖ﴾ أي: كثير. قال الشاعر:

أَعَيْنَيَّ جُودَا بالدُّموعِ الهَوامِرِ ... على خيرِ بادٍ من مَعَدٍّ وحاضرِ[٥]

وقرأ الجمهور: «وفجَّرْنا» بتشديد الجيم. وعبد الله وأصحابُه، وأبو حَيْوة والمُفضَّل عن عاصم بالتخفيف[٦].

والمشهور أنَّ العينَ لفظٌ مشترك، والظاهر أنَّها حقيقةٌ في العين الباصرة، مجازٌ في غيرها، وهو في غير الماء مجازٌ مشهورٌ غالب[٧].

وانتصب «عيوناً» على التمييز[٨]، جُعِلَتِ الأرضُ كلُّها كأنَّها عيونٌ تتفجَّر، وهو أبلَغُ من: وفَجَّرْنا عيونَ الأرض[٩]. ومَنْ منع مجيء التمييز من المفعول أعربه حالاً

---

(١) تفسير الرازي ٢٩/ ٣٦ بنحوه. وينظر المحرر الوجيز ٥/ ٢١٤.

(٢) القول عن عليٍّ ﷺ أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٧٦٦)، وأبو الشيخ في العظمة (٧٩٤). وذكره الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٤١٢. وهو عن النقاش في المحرر الوجيز ٥/ ٢١٤. والشَّرَج: العروة. والعَيْبة: وعاءٌ من أدم يكون فيها المتاع. اللسان (شرج) و(عيب).

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٢١٤، وتفسير الرازي ٢٩/ ٣٦.

(٤) تفسير القرطبي ٢٠/ ٨١، وهو في عرائس المجالس ص ٥٨ بنحوه.

(٥) لم أقف على قائله، والكلام من النكت والعيون ٥/ ٤١٢.

(٦) القراءات الشاذة ص ١٤٧ عن المفضَّل عن عاصم، والمحرر الوجيز ٥/ ٤١٢ عن ابن مسعود وأصحابه وأبي حيوة عن عاصم.

(٧) تفسير الرازي ٢٩/ ٣٧-٣٨.

(٨) تفسير الرازي ٢٩/ ٣٨.

(٩) الكشاف ٤/ ٣٧.

ويكون حالاً مقدَّرة. وأعربَه بعضُهم مفعولاً ثانياً، كأنه ضمَّن و«فجَّرنا» صيَّرْنا بالتفجير الأرض عيوناً[(١)].

قيل: وفُجِّرتْ أربعين يوماً[(٢)].

وقرأ الجمهور: «فالتقى الماء» وهو اسم جنس، والمعنى: ماء السماء وماء الأرض. وقرأ عليٌّ، والحسن، ومحمد بن كعب، والجَحْدري: «الماءان». وقرأ الحسن أيضاً: «الماوان»[(٣)]. وقال الزمخشري: وقرأ الحسن: «ماوان» بقلب الهمزة واواً، كقولهم: عِلْباوان[(٤)]. انتهى. شبَّه الهمزةَ التي هي بدل من هاء في «الماء» بهمزة الإلحاق في عِلْباء. وعن الحسن أيضاً: «المايان» بقَلْبِ الهمزة ياءً، وفي كلتا القراءتين شذوذ.

﴿عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ﴾ أي: على حالةٍ ورتبةٍ قد قُضيَتْ في الأزَل. وقيل: على مقادير قد رُتِّبَتْ وقت التقائه، فرُويَ أنَّ ماء الأرض كان على سبعة عشر ذراعاً، ونزل ماءُ السماء على تكملة أربعين ذراعاً[(٥)]. وقيل: كان ماءُ الأرض أكثر. وقيل: كانا متساويين، نزل من السماء قدر ما خرج من الأرض. وقيل: ﴿عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ﴾ في اللوح أنَّه يكون، وهو هلاك قوم نوح عليه السلام بالطُّوفان[(٦)]. وهذا هو الراجح؛ لأنَّ كلَّ قصةٍ ذُكِرتْ بعد هذه القصة ذكرَ اللهُ هلاك مُكذِّبي الرسل فيها،

---

(١) وذكر السمين الحلبي في الدر المصون ١٠/ ١٣٢ وجهاً آخر بأنه منصوب على البدل من «الأرض». ثم قال: ويُضعف هذا خُلُوُّه من الضمير فإنه بدلُ بعضٍ من كلّ. ويُجاب عنه بأنه محذوف، أي: عيوناً منها، كقوله: ﴿ٱلۡأُخۡدُودِ * ٱلنَّارِ﴾ [البروج: ٤-٥]، فالنار بدل اشتمالٍ، ولا ضميرَ، فهو مُقدَّر.

(٢) الكشاف ٤/ ٣٧.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٢١٤. وقراءة «الماءان» في القراءات الشاذة ص ١٤٧ عن محمد بن كعب والجحدري، وقراءة «الماوان» في الشاذة أيضاً.

(٤) الكشاف ٤/ ٣٧.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٢١٤.

(٦) الكشاف ٤/ ٣٧-٣٨.

فيكون هذا كنايةً عن هلاك قوم نوح؛ ولذلك ذكر نجاة نوح بعدَها في قوله: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾.

وقرأ أبو حَيْوة وابن مِقْسَم: «قُدِّر» بشدِّ الدال[١]. والجمهور بتخفيفها.

وذاتُ الألواح والدُّسُر: هي السفينة التي أنشأها نوحٌ عليه السلام، ويُفهَمُ من هذين الوصفين أنَّها السفينة، فهي صفةٌ تقوم مقام الموصوف وتنوب عنه، ونحوه:

قميصي مسرودةٌ من حديدِ[٢]

أي: درع، وهذا من فصيحِ الكلام وبديعِه، ولو جمعتَ بين الصِّفة والموصوف فيه لم يكن بالفصيح[٣].

والدُّسُر: المسامير. قاله الجمهور. وقال الحسن وابن عباس: مقاديم السفينة؛ لأنَّها تَدْسُر الماءَ، أي: تدفعه. والدَّسْرُ: الدَّفع. وقال مجاهد وغيره: نُطُق السفينة. وعنه أيضاً: عوارض السفينة. وعنه أيضاً: أضلاع السفينة[٤].

﴿تَجْرِى﴾ في ذلك الماء المتلقَّى بحفظٍ منَّا وكلاءة[٥]، بحيث نجا مَنْ كان فيها، وغَرِق غيرُهم.

وقال مقاتل بن سليمان: ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾: بوحينا[٦]. وقيل: بأمرنا[٧]. وقيل:

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢١٤.
(٢) عجز بيت قائله المتنبي، وهو في ديوانه ٢/ ٤٤، وصدره: مفرشي صَهوةُ الحصانِ ولكن.
(٣) إلى هنا من الكشاف ٤/ ٣٨.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢١٤. والقول الأول أخرجه الطبري ٢٢/ ١٢٣-١٢٤ عن محمد بن كعب القرظي وقتادة وابن زيد وابن عباس ﷺ. وقولا مجاهد الأخيران أخرجهما الطبري ـ أيضاً ـ ٢٢/ ١٢٥-١٢٦.
(٥) تفسير القرطبي ٢٠/ ٨٣.
(٦) تفسير الثعلبي ٦/ ٣٦.
(٧) نسبه الثعلبي في تفسيره ٦/ ٣٦ لسفيان، وكذلك أخرجه الطبري ٢٢/ ١٢٦. ونسبه الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٤١٣ للضحاك.

بأوليائنا[١]. يقال: مات عَينٌ من عيون الله تعالى، أي: وليٌّ من أوليائه[٢]. وقيل: بأعين الماء التي أنبعناها[٣]. وقيل: مَنْ حَفِظَها من الملائكة؛ سمَّاهم أعيناً[٤].

وقرأ زيد بن علي وأبو السمَّال: «بأعيُنَّا» بالإدغام[٥]. والجمهور بالفك.

﴿جَزَآءً﴾ أي: مُجازاةً ﴿لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ أي: لنوح عليه السلام؛ إذ كان نعمةً أهداها الله إلى قومه لأنْ يؤمنوا، فكفروا. المعنى: أنَّ حملَه في السفينة ومَنْ آمنَ معه كان جزاءً له على صبره على قومه المئين من السنين[٦].

و«مَنْ» كنايةٌ عن نوح. قيل: يعني بـ «مَنْ كُفِر»: لمَنْ جُحِدَتْ نبوَّته[٧]. وقال ابن عباس ومجاهد: «مَنْ» يُراد به الله تعالى، كأنَّه قال غضباً وانتصاراً لله تعالى، أي: انتصر لنفسه، فأغرق الكافرين، وأنجى المؤمنين[٨]. وهذان التأويلان في «مَنْ» على قراءة الجمهور «كُفِر» مبنيًّا للمفعول.

وقرأ مَسْلَمة بن مُحارِب بإسكان الفاء، خفَّفَ فُعِل[٩]، كما قال الشاعر:

لو عُصْرَ منهُ البانُ والمِسكُ انعَصَرْ[١٠]

يريد: لو عُصِرَ.

---

(١) النكت والعيون ٥/ ٤١٣.

(٢) ذكر نحوه القرطبي في تفسيره ٢٠/ ٨٣ بلفظ: وفي الخبر: مَرِضَ عينٌ من عيوننا فلم تَعُدْه. ولم أجده.

(٣) النكت والعيون ٥/ ٤١٣.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢١٥.

(٥) القراءات الشاذة ص ١٤٧، والمحرر الوجيز ٥/ ٢١٥ عن أبي السَّمَّال.

(٦) الكلام من تفسير الطبري ٢٠/ ٨٤. والكشاف ٤/ ٣٨ بنحوه.

(٧) تفسير القرطبي ٢٠/ ٨٤. وينظر معاني القرآن للفراء ٣/ ١٠٧.

(٨) المحرر الوجيز ٥/ ٢١٥.

(٩) القراءات الشاذة ص ١٤٧. ومَسْلمة بن مُحارب: هو ابن دِثار، السَّدوسي، الكوفي. غاية النهاية ٢/ ٢٩٨.

(١٠) الرجز لأبي النجم العجلي، وهو في ديوانه ص ١٥٩. وسلف عند تفسير الآية (٦٤) من سورة المائدة.

وقرأ يزيد بن رومان، وقتادة، وعيسى: «كَفَرَ» مبنيًا للفاعل[١].

فـ «مَن» يُراد به قومُ نوح، أي: إنَّ ما نشأ من تفتيح أبواب السماء بالماء، وتفجُّر عيون الأرض، والتقاء الماءين من غرق قوم نوح عليه الصلاة والسلام، كان جزاءً لهم على كفرهم[٢].

و«كُفِر»خبر لـ «كان»، وفي ذلك دليلٌ على وقوع الماضي بغير «قد» خبراً لـ «كان»، وهو مذهب البصريين، وغيرُهم يقول: لا بُدَّ مِنْ «قد» ظاهرةً أو مُقدَّرةً، على أنَّه يجوز أنَّ «كان» هنا زائدة، أي: لمن كفر.

والضمير في «تركناها» عائدٌ على الفَعْلَة والقصة، وقال قتادة والنقَّاش وغيرُهما: عائدٌ على السفينة، وأنَّه تعالى أبقى خشبها حتى رآه بعضُ أوائل هذه الأمة. وقال قتادة: وكم من سفينةٍ بعدها صارت رماداً[٣].

وقرأ الجمهور: «مُدَّكِر» بإدغام الذال في الدال المُبدَلة من تاءِ الافتعال. وقتادة فيما نقل ابنُ عطية: بالذال، أدغمه بعد قلب الثاني إلى الأول.

وقال صاحب كتاب «اللوامح»: قتادة: «فهل من مُذَكِّر» فاعلٌ من التذكير، أي: مَنْ يُذَكِّر نفسَه أو غيرَه بما مضى من القصص. انتهى.

وقرئ: «مُذْتَكِر» على الأصل[٤].

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ تهويلٌ لما حَلَّ بقوم نوح من العذاب، وإعظامٌ له؛ إذ قد استأصل جميعَهم وقطع دابِرَهم، فلم يَنْسِلْ منهم أحدٌ، أي: كيف كان عاقبةُ إنذاري، والنُّذُر جمع نذير، وهو الإنذار، وفيه توقيف لقريش على ما حَلَّ بالمكذبين أمثالهم[٥].

---

(١) القراءات الشاذة ص ١٤٧ عن يزيد بن رومان وعيسى، والمحتسب ٢/ ٢٩٨ عن يزيد بن رومان وقتادة، والمحرر الوجيز ٥/ ٢١٥ عن ثلاثتهم.

(٢) تفسير الرازي ٢٩/ ٣٩ بنحوه.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٢١٥.

(٤) الكشاف ٤/ ٣٨.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٢١٥ ببعضه.

و«كان» إن كانت ناقصةً كانت «كيف» في موضع خبر «كان»، وإن كانت تامةً كانت في موضع نصبٍ على الحال، والاستفهامُ هنا لا يُراد به حقيقتُه، بل المعنى على التذكير بما حَلَّ بهم.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا﴾ أي: سهَّلْنا القرآن ﴿لِلذِّكْرِ﴾ أي: للادِّكار والاتِّعاظ لما تضمَّنَه من الوعظ والوعد والوعيد[١].

﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ قال ابن زيد: من مُتَّعِظ. وقال قتادة: فهل من طالب خير. وقال محمد بن كعب: فهل من مُزْدَجرٍ عن المعاصي[٢].

وقيل: ﴿لِلذِّكْرِ﴾: للحفظ، أي: سهَّلناه للحفظ؛ لما اشتمل عليه من حُسن النَّظم، وسلامةِ اللَّفظ، وعُرُوِّه عن الحَشْو، وشرف المعاني وصحَّتها، فله تعلُّقٌ بالقلوب[٣].

﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ أي: من طالبٍ لحفظه ليُعانَ عليه، وتكون زواجرُه وعلومُه حاضرةً في النفس[٤].

وقال ابن جُبير: لم يُستَظْهَرْ شيءٌ من الكتب الإلهية غيرُ القرآن[٥].

وقيل: ﴿يَسَّرْنَا﴾: هيَّأنا ﴿ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ كقولهم: يسَّرَ ناقتَه للسفر: إذا رحَلَها. ويسَّر فرسَه للغزو: إذا أسرَجَه وألجمَه. قال الشاعر:

وقُمْتُ إليه باللِّجامِ مُيَسِّراً ... هنالِكَ يجزيني الذي كنتُ أصنعُ[٦]

* * *

(١) الكشاف ٤/ ٣٨.

(٢) النكت والعيون ٥/ ٥١٣. وأخرج الطبري ٢٢/ ١٣٠-١٣١ قول ابن زيد وقتادة. ولفظ قول ابن زيد فيهما: متذكِّر، بدل: مُتَّعظ.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٢١٥ بنحوه.

(٤) الكلام من الكشاف ٤/ ٣٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٢١٥.

(٥) الوسيط للواحدي ٤/ ٢٠٩، والمحرر الوجيز ٥/ ٢١٥، وتفسير البغوي ٤/ ٢٦١.

(٦) البيت للأعرج عدي بن عمرو الطائي، كما في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١/ ٣٥١. والكلام بتمامه في الكشاف ٤/ ٣٨.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾﴾.

تقدَّمت قصةُ عادٍ مطوَّلةً ومتوسِّطةً، وهنا ذكرها تعالى موجزةً كما ذكر قصة نوح عليه السلام موجزةً.

ولمَّا لم يكن لقوم نوحٍ عَلَمٌ، ذكَر «قوم» مضافاً إلى نوح، ولمَّا كانت عادٌ عَلَماً لقوم هود ذكر العَلَمَ؛ لأنَّه أبلَغُ في الذِّكر من التعريف بالإضافة[١].

وتكرَّر التهويل بالاستفهام قبلَ ذكرِ ما حَلَّ بهم وبعدَ ذِكره لغرابة ما عُذِّبوا به من الريح، وانفرادِهم بهذا النوع من العذاب، ولأنَّ الاختصارَ داعيةُ الاعتبار والتدبُّر[٢].

والصَّرْصَر: الباردة. قاله ابن عباس والضحاك وقتادة[٣]. وقيل: المُصوِّتة.

والجمهور على إضافة «يومِ» إلى «نحسٍ» وسكون الحاء.

وقرأ الحسن بتنوين «يومٍ» وكسر الحاء، جعلَه صفةً لليوم، كقوله تعالى: ﴿فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ﴾[٤] [فصلت: ١٦].

﴿مُّسْتَمِرّٖ﴾ قال قتادة: استمرَّ بهم حتى بلَّغهم جهنم. وعن الحسن والضحَّاك:

---

(١) تفسير الرازي ٢٩/ ٤٣ بنحوه.

(٢) تفسير الرازي ٢٩/ ٤٤ بنحوه.

(٣) أخرجه عن قتادة عبدُ الرزاق في تفسيره ٢/ ٢٥٨، وأخرجه عن ثلاثتهم الطبريُّ ٢٢/ ١٣٣. والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٢١٦.

(٤) القراءات الشاذة ص ١٤٨، والكشاف ٤/ ٣٩.

كان مُرًّا عليهم. ورُوي أنَّه كان يوم الأربعاء[١]. والذي يظهر أنَّه ليس يوماً معيَّناً، بل أُريد به الزمانُ والوقتُ، كأنَّه قيل: في وقتٍ نحسٍ. ويدلُّ على ذلك أنَّه قال في سورة فصلت [الآية:١٦]: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ وقال في الحاقة [الآية:٧]: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾، إلَّا أن يكون ابتداءُ الريح في يومِ الأربعاء، فعبَّر بوقت الابتداء وهو يوم الأربعاء، فيمكن.

﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ﴾ يجوز أن يكون صفةً للريح، وأن يكون حالاً منها؛ لأنَّها وُصِفَتْ فقَرُبَتْ من المعرفة. ويحتمل أن يكون «تنزع» مستأنَفاً، وجاء الظاهرُ مكان المُضمَر ليشمل ذكورَهم وإناثهم؛ إذ لو عاد بضمير المذكورين لتُوُهِّمَ أنَّه خاصٌّ بهم[٢]. أي: تقلعهم من أماكنهم[٣]. قال مجاهد: يُلقى الرجلُ على رأسه، فيتفتَّتُ رأسُه وعنقُه ومايلي ذلك من بدنه[٤]. وقيل: كانوا يصطفُّون آخذي بعضهم بأيدي بعض، ويتدخَّلون في الشِّعاب، ويحفرون الحُفَرَ فيندسُّون فيها، فتنزعُهم وتدقُّ رقابَهم[٥]. والجملة التشبيهية حالٌ من «الناس»، وهي حالٌ مُقدَّرة[٦].

وقال الطبري: في الكلام حذفٌ، تقديره: فتتركُهم كأنَّهم أعجازُ نخلٍ، فالكاف في موضع نصبٍ بالمحذوف[٧]. شبَّههم بأعجاز النخل المُنْقَعِر، إذ تساقطوا على الأرض أمواتاً، وهم جُثَثٌ عظامٌ طِوالٌ، والأعجاز: الأصول بلا فروع قد انقلعَتْ من مغارسها. وقيل: كانت الريحُ تقطعُ رؤوسهم فتبقي أجساداً بلا رؤوس، فأشبهت أعجاز النخل التي انقلعَتْ من مَغْرِسها[٨].

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢١٦.
(٢) ينظر تفسير الرازي ٢٩/ ٤٦.
(٣) غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٣٣، والكشاف ٤/ ٣٩.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢١٦.
(٥) الكشاف ٤/ ٣٩.
(٦) مشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٩٩.
(٧) تفسير الطبري ٢٢/ ١٣٨. ونقله عنه النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٢٩١، والقرطبي ٢٠/ ٨٩.
(٨) الكشاف ٤/ ٣٩.

وقرأ أبو نَهيك: «أعْجُزُ»[١] على وزن أفْعُل، نحو: ضَبُع وأضْبُع.

و«النَّخلُ» اسمُ جنسٍ يُذكَّر ويؤنَّث[٢]، وإنَّما ذُكِّرَ هنا لمناسبة الفواصل، وأُنِّثَ في قوله: ﴿أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ﴾ في الحاقة [الآية:٧]؛ لمناسبة الفواصل أيضاً.

وقرأ الجمهور: «أبشراً منَّا واحداً» بنصبِ «بشَراً» على الاشتغال، ونصبِ «واحداً» صفةً له[٣].

وقرأ أبو السمَّال فيما ذكر الهُذَلي في كتابه «الكامل»، وأبو عمر الدَّاني برفعهما، فـ«أَبَشَرٌ» مبتدأ، و«واحدٌ» صفته، والخبر «نتَّبِعُه».

ونقل ابن خالويه[٤]، وصاحب «اللوامح»، وابن عطية[٥] رفْعَ «أَبَشَرٌ» ونصبَ «واحداً» عن أبي السمَّال.

قال صاحب «اللوامح»: فأمَّا رفعُ «أبشَرٌ» فبإضمار الخبر، بتقدير: أبشَرٌ مِنَّا يُبعَثُ إلينا أو يُرسَلُ أو نحوهما. وأمَّا انتصاب «واحداً» فعلى الحال، إمَّا ممَّا قبلَه بتقدير: أبشَرٌ كائنٌ منَّا في الحال نوحِّده، وإمَّا ممَّا بعده بمعنى: نتَّبِعُه في توحُّدِه أو في حال انفرادِه.

وقال ابن عطية: ورَفْعُه إمَّا على إضمار فعل مبنيٍّ للمفعول، التقدير: أيُنَبَّأُ بشرٌ، وإمَّا على الابتداء، والخبر في قوله: «نتَّبِعُه»، و«واحداً» على هذه القراءة حالٌ، إمَّا من الضمير في «نتَّبِعُه»، وإمَّا من المُقدَّر مع «منَّا»، كأنَّه يقول: أَبَشَرٌ كائنٌ مِنَّا واحداً. وفي هذا نظر، وقولُهم ذلك حسدٌ منهم، واستبعادٌ أن يكون نوعُ البشر يفضل بعضُه بعضاً هذا الفضل، فقالوا: أنكون جمعاً ونتَّبعُ واحداً، ولم يعلموا أنَّ الفضلَ بيد الله يؤتيه من يشاء، ويُفيضُ نورَ الهدى على مَنْ رَضِيَه. انتهى.

وقال الزمخشري: فإنْ قلت: كيف أنكروا أن يتَّبعوا بشراً منهم واحداً؟ قلت:

---

(١) القراءات الشاذة ص ١٤٨.

(٢) تهذيب اللغة ٧/ ٦١٤. وتقدم مثله عند تفسير الآية (١٠) من سورة ق.

(٣) ينظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٠٠، وإملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٢٥٠.

(٤) في القراءات الشاذة ص ١٤٨.

(٥) في المحرر الوجيز ٥/ ٢١٧.

قالوا: أبشراً؛ إنكاراً لأنْ يتّبعوا مثلَهم في الجنسية، وطلبوا أن يكون من جنسٍ أعلى من جنس البشر وهم الملائكة، وقالوا: مِنّا؛ لأنّه إذا كان منهم كانت المماثلةُ أقوى، وقالوا: واحداً إنكاراً لأنْ تتّبعَ الأمةُ رجلاً واحداً، وأرادوا واحداً من أفنائهم ليس بأشرفهم ولا أفضلهم، ويدلُّ عليه قولهم: ﴿أَءُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ أي: أأُنزِلَ عليه الوحيُ من بيننا وفينا مَنْ هو أحقُّ منه بالاختيار للنبوة[1]؟! انتهى. وهو حسَنٌ، على أنَّ فيه تحميلَ اللفظ ما لا يحتمل.

﴿إِنَّآ إِذًا﴾ أي: إن اتَّبعْناه فنحنُ في ﴿ضَلَٰلٍ﴾ أي: بُعدٍ عن الصواب وحَيْرةٍ[2]. وقال الضحَّاك: في تِيْهٍ[3]. وقال وَهْب: بُعْدٍ عن الحق[4].

﴿وَسُعُرٍ﴾ أي: عذاب. قاله ابن عباس[5]. وعنه: وجنون، يقال: ناقةٌ مَسْعورة: إذا كانت تُفرِطُ في سيرها كأنّها مجنونة[6]. وقال الشاعر:

كأنَّ بها سُعْراً إذا العِيْسُ هَزَّها ذَميلٌ وإرْخاءٌ من السَّيرِ مُتْعِبِ[7]

وقال قتادة: ﴿وَسُعُرٍ﴾: عناء[8]. وقال ابن بحر: ﴿وَسُعُرٍ﴾ جمع سعير: وهو وَقود النار[9]، أي: في خطر، كمن هو في النار. انتهى.

---

(١) الكشاف ٤/ ٣٩.
(٢) تفسير القرطبي ٢٢/ ١٣٩، وتفسير الثعلبي ٦/ ٣٨، والكشاف ٤/ ٣٩ بنحوه.
(٣) النكت والعيون ٥/ ٤١٥.
(٤) تفسير الثعلبي ٦/ ٣٩، وتفسير البغوي ٤/ ٢٦٢. لكن وقعت فيها تفسيراً لقوله: «وسُعُر».
(٥) تفسير الثعلبي ٦/ ٣٨، وتفسير البغوي ٤/ ٢٦١.
(٦) الوسيط للواحدي ٤/ ٢١١، والمحرر الوجيز ٥/ ٢١٧، وزاد المسير ٨/ ٩٦.
(٧) لم أقف على قائله، وهو بهذا اللفظ في الكشاف ٤/ ٣٩، وجاء في تفسير القرطبي ٢٠/ ٩١ بلفظ:
تَخالُ بها سُعْراً إذا السَّفْرُ هزَّها ذميلٌ وإيقاعٌ من السيرِ مُتْعِبِ
والذَّميل: ضربٌ من سير الإبل، قال أبو عبيد: فإذا ارتفع السير عن العَنَق قليلاً فهو التَّزيُّد، فإذا ارتفع عن ذلك فهو الذَّميل، ثم الرسيم. الصحاح (ذمل).
(٨) تفسير الثعلبي ٦/ ٣٨، والنكت والعيون ٥/ ٤١٥، والمحرر الوجيز ٥/ ٢١٧. وأخرجه عبد الرازق في تفسيره ٢/ ٢٦٠-٢٦١، والطبري ٢٢/ ١٤٠.
(٩) النكت والعيون ٥/ ٤١٥.

ورُويَ أنَّه كان يقول لهم: إنْ لم تتَّبعوني كنتم في ضلالٍ عن الحقِّ وسُعُرٍ، أي: نيرانٍ، فعكسوا عليه فقالوا: إنِ اتَّبعناك كُنَّا إذاً كما تقول[١].

ثمَّ زادوا في الإنكار والاستبعاد فقالوا: ﴿أَءُلْقِيَ﴾ أي: أأُنزِلَ. قيل: وكأنَّه يتضمَّن العجَلَة في الفعل، والعرب تستعمل هذا الفعل، ومنه: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ [طه:٣٩]، ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل:٥]. و«الذِّكر» هنا: الوحيُ والرسالةُ وما جاءهم به من الحكمة والموعظة. ثمَّ قالوا: ليس الأمرُ كما يزعم ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ أي: بَطِر، يُريد العلوَّ علينا، وأن يقتادنا، ويتملَّك طاعتنا[٢].

وقرأ قتادة وأبو قِلابة: «بل هو الكذَّابُ الأشَرُّ» بلام التعريف فيهما وبفتح الشين وشدِّ الراء. وكذا «الأَشرُّ» الحرف الثاني[٣].

وقرأ الحرفَ الثاني مجاهدٌ فيما ذكر صاحب «اللوامح» وأبو قيس الأودي: «الأُشُرُ» بثلاث ضمَّات وتخفيف الراء. ويُقال: أَشِرٌ وأُشُرٌ، كحَذِر وحُذُر، فضمَّة الشين لغة، وضمُّ الهمزة تبَعٌ لضمَّة الشين.

وحكى الكسائي عن مجاهد ضَمَّ الشين[٤].

وقرأ أبو حَيْوة هذا الحرف الآخر: «الأَشَرُّ» أفعل تفضيل[٥]. وإتمام «خير» و«شر» في أفعل التفضيل قليل.

وحكى ابنُ الأنباري أنَّ العرب تقول: هو أَخْيَرُ وهو أَشَرُّ[٦]، قال الراجز[٧]:

بلالُ خيرُ النَّاسِ وابنُ الأَخْيَرِ

---

(١) الكشاف ٤/ ٣٩.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢١٧.

(٣) القراءات الشاذة ص ١٤٧، والمحتسب ٢/ ٢٩٩ عن أبي قلابة.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢١٧، وهي عنه في القراءات الشاذة ص ١٤٨، والمحتسب ٢/ ٢٩٩.

(٥) القراءات الشاذة ص ١٤٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٢١٧.

(٦) الكشاف ٤/ ٣٩.

(٧) هو رؤبة بن العجاج كما سيأتي، وهو في المحتسب ٢/ ٢٩٩، وتفسير القرطبي ٢٠/ ٩٤، والكلام منه، ولم نقف عليه في ديوانه.

وقال أبو حاتم: لا تكاد العربُ تتكلَّم بالأَخْيَر والأشَرِّ إلَّا في ضرورة الشعر، وأنشد قولَ رؤبة: بلال... البيت.

وقرأ علي والجمهور: «سيَعلمون» بياء الغَيْبة، وهو من إعلام الله تعالى لصالح عليه السلام. وابن عامر، وحمزة، وطلحة، وابن وثَّاب، والأعمش بتاء الخِطاب[1] أي: قل لهم يا صالح وعداً يراد به الزمان المستقبل لا اليوم الذي يلي يوم خطابهم، فاحتمل أن يكون يومَ العذاب الحالِّ بهم في الدنيا، وأن يكون يومَ القيامة[2]. وقال الطِّرِمَّاح:

ألا عَلِّلاني قبلَ نَوْحِ النَّوائحِ     وقبلَ اضْطرابِ النَّفْسِ بينَ الجوانحِ
وقبلَ غَدٍ يا لهفَ نفسي على غدٍ     إذا راحَ أصحابي ولستُ برائحِ[3]

أرادَ وقت الموت، ولم يُرِدْ غداً بعينه.

وفي قوله: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا﴾ تهديدٌ ووعيدٌ ببيان انكشاف الأمر، والمعنى: أنَّهم هم الكذَّابون الأشِرون[4].

وأورد ذلك مورد الإبهام والاحتمال، وإن كانوا هم المعنيين، كقوله تعالى حكايةً عن قول نوح عليه الصلاة والسلام: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ [هود:٣٩] والمعنيُّ به قومُه، وكذا قول شعيب عليه السلام: ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ﴾ [هود:٩٣]، وقول الشاعر:

فلئِنْ لقيتُكَ خالِيَيْنِ لتَعْلَمَنْ     أيِّي وأيُّك فارسُ الأحزابِ[5]

وإنَّما عنى أنَّه فارسُ الأحزاب لا الذي خاطبه.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢١٧. وقراءة ابن عامر في السبعة ص ٦١٨، والتيسير ص ٢٠٦.
(٢) الكلام في تفسير أبي الليث ٣/ ٣٠٠، والوسيط ٤/ ٢١١.
(٣) هكذا وقعت نسبتهما في النسخ والمطبوع: للطِّرِمَّاح، ولم أقف عليهما في ديوانه. ونسبهما المرزوقي في شرح ديوان الحماسة ٣/ ١٢٦٦، والبصري في الحماسة البصرية ١/ ٢٨١ لأبي الطَّمَحان القَيني، ونُسِبا في النسخ الخطية لتفسير القرطبي ٢٠/ ٩٤ ـ والكلام منه ـ لأبي الطماح. ونسبهما ابن عبد ربّه في العقد الفريد ٣/ ٢٤٨ لهدبة العذري.
(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية ١١/ ٧١٩٦.
(٥) سلف عند تفسير الآية (٤١) من سورة آل عمران.

﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ﴾ أي: ابتلاءً واختباراً، وآنس بذلك صالحاً، ولمَّا هدَّدهم بقوله: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا﴾ وكانوا قد ادَّعَوا أنَّه كاذب، قالوا: ما الدليل على صدقك؟ قال الله تعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ﴾ أي: مخرجوها من الهضبة التي سألوها ﴿فَارْتَقِبْهُمْ﴾ أي: فانتظِرْهم وتبَصَّرْ ما هم فاعلون، واصطَبِرْ على أذاهم، ولا تعجَلْ حتى يأتيَ أمرُ الله[(١)].

﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ﴾ أي: ماء البئر التي لهم ﴿قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ﴾ أي: بين ثَمود وبين الناقة، غلَّبَ ثمود، فالضمير في «بينهم» لهم وللناقة، أي: لهم شِرْبُ يومٍ، وللناقة شِرْبُ يوم.

وقرأ الجمهور: «قِسْمةٌ» بكسر القاف. ومعاذ عن أبي عمرو بفتحها[(٢)].

﴿كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ﴾ أي: محضورٌ لهم وللناقة[(٣)].

وتقدَّمت قصة الناقة مستوفاةً[(٤)]، فأغنى عن إعادتها.

وهنا محذوف، أي: فكانوا على هذه الوتيرة من قسمة الماء فمَلُّوا ذلك، وعزموا على عقر الناقة.

﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ﴾ وهو قُدَار بن سالف ﴿فَتَعَاطَىٰ﴾ هو مطاوع عاطى، وكأنَّ هذه الفَعْلة تدافَعَها الناس وعاطاها بعضُهم بعضاً، فتعاطاها قُدَار وتناولَ العَقْرَ بيده[(٥)].

ولمَّا كانوا راضينَ نسبَ إليهم ذلك في قوله: ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ﴾ [الأعراف:٧٧]، وفي قوله: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾ [الشمس:١٤].

والصَّيحة التي أُرسِلَتْ عليهم يُروى أنَّ جبريل عليه السلام صاحَ في طَرَف

---

(١) الكلام من تفسير الثعلبي ٦/٣٩، وتفسير الطبري ٢٢/١٤١-١٤٢، والمحرر الوجيز ٥/٢١٨، والكشاف ٤/٣٩-٤٠، وما بعده منها أيضاً.
(٢) والمشهور عن أبي عمرو كقراءة الجمهور.
(٣) الكشاف ٤/٤٠.
(٤) عند الآيتين (٧٣ و٧٧) من سورة الأعراف، والآيتين (٦٤ و٦٥) من سورة هود.
(٥) المحرر الوجيز ٥/٢١٨.

منازلهم فتفتَّتوا وهمدوا وصاروا ﴿كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ﴾: وهو ما تفتَّتَ وتهشَّم[1] من الشجر.

و«المُحْتَظِر»: الذي يعمل الحَظيرة، فإنَّه تتفتَّتُ منه حالةَ العمل وتتساقط أجزاءٌ ممَّا يعمل به، أو يكون «الهشيم» ما يبس من الحظيرة بطول الزمان تطؤه البهائمُ فيتهشَّم[2].

وقرأ الجمهور بكسر الظاء. والحسن، وأبو حَيْوة، وأبو السمَّال، وأبو رجاء، وعمرو بن عُبيد بفتحها[3]، وهو موضع الاحتظار[4]. وقيل: هو مصدر، أي: كهشيم الاحتظار[5]، وهو ما تفتَّت حالةَ الاحتظار. والحَظيرة تصنعها العرب وأهل البوادي للمواشي والسُّكنى من الأغصان والشجر المُورِق والقصب. والحَظْر: المنع. وعن ابن عباس وقتادة أنَّ المُحتَظِرَ هو المُحترِق. قال قتادة: كهشيم مُحَرَّق. وعن ابن جُبير: هو التراب الذي يسقط من الحائط البالي. وقيل: المُحتظَر ـ بفتح الظاء ـ: هو الهشيم نفسُه، فيكون من إضافة الموصوف إلى صفته، كمسجد الجامع، على من تأوَّله كذلك[6].

و«كان» هنا قيل: بمعنى: صارَ.

❋ ❋ ❋

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً
مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن
ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا۟

---

(١) تحرفت في (أ) والمطبوع إلى: وتهضم، والتصويب من المحرر الوجيز وباقي النسخ.
(٢) الكشاف ٤/ ٤٠.
(٣) القراءات الشاذة ص ١٤٨ عن الحسن وأبي رجاء، والمحتسب ٢/ ٢٩٩ عن الحسن.
(٤) الكشاف ٤/ ٤٠.
(٥) تفسير القرطبي ٢٠/ ٩٨.
(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٢١٨-٢١٩.

عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾
كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ
﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ
وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ
ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾
وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ
وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾.

تقدَّمت قصة لوط عليه السلام وقومه[١].

و«الحاصب» من الحَصْباء، وهو المعنيُّ بقوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾.

﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ﴾ قيل: آله: ابنتاه[٢].

و ﴿بِسَحَرٍ﴾ هو نكرة، فلذلك صُرِفَ[٣].

وانتصب «نعمةً» على أنَّه مفعولٌ من أجله، أي: نجَّيناهم لإنعامنا عليهم[٤]، أو على المصدر؛ لأنَّ المعنى: أنعمنا عليهم بالتنجية إنعاماً.

﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى﴾ أي: مثل ذلك الإنعام والتنجية ﴿نَجْزِى مَن شَكَرَ﴾ إنعامنا، وآمن وأطاع[٥].

﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا﴾ أي: أخذَتَنا لهم بالعذاب ﴿فَتَمَارَوْا۟﴾ أي: تشكَّكوا وتعاطَوا ذلك ﴿بِٱلنُّذُرِ﴾ أي: بالإنذار، أو يكون جمع نذير[٦].

---

(١) في الآيات (٨٠-٨٤) من سورة الأعراف، والآيات (٧٧-٨٣) من سورة هود، والآيات (١٦٠-١٧٥) من سورة الشعراء، والآيات (٥٤-٥٨) من سورة النمل.
(٢) تفسير البغوي ٤/ ٢٦٣، وتفسير القرطبي ٢٠/ ١٠٠.
(٣) الكشاف ٤/ ٤٠.
(٤) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٩٠.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٢١٩.
(٦) الكشاف ٤/ ٤٠.

﴿فَطَمَسۡنَآ﴾ قال قتادة: الطَّمْس حقيقةً؛ جَرَّ جبريلُ عليه السلام جناحَه على أعينهم فاستوَتْ مع وجوههم. وقال أبو عبيدة: مطموسةً بجلدٍ كالوجه[١].

قيل: لمَّا صفقَهم جبريلُ عليه السلام بجناحه تركهم يتردَّدون لا يهتدون إلى الباب، حتى أخرجهم لوطٌ عليه السلام[٢].

وقال ابن عباس والضحاك: هذه استعارةٌ، وإنَّما حجبَ إدراكهم فدخلوا المنزل ولم يروا شيئاً، فجعل ذلك كالطَّمس[٣].

وقرأ الجمهور: «فطمسنا» بتخفيف الميم. وابن مِقْسَم بتشديدها[٤].

﴿فَذُوقُواْ﴾ أي: فقلتُ لهم على ألسنة الملائكة: ذوقوا[٥].

﴿وَلَقَدۡ صَبَّحَهُم بُكۡرَةً﴾ أي: أولَ النهار وباكِرَه، كقوله: ﴿مُّشۡرِقِينَ﴾ [الشعراء: ٦٠] و﴿مُّصۡبِحِينَ﴾ [الحجر: ٦٦].

وقرأ الجمهور: «بكرةً» بالتنوين، أراد بُكْرةً من البُكَر، فصُرف[٦]. وقرأ زيد بن علي بغير تنوين[٧].

﴿عَذَابٞ مُّسۡتَقِرّٞ﴾ أي: لم يكشِفْه عنهم كاشف، بل اتَّصل بموتهم، ثمَّ بما بعد ذلك من عذاب القبر، ثمَّ عذاب جهنم[٨].

﴿فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ توكيد وتوبيخ، ذلك عند الطمس، وهذا عند تصبيح العذاب[٩].

---

(١) مجاز القرآن ٢/ ٢٤١، والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٢١٩.
(٢) الكشاف ٤/ ٤٠.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٢١٩.
(٤) أي: «فطمَّسنا».
(٥) الكشاف ٤/ ٤٠، وما بعده منه.
(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٢١٩.
(٧) أي: «بُكْرةَ»، وهي في الكشاف ٤/ ٤٠.
(٨) المحرر الوجيز ٥/ ٢١٩، وما بعده منه.
(٩) الكشاف ٤/ ٤٠، وما بعده منه.

قيل: وفائدةُ تكرار هذا وتكرار ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا﴾ التجدُّدُ عند استماع كلِّ نبأ من أنباء الأولين؛ للاتِّعاظ واستئناف التيقُّظ إذا سمعوا الحثَّ على ذلك؛ لئلَّا تستولي عليهم الغفلة، وهكذا حكم التكرير كقوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾ عند كلِّ نعمةٍ عدَّها في سورة الرحمن [الآية:١٣ وغيرها]، وقوله: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾﴾ عند كلِّ آيةٍ أوردها في سورة والمرسلات [الآية:١٥ وغيرها]، وكذلك تكرير القصص في أنفسها لتكون تلك العبرة حاضرةً للقلوب مذكورةً في كلِّ أوان[1].

﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ﴾ هم موسى وهارون وغيرهما من الأنبياء؛ لأنَّهما عَرَضا عليهم ما أُنذِرَ به المرسلون، أو يكون جمع نذير المصدر بمعنى الإنذار ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ هي التسع، والتوكيد هنا كهو في قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا﴾ [طه:٥٦]. والظاهر أنَّ الضمير في «كذَّبوا» وفي «فأخذناهم» عائدٌ على آل فرعون. وقيل: هو عائدٌ على جميع مَنْ تقدَّم من الأمم ذِكْرُه، وتمَّ الكلامُ عند قوله: «النُّذُر».

﴿فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ﴾ لا يُغالَب ﴿مُّقْتَدِرٍ﴾ لا يُعجِزُه شيء[2].

﴿أَكُفَّارُكُمْ﴾ خطابٌ لأهل مكة ﴿خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ﴾ الإشارة إلى قوم نوح وهود وصالح ولوط وإلى فرعون، والمعنى: أَهُمْ خيرٌ في القوَّة وآلاتِ الحروبِ والمكانةِ في الدنيا، أو أقَلُّ كفراً وعناداً فلأجل كونهم خيراً لا يُعاقَبون على الكفر بالله وتكذيب الرسول، وقفهم على توبيخهم، أي: ليس كفَّارُكم خيراً من أولئكم، بل هم مثلُهم أو شرٌّ منهم وقد علمتُم ما لحِقَ أولئك من الهلاكِ المستأصِل لمَّا كذَّبوا الرسل.

﴿أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ﴾ أي: ألكم في الكتب الإلهية براءةٌ من عذاب الله تعالى؟ قاله الضحاك وعكرمة وابن زيد[3].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٢٠ بنحوه.

(٢) الكشاف ٤/ ٤١، وما بعده منه بنحوه.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٢٢٠، وما بعده منه.

﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾ أي: واثقون بجماعتِنا، منتصرون بقوَّتنا، تقولون ذلك على سبيل الإعجاب بأنفسكم.

وقرأ الجمهور: «أم يقولون» بياء الغَيبة؛ التفاتاً، وكذا ما بعده للغائب.

وقرأ أبو حَيْوة، وموسى الأسواري، وأبو البَرَهْسَم بتاء الخطاب[١] للكفار، إتباعاً لما تقدَّم من خطابهم.

وقرؤوا: «ستَهْزِمُ الجمعَ» بفتح التاء وكسر الزاي وفتح العين، خطاباً للرسول ﷺ. وأبو حَيْوة أيضاً ويعقوب بالنون مفتوحةً وكسر الزاي وفتح العين[٢]. والجمهور بالياء مبنيًّا للمفعول وضمِّ العين[٣]. وعن أبي حَيْوة وابن أبي عبلة أيضاً بفتح الياء مبنيًّا للفاعل ونصب العين[٤]، أي: سيَهْزِمُ اللهُ الجمعَ.

والجمهور: «ويُوَلُّون» بياء الغَيبة. وأبو حَيْوة، وداود بن أبي سالم عن أبي عمرو بتاء الخطاب[٥].

والدُّبُر هنا اسم جنس[٦]، وجاء في موضعٍ آخر: ﴿لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ﴾ [الحشر: ١٢] وهو الأصل، وحسَّنَ اسمَ الجنس هنا كونُه فاصلة.

وقال الزمخشريُّ[٧]: ﴿وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ أي: الأدبار، كما قال:

كلوا في بعضِ بطنِكُمُ تعِفُّوا[٨]

(١) القراءات الشاذة ص ١٤٨ عن موسى الأسواري، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٢٠ عن أبي حيوة.
(٢) أي: «سنَهْزِم الجَمْعَ»، وهي في القراءات الشاذة ص ١٤٨ عن يعقوب، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٠٠ عن أبي حيوة، وذكرها صاحب النشر ٢/ ٣٨٠ عن أبي حيوة، وقال: وجاءت عن زيد عن يعقوب. قلت: وهو خلاف المشهور عن يعقوب.
(٣) أي: «سَيُهْزَمُ الجمعُ».
(٤) هي في المحرر الوجيز ٥/ ٢٢٠ دون نسبة.
(٥) القراءات الشاذة ص ١٤٨ عن داود بن أبي سالم وعن يعقوب. وهي في المحرر الوجيز ٥/ ٢٢٠، وزاد المسير ٨/ ١٠٠ دون نسبة. والمشهور عن أبي عمرو كقراءة الجمهور.
(٦) تفسير القرطبي ٢٠/ ١٠٣.
(٧) في الكشاف ٤/ ٤١.
(٨) لا يُعرف قائله، وعجزه: فإنَّ زمانَكُمْ زمَنٌ خَميصُ. وسلف عند تفسير الآية (١٠) من سور النساء.

وقُرِئ: «الأدبار». انتهى. وليس مثل: بطنكم؛ لأنَّ مجيء «الدُّبُر» مفرداً ليس له مُحَسِّن، ولا مُحسِّن لإفراد «بطنكم»[(١)].

وفي قوله تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ﴾ عِدَةٌ من الله تعالى لرسوله ﷺ بهزيمة جمع قريش، والجمهور على أنها مكية، وتلاها رسولُ الله ﷺ مستشهداً بها. وقيل: نزلت يوم بدر[(٢)].

﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ انتقل من تلك الأقوال إلى أمر الساعة التي عذابها أشدُّ عليهم من كل هزيمة وقتال ﴿وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ﴾ أي: أفظَعُ وأشَدُّ، والدَّاهية: الأمرُ المنكَر الذي لا يُهتدى لدفعه، وهي الرَّزِيَّة العُظمى تحُلُّ بالشخص ﴿وَأَمَرُّ﴾ من المرارة، استعارة لصعوبة الشيء على النفس[(٣)].

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ﴾ أي: في حَيْرةٍ وتخبُّطٍ في الدنيا ﴿وَسُعُرٍ﴾ أي: احتراقٍ في الآخرة؛ جُعِلوا فيه من حيثُ مصيرهم إليه. وقال ابن عباس: وخسران وجنون. والسُّعُر: الجنون[(٤)]. وتقدَّم مثلُه في قصة صالح عليه السلام[(٥)].

﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ﴾: يُجَرُّون ﴿فِي النَّارِ﴾ وفي قراءة عبد الله: «إلى النار»[(٦)] ﴿عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا﴾ أي: مقولاً لهم: ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾[(٧)].

وقرأ محبوب عن أبي عمرو: «مَسَّقَر» بإدغام السين في السين[(٨)]. قال ابن مجاهد: إدغامه خطأ؛ لأنَّه مُشَدَّد[(٩)]. انتهى. والظَّنُّ بأبي عمرو أنَّه لم يُدغِمْ حتى حذف إحدى السِّينين لاجتماع الأمثال، ثمَّ أدغم.

---

(١) العبارة في (أ) والمطبوع: ليس بحسن ولا يحسن لإفراد بطنكم.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٢٠.
(٣) الكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٢٢١، والكشاف ٤/ ٤١.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٢١.
(٥) عند تفسير الآية (٢٤) من هذه السورة.
(٦) القراءات الشاذة ص ١٤٨. والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٢٢١.
(٧) القراءات الشاذة ص ١٤٨. وتحرفت في مطبوعه «مسَّقَر» إلى: «مستقرّ».
(٨) عبارة ابن مجاهد في السبعة ص ١١٦: إنَّه لم يكن يدغم هذا الجنس؛ لأنَّ فيه إدغاماً.

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ قراءة الجمهور: «كلَّ شيء» بالنصب. وقرأ أبو السمَّال[١]- قال ابن عطية[٢]: وقومٌ من أهل السُّنَّة - بالرفع. قال أبو الفتح[٣]: هو الوجه في العربية، وقراءتنا بالنصب مع الجماعة. وقال قومٌ: إذا كان الفعلُ يُتوَهَّم فيه الوصفُ وأنَّ ما بعده يصلح للخبر، وكان المعنى على أن يكون الفعلُ هو الخبر، اختيرَ النَّصبُ في الاسم الأول حتى يتَّضح أنَّ الفعلَ ليس بوصف، ومنه هذا الموضع؛ لأنَّ في قراءة الرفع يُتخَيَّل أنَّ الفِعلَ وصفٌ، وأنَّ الخبر «بِقَدَر».

وقد تنازع أهل السُّنَّة والقدرية الاستدلالَ بهذه الآية؛ فأهلُ السُّنَّة يقولون: كلُّ شيءٍ فهو مخلوق لله تعالى بقدرِه، دليلُه قراءة النصب؛ لأنَّه لا يُفَسَّر في مثل هذا التركيب إلَّا ما يصِحُّ أن يكون خبراً لو رفع الأول على الابتداء. وقالت القدرية: القراءة برفع «كلّ» و«خلَقْناه» في موضع الصفة لـ «كُلّ» أي: إنَّ أمرَنا وشأنَنا كلُّ شيءٍ خلقناه فهو بقدر أو بمقدار، على حدِّ ما في هيئته وزمنه وغير ذلك[٤].

وقال الزمخشريُّ[٥]: «كلَّ شيءٍ» منصوب بفعلٍ مُضمَرٍ يُفسِّره الظاهر. وقُرِىء: «كلُّ شيءٍ» بالرفع. والقَدْرُ والقَدَرُ: التقدير، وقُرِىء بهما، أي: خَلَقْنا كلَّ شيءٍ مُقدَّراً مُحكماً مُرتَّباً على حسب ما اقتضَتْه الحكمةُ، أو مُقدَّراً مكتوباً في اللوح معلوماً قبل كونه، قد عَلِمْنا حالَه وزمانَه. انتهى.

قيل: والقَدَر فيه وجوهٌ؛ أحدها: أن يكون بمعنى: المقدار، أي: في ذاته وفي صفاته. والثاني: التقدير، قال تعالى: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾ [المرسلات:٢٣]، وقال الشاعر:

---

(١) كما في القراءات الشاذة ص ١٤٨.
(٢) في المحرر الوجيز ٥/ ٢٢١.
(٣) في المحتسب ٢/ ٣٠٠.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٢١.
(٥) في الكشاف ٤/ ٤١.

وما قَدَّرَ الرحمنُ ما هو قادِرُ[١]

أي: ما هو مقدور. والثالث: القَدَر الذي يُقال مع القضاء، يُقال: كان ذلك بقضاءِ الله وقدَره، والمعنى: أنَّ القضاءَ ما في العلم، والقدَرَ ما في الإرادة، فالمعنى في الآية: خلَقْناه بقدَرٍ، أي: بقدرةٍ مع إرادة[٢]. انتهى.

﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ﴾ أي: إلَّا كلمةٌ واحدة، وهي كُنْ[٣].

﴿كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ تشبيهٌ بأعْجَل ما يُحَسُّ، وفي أشياء أمر الله تعالى أوحى من ذلك[٤]. والمعنى: أنَّه إذا أراد تكوينَ شيءٍ لم يتأخَّر عن إرادته[٥].

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ﴾ أي: الفرق المتشايعة[٦] في مذهب ودين.

﴿وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ﴾ أي: فعلَتْه الأممُ المكذِّبة محفوظٌ عليها إلى يوم القيامة. قاله ابن عباس والضحاك وقتادة وابن زيد. ومعنى ﴿فِى ٱلزُّبُرِ﴾: في دواوين الحفظة. ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾ من الأعمال ومن كلِّ ما هو كائن ﴿مُّسْتَطَرٌ﴾ أي: مسطورٌ في اللوح، يقال: سطَرْتُ واستطَرْتُ بمعنى[٧].

وقرأ الأعمش، وعمران بن حُدَير، وعِصْمة عن أبي بكر عن عاصم بشدِّ راء «مُسْتَطَرّ»[٨].

---

(١) صدره:

كِلا ثَقَلَيْنا طامِعٌ بغنيمةٍ

وقائله إياس بن مالك بن عبد الله بن خيبري الطائي، كما في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٢/ ٥٩٧، وللتبريزي ٢/ ٧٥، والحماسة البصرية ١/ ٦١، واللسان (قدر).

(٢) تفسير الرازي ٢٩/ ٧٣.

(٣) الكشاف ٤/ ٤١-٤٢.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٢١.

(٥) الكشاف ٤/ ٤٢.

(٦) في المحرر الوجيز ٥/ ٢٢١: المتشابهة.

(٧) الكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٢٢١-٢٢٢، والكشاف ٤/ ٤٢.

(٨) القراءات الشاذة ص ١٤٨ دون ذكر الأعمش. والمشهور عن عاصم كقراءة الجمهور.

قال صاحب «اللوامح»: يجوز أن يكون من طَرَّ النباتُ والشاربُ: إذا ظهر ونبت، بمعنى: كلُّ شيءٍ ظاهرٌ في اللَّوح مُثبَتٌ فيه. ويجوز أن يكون من الاستطار، لكن شدَّد الرَّاء للوقف على لغة مَن يقول: جعفرّ ونفعلّ بالتشديد وقفاً. انتهى. ووزنه على التوجيه الأول: مُسْتَفْعَلْ، وعلى الثاني: مُفْتَعَلْ[1].

وقرأ الجمهور: «ونَهَر» على الإفراد والهاء مفتوحة. والأعرج، ومجاهد، وحُميد، وأبو السمَّال، والفياض بن غزوان بسكونها[2]، والمراد به الجنس إن أُريد به الأنهار، أو يكون معنى «ونَهر»: وسَعةٍ في الأرزاق والمنازل، ومنه قول قيس بن الخطيم[3]:

مَلَكْتُ بها كفِّي فأنْهَرْتُ فَتْقَها  يرى قائمٌ من دونها ما وراءَها

أي: أوسعتُ فتقَها.

وقرأ زهير الفُرْقُبي، والأعمش، وأبو نَهيك، وأبو مِجْلَز، واليماني بضمِّ النون والهاء[4]، جمع نَهْر، كرَهْن ورُهُن، أو نَهَر كأسَد وأُسُد، وهو مناسب لجمع «جنَّات». وقيل: «نُهَر» جمع نهار، ولا ليل في الجنة. وهو بعيد.

---

(١) في النسخ والمطبوع: الأول: استفعل، وعلى الثاني: افتعل. والمثبت من الدر المصون ١٠/ ١٤٩، وروح المعاني ٢٦/ ٢٢٥.

(٢) أي: «ونَهْر»، وهي في القراءات الشاذة ص ١٤٨ عن الأعرج. والكلام بتمامه في المحرر الوجيز ٥/ ٢٢٢.

(٣) في ديوانه ص ٤٦.

(٤) أي: «نُهُر»، وهي في القراءات الشاذة ص ١٤٨ عن أبي نهيك وأبي مجلز واليماني: وهو محمد بن السَّمَيفع، وفي المحتسب ٢/ ٣٠٠ عن زهير الفُرْقُبي، والكلام في المحرر الوجيز ٥/ ٢٢٢. وزهير الفُرْقُبي، هو ابن ميمون الكوفي، قارىء، نحوي، يعرف بالكسائي، له اختيار في القراءة، كان في زمن عاصم. والفُرْقُبي نسبةٌ إلى الثياب الفُرْقُبية، وهي ثياب بِيضٌ من كتَّان. ويُقال: القُرْقبي ـ بقافين ـ نسبةٌ إلى موضع. ينظر تاج العروس (فرقب)، وغاية النهاية ١/ ٢٩٥.

﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ يجوز أن يكون ضِدَّ الكذب، أي: في المقعد الذي صُدِقوا في الخبر به، وأن يكون من قولك: رجُلُ صِدْقٍ، أي: خيرٍ وجودٍ وصلاحٍ[(١)].

وقرأ الجمهور: «في مَقْعَد» على الإفراد يراد به اسم الجنس. وعثمان البَتِّي: «في مقاعد» على الجمع[(٢)].

و«عند» تدلُّ على قرب[(٣)] المكانة من الله تعالى، والله تعالى أعلم.

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٢٢ بنحوه.

(٢) القراءات الشاذة ص ١٤٨. والكلام في المحرر الوجيز ٥/ ٢٢٢.

(٣) في (يه) و(د٣): تقريب. والكلام بنحوه في الكشاف ٤/ ٤٢.

## (٥٤) سورة القمر مكية
## وآياتها خمس وخمسون

قد تقدم في حديث أبي واقد أن رسول الله ﷺ كان يقرأ بقاف واقتربت الساعة في الأضحى والفطر، وكان يقرأ بهما في المحافل الكبار، لاشتمالهما على ذكر الوعد والوعيد، وبدء الخلق وإعادته، والتوحيد، وإثبات النبوات وغير ذلك من المقاصد العظيمة.

بسم الله الرحمن الرحيم

اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ﴿٥﴾

يخبر تعالى عن اقتراب الساعة وفراغ الدنيا وانقضائها، كما قال تعالى: ﴿أتى أمر الله فلا تستعجلوه﴾، وقال: ﴿اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون﴾، وقد وردت الأحاديث بذلك، روى الحافظ أبو بكر البزار، عن أنس أن رسول الله ﷺ خطب أصحابه ذات يوم وقد كادت الشمس أن تغرب فلم يبق منها إلا سف يسير فقال: «والذي نفسي بيده ما بقي من الدنيا فيما مضى منها إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه وما نرى من الشمس إلا يسيراً»، وقال الإمام أحمد، عن سهل بن سعد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بعثت أنا والساعة هكذا» وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى[1]، وفي لفظ: «بعثت أنا والساعة كهذه من هذه إن كادت لتسبقني» وجمع الأعمش بين السبابة والوسطى، وقال الإمام أحمد، عن خالد بن عمير قال: خطبنا رسول الله ﷺ: فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد، فإن الدنيا قد آذنت بصُرْم وولت حَذَّاءَ، ولم يبق منها إلا صُبابة كصُبابة الإناء يتصابها صاحبها، وإنكم منتقلون منها إلى دار لا زوال لها، فانتقلوا منها بخير ما يحضرنكم، فإنه قد ذكر لنا أن الحجر يلقى من شفير جهنم فيهوي فيها سبعين عاماً ما يدرك لها قعراً، والله لتملؤنه أفعجبتم؟ والله لقد ذكر لنا أن ما بين مصراعي الجنة مسيرة أربعين عاماً، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام»[2]. وذكر

---

(١) أخرجه الشيخان والإمام أحمد.

(٢) أخرجه ابن جرير. معنى (صُرْم): قطيعة. و (حذاء) مدبرة لم يتعلق أهلها منها بشيء، و (صُبابة): بقية.

تمام الحديث . وعن عبدالرحمن السلمي قال: نزلنا المدائن فكنا منها على فرسخ فجاءت الجمعة فحضر أبي وحضرت معه، فخطبنا حذيفة فقال: ألا إن الله يقول: ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾، ألا وإن الساعة قد اقتربت، ألا وإن القمر قد انشق، ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق، ألا وإن اليوم المضمار وغداً السباق . فقلت لأبي أيستبق الناس غداً ؟ فقال: يا بني إنك لجاهل إنما هو السباق بالأعمال ، وقوله تعالى: ﴿ وانشق القمر ﴾ قد كان هذا في زمان رسول الله ﷺ كما ورد ذلك في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة، وقد ثبت في الصحيح عن ابن مسعود أنه قال: « خمس قد مضين: الروم والدخان واللزام والبطشة والقمر » ، وهذا أمر متفق عليه بين العلماء أن انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي ﷺ ، وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات .

## ( ذكر الأحاديث الواردة في ذلك )

( رواية أنس بن مالك ) : روى الإمام أحمد عن أنس بن مالك قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ آية فانشق القمر بمكة مرتين، فقال: ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾(١) . وعن أنس بن مالك أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم القمر شقين حتى رأوا حِراء بينهما(٢) . وروى الإمام أحمد، عن جبير بن مطعم قال انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فصار فرقتين فرقة على هذا الجبل، وفرقة على هذا الجبل. فقالوا: سحرنا محمد، فقالوا: إن كان سحرنا فإنه لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم(٣) . وروى البخاري، عن ابن عباس قال: انشق القمر في زمان النبي ﷺ ، وقال ابن جرير ، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ۝ وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ﴾ قال: قد مضى ذلك، كان قبل الهجرة انشق القمر حتى رأوا شقيه. وقال الحافظ البيهقي ، عن عبدالله بن عمر في قوله تعالى: ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾ قال: وقد كان ذلك على عهد رسول الله ﷺ انشق فلقتين، فلقة من دون الجبل، وفلقة من خلف الجبل ، فقال النبي ﷺ : « اللهم اشهد »(٤) . وقال الإمام أحمد، عن ابن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين حتى نظروا إليه. فقال رسول الله ﷺ : « اشهدوا »(٥) . وعن عبدالله بن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فقالت قريش: هذا سحر ابن أبي كبشة، قال، فقالوا: انظروا ما يأتيكم به السفَّار ، فإن محمداً لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم، قال: فجاء السفّار ، فقالوا ذلك(٦) . وفي لفظ : انظروا السفّار ، فإن كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدق. وإن كانوا لم يروا مثل ما رأيتم فهو سحر سحركم به، قال: فسئل السفار ، قال: وقدموا من كل وجهة، فقالوا: رأينا فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾(٧) . وروى الإمام أحمد، عن عبدالله قال: « انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ، حتى رأيت الجبل من بين فرجتي القمر »(٨) . وقال ليث عن مجاهد : انشق القمر على

---

(١) أخرجه مسلم وأحمد .

(٢) أخرجاه في الصحيحين .

(٣) تفرد به أحمد .

(٤) رواه البيهقي وأخرجه مسلم والترمذي وقال : حسن صحيح .

(٥) أخرجه الشيخان والإمام أحمد .

(٦) أخرجه أبو داود الطيالسي .

(٧) أخرجه البيهقي وابن جرير .

(٨) أخرجه الإمام أحمد .

عهد رسول الله ﷺ فصار فرقتين، فقال النبي ﷺ لأبي بكر: «اشهد يا أبا بكر»، فقال المشركون: سحر القمر حتى انشق، وقوله تعالى: ﴿وإن يروا آية﴾ أي دليلاً وحجة وبرهاناً ﴿يعرضوا﴾ أي لا ينقادوا له بل يعرضوا عنه، ويتركونه وراء ظهورهم ﴿ويقولوا سحر مستمر﴾ أي ويقولون هذا الذي شاهدناه من الحجج سحرٌ سحرنا به، ومعنى ﴿مستمر﴾ أي ذاهب باطل مضمحل لا دوام له، ﴿وكذبوا واتبعوا أهواءهم﴾ أي كذبوا بالحق إذ جاءهم، واتبعوا ما أمرتهم به آراؤهم وأهواؤهم، من جهلهم وسخافة عقلهم، وقوله ﴿وكل أمر مستقر﴾ قال قتادة: معناه أن الخير واقع بأهل الخير، والشر واقع بأهل الشر، وقال ابن جريج: مستقر بأهله، وقال مجاهد: ﴿وكل أمر مستقر﴾ أي يوم القيامة، وقال السدي: مستقر أي واقع. وقوله تعالى: ﴿ولقد جاءهم من الأنباء﴾ أي من الأخبار عن قصص الأمم المكذبين بالرسل، وما حل بهم من العقاب والنكال والعذاب مما يتلى عليهم في هذا القرآن ﴿ما فيه مزدجر﴾ أي ما فيه واعظ لهم عن الشرك والتمادي على التكذيب، وقوله تعالى: ﴿حكمة بالغة﴾ أي في هدايته تعالى لمن هداه وإضلاله لمن أضله ﴿فما تغني النذر﴾ يعني أي شيء تغني النذر عمن كتب الله عليه الشقاوة وختم على قلبه؟ فمن الذي يهديه من بعد الله؟ وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون﴾.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ۝٦ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ۝٨﴾

**يقول تعالى**: فتول يا محمد عن هؤلاء الذين إذا رأوا آية يعرضوا ويقولوا هذا سحر مستمر، أعرض عنهم وانتظرهم ﴿يوم يدع الداع إلى شيء نكر﴾ أي إلى شيء منكر فظيع، وهو موقف الحساب، وما فيه من البلاء والأهوال، ﴿خشعاً أبصارهم﴾ أي ذليلة أبصارهم، ﴿يخرجون من الأجداث﴾ وهي القبور ﴿كأنهم جراد منتشر﴾ أي كأنهم في انتشارهم وسرعة سيرهم إلى موقف الحساب إجابة للداعي، جراد منتشر في الآفاق، ولهذا قال: ﴿مهطعين﴾ أي مسرعين ﴿إلى الداعي﴾، لا يخالفون ولا يتأخرون ﴿يقول الكافرون هذا يوم عسر﴾ أي يوم شديد الهول عبوس قمطرير، كقوله تعالى ﴿فذلك يومئذ يوم عسير * على الكافرين غير يسير﴾.

* ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ۝٩ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ۝١٠ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ۝١١ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۝١٢ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ۝١٣ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ۝١٤ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٥ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ۝١٦ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٧﴾

**يقول تعالى**: ﴿كذبت﴾ قبل قومك يا محمد ﴿قوم نوح فكذبوا عبدنا﴾ أي صرحوا له بالتكذيب واتهموه بالجنون، ﴿وقالوا مجنون وازدجر﴾ قال مجاهد: أي استطير جنوناً، وقيل ﴿وازدجر﴾ أي انتهروه وزجروه

وتواعدوه، ﴿ لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين ﴾ قاله ابن زيد وهذا متوجه حسن، ﴿ فدعا ربه أني مغلوب فانتصر ﴾ أي إني ضعيف عن هؤلاء وعن مقاومتهم فانتصر أنت لدينك، قال الله تعالى: ﴿ ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر ﴾ وهو الكثير، ﴿ وفجّرنا الأرض عيوناً ﴾ أي نبعت جميع أرجاء الأرض حتى التنانير التي هي محال النيران نبعت عيوناً، ﴿ فالتقى الماء ﴾ أي من السماء والأرض ﴿ على أمر قد قدر ﴾ أي أمر مقدر. قال ابن عباس: ﴿ ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر ﴾ كثير لم تمطر السماء قبل ذلك اليوم ولا بعده إلا من السحاب، فتحت أبواب السماء بالماء من غير سحاب ذلك اليوم، فالتقى الماءان على أمر قد قدر، ﴿ وحملناه على ذات ألواح ودسر ﴾ قال ابن عباس: هي المسامير، وقال مجاهد: الدسر أضلاع السفينة، وقال عكرمة والحسن: هو صدرها الذي يضرب به الموج. وقال الضحّاك: الدسر طرفاها وأصلها، وقال العوفي، عن ابن عباس: هو كلكلها أي صدرها، وقوله: ﴿ تجري بأعيننا ﴾ أي بأمرنا بمرأى منا وتحت حفظنا وكلاءتنا ﴿ جزاء لمن كان كفر ﴾ أي جزاء لهم على كفرهم بالله، وانتصاراً لنوح عليه السلام، وقوله تعالى: ﴿ ولقد تركناها آية ﴾ قال قتادة: أبقى الله سفينة نوح حتى أدركها أول هذه الأمة، والظاهر أن المراد من ذلك جنس السفن كقوله تعالى: ﴿ وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون ﴾، وقال تعالى: ﴿ إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية ﴾، ولهذا قال ههنا ﴿ فهل من مدكر ﴾ أي فهل من يتذكر ويتعظ؟ وقوله تعالى: ﴿ فكيف كان عذابي ونذر ﴾ أي كيف كان عذابي لمن كفر بي وكذب رسلي ولم يتعظ بما جاءت به نذري، وكيف انتصرت لهم وأخذت لهم بالثأر، ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر ﴾ أي سهلنا لفظه ويسرنا معناه لمن أراده ليتذكر الناس، كما قال: ﴿ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب ﴾، وقال تعالى: ﴿ فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لداً ﴾، قال مجاهد ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر ﴾ يعني هونّا قراءته، وقال السدي: يسرنا تلاوته على الألسن، وقال ابن عباس: لولا أن الله يسره على لسان الآدميين ما استطاع أحد من الخلق أن يتكلم بكلام الله عزّ وجلّ، وقوله: ﴿ فهل من مدكر ﴾ أي فهل من متذكر بهذا القرآن الذي قد يسر الله حفظه ومعناه؟ وقال القرظي: فهل من منزجر عن المعاصي؟ وروى ابن أبي حاتم، عن مطر الوراق في قوله تعالى: ﴿ فهل من مدكر ﴾ هل من طالب علم فيعان عليه[1].

**كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾**

**يقول تعالى** مخبراً عن عاد قوم (هود) أنهم كذبوا رسولهم، كما صنع قوم (نوح) وأنه تعالى أرسل ﴿ عليهم ريحاً صرصراً ﴾ وهي الباردة الشديدة البرد، ﴿ في يوم نحس مستمر ﴾ عليهم نحسه ودماره، لأنه يوم اتصل فيه عذابهم الدنيوي بالأخروي، وقوله تعالى: ﴿ تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر ﴾ وذلك أن الريح كانت تأتي أحدهم فترفعه حتى تغيبه عن الأبصار، ثم تنكسه على أم رأسه فيسقط إلى الأرض، فتثلغ رأسه فيبقى جثةً بلا رأس،

(١) أخرجه ابن أبي حاتم وعلّقه البخاري بصيغة الجزم عن مطر الوراق.

ولهذا قال : ﴿ كأنهم أعجاز نخل منقعر ، فكيف كـان عذابي ونذر ، ولقـد يسّرنا القرآن للذكر فهل من مذكر﴾.

كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْاْ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾

وهذا إخبار عن ثمود أنهم كذبوا رسولهم صالحاً ﴿ فقالوا أبشراً منا واحداً نتبعه إنا إذاً لفي ضلال وسعر ﴾ يقولون : لقد خبنا وخسرنا إن سلمنا كلنا قيادنا لواحد منا ، ثم تعجبوا من إلقاء الوحي عليه خـاصة من دونهم، ثم رموه بالكذب ، فقالوا ﴿ بل هو كذاب أشر ﴾ أي متجاوز في حـد الكذب ، قال الله تعالى: ﴿ سيعلمون غداً من الكذاب الأشر ﴾ وهذا تهديد لهم شديد ووعيد أكيد ، ثم قـال تعالى: ﴿ إنا مرسلوا النـاقة فتنة لهم ﴾ أي اختباراً لهم ، أخرج الله تعالى لهم ناقة عظيمة عشراء ، من صخرة صماء ، طبق ما سألوا ، لتكون حجة الله عليهم في تصديق ( صالح ) عليه السلام فيما جاءهم بـه ، ثم قال تعالى آمراً لعبده ورسوله صالح ﴿ فارتقبهم واصطبر ﴾، أي انتظر ما يؤول إليه أمرهم واصبر عليهم ، فإن العـاقبة لك والنصر في الدنيا والآخرة ﴿ ونبئهم أن الماء قسمة بينهم ﴾ أي يوم لهم ويوم للناقة ، كقوله : ﴿ قال هذه ناقة لهـا شربٌ ولكم شرب يوم معلوم ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ كل شرب محتضر ﴾ قال مجاهد : إذا غابت حضروا الماء ، وإذا جاءت حضروا اللبن ، ثم قال تعالى : ﴿ فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر ﴾ قال المفسرون : هو عاقر النـاقة واسمه ( قدار بن سالف ) وكان أشقى قومه ، كقوله : ﴿ إذ انبعث أشقاها ﴾ ، ﴿ فتعاطى ﴾ أي جسر ﴿ فعقر ، فكيف كان عذابي ونُذُرِ ﴾ أي فعـاقبتهم فكيف كان عقابي لهم على كفرهم بي وتكذيبهم رسولي ، ﴿ إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر ﴾ أي فبادوا عن آخرهم لم تبق منهـم باقية ، وخمدوا وهمدوا كما يهمد يبيس الزرع والنبات ، قاله غير واحـد من المفسرين ﴿ والمحتظر ﴾ قال السدي : هو المرعى بالصحراء حين ييبس ويحترق وتـسفيه الريح ، وقال ابن زيد : كانت العرب يجعلون حظاراً على الإبل والمواشي من يبس الشوك ، فهو المراد من قوله : ﴿ كهشيم المحتظر ﴾ .

* كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْاْ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُواْ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُواْ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾

**يقول تعالى** مخبراً عن قوم ﴿ لوط ﴾ كيف كذبوا رسولهم وخالفوه وارتكبوا المكروه من إتيان الذكور وهي ﴿ الفاحشة ﴾ التي لم يسبقهم بها أحد من العالمين، ولهذا أهلكهم الله هلاكاً لم يهلكه أمة من الأمم، فإنه تعالى أمر جبريل عليه السلام فحمل مدائنهم حتى وصل بها إلى عنان السماء، ثم قلبها عليهم وأرسلها وأتبعت بحجارة من سجيل منضود، ولهذا قال ههنا: ﴿ إنا أرسلنا عليهم حاصباً ﴾ وهي الحجارة ﴿ إلا آل لوط نجيناهم بسحر ﴾ أي خرجوا من آخر الليل فنجوا مما أصاب قومهم، ولم يؤمن بلوط من قومه أحد، حتى ولا امرأته أصابها ما أصاب قومها، وخرج نبي الله لوط من بين أظهرهم سالماً لم يمسه سوء، ولهذا قال تعالى: ﴿ كذلك نجزي من شكر * ولقد أنذرهم بطشتنا ﴾ أي ولقد كان قبل حلول العذاب بهم، قد أنذرهم بأس الله وعذابه، فما التفتوا إلى ذلك ولا أصغوا إليه، بل شكوا فيه وتماروا به ﴿ ولقد راودوه عن ضيفه ﴾ وذلك ليلة ورد عليه الملائكة في صور شباب مرد حسان، محنة من الله بهم، فأضافهم لوط عليه السلام، وبعثت امرأته العجوز السوء إلى قومها، فأعلمتهم بأضياف لوط فأقبلوا يهرعون إليه من كل مكان، فأغلق لوط دونهم الباب، فجعلوا يحاولون كسر الباب، ولوط عليه السلام يدافعهم ويمانعهم دون أضيافه، فلما اشتد الحال وأبوا إلا الدخول خرج عليهم (جبريل) عليه السلام فضرب أعينهم بطرف جناحه، فانطمست أعينهم، يقال إنها غارت من وجوههم، وقيل: إنه لم يبق لهم عيون بالكلية، فرجعوا على أدبارهم يتحسسون بالحيطان، ويتوعدون لوطاً عليه السلام إلى الصباح، قال الله تعالى: ﴿ ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر ﴾ أي لا محيد لهم عنه ولا انفكاك لهم منه ﴿ فذوقوا عذابي ونذر * ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ﴾.

۞ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَـٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَـٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾

**يقول تعالى** مخبراً عن فرعون وقومه، إنهم جاءهم رسول (موسى) وأخوه (هارون) وأيدهما بمعجزات عظيمة وآيات متعددة، فكذبوا بها كلها فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، أي فأبادهم الله ولم يبق منهم عين ولا أثر، ثم قال تعالى: ﴿ أكفاركم ﴾ أيها المشركون ﴿ خير من أولئكم ﴾ يعني من الذين تقدم ذكرهم، ممن أهلكوا بسبب تكذيبهم الرسل، أأنتم خير من أولئكم؟ ﴿ أم لكم براءة في الزبر ﴾ أي أم معكم من الله براءة، أن لا ينالكم عذاب ولا نكال، ثم قال تعالى مخبراً عنهم: ﴿ أم يقولون نحن جميع منتصر ﴾ أي يعتقدون أن جمعهم يغني عنهم من أرادهم بسوء، قال الله تعالى: ﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾ أي سيفرق شملهم ويغلبون، روى البخاري، عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال وهو في قبة له يوم بدر: «أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم في الأرض أبداً» فأخذ أبو بكر رضي الله عنه بيده، وقال: حسبك يا رسول الله ألححت على ربك، فخرج وهو يثب في الدرع، وهو يقول: ﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر * بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر ﴾[1]، وروى

(١) أخرجه البخاري والنسائي.

ابن أبي حاتم، عن عكرمة قال: لما نزلت ﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾ قال عمر: أي جمع يهزم؟ أي جمع يغلب؟ قال عمر: فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله ﷺ يثب في الدرع وهو يقول: « سيهزم الجمع ويولون الدبر » فعرفت تأويلها يومئذ(١).

* ﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾ ﴾

**يخبرنا تعالى** عن المجرمين أنهم في ضلال عن الحق ﴿ وسُعُر ﴾ مما هم فيه من الشكوك والاضطراب في الآراء، وهذا يشمل كل من اتصف بذلك من كافر ومبتدع من سائر الفرق، ثم قال تعالى: ﴿ يوم يسحبون في النار على وجوههم ﴾ أي كما كانوا في سعر وشك وتردد أورثهم ذلك النار، ويقال لهم تقريعاً وتوبيخاً ﴿ ذوقوا مس سقر ﴾، وقوله تعالى ﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾، كقوله ﴿ وخلق كل شيء فقدره تقديراً ﴾، وكقوله تعالى ﴿ والذي قدّر فهدى ﴾ أي قدر قدراً وهدى الخلائق إليه، ولهذا يستدل بهذه الآية الكريمة أئمة السنة، على إثبات قدر الله السابق لخلقه، وهو علمه الأشياء قبل كونها، وكتابته لها قبل برئها، وردوا بهذه الآية وبما شاكلها على الفرقة القدرية الذين نبغوا في أواخر عصر الصحابة، روى أحمد، عن أبي هريرة قال: جاء مشركو قريش إلى النبي ﷺ يخاصمونه في القدر، فنزلت: ﴿ يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر * إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾(٢). وعن عطاء بن أبي رباح قال: أتيت ابن عباس وهو ينزع من زمزم وقد ابتلت أسافل ثيابه فقلت له: قد تُكلِّمَ في القدر، فقال: أو قد فعلوها؟ قلت: نعم. قال: فوالله ما نزلت هذه الآية إلا فيهم: ﴿ ذوقوا مس سقر * إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾ أولئك شرار هذه الأمة، فلا تعودوا مرضاهم ولا تصلوا على موتاهم، إن رأيت أحداً منهم فقأت عينيه بأصبعي هاتين(٣). وعن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: « لكل أمة مجوس، ومجوس أمتي الذين يقولون لا قدر، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم »(٤). وقال رسول الله ﷺ: « كل شيء بقدر حتى العجز والكيس »(٥).

وفي الحديث الصحيح: « استعن بالله ولا تعجز، فإن أصابك أمر فقل: قدر الله وما شاء فعل، ولا تقل لو أني فعلت لكان كذا، فإن لو تفتح عمل الشيطان ». وروى الإمام أحمد، عن الوليد بن عبادة قال: دخلت

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه مسلم وأحمد والترمذي.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الإمام أحمد.

(٥) رواه مسلم وأحمد عن ابن عمر مرفوعاً.

على عبادة وهو مريض أتخايل فيه الموت، فقلت : يا أبتاه أوصني واجتهد لي ، فقال: أجلسوني، فلما أجلسوه، قال: يا بني إنك لن تطعم الإيمان ولن تبلغ حق حقيقة العلم بالله، حتى تؤمن بالقدر خيره وشره، قلت: يا أبتاه وكيف لي أن أعلم ما خير القدر وشره ؟ قال: تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، يا بني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن أول ما خلق الله القلم ثم قال له: اكتب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة » ، يا بني إن مت ولست على ذلك دخلت النار[١] . وقد ثبت في صحيح مسلم، عن عبدالله ابن عمرو قال، قال رسول الله ﷺ: « إن الله كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة »، زاد ابن وهب: ﴿ وكان عرشه على الماء﴾[٢] . وقوله تعالى: ﴿ وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر ﴾ وهذا إخبار عن نفوذ مشيئته في خلقه، كما أخبر بنفوذ قدره فيهم، فقال: ﴿ وما أمرنا إلا واحدة ﴾ أي إنما نأمر بالشيء مرة واحدة، لا نحتاج إلى تأكيد بثانية، فيكون ذلك موجوداً كلمح البصر لا يتأخر طرفة عين، وما أحسن ما قال بعض الشعراء :

إذا ما أراد الله أمراً فإنما يقول له : كن – قولة – فيكون

**وقوله تعالى** : ﴿ ولقد أهلكنا أشياعكم ﴾ يعني أمثالكم وسلفكم من الأمم السابقة المكذبين بالرسل ، ﴿ فهل من مدّكر ﴾ ؟ أي فهل من متعظ بما أخزى الله أولئك ، وقدّر لهم من العذاب ، كما قال تعالى: ﴿ وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل ﴾، وقوله تعالى ﴿ وكل شيء فعلوه في الزبر ﴾ أي مكتوب عليهم في الكتب التي بأيدي الملائكة عليهم السلام، ﴿ وكل صغير وكبير ﴾ أي من أعمالهم ﴿ مستطر ﴾ أي مجموع عليهم ومسطّر في صحائفهم، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وقد روى الإمام أحمد، عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: « يا عائشة إياك ومحقرات الذنوب ، فإن لها من الله طالباً »[٣] . وقوله تعالى: ﴿ إن المتقين في جنات ونهر ﴾ أي بعكس ما الأشقياء فيه من الضلال والسعر ، والسحب في النار على وجوههم، مع التوبيخ والتقريع والتهديد، وقوله تعالى: ﴿ في مقعد صدق﴾ أي في دار كرامة الله ورضوانه ، وفضله وامتنانه، ، وجوده وإحسانه ﴿ عند مليك مقتدر ﴾ أي عند الملك العظيم، الخالق للأشياء كلها ومقدرها، وهو مقتدر على ما يشاء مما يطلبون ويريدون، وقد روى الإمام أحمد، عن عبدالله بن عمرو يبلغ به النبي ﷺ قال: « المقسطون عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا »[٤] .

**[ آخر تفسير سورة اقتربت ، ولله الحمد والمنة ، وبه التوفيق والعصمة ]**

* * *

(١) أخرجه أحمد والترمذي ، وقال الترمذي : حسن صحيح غريب .

(٢) أخرجه مسلم والترمذي .

(٣) أخرجه أحمد والنسائي وابن ماجة .

(٤) أخرجه مسلم وأحمد والنسائي .

## تفسير سورة القمر[١]

وهى مكية.

قد تقدم فى حديث أبى واقد[٢]: أن رسول الله ﷺ كان يقرأ بقاف، واقتربت الساعة، فى الأضحى والفطر، وكان يقرأ بهما فى المحافل الكبار، لاشتمالهما على ذكر الوعد والوعيد وبدء الخلق وإعادته، والتوحيد وإثبات النبوات، وغير ذلك من المقاصد العظيمة.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ (١) وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ (٢) وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ (٣) وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (٤) حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ (٥)﴾.

يخبر تعالى عن اقتراب الساعة وفراغ الدنيا وانقضائها. كما قال تعالى: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ [سُبْحَانَهُ][٣]﴾ [النحل: ١]، وقال: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١] وقد وردت الأحاديث بذلك، قال الحافظ أبو بكر البزار:

حدثنا محمد بن المثنى وعمرو بن على قالا: حدثنا خلف بن موسى، حدثنى أبى، عن قتادة، عن أنس، أن رسول الله ﷺ خَطَب أصحابه ذات يوم، وقد كادت الشمس أن تغرب فلم يبق منها إلا شِفٌ[٤] يسير، فقال: «والذى نفسى بيده، ما بقى من الدنيا فيما مضى منها إلا كما بقى من يومكم هذا فيما مضى منه، وما نرى من الشمس إلا يسيرا»[٥].

قلت: هذا حديث مداره على خلف بن موسى بن خلف العَمِّىّ، عن أبيه. وقد ذكره ابن حِبَّان فى الثقات، وقال: ربما أخطأ.

حديث آخر يعضد الذى قبله ويفسره، قال الإمام أحمد: حدثنا الفضل بن دُكَيْن، حدثنا شريك، حدثنا سلمة بن كُهَيْل، عن مجاهد، عن ابن عمر قال: كنا جلوسا عند النبى ﷺ والشمس على قُعَيْقِعان بعد العصر، فقال: «ما أعماركم فى أعمار من مضى إلا كما بقى من النهار فيما مضى»[٦].

---

(١) فى أ: «اقتربت».

(٢) انظر أول تفسير سورة: «ق».

(٣) زيادة من أ

(٤) فى أ: «شىء».

(٥) رواه الطبرى فى تاريخه (١/ ١١) حدثنا ابن بشار ومحمد بن المثنى عن خلف بن موسى به.

قال الهيثمى فى المجمع (١٠/ ٣١١): «رواه البزار من طريق خلف بن موسى عن أبيه وقد وثقا».

(٦) المسند (٢/ ١١٥).

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسين، حدثنا محمد بن مُطَرِّف، عن أبى حازم، عن سهل بن سعد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بُعِثتُ والساعة[١] هكذا». وأشار بإصبعيه: السبابة والوسطى.

أخرجاه من حديث أبى حازم سلمة بن دينار[٢].

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن عُبَيد، حدثنا الأعمش، عن أبى خالد، عن وهب السُّوَائى قال: قال رسول الله ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهذه من هذه إن كادت لتسبقها[٣]» وجمع الأعمش بين السبابة والوسطى[٤].

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو المغيرة، حدثنا الأوزاعى، حدثنا إسماعيل بن عبيد[٥] الله، قال: قدم أنس بن مالك على الوليد بن عبد الملك فسأله: ماذا سمعت من رسول الله ﷺ يذكر به الساعة؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنتم والساعة كهاتين».

تفرد به أحمد، رحمه الله[٦]. وشاهد ذلك أيضا فى الصحيح فى أسماء رسول الله ﷺ: أنه الحاشر الذى يُحْشَرُ الناس على قدميه.

وقال الإمام أحمد: حدثنا بَهْزُ بن أسد، حدثنا سليمان بن المغيرة، حدثنا حميد بن هلال، عن خالد بن عمير قال: خطب عتبة بن غَزْوَان ـ قال بهز: وقال قبل هذه المرة ـ خطبنا رسول الله ﷺ قال: فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد، فإن الدنيا قد آذنت بَصرمٍ وولت حذاء، ولم يبق منها إلا صُبَابة كصبابة الإناء يتصابها صاحبها، وإنكم منتقلون منها إلى دار لا زوال لها، فانتقلوا بخير ما بحضرتكم، فإنه قد ذكر لنا أن الحجر يُلقَى من شفير جهنم فيهوى فيها سبعين عاما[٧] ما يدرك لها قعرًا، والله لتملؤنه، أفعجبتم ! والله لقد ذكر لنا أن ما بين مِصْرَاعَى الجنة مسيرة أربعين عاما، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ الزحام» وذكر تمام الحديث، انفرد به مسلم[٨].

وقال أبو جعفر بن جرير: حدثنى يعقوب، حدثنى ابن عُلَيَّة، أخبرنا عطاء بن السائب، عن أبى عبد الرحمن السُّلَمى قال: نزلنا المدائن فكنا منها على فَرْسَخ، فجاءت[٩] الجمعة، فحضر أبى وحضرت معه، فخطبنا حذيفة، فقال: ألا إن الله يقول: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾، ألا وإن الساعة قد اقتربت، ألا وإن القمر قد انشق، ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق، ألا وإن اليوم المضمار، وغدا السباق، فقلت لأبى: أيستبق الناس غدا؟ فقال: يا بنى، إنك لجاهل، إنما هو السباق بالأعمال.

---

(١) فى م: «بعثت أنا والساعة».
(٢) المسند (٥/ ٣٨٨) وصحيح البخارى برقم (٦٥٠٣) وصحيح مسلم برقم (٢٩٥٠).
(٣) فى م، أ: «لتسبقنى».
(٤) المسند (٤/ ٣٠٩).
(٥) فى أ: «عبد».
(٦) المسند (٣/ ٢٢٣).
(٧) فى م: «خريفا».
(٨) المسند (٤/ ١٧٤) وصحيح مسلم برقم (٢٩٦٧).
(٩) فى أ: «حانت».

ثم جاءت الجمعة الأخرى فحضرنا فخطب حذيفة، فقال: ألا إن الله، عز وجل، يقول: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾، ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق، ألا وإن اليوم المضمار وغدا السباق، ألا وإن الغاية النار، والسابق من سبق إلى الجنة[١].

وقوله: ﴿وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾: قد كان هذا فى زمان رسول الله ﷺ، كما ثبت ذلك فى الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة. وقد ثبت فى الصحيح عن ابن مسعود أنه قال: «خمس قد مضين: الروم، والدخان، واللزام، والبطشة، والقمر»[٢]. وهذا أمر متفق عليه بين العلماء أن انشقاق القمر قد وقع فى زمان النبى ﷺ وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات.

**ذكر الأحاديث الواردة فى ذلك:**

**رواية أنس بن مالك:**

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا مَعْمَر، عن قتادة، عن أنس بن مالك قال: سأل أهل مكة النبى ﷺ آية، فانشق القمر بمكة مرتين، فقال: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾.

ورواه مسلم، عن محمد بن رافع، عن عبد الرزاق[٣].

وقال البخارى: حدثنى عبد الله بن عبد الوهاب، حدثنا بشر بن المفضل، حدثنا سعيد بن أبى عَرُوبة عن قتادة، عن أنس بن مالك؛ أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم القمر شِقَّين، حتى رأوا حِرَاء بينهما[٤].

وأخرجاه أيضا من حديث يونس بن محمد المؤدّب، عن شيبان، عن قتادة[٥]. ورواه مسلم أيضا من حديث أبى داود الطيالسى، ويحيى القطان، وغيرهما، عن شعبة، عن قتادة، به[٦].

**رواية جبير بن مطعم، رضى الله عنه:**

قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن كثير، حدثنا سليمان بن كثير، عن حصين بن عبد الرحمن، عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فصار فرقتين: فرقة على هذا الجبل، وفرقة على هذا الجبل، فقالوا: سحرنا محمد. فقالوا: إن كان سحرنا فإنه لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم.

تفرد به الإمام أحمد من هذا الوجه، وأسنده البيهقى فى «الدلائل» من طريق محمد بن كثير،

---

(١) تفسير الطبرى (٢٧/ ٥١).
(٢) صحيح البخارى برقم (٤٧٦٧).
(٣) المسند (٣/ ١٦٥) وصحيح مسلم برقم (٢٨٠٢).
(٤) صحيح البخارى برقم (٣٨٦٨).
(٥) صحيح البخارى برقم (٤٨٦٧) وصحيح مسلم برقم (٢٨٠٢).
(٦) صحيح مسلم برقم (٢٨٠٢) ورواه البخارى فى صحيحه برقم (٤٨٦٨) من طريق يحيى عن شعبة به.

عن أخيه سليمان بن كثير، عن حصين بن عبد الرحمن، [به][(١)] [(٢)]. وهكذا رواه ابن جرير[(٣)] من حديث محمد بن فضيل وغيره، عن حصين، به[(٤)]. ورواه البيهقي أيضا من طريق إبراهيم بن طَهْمَان وَهُشَيْم، كلاهما عن حُصَين، عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، عن جده فذكره[(٥)].

**رواية عبد الله بن عباس [رضى الله عنهما][(٦)]:**

قال البخاري: حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا بكر، عن جعفر، عن عِرَاك بن مالك، عن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس قال: انشق القمر في زمان رسول [(٧)] الله ﷺ[(٨)].

ورواه البخاري أيضا ومسلم، من حديث بكر بن مضر، عن جعفر بن ربيعة، عن عِرَاك [بن مالك][(٩)]، به مثله[(١٠)].

وقال ابن جرير: حدثنا ابن مثنى، حدثنا عبد الأعلى، حدثنا داود بن أبي هند، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ .وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ قال: قد مضى ذلك، كان قبل الهجرة، انشق القمر حتى رأوا شقيه.

وروى العَوْفي، عن ابن عباس نحو هذا.

وقال الطبراني: حدثنا أحمد بن عمرو البزار، حدثنا محمد بن يحيى القُطَعي، حدثنا محمد بن بكر، حدثنا ابن جريج، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: كُسِفَ القمر على عهد رسول الله ﷺ فقالوا: سُحِر القمر. فنزلت: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ إلى قوله: ﴿مُّسْتَمِرٌّ﴾ [(١١)].

**رواية عبد الله بن عمر:**

قال الحافظ أبو بكر البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي قالا: حدثنا أبو العباس الأصم، حدثنا العباس بن محمد الدّوري، حدثنا وهب بن جرير، عن شعبة، عن الأعمش، عن مجاهد، عن عبد الله بن عمر في قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ قال: وقد كان ذلك على عهد رسول الله ﷺ انشق فِلْقَتَين: فِلْقَة من دون الجبل، وفلقة من خلف الجبل، فقال النبي ﷺ: «اللهم اشهد».

---

(١) زيادة من م.
(٢) المسند (٤/ ٨١) ودلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٢٦٨).
(٣) في أ: «جبير».
(٤) تفسير الطبري (٢٧/ ٥١).
(٥) دلائل النبوة (٢/ ٢٦٨).
(٦) زيادة من م.
(٧) في م، أ: «النبي».
(٨) صحيح البخاري برقم (٤٨٦٦).
(٩) زيادة من أ.
(١٠) صحيح البخاري برقم (٣٦٣٨) وصحيح مسلم برقم (٢٨٠٣).
(١١) المعجم الكبير (١١/ ٢٥٠).

وهكذا رواه مسلم والترمذى، من طرق عن شعبة، عن الأعمش، عن مجاهد، به[١]. قال مسلم كرواية مجاهد عن أبى معمر عن ابن مسعود. وقال الترمذى: حسن صحيح.

**رواية عبد الله بن مسعود:**

قال الإمام أحمد: حدثنا سفيان، عن ابن أبى نَجيح ، عن مجاهد، عن أبى مَعْمَر، عن ابن مسعود، قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقين حتى نظروا إليه، فقال رسول الله ﷺ: «اشهدوا».

وهكذا رواه البخارى ومسلم، من حديث سفيان بن عيينة، به[٢]. وأخرجاه من حديث الأعمش، عن إبراهيم، عن أبى معمر عبد الله بن سَخْبَرَة، عن ابن مسعود، به[٣].

وقال ابن جرير: حدثنى عيسى بن عثمان بن عيسى الرملى، حدثنا عمى يحيى بن عيسى، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن رجل، عن عبد الله، قال: كنا مع رسول الله ﷺ بمنى فانشق القمر، فأخذت فرقة خلف الجبل، فقال رسول الله ﷺ: «اشهدوا، اشهدوا»[٤].

قال البخارى: وقال أبو الضحى، عن مسروق عن عبد الله: بمكة[٥].

وقال أبو داود الطيالسى: حدثنا أبو عوانة، عن المغيرة، عن أبى الضُّحَى، عن مسروق، عن عبد الله بن مسعود، قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ، فقالت قريش: هذا سحر ابن أبى كبشة. قال: فقالوا: انظروا ما يأتيكم به السّفّار، فإن محمدًا لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم. قال: فجاء السّفّار فقالوا: ذلك[٦].

وقال البيهقى: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا العباس ابن محمد الدّوْرِى، حدثنا سعيد بن سليمان، حدثنا هُشَيْم، حدثنا مغيرة، عن أبى الضحى، عن مسروق، عن عبد الله، قال: انشق القمر بمكة حتى صار فرقتين، فقال كفار قريش أهل مكة: هذا سحر سحركم به ابن أبى كَبْشَة، انظروا السفار، فإن كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدق، وإن كانوا لم يروا مثل ما رأيتم فهو سِحْرٌ سحركم به. قال: فسئل السفار، قال: وقدموا من كل وجهة، فقالوا: رأيناه.

رواه ابن جرير من حديث المغيرة، به[٧]، وزاد: فأنزل الله عز وجل: ﴿**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ**﴾. ثم قال ابن جرير:

---

(١) دلائل النبوة للبيهقى (٢/ ٢٦٧) وصحيح مسلم برقم (٢٨٠١) وسنن الترمذى برقم (٣٢٨٨).
(٢) المسند (١/ ٣٧٧) وصحيح البخارى برقم (٤٨٦٥) وصحيح مسلم برقم (٢٨٠٠).
(٣) صحيح البخارى برقم (٤٨٦٤) وصحيح مسلم برقم (٢٨٠٠).
(٤) تفسير الطبرى (٢٧/ ٥٠).
(٥) صحيح البخارى برقم (٣٨٦٩).
(٦) مسند الطيالسى برقم (٢٩٥).
(٧) دلائل النبوة للبيهقى (٢/ ٢٦٦) وتفسير الطبرى (٢٧/ ٥٠).

حدثنى يعقوب بن إبراهيم، حدثنا ابن عُلَيَّة، أخبرنا أيوب، عن محمد ـ هو ابن سيرين ـ قال: نبئت أن ابن مسعود، رضى الله عنه، كان يقول: لقد انشق القمر(١).

وقال ابن جرير أيضا: حدثنى محمد بن عمارة، حدثنا عمرو بن حماد، حدثنا أسباط، عن سِمَاك، عن إبراهيم ،عن الأسود، عن عبد الله، قال: لقد رأيت الجبل من فَرْج القمر حين انشق.

ورواه الإمام أحمد عن مُؤَمَّل، عن إسرائيل، عن سِمَاك، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عبد الله، قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ، حتى رأيت الجبل من بين فرجتى القمر(٢).

وقال ليث، عن مجاهد: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فصار فرقتين، فقال النبى ﷺ لأبى بكر: «اشهد يا أبا بكر». فقال المشركون: سُحِر القمر حتى انشق(٣).

وقوله: ﴿وَإِن يَرَوْا آيَةً﴾ أى: دليلا وحجة وبرهانا ﴿يُعْرِضُوا﴾ أى: لا ينقادون له، بل يعرضون عنه ويتركونه وراء ظهورهم، ﴿وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ أى: ويقولون: هذا الذى شاهدناه من الحجج، سحر سحرنا به.

ومعنى ﴿مُّسْتَمِرٌّ﴾ أى:ذاهب. قاله مجاهد، وقتادة، وغيرهما، أى: باطل مضمحل، لا دوام له.

﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ أى: كذبوا بالحق إذ جاءهم، واتبعوا ما أمرتهم به آراؤهم وأهواؤهم من جهلهم وسخافة عقلهم.

وقوله: ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾ قال(٤) قتادة :معناه: أن الخير واقع بأهل الخير،والشر واقع بأهل الشر.

وقال ابن جريج: مستقر بأهله. وقال مجاهد: ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾ أى: يوم القيامة.

وقال السدى: ﴿مُّسْتَقِرٌّ﴾ أى: واقع.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ﴾ أى: من الأخبار عن قصص الأمم المكذبين بالرسل، وما حل بهم من العقاب والنكال والعذاب، مما يتلى عليهم فى هذا القرآن، ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ أى: ما فيه واعظ لهم عن الشرك والتمادى على التكذيب.

وقوله: ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾ أى: فى هدايته تعالى لمن هداه وإضلاله لمن أضله، ﴿فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾ يعنى(٥): أى شىء تغنى النذر عمن كتب الله عليه الشقاوة، وختم على قلبه؟ فمن الذى يهديه من بعد الله؟ وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩]، وكذا قوله تعالى: ﴿وَمَا تُغْنِي(٦) الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١].

---

(١) تفسير الطبرى (٢٧/ ٥١).
(٢) المسند (١/٤١٣).
(٣) تفسير الطبرى (٢٧/ ٥١).
(٤) فى م: «قاله». (٥) فى م، أ: «بمعنى». (٦) فى م، أ: «فما تغنى».

﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ⑥ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ⑦ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ⑧ ﴾.

يقول تعالى: فتول يا محمد عن هؤلاء الذين إذا رأوا آية يعرضون ويقولون: هذا سحر مستمر، أعرض عنهم وانتظرهم، ﴿ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴾ أى: إلى شىء منكر فظيع، وهو موقف الحساب، وما فيه من البلاء، بل والزلازل والأهوال، «خاشعاً أبصارُهُم» أى: ذليلة أبصارهم، ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ وهى: القبور، ﴿ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ أى: كأنهم فى انتشارهم وسرعة سيرهم إلى موقف الحساب إجابة للداعى ﴿جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ فى الآفاق؛ ولهذا قال: ﴿مُّهْطِعِينَ﴾ أى: مسرعين ﴿إِلَى الدَّاعِ﴾ ، لا يخالفون ولا يتأخرون، ﴿يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ أى: يوم شديد الهول عَبُوس قَمْطَرِير ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ . عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [المدثر: ٩، ١٠].

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ⑨ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ⑩ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ⑪ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ⑫ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ⑬ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ⑭ وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ⑮ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ⑯ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ⑰ ﴾.

يقول تعالى: ﴿كَذَّبَتْ﴾ قبل قومك يا محمد ﴿ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾ أى: صرحوا له بالتكذيب واتهموه بالجنون، ﴿ وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾ قال مجاهد: ﴿ وَازْدُجِرَ﴾ أى: استطير جنونا. وقيل: ﴿ وَازْدُجِرَ﴾ أى: انتهروه وزجروه وأوعدوه: ﴿ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ [الشعراء: ١١٦]. قاله ابن زيد، وهذا متوجه حسن. ﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ﴾ أى: إنى ضعيف عن هؤلاء وعن مقاومتهم ﴿ فَانتَصِرْ﴾ أنت لدينك. قال الله تعالى: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾. قال السدى: هو الكثير ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾ أى: نبعت جميعُ أرجاء الأرض، حتى التنانير التى هى محال النيران نبعت عيونا، ﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ﴾ أى: من السماء ومن الأرض ﴿عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ أى: أمر مقدر.

قال ابن جُرَيج، عن ابن عباس: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾: كثير، لم تمطر السماء قبل ذلك اليوم ولا بعده، ولا من السحاب؛ فتحت أبواب السماء بالماء من غير سحاب ذلك اليوم، فالتقى الماءان على أمر قد قدر.

وروى ابن أبى حاتم أن ابن الكوَّاء سأل عليا عن المجرة فقال: هى شرج السماء، ومنها فتحت

السماء بماء منهمر.

﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾: قال ابن عباس، وسعيد بن جبير، والقرظى، وقتادة، وابن زيد: هى المسامير، واختاره ابن جرير، قال: وواحدها دسار، ويقال: دَسير، كما يقال: حبيك وحباك، والجمع حُبُك.

وقال مجاهد: الدسر: أضلاع السفينة. وقال عكرمة والحسن: هو صدرها الذى يضرب به الموج.

وقال الضحاك: الدسر: طرفها وأصلها.

وقال العَوْفى، عن ابن عباس: هو كَلْكَلُها.

وقوله: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ أى: بأمرنا بمرأى منا وتحت حفظنا وكلاءتنا ﴿جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ أى: جزاء لهم على كفرهم بالله وانتصاراً لنوح، عليه السلام.

وقوله: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً﴾ قال قتادة: أبقى الله سفينة نوح حتى أدركها أول هذه الأمة. والظاهر أن المراد من ذلك جنس السفن، كقوله تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ . وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾ [يس: ٤١، ٤٢]. وقال: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ . لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١١، ١٢]؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ أى: فهل من يتذكر ويتعظ؟

قال الإمام أحمد: حدثنا حجاج، حدثنا إسرائيل، عن أبى إسحاق، عن الأسود، عن ابن مسعود قال: أقرأنى رسول الله ﷺ: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ فقال رجل: يا أبا عبد الرحمن، مُدَّكر أو مُذَّكر؟ قال: أقرأنى رسول الله ﷺ: ﴿مُّدَّكِرٍ﴾(١).

وهكذا رواه البخارى: حدثنا يحيى، حدثنا وَكيع، عن إسرائيل، عن أبى إسحاق، عن الأسود(٢) بن يزيد، عن عبد الله قال: قرأت على النبى ﷺ: ﴿فَهَلْ مِن مُّذَّكِرٍ﴾. فقال النبى ﷺ: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾(٣).

وروى البخارى أيضا من حديث شعبة، عن أبى إسحاق، عن الأسود، عن عبد الله قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾(٤).

وقال: حدثنا أبو نُعَيم، حدثنا زُهَيْر، عن أبى إسحاق؛ أنه سمع رجلا يسأل الأسود: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾، أو: ﴿مُّذَّكِرٍ﴾ ؟ قال: سمعت عبد الله يقرأ: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾. وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقرؤها: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ دالاً.

---

(١) المسند (١/ ٣٩٥).

(٢) فى م: «عن أبى الأسود».

(٣) صحيح البخارى برقم (٤٨٧٤).

(٤) صحيح البخارى برقم (٤٨٦٩)

وقد أخرج مسلم هذا الحديث وأهل السنن إلا ابن ماجه، من حديث أبى إسحاق[(١)].

وقوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ أى: كيف كان عذابى لمن كفر بى وكذب رسلى ولم يتعظ بما جاءت به نُذُرى، وكيف انتصرت لهم، وأخذت لهم بالثأر.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ أى: سهلنا لفظه، ويسرنا معناه لمن أراده، ليتذكر الناس. كما قال: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ[(٢)] أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا﴾ [مريم: ٩٧].

قال مجاهد: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ يعنى: هوّنّا قراءته.

وقال السدى: يسرنا تلاوته على الألسن.

وقال الضحاك، عن ابن عباس: لولا أن الله يسره على لسان الآدميين، ما استطاع أحد من الخلق أن يتكلم بكلام الله، عز وجل.

قلت: ومن تيسيره، تعالى، على الناس تلاوة القرآن ما تَقدّم عن النبى ﷺ أنه قال: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف». وأوردنا الحديث بطرقه وألفاظه بما أغنى عن إعادته هاهنا، ولله الحمد والمنة.

وقوله: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ أى: فهل من متذكر بهذا القرآن الذى قد يَسَّر الله حفظه ومعناه؟

وقال محمد بن كعب القرظى: فهل من منزجر عن المعاصى؟

وقال ابن أبى حاتم: حدثنا أبى، حدثنا الحسن بن رافع، حدثنا ضَمْرَة[(٣)]، عن ابن شَوْذَب، عن مَطَر ـ هو الوراق ـ فى قوله تعالى: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾: هل من طالب علم فَيُعَان عليه؟

وكذا علقه البخارى بصيغة الجزم، عن[(٤)] مطر الوراق و[كذا][(٥)] رواه ابن جرير[(٦)]، وروى عن قتادة مثله.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (١٨) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ (١٩) تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ (٢٠) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (٢١) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (٢٢)﴾.

يقول تعالى مخبرا عن عاد قوم هود: إنهم كذبوا رسولهم أيضا، كما صنع قوم نوح، وأنه تعالى

---

(١) صحيح البخارى برقم (٤٨٧١) وصحيح مسلم برقم (٨٢٣) وسنن أبى داود برقم (٣٩٩٤) وسنن الترمذى برقم (٢٩٣٧) وسنن النسائى (٢/ ١٥٠).

(٢) فى م: «ليذكر».

(٣) فى أ: «حمزة». (٤) فى أ: «على». (٥) زيادة من م.

(٦) تفسير الطبرى (٢٧/ ٥٧).

أرسل ﴿عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾، وهى الباردة الشديدة البرد، ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ﴾ أى: عليهم. قاله الضحاك، وقتادة، والسّدّى. ﴿مُّسْتَمِرٍّ﴾: عليهم نحسه ودماره؛ لأنه يوم اتصل فيه عذابهم الدنيوى بالأخروى.

وقوله: ﴿تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ وذلك أن الريح كانت تأتى أحدهم فترفعه حتى تغيبه عن الأبصار، ثم تنكسه على أم رأسه، فيسقط إلى الأرض، فتثلغ رأسه فيبقى جثة بلا رأس؛ ولهذا قال: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ . فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ . وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ (٢٣) فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (٢٤) أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ (٢٥) سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ (٢٦) إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ (٢٧) وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ (٢٨) فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ (٢٩) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٠) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ (٣١) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (٣٢)﴾.

وهذا إخبار عن ثمود أنهم كذبوا رسولهم صالحا، ﴿فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾، يقولون: لقد خبنا وخسرنا إن سلمنا كُلّنا قيادنا لواحد منا! ثم تعجبوا من إلقاء الوحى عليه خاصة من دونهم، ثم رموه بالكذب فقالوا: ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾أى: متجاوز فى حد الكذب. قال الله تعالى: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ﴾ وهذا تهديد لهم شديد ووعيد أكيد.

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ﴾ أى: اختبارا لهم؛ أخرج الله لهم ناقة عظيمة عُشراء من صخرة صمّاء طبق ما سألوا، لتكون حجة الله عليهم فى تصديق صالح، عليه السلام، فيما جاءهم به.

ثم قال آمرا لعبده ورسوله صالح: ﴿فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ﴾ أى: انتظر ما يؤول إليه أمرهم، واصبر عليهم، فإن العاقبة والنصر لك فى الدنيا والآخرة، ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ﴾ أى: يوم لهم ويوم للناقة؛ كقوله: ﴿قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾[الشعراء: ١٥٥].

وقوله: ﴿كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾: قال مجاهد: إذا غابت حضروا الماء، وإذا جاءت حضروا اللبن.

ثم قال تعالى: ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾: قال المفسرون: هو عاقر الناقة، واسمه قُدّار بن سالف، وكان أشقى قومه. كقوله: ﴿إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾ [الشمس: ١٢]، ﴿فَتَعَاطَىٰ﴾أى: فَجَسر[1] ﴿فَعَقَرَ . فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ أى: فعاقبتهم، فكيف كان عقابى[2] [لهم][3] على كفرهم بى

(١) فى م: «حسر». (٢) فى م: «عذابى». (٣) زيادة من م، أ.

وتكذيبهم رسولى؟ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾ أى: فبادوا عن آخرهم لم تبق [(١)] منهم باقية، وخمدوا وهمدوا كما يهمد يبيس الزرع والنبات. قاله غير واحد من المفسرين. والمحتظر ـ قال السدى ـ: هو المرعى بالصحراء حين ييبس وتحرق ونسفته الريح.

وقال ابن زيد: كانت العرب يجعلون حظارًا على الإبل والمواشى من يبيس الشوك، فهو المراد من قوله: ﴿كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾.

وقال سعيد بن جبير: ﴿هَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾: هو التراب المتناثر من الحائط. وهذا قول غريب، والأول أقوى، والله أعلم.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ (٣٣) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ (٣٤) نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ (٣٥) وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ (٣٦) وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٧) وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ (٣٨) فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٩) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (٤٠)﴾.

يقول تعالى مخبرا عن قوم لوط كيف كذبوا رسولهم وخالفوه، وارتكبوا المكروه من إتيان الذكور، وهى الفاحشة التى لم يسبقهم بها أحد من العالمين؛ ولهذا أهلكهم الله هلاكا لم يُهلكه أمةً من الأمم، فإنه تعالى أمر جبريل، عليه السلام، فحمل مدائنهم حتى وصل بها إلى عَنَان السماء، ثم قلبها عليهم وأرسلها، وأتبعت بحجارة من سجيل منضود؛ ولهذا قال هاهنا. ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾ وهى: الحجارة، ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ﴾ أى: خرجوا من آخر الليل فنجوا مما أصاب قومهم، ولم يؤمن بلوط من قومه أحد ولا رجل واحد حتى ولا امرأته، أصابها ما أصاب قومها، وخرج نبى الله لوط وبنات له من بين أظهرهم سالما لم يمسَسْه سوء؛ ولهذا قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ. وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا﴾ أى: ولقد كان قبل حلول العذاب بهم قد أنذرهم بأس الله وعذابه، فما التفتوا إلى ذلك، ولا أصغوا إليه، بل شكوا فيه وتماروا به، ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ﴾، وذلك ليلة وردَ عليه الملائكة: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل فى صورة شباب مُرد حسان محنةً من الله بهم، فأضافهم لوط [عليه السلام] [(٢)] وبعثت امرأته العجوز السوءُ إلى قومها، فأعلمتهم بأضياف لوط، فأقبلوا يُهْرَعُون إليه من كل مكان، فأغلق لوط دونهم الباب، فجعلوا يحاولون كسر الباب، وذلك عشية، ولوط، عليه السلام، يدافعهم ويمانعهم دون أضيافه، ويقول لهم: ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾ يعنى: نساءهم، ﴿إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾[الحجر: ٧١] ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ أى: ليس لنا فيهن أربٌ، ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ [هود: ٧٩] فلما اشتد الحال وأبوا إلا الدخول، خرج عليهم جبريل، عليه السلام، فضرب أعينهم بطرف جناحه، فانطمست أعينهم. يقال: إنها غارت من وجوههم.

(١) فى م، أ: «يبق».
(٢) زيادة من أ.

وقيل: إنه لم تبق لهم عيون بالكلية، فرجعوا على أدبارهم يتحسسون بالحيطان، ويتوعدون لوطا، عليه السلام، إلى الصباح.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾ أى: لا محيد لهم عنه، ولا انفكاك لهم منه، ﴿ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ .وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾

﴿ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ (٤١) كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ (٤٢) أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ (٤٣) أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ (٤٤) سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ (٤٥) بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ (٤٦) ﴾.

يقول تعالى مخبرا عن فرعون وقومه أنهم جاءهم رسول الله موسى وأخوه هارون بالبشارة إن آمنوا، والنذارة إن كفروا، وأيدهما بمعجزات عظيمة وآيات متعددة، فكذبوا بها كلها، فأخذهم الله أخْذ عزيز مقتدر، أى: فأبادهم الله ولم [(١)] يُبق منهم مخبراً ولا عيناً ولا أثراً.

ثم قال: ﴿ أَكُفَّارُكُمْ ﴾ أى: أيها المشركون من كفار قريش ﴿ خَيْرٌ مِّنْ أُولَئِكُمْ﴾ يعنى: من الذين تقدم ذكرهم ممن أهلكوا بسبب تكذيبهم الرسل، وكفرهم بالكتب: أأنتم خير أم أولئك؟ ﴿أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ أى: أم معكم [(٢)] من الله براءة ألا ينالكم عذاب ولا نكال؟

ثم قال مخبرا عنهم: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾ أى: يعتقدون أنهم مناصرون [(٣)] بعضهم بعضا، وأن جمعهم يغنى عنهم من أرادهم بسوء، قال الله تعالى: ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ أى: سيتفرق شملهم ويغلبون.

قال البخارى: حدثنا إسحاق؛ حدثنا خالد، عن خالد ـ وقال أيضا: حدثنا محمد، حدثنا [(٤)] عفان بن مسلم، عن وُهيب، عن خالد، عن عكرمة، عن ابن عباس؛ أن النبى ﷺ قال ـ وهو فى قبة له يوم بدر ـ: «أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم [(٥)] أبدا». فأخذ أبو بكر، رضى الله عنه، بيده وقال: حسبك يارسول الله! ألحت على ربك. فخرج وهو يثب فى الدرع وهو يقول: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ . بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾.

وكذا رواه البخارى والنسائى فى غير موضع، من حديث خالد ـ وهو مِهْران [(٦)] الحذاء ـ به[(٧)].

وقال ابن أبى حاتم: حدثنا أبى، حدثنا أبو الربيع الزّهرَانى، حدثنا حماد، عن أيوب، عن عكرمة قال: لما نزلت ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ [قال][(٨)]: قال عمر: أىّ جَمْع يهزم؟ أىّ جَمْع

---

(١) فى م: «فلم». (٢) فى م: «معهم». (٣) فى م، أ: «يتناصرون».
(٤) فى م: «ابن». (٥) فى م: «بعد اليوم فى الأرض». (٦) فى م، أ: «وهو ابن مهران».
(٧) صحيح البخارى برقم (٢٩١٥، ٣٩٥٣، ٤٨٧٥، ٤٨٧٧) والنسائى فى السنن الكبرى برقم (١١٥٥٧).
(٨) زيادة من أ.

يغلب؟ قال عمر: فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله ﷺ يثب فى الدرع، وهو يقول: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ فعرفت تأويلها يومئذ[١].

وقال البخارى: حدثنا إبراهيم بن موسى، حدثنا هشام بن يوسف؛ أن ابن جريج أخبرهم: أخبرنى يوسف بن ماهَكَ قال: إنى عند عائشة أم المؤمنين، قالت: نزل على محمد ﷺ بمكة ـ وإنى لجارية ألعب ـ ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ هكذا رواه هاهنا مختصرا[٢]. ورواه فى فضائل القرآن مطولا[٣]، ولم يخرجه مسلم.

**﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلالٍ وَسُعُرٍ (٤٧) يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (٤٨) إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩) وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (٥٠) وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (٥١) وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ (٥٢) وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ (٥٣) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ (٥٥)﴾.**

يخبرنا [٤] تعالى عن المجرمين أنهم فى ضلال عن الحق، وسُعُر مما هم فيه من الشكوك والاضطراب فى الآراء، وهذا يشمل كل من اتصف بذلك من كافر ومبتدع من سائر الفرق.

ثم قال: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ أى: كما كانوا فى سُعُر وشك وتردد أورثهم ذلك النار، وكما كانوا ضلالاً، سُحبوا فيها على وجوههم، لا يدرون أين يذهبون، ويقال لهم تقريعا وتوبيخا: ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾.

وقوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾، كقوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢] وكقوله: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى. الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ. وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى: ١ـ٣]، أى: قدر قدرا، وهدى الخلائق إليه؛ ولهذا يستدل بهذه الآية الكريمة أئمةُ السنة على إثبات قَدَر الله السابق لخلقه، وهو علمه الأشياء قبل كونها وكتابته لها قبل برئها، وردّوا بهذه الآية وبما [٥] شاكلها من الآيات، وما ورد فى معناها من الأحاديث الثابتات على الفرْقة القَدرية الذين نبغوا [٦] فى أواخر عصر الصحابة. وقد تكلمنا على هذا المقام مفصلا، وما ورد فيه من الأحاديث فى شرح «كتاب الإيمان» من «صحيح البخارى»، رحمه الله، ولنذكر هاهنا الأحاديث المتعلقة بهذه الآية الكريمة:

قال أحمد: حدثنا وَكيع، حدثنا سفيان الثورى، عن زياد بن إسماعيل السهمى، عن محمد بن عباد بن جعفر، عن أبى هُرَيْرة قال: جاء مشركو قريش إلى النبى ﷺ يخاصمونه فى القدر، فنزلت: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ. إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾.

---

(١) رواه عبد الرزاق فى تفسيره (٢/٢٠٩) من طريق معمر عن أيوب به.
(٢) صحيح البخارى برقم (٤٨٧٦).
(٣) صحيح البخارى برقم (٤٩٩٣).
(٤) فى م: «يخبر». (٥) فى م: «وما». (٦) فى أ: «سعوا».

وهكذا رواه مسلم والترمذى وابن ماجه، من حديث وكيع، عن سفيان الثورى، به[١].

وقال البزار: حدثنا عمرو بن على، حدثنا الضحاك بن مَخْلَد، حدثنا يونس بن الحارث، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: ما نزلت هذه الآيات: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ. يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ . إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾، إلا فى أهل القدر[٢].

وقال ابن أبى حاتم: حدثنا أبى، حدثنا سهل[٣] بن صالح الأنطاكى، حدثنى قُرَّةُ بن حبيب، عن كنانة، حدثنا جرير بن حازم، عن سعيد بن عمرو بن جَعْدَة، عن ابن زُرارة، عن أبيه، عن النبى ﷺ؛ أنه تلا هذه الآية: ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ . إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾، قال: «نزلت فى أناس من أمتى يكونون فى آخر الزمان يكذبون بقدر الله»[٤].

وحدثنا الحسن بن عرفة، حدثنا مَرْوان بن شجاع الجزَرَى، عن عبد الملك بن جُرَيْج، عن عطاء ابن أبى رَبَاح، قال: أتيت ابن عباس وهو يَنْزِع من زمزم، وقد ابتلّت أسافل ثيابه، فقلت له: قد تُكُلّم فى القدر. فقال: أو [قد] [٥] فعلوها؟ قلت: نعم. قال: فوالله ما نزلت هذه الآية إلا فيهم: ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ . إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾، أولئك شرار هذه الأمة، فلا تعودوا مرضاهم، ولا تُصَلّوا على موتاهم، إن رأيت أحدا منهم فقأت عينيه بأصبعى هاتين.

وقد رواه الإمام أحمد من وجه آخر، وفيه مرفوع، فقال:

حدثنا أبو المغيرة، حدثنا الأوزاعى، عن بعض إخوته، عن محمد بن عبَيد المكى، عن عبد الله ابن عباس، قال: قيل له: إن رجلا قدم علينا يُكَذّب بالقدر فقال: دلونى عليه ـ وهو أعمى ـ قالوا: وما تصنع به يا أبا عباس قال: والذى نفسى بيده لئن استمكنت منه لأعضَّنّ أنفه حتى أقطعه، ولئن وقعت رقبته فى يدى لأدقنها؛ فإنى[٦] سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كأنى بنساء بنى فِهر يَطُفْنَ بالخزرج، تصطفق ألياتهن مشركات، هذا أول شرك هذه الأمة، والذى نفسى بيده، لينتهين بهم سوء رأيهم حتى يخرجوا الله من أن يكون قَدّر خيرا، كما أخرجوه من أن يكون قدر شرا»[٧].

ثم رواه أحمد عن أبى المغيرة، عن الأوزاعى، عن العلاء بن الحجاج، عن محمد بن عبيد، فذكر مثله[٨]. لم يخرجوه.

---

(١) المسند (٢/ ٤٤٤) وصحيح مسلم برقم (٢٦٥٦) وسنن الترمذى برقم (٣٢٩٠) وسنن ابن ماجة برقم (٨٣).

(٢) مسند البزار برقم (٢٢٦٥) «كشف الأستار»، وقال الهيثمى فى المجمع (٧/ ١١٧): «فيه يونس بن الحارث، وثقه ابن معين وابن حبان وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات».

(٣) فى أ: «سهيل».

(٤) رواه الطبرانى فى المعجم الكبير (٥/ ٢٧٦) من طريق قرة بن حبيب عن جرير بن حازم ـ وأظن أن كنانة ساقط منه ـ عن سعيد بن عمرو به.

وقال الهيثمى فى المجمع (٧/ ١١٧): «فيه من لم أعرفه».

(٥) زيادة من م.

(٦) فى أ: «قال».

(٧، ٨) المسند (١/ ٣٣٠).

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الله بن يزيد، حدثنا سعيد بن أبى أيوب، حدثنى أبو صخر، عن نافع قال: كان لابن عمر صديق من أهل الشام يكاتبه[١]، فكتب إليه عبد الله بن عمر: إنه بلغنى أنك تكلمت فى شىء من القدر، فإياك أن تكتب إلىّ، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سيكون فى أمتى أقوام يكذبون بالقدر».

رواه أبو داود، عن أحمد بن حنبل، به[٢].

وقال أحمد: حدثنا أنس بن عياض، حدثنا عمر بن عبد الله مولى غُفْرَة، عن عبد الله بن عمر؛ أن رسول الله ﷺ. قال: «لكل أمة مجوس، ومجوس أمتى الذين يقولون: لا قدر. إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم»[٣].

لم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة من هذا الوجه.

وقال أحمد: حدثنا قتيبة، حدثنا رِشْدين، عن أبى صخر حُمَيد بن زياد، عن نافع، عن ابن عمر، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سيكون فى هذه الأمة مسخ، ألا وذاك فى المكذبين بالقدر والزنديقية».

ورواه الترمذى وابن ماجه، من حديث أبى صخر حميد بن زياد، به[٤]. وقال الترمذى: حسن صحيح غريب.

وقال أحمد: حدثنا إسحاق بن الطباع، أخبرنى مالك، عن زياد بن سعد، عن عمرو بن مسلم، عن طاوس اليمانى قال: سمعت ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «كل شىء بقدر، حتى العجز والكيس».

ورواه مسلم منفردا به، من حديث مالك[٥] [٦].

وفى الحديث الصحيح: «استعن بالله ولا تعجز، فإن أصابك أمر فقل: قَدَّر الله وما شاء فعل، ولا تقل: لو أنى فعلت لكان كذا، فإن لو تفتح عمل الشيطان»[٧].

وفى حديث ابن عباس: أن رسول الله ﷺ قال له: «واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشىء، لم يكتبه الله لك، لم ينفعوك. ولو اجتمعوا على أن يضروك بشىء، لم يكتبه الله عليك، لم يضروك. جفت الأقلام وطويت الصحف»[٨].

---

(١) فى م: «فكاتبه».
(٢) المسند (٢/ ٩٠) وسنن أبى داود برقم (٤٦١٣).
(٣) المسند (٢/ ٨٦).
(٤) المسند (٢/ ١٠٨) وسنن الترمذى برقم (٢١٥٢) وسنن ابن ماجه برقم (٤٠٦١).
(٥) فى م: «ورواه مسلم من حديث مالك منفردًا به».
(٦) المسند (٢/ ١١٠) وصحيح مسلم برقم (٢٦٥٥).
(٧) رواه مسلم فى صحيحه برقم (٢٦٦٤) من حديث أبى هريرة، رضى الله عنه.
(٨) رواه الإمام أحمد فى مسنده (١/ ٢٩٣).

وقال الإمام أحمد: حدثنا الحسن بن سَوَّار، حدثنا الليث[١]، عن معاوية، عن أيوب بن زياد، حدثني عبادة بن الوليد بن عبادة، حدثني أبي قال: دخلت على عبادة وهو مريض أتخايل فيه الموت، فقلت: يا أبتاه، أوصني واجتهد لي. فقال: أجلسوني. فلما أجلسوه قال: يا بني، إنك لم تطعم طعم الإيمان، ولم تبلغ حق حقيقة العلم بالله، حتى تؤمن بالقدر خيره وشره. قلت: يا أبتاه، وكيف لي أن أعلم ما خير القدر وشره؟ قال: تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك. يا بني، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول ما خلق الله القلم. ثم قال له: اكتب. فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة»يابني، إن مت ولست على ذلك دخلت النار[٢].

ورواه الترمذي عن يحيى بن موسى البَلْخي، عن أبي داود الطيالسي، عن عبد الواحد بن سليم، عن عطاء بن أبي رباح، عن الوليد بن عبادة، عن أبيه، به. وقال: حسن صحيح غريب[٣].

وقال سفيان الثوري، عن منصور، عن رِبْعِي بن خِرَاش، عن رجل، عن علي بن أبي طالب، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع: يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، بعثني بالحق، ويؤمن بالموت، ويؤمن بالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدر خيره وشره».

وكذا رواه الترمذي من حديث النضر بن شُمَيْل، عن شعبة عن منصور، به[٤]. ورواه من حديث أبي داود الطيالسي، عن شعبة، عن[٥] منصور عن ربعي، عن علي فذكره وقال: «هذا عندي أصح». وكذا رواه ابن ماجه من حديث شريك، عن منصور، عن ربعي، عن علي، به[٦].

وقد ثبت في صحيح مسلم من رواية عبد الله بن وهب وغيره، عن أبي[٧] هانئ الخولاني، عن أبي عبد الرحمن الحُبُلي، عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة» زاد ابن وهب: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود:٧]. ورواه الترمذي وقال: حسن صحيح غريب[٨].

وقوله: ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾. وهذا إخبار عن نفوذ مشيئته في خلقه كما أخبر

---

(١) في م: «ليث».

(٢) المسند (٥/ ٣١٧).

(٣) سنن الترمذي برقم (٣٣١٩).

(٤) سنن الترمذي برقم (٢١٤٥) ورواه أحمد في مسنده (١/ ١٣٣) عن وكيع، والحاكم في مستدركه (١/ ٣٣) عن أبي حذيفة، كلاهما عن سفيان الثوري به.

وقد رجح هذه الرواية الدارقطني في العلل (٣/ ١٩٦) فقال: «حديث شريك وورقاء وجرير وعمرو بن أبي قيس عن منصور عن ربعي عن علي. وخالفهم سفيان الثوري وزائدة أبو الأحوص وسليمان التيمي فرووه: عن منصور عن ربعي عن رجل من بني راشد عن علي وهو الصواب».

(٥) في م: «بن».

(٦) سنن الترمذي برقم (٢١٤٥) وسنن ابن ماجه برقم (٨١).

(٧) في أ: «أم».

(٨) صحيح مسلم برقم (٢٦٥٣) وسنن الترمذي برقم (٢١٥٦).

بنفوذ قدره فيهم، فقال: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ﴾ أى: إنما نأمر بالشىء مرة واحدة، لا نحتاج إلى تأكيد بثانية، فيكون ذلك الذى نأمر به حاصلا موجودا كلمح البصر(١)، لا يتأخر طرفة عين، وما أحسن ما قال بعض الشعراء:

إِذَا ما أَرَادَ الله أمراً فإنَّما ... يَقُولُ له: كُنْ، قَوْلَةً(٢) فيَكُونُ

وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾ يعنى: أمثالكم وسلفكم من الأمم السالفة المكذبين بالرسل، ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ أى: فهل من متعظ بما أخزى الله أولئك، وقدر لهم من العذاب، كما قال: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾ [سبأ: ٥٤].

وقوله: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ أى: مكتوب عليهم فى الكتب التى بأيدى الملائكة، عليهم السلام ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾ أى: من أعمالهم ﴿مُّسْتَطَرٌ﴾ أى: مجموع عليهم، ومسطر فى صحائفهم، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا أبو عامر، حدثنا سعيد بن مسلم بن بانك: سمعت عامر بن عبد الله بن الزبير، حدثنى عوف بن الحارث ـ وهو ابن أخى عائشة لأمها ـ عن عائشة، أن رسول الله ﷺ كان يقول: «يا عائشة، إياك ومحقرات الذنوب، فإن لها من الله طالبا».

ورواه النسائى وابن ماجه، من طريق سعيد بن مسلم بن بانك المدنى(٣). وثقه(٤) أحمد، وابن معين، وأبو حاتم، وغيرهم.

وقد رواه الحافظ ابن عساكر فى ترجمة سعيد بن مسلم هذا من وجه آخر(٥)، ثم قال سعيد: فحدثت بهذا الحديث عامر بن هشام فقال لى: ويحك يا سعيد بن مسلم. لقد حدثنى سليمان بن المغيرة أنه عمل ذنبا فاستصغره، فأتاه آت فى منامه فقال له: يا سليمان:

لا تَحْقِرَنَّ من الذنوبِ صَغِيــرا ... إن الصَّغير غداً يعــود(٦) كبيرا
إن الصغير ولو تقادم عهــــده ... عند الإله مُسَطَّرٌ تسطيــــــرا
فازجر هواك عن البطالة لا تكن ... صعب القياد وشمرن(٧) تشميرا
إن المحُبَّ إذا أحب إلههُ ... طار الفؤاد وأُلْهِم التفكيرا
فاسأل هدايتك الإله بِنِيَّة ... فكفَى بِربِّكَ هاديا ونصيرا(٨)

---

(١) فى م: «كلمح بالبصر». (٢) فى أ: «فى الوجود».
(٣) المسند (٦/ ١٥١) وسنن ابن ماجه برقم (٤٢٤٣).
(٤) فى أ: «الذى وثقه».
(٥) تاريخ دمشق (٧/ ٣٥٣ «المخطوط») من طريق أبى عامر العقدى والقعنبى، كلاهما عن سعيد بن مسلم به.
(٦) فى أ: «يكون». (٧) فى م: «وشمر».
(٨) تاريخ دمشق (٧/ ٣٥٣ «القسم المخطوط»).

وقوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ أي: بعكس ما الأشقياء فيه من الضلال والسعر، والسحب فى النار على وجوههم، مع التوبيخ والتقريع والتهديد.

وقوله: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ أي: فى دار كرامة الله ورضوانه وفضله، وامتنانه وجوده وإحسانه، ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ أي: عند الملك العظيم الخالق للأشياء كلها ومقدرها، وهو مقتدر على ما يشاء مما يطلبون ويريدون؛ وقد قال الإمام أحمد:

حدثنا سفيان، عن عمرو بن دينار، عن عمرو بن أوس، عن عبد الله بن عمرو[١] ـ يَبلُغُ به النبى ﷺ ـ قال: «المقسطون عند الله يوم القيامة على منابر من نور، عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين: الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا».

انفرد بإخراجه مسلم والنسائى، من حديث سفيان بن عيينة، بإسناده مثله[٢].

**آخر تفسير سورة «اقتربت»، ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة**

(١) فى م: «عبد الله بن أبى عمرو» وهو خطأ.
(٢) صحيح مسلم برقم (١٨٢٧)، وسنن النسائى (٨/ ٢٢١).

## تفسير سورة اقتربت

## وهي مكية

قد تقدم في حديث أبي واقد[1] : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كان يقرأ بقاف واقتربت الساعة ، في الأضحىٰ والفطر ، وكان يقرأ بهما في المحافل الكبار ، لاشتمالهما علىٰ ذكر الوعد والوعيد ، وبدء الخلق وإعادته ، والتوحيد وإثبات النبوات ، وغير ذلك من المقاصد العظيمة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

**﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ﴿٥﴾ ﴾**

يخبر تعالىٰ عن اقتراب الساعة وفراغ الدنيا وانقضائها ، كما قال تعالىٰ : **﴿ أتىٰ أمر الله فلا تستعجلوه ﴾** ، وقال : **﴿ اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ﴾** . وقد وردت الأحاديث بذلك ، قال الحافظ أبو بكر البزار[2] : حدثنا محمد بن المثنىٰ وعمرو بن علي قالا : حدثنا خلف بن موسىٰ ، حدثني أبي ، عن قتادة ، عن أنس أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم خَطَب أصحابَه ذات يوم ، وقد كادت الشمس أن تَغْرُبَ فلم يبق منها إلا شفٌ يسير ، فقال : « **والذي نفسي بيده ، ما بقي من الدنيا فيما مضىٰ منها إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضىٰ منه** » وما نرىٰ من الشمس إلا يسيرًا » .

قلت : هذا حديث مداره علىٰ خلف بن موسىٰ بن خلف العَمِّي ، عن أبيه . وقد ذكره

---

(١) تقدم تخريجه في أوائل سورة « ق » .

(٢) - خلف بن موسى : وثقه العجلي وابن خلفون ، وقال الذهبي : صدوق . وموسى بن خلف العمي : وثقه العجلي ويعقوب بن شيبة ، وقال أبو حاتم : صالح الحديث . واختلف فيه قول يحيى ، فرُوي عنه أنه قال : ليس به بأس . وفي رواية : ضعيف . وقال أبو داود : ليس به بأس . ليس بذاك القوي . وقال الدارقطني : ليس بالقوي ، يعتبر به . وضعفه ابن حبان . وقال ابن عدي : لا أرى بروايته بأسًا .

والحديث ذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٠/٣١٤) ، وقال : رواه البزار من طريق خلف بن موسى ، عن أبيه ، وقد وثق ، وبقية رجاله ثقات .اهـ .

ابن حِبّان في الثقات ، وقال : ربما أخطأ .

حديث آخر يعضد الذي قبله ويفسره ، قال[١] الإمام أحمد : حدثنا الفضل بن دكين ، حدثنا شريك ، حدثنا سَلَمة بن كهيل ، عن مجاهد ، عن ابن عمر قال : كنا جلوسًا عند النبي صلىٰ الله عليه وسلم والشمس علىٰ قُعَيْقِعان[٢] بعد العصر فقال : « **ما أعماركم في أعمار من مضىٰ إلا كما بقي من نهاري فيما مضى** »(٣) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسين ، حدثنا محمد بن مُطَرِّف ، عن أبي حازم ، عن سهل ابن سعد قال : سمعت رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، يقول : « **بُعِثْتُ والساعة هكذا** »(٤) . وأشار بأصبعيه : السبابة والوسطىٰ . أخرجاه من حديث أبي حازم سلمة بن دينار(٥) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن عُبَيد[٣] ، حدثنا الأعمش ، عن أبي خالد ، عن وهب السُّوَائي قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **بعثت أنا والساعة كهذه من هذه ، إن [ كادت لتسبقها[٤]** » ][٥]وجمع الأعمش بين السبابة والوسطىٰ(٦) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا الأوزاعي ، حدثني إسماعيل بن عبيد[٦] الله قال : قدم أنس بن مالك علىٰ الوليد بن عبد الملك ، فسأله : ماذا سمعت من رسول الله

(٣) - أخرجه أحمد (١١٥/٢ - ١١٦) وحسن هذا الإسناد ابن حجر في الفتح (٣٥٠/١١) ، وصححه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند . وأخرج البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء ، باب : ما ذكر عن بني إسرائيل ، حديث (٣٤٥٩) من حديث نافع عن ابن عمر : « **إنما أجلكم في أجل من خلا من الأمم ما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس ، وإنما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل** .... » الحديث .

(٤) - أخرجه أحمد (٣٣٨/٥) (٢٢٩٦٩) .

(٥) - البخاري في كتاب : الطلاق ، باب : اللعان ، حديث (٥٣٠١) (٤٣٩/٩) ، وطرفاه في [ ٤٩٣٦، ٦٥٠٣] . ومسلم في كتاب : الفتن وأشراط الساعة ، باب : قرب الساعة ، حديث (٢٩٥٠/١٣٢) (١١٨/١٨) .

(٦) - أخرجه أحمد (٣٠٩/٤) (١٨٨٢٤) . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٣١٥/١٠) : رواه أحمد والطبراني ، ورجالهما رجال الصحيح غير أبي خالد الوالبي وهو ثقة .اهـ .

قلت : قال الحافظ في التقريب : مقبول ؛ لكن يشهد لهذا الحديث الذي قبله فيكون به صحيحًا إن شاء الله .

[١] - في ز : وقال .

[٢] - في ز ، خ : قيقعان . وقيقعان : جبل بمكة . [٣] - في ز : عبد .

[٤] - بياض في ز .

[٥] - ما بين المعكوفين في خ : كانت . [٦] - في ز ، خ : عبد .

صلىٰ اللّه عليه وسلم يذكر به الساعة ؟ فقال : سمعت رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم يقول : « **أنتم والساعة كهاتين**[١] » . تفرد به أحمد(٧) - رحمه اللّه - وشاهد ذلك أيضًا في الصحيح في أسماء رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : أنه الحاشر الذي يُحشَر الناس علىٰ قدمه[٢] (٨) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا بهز بن أسد ، حدثنا سليمان بن المغيرة ، حدثنا حميد بن هلال ، عن خالد بن عمير[٣] قال : خطب عتبة بن غزوان - قال بهز : وقال قبل[٤] هذه المرة : خَطَبَنا رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، قال : فحمد اللّه وأثنىٰ عليه ، ثم قال : « **أما بعد ، فإن الدنيا قد آذنت بصَرْم[٥] وولت حَذّاء ، ولم يبق منها إلا صُبَابة كصُبَابة الإناء يَتَصَابُّها صاحبها ، وإنكم منتقلون[٦] منها إلىٰ دار لا زوال لها ، فانتقلوا بخير ما بحَضْرَتكم ، فإنه قد ذكر لنا أن الحجر يُلقَىٰ من شَفِير جهنم فيهوي فيها سبعين عامًا ما يدرك لها قعرًا ، واللّه لتملؤنه ، أفعجبتم ! واللّه لقد ذكر لنا أن ما بين مصراعي الجنة مسيرة أربعين عامًا ، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ الزحام ...**»(٩) وذكر تمام الحديث انفرد به مسلم(١٠) .

وقال أبو جعفر بن جرير : حدثني يعقوب ، حدثني ابن علية ، أخبرنا عطاء بن السائب ، عن أبي عبد الرحمن السّلَمي قال : نزلنا المدائن فكنا منها علىٰ فرسخ ، فجاءت الجمعة ، فحضر أبي وحضرت معه ، فخَطَبنا حذيفة فقال : ألا إن اللّه يقول : ﴿ **اقتربت الساعة وانشق القمر** ﴾ ، ألا وإن الساعة قد اقتربت ، ألا وإن القمر قد انشق ، ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق ، ألا وإن اليوم المضمار وغدًا السباق . فقلت لأبي : أيستبق[٧] الناس غدًا ؟

---

(٧) - أخرجه أحمد (٣/٢٢٣) (١٣٣٦٠) .
وفيه إسماعيل بن عبيد الله ؛ قال العلائي في « جامع التحصيل » لم يسمع من الصحابة إلا من السائب بن يزيد ، لكن يشهد له ما قبله .

(٨) - ويشهد له أيضًا حديث البخاري : « **لي خمسة أسماء ... وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقب** » ، أخرجه البخاري في كتاب المناقب ، باب : ما جاء في أسماء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حديث (٣٥٣٢) (٧/٥٥٤) وطرفه في [٤٨٩٦] .

(٩) - أخرجه أحمد (٤/١٧٤) (١٧٦٢٥) .

(١٠) - مسلم في كتاب الزهد والرقائق ، حديث (١٤/٢٩٦٧) (١٨/١٣٥ - ١٣٦) .

---

[١] - في ز : كتين .
[٢] - في ت : قدميه .
[٣] - في ز ، خ : عمر .
[٤] - في ز ، خ : مثل .
[٥] - في ز : بصرمة . وفي خ : مصرمة .
[٦] - في ز : منقلون .
[٧] - في ز ، خ : ليستبق .

فقال : يا بني ، إنك لجاهل ، إنما هو السباق بالأعمال . ثم جاءت الجمعة الأخرىٰ فحضرنا فَخَطب حذيفة فقال : ألا إن اللَّه - عز وجل - يقول : ﴿ **اقتربت الساعة وانشق القمر** ﴾ ، ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق ، ألا وإن اليوم المضمار وغدًا السباق ، ألا وإن الغاية النار ، والسابق من سبق إلىٰ الجنة(١١) .

وقوله : ﴿ **وانشق القمر** ﴾ : قد كان هذا[١] في زمان رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، كما ثبت ذلك في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة . وقد ثبت في الصحيح عن ابن مسعود أنه قال : « **خمس قد مضين : الروم ، والدخان ، واللزام ، والبطشة ، والقمر** »(١٢) . وهذا أمر متفق عليه بين العلماء أن انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم وأنه كان إحدى[٢] المعجزات الباهرات .

## ذكر الأحاديث الواردة في ذلك

### رواية أنس بن مالك :

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك قال : سأل أهل مكة النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم آية ، فانشق القمر بمكة مرتين ، فقال : ﴿**اقتربت الساعة وانشق القمر**﴾(١٣) . ورواه[٣] مسلم عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق(١٤) .

وقال البخاري : حدثني عبد اللَّه بن عبد الوهاب ، حدثنا بشر بن المفضل ، حدثنا سعيد ابن أبي عَروبة ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ؛ أن أهل مكة سألوا رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أن يُريَهم آية ، فأراهم القمر شِقَّين ،حتىٰ رأوا حراء بينهما(١٥) .

---

(١١) - أخرجه الطبري (٢٧/٨٦) وفي إسناده عطاء بن السائب كان قد اختلط .

(١٢) - أخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **فسوف يكون لزامًا** ﴾ ، حديث (٤٧٦٧) (٨/ ٤٩٦) . وفي باب : ﴿ **فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين** ﴾ ، حديث (٤٨٢٠) (٨/٥٧١) .

(١٣) - أخرجه أحمد (٣/١٦٠) (١٢٧١١) .

(١٤) - صحيح مسلم كتاب : صفات المنافقين وأحكامهم ، باب : انشقاق القمر ، حديث (٤٦/٢٨٠٢م) (١٧/٢١١) .

(١٥) - أخرجه البخاري في كتاب : مناقب الأنصار ، باب : انشقاق القمر ، حديث (٣٨٦٨) (٧/١٨٢) .

---

[١] - في خ : ذلك .

[٢] - في ز : أحد . [٣] - في ت : رواه .

وأخرجاه أيضًا من حديث يونس بن محمد المؤدب، عن شيبان، عن قتادة(١٦). ورواه مسلم أيضًا من حديث أبي داود الطيالسي ويحيىٰ القطان وغيرهما عن شعبة عن قتادة به(١٧).

**رواية جبير بن مطعم، رضي الله عنه:**

قال الإِمام أحمد: حدثنا محمد بن كثير، حدثنا سليمان بن كثير، عن حُصَين بن عبد الرحمن، عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه قال: انشق القمر علىٰ عهد رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فصار فرقتين: فرقة علىٰ هذا الجبل، وفرقة علىٰ هذا الجبل، فقالوا: سحرنا[١] محمد. فقالوا: إن كان سحرنا[٢] فإنه لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم. تفرد به الإِمام أحمد من هذا الوجه(١٨). وأسنده البيهقي في «**الدلائل**» من طريق محمد ابن كثير، عن أخيه سليمان بن كثير، عن حصين بن عبد الرحمن(١٩).

وهكذا رواه ابن جرير من حديث محمد بن فضيل[٣] وغيره، عن حصين، به(٢٠).

ورواه البيهقي[٤] أيضًا من طريق إبراهيم بن طهمان وهشيم، كلاهما[٥] عن حُصَين، عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، عن جده فذكره(٢١).

(١٦) - أخرجه البخاري في كتاب: المناقب، باب: سؤال المشركين أن يريهم النبي صلى الله عليه وسلم آية، فأراهم انشقاق القمر، حديث (٣٦٣٧) (٦٣١/٦).

ومسلم في كتاب: صفات المنافقين، باب: انشقاق القمر، حديث (٢٨٠٢/٤٦) (٢١١/١٧).

(١٧) - أخرجه مسلم في كتاب: صفات المنافقين، باب: انشقاق القمر، حديث (٢٨٠٢/٤٧) (١٧/ ٢١١ - ٢١٢).

(١٨) - أخرجه أحمد (٨١/٤ - ٨٢) (١٦٨٠٠).

وحصين بن عبد الرحمن هو السلمي؛ ثقة تغير حفظه في الآخر، وبقية رجاله ثقات.

والحديث أخرجه الترمذي في كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة القمر، حديث (٣٢٨٥) (٣٢/٩) من طريق محمد بن كثير بهذا الإسناد.

وصحح إسناده الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم (٢٦٢٢ - ٣٥٢٠).

(١٩) - الدلائل (٢٦٨/٢).

(٢٠) - تفسير الطبري (٨٦/٢٧) من طريق أبي كريب قال: ثنا ابن فضيل به مختصرًا.

(٢١) - الدلائل (٢٦٨/٢).

[١] - في ز، خ: سحره.
[٢] - في ز: سحره.
[٣] - في ز: فضل.
[٤] - سقط من ز، خ.
[٥] - في خ: كليهما.

**رواية عبد الله بن عباس :**

قال البخاري : حدثنا يحيىٰ بن بكير ، حدثنا بكر ، عن جعفر ، عن عِرَاك بن مالك ، عن عبيد[١] الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس قال : انشق القمر في زمان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم(٢٢) .

ورواه البخاري أيضًا ومسلم ، من حديث بكر بن مضر ، عن جعفر بن ربيعة ، عن عِراك ، به مثله(٢٣) .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن مثنىٰ[٢] ، حدثنا عبد الأعلىٰ ، حدثنا داود بن أبي هند[٣] ، عن عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : ﴿ **اقتربت الساعة وانشق القمر * وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر** ﴾ ، قال : قد مضىٰ ذلك ، كان قبل الهجرة ، انشق القمر حتىٰ رأوا شقيه[٤](٢٤) . ورویٰ العوفي عن ابن عباس نحو هذا.

وقال الطبراني : حدثنا أحمد[٥] بن عمرو البزّار[٦] ، حدثنا محمد بن يحيىٰ القُطَعي ، حدثنا محمد بن بكر ، حدثنا ابن جُرَيج ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كُسِفَ القمر علىٰ عهد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقالوا : سُحر القمر . فنزلت : ﴿ **اقتربت الساعة وانشق القمر** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **مستمر** ﴾ (٢٥) .

**رواية عبد الله بن عمر :**

قال الحافظ أبو بكر البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي قالا : حدثنا أبو العباس الأصم ، حدثنا العباس بن محمد الدوري ، حدثنا وَهْب بن

(٢٢) - أخرجه البخاري في « الصحيح » في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا** ﴾ ، حديث (٤٨٦٦) (٨/٦١٧) .

(٢٣) - أخرجه البخاري في كتاب : مناقب الأنصار ، باب : وانشقاق القمر ، حديث (٣٨٧٠) (٧/ ١٨٢) .

ومسلم في كتاب : صفات المنافقين وأحكامهم ، باب : وانشقاق القمر ، حديث (٤٨/٢٨٠٣) (١٧/ ٢١٢) .

(٢٤) - تفسير الطبري (٢٧/٨٦) .

(٢٥) - المعجم الكبير (١١/٢٥٠) (١١٦٤٢) وفي إسناده عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج ، =

[١] - في ز ، خ : عبد .

[٢] - في ز ، خ : عيسى .

[٣] - في ز ، خ : عبيد .

[٤] - في خ : سببه .

[٥] - في خ : محمد .

[٦] - في ز ، خ : الزوار .

جَرير ، عن شُعْبة ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، عن عبد اللّٰه بن عُمَرَ في قوله تعالىٰ : ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾ قال : وقد كان ذلك علىٰ عهد رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم انشق فلقتين : فلقة من دون الجبل ، وفلقة من خلف الجبل ، فقال النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « اللّهمّ اشهد » (٢٦) .

وهكذا رواه مسلم والترمذي ، من طُرُق عن شعبة ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، به (٢٧) . قال مسلم كرواية مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود . وقال الترمذي : حسن صحيح .

## رواية عبد الله بن مسعود :

قال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن أبي معمر ، عن ابن مسعود قال : انشق القمر علىٰ عهد رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم شِقَّتين[١] حتىٰ نظروا إليه ، فقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « اشهدوا » (٢٨) .

وهكذا رواه البخاري ومسلم ، من حديث سفيان بن عُيَينة ، به(٢٩) . وأخرجاه من حديث الأعمش ، عن إبراهيم ، عن أبي معمر عبد اللّٰه بن سَخْبَرَة ، عن ابن مسعود به[٢](٣٠) .

وقال ابن جرير : حدثني عيسىٰ بن عثمان بن عيسىٰ الرملي ، حدثنا عمي يحيىٰ بن

=وصفه النسائي وغيره بالتدليس .

قال الدارقطني : شر التدليس تدليس ابن جريج ، فإنه قبيح التدليس ، لا يدلس إلا فيما سمعه من مجروح . « طبقات المدلسين » وبقية رجاله ثقات .

(٢٦) - أخرجه البيهقي في « الدلائل » (٢/٢٦٧) .

(٢٧) - صحيح مسلم ، كتاب : صفات المنافقين وأحكامهم ، باب : انشقاق القمر ، حديث (٢٨٠١) (١٧/٢١٠ - ٢١١) .

والترمذي في كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة القمر ، حديث (٣٢٨٤) (٩/٣٢) .

(٢٨) - أخرجه أحمد (١/٣٧٧) (٣٥٨٤) .

(٢٩) - البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ﴾ ، حديث (٤٨٦٥) (٨/٦١٧) .

ومسلم في كتاب : صفات المنافقين ، باب : انشقاق القمر ، حديث (٢٨٠٠/٤٣) (١٧/٢٠٩) .

(٣٠) - أخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ﴾ ، =

[١] - في ز : شقين . [٢] - سقط من ز ، خ .

عيسىٰ ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن رجل ، عن عبد الله قال : كنا مع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بمنىٰ فانشق القمر ، فأخذت فرقة خلف الجبل ، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **اشهدوا ، اشهدوا** »(٣١) . قال البخاري : وقال أبو الضحىٰ ، عن مسروق ، عن عبد الله : بمكة (٣٢) .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا أبو عَوَانة ، عن المغيرة ، عن أبي الضحىٰ ، عن مسروق ، عن عبد الله بن مسعود قال : انشق القمر علىٰ عهد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقالت قريش : هذا سِحْرُ ابن أبي كبشة . قال : فقالوا : انظروا ما يأتيكم به السفار ، فإنّ محمدًا لا يستطيع أن يسحرَ الناس كلَّهم . قال : فجاء السّفَّار فقالوا ذلك(٣٣) .

وقال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا العباس بن محمد الدوري ، حدثنا سعيد بن سليمان ، حدثنا هُشَيم[١] ، حدثنا مغيرة ، عن أبي الضحىٰ ، عن مسروق ، عن عبد الله قال : انشق القمر بمكة حتىٰ صار فرقتين ، فقال كفار قريش أهل مكة : هذا سحر سحركم به ابن أبي كبشة ، انظروا السّفَّار ؛ فإن كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدق ، وإن كانوا لم يروا مثل ما رأيتم فهو سحر سحركم به . قال : فسُئل السّفَّار ، قال : وقدموا من كل وجهة ، فقالوا : رأينا[٢](٣٤) .

رواه ابن جرير من حديث المغيرة ، به[٣] وزاد : فأنزل الله عز وجل : ﴿ **اقتربت الساعة وانشق القمر** ﴾(٣٥) . ثم قال ابن جرير :

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا ابن[٤] علية ، أخبرنا أيوب ، عن محمد - هو ابن

= حديث (٤٨٦٤) (٦١٧/٨) .
ومسلم في كتاب : صفات المنافقين ، باب : انشاق القمر ، حديث ( ٤٤، ٤٥/٢٨٠٠) (٢١٠/١٧) .
كلاهما من طريق سفيان .

(٣١) - تفسير الطبري (٨٥/٢٧) .
وفي إسناده رجل مجهول ، لكن يشهد له ما قبله وما بعده .

(٣٢) - أخرجه البخاري في كتاب : مناقب الأنصار ، باب : انشقاق القمر ، حديث (٣٨٦٩) (٧/ ١٨٢) .

(٣٣) - أخرجه الطيالسي (٣٨) برقم (٢٩٥) . وإسناده رجاله ثقات .

(٣٤) - الدلائل (٢٦٦/٢ - ٢٦٧) وهشيم صرح بالتحديث ، وبقية إسناده موثقون .

(٣٥) - تفسير الطبري (٨٥/٢٧) من طريق الحسن بن يحيى المقدسي عن يحيى بن حماد عن أبي عوانة عن المغيرة .

[١] - في ز ، خ : هشام .
[٢] - في خ ، ت : رأيناه .
[٣] - سقط من ز ، خ .
[٤] - في ز : أبو .

سيرين - قال : نبئت أن ابن مسعود - رضي الله عنه - كان يقول : لقد انشق القمر(٣٦) .

وقال ابن جرير أيضًا : حدثني محمد بن عمارة ، حدثنا عمرو بن حماد ، حدثنا أسباط ، عن سماك ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عبد الله قال : لقد رأيت الجبل من فَرْج القمر حين انشق(٣٧) .

ورواه الإمام أحمد عن مُؤمل[١] ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عبد الله قال : انشق القمر علىٰ عهد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم حتىٰ رأيت الجبل من بين فرجتي القمر(٣٨) .

وقال ليث ، عن مجاهد : انشق القمر علىٰ عهد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فصار فرقتين ، فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم لأبي بكر : « **اشهد يا أبا بكر** » . فقال المشركون : سُحر القمر حتىٰ انشق(٣٩) .

وقوله : ﴿ **وإن يروا آية** ﴾ أي : دليلًا وحجة وبرهانًا ﴿ **يعرضوا** ﴾ . أي : لا ينقادون له ، بل يعرضون عنه ويتركونه وراء ظهورهم ، ﴿ **ويقولوا سحر مستمر** ﴾ ، أي : ويقولون : هذا الذي شاهدنا[٢] من الحجج ، سحر سحرنا به .

ومعنى ﴿ **مستمر** ﴾ أي : ذاهب . قاله مجاهد وقتادة وغيرهما . أي : باطل مضمحل لا دوام له .

﴿ **وكذبوا واتبعوا أهواءهم** ﴾ ، أي : كذبوا بالحق إذ جاءهم ، واتبعوا ما أمرتهم به آراؤهم وأهواؤهم من جهلهم وسخافة عقلهم .

وقوله : ﴿ **وكل أمر مستقر** ﴾ قال قتادة : معناه أن الخير واقع بأهل الخير ، والشر واقع بأهل الشر .

وقال ابن جُرَيج : مستقر بأهله .

---

(٣٦) - تفسير الطبري (٢٧/٨٦) .

(٣٧) - أخرجه الطبري (٢٧/٨٥) .

(٣٨) - أخرجه أحمد (١/٤١٣) (٣٩٢٤) . وصححه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند .

(٣٩) - أخرجه الطبري (٢٧/٨٧) وإسناده مرسل .

---

[١] - في ز : مويل .

[٢] - في خ ، ت : شاهدناه .

وقال مجاهد : ﴿ **وكل أمر مستقر** ﴾ ، أي : يوم القيامة .

وقال السدي : ﴿**مستقر**﴾ أي : واقع .

وقوله : ﴿ **ولقد جاءهم من الأنباء** ﴾ ، أي : من الأخبار عن قصص الأمم المكذبين بالرسل ، وما حل بهم من العقاب والنكال والعذاب ، مما يتلىٰ عليهم في هذا القرآن ، ﴿ **ما فيه مزدجر** ﴾ ، أي : ما فيه واعظ لهم عن الشرك والتمادي علىٰ التكذيب .

وقوله : ﴿ **حكمة بالغة** ﴾ ، أي : في هدايته تعالىٰ لمن هداه وإضلاله لمن أضله ، ﴿ **فما تغني النذر** ﴾ يعني أي شيء تغني النذر عمن كتب الله عليه الشقاوة ، وختم علىٰ قلبه ؟ فمن الذي يهديه من بعد الله ؟ وهذه الآية كقوله تعالىٰ : ﴿ **قل فللّه[١] الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين** ﴾ . وكذلك قوله تعالى : ﴿**وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون**﴾ .

فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡۘ يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيۡءٖ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبۡصَٰرُهُمۡ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ كَأَنَّهُمۡ جَرَادٞ مُّنتَشِرٞ ﴿٧﴾ مُّهۡطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِۖ يَقُولُ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَسِرٞ ﴿٨﴾

يقول تعالىٰ : فتولّ يا محمد عن هؤلاء الذين إذا رأوا آية يعرضون ويقولون : هذا سحر مستمر ، أعرض عنهم وانتظرهم ﴿ **يوم يدع الداع إلىٰ شيء نكر** ﴾ ، أي : إلىٰ شيء منكر فظيع ، وهو موقف الحساب ، وما فيه من [ البلاء ، بل ][٢]والزلازل والأهوال ، ﴿ **خشعًا أبصارهم** ﴾ ، أي : ذليلة أبصارهم ، ﴿ **يخرجون من الأجداث** ﴾ ، وهي القبور ، ﴿ **كأنهم جراد منتشر** ﴾ ، أي : كأنهم في انتشارهم وسرعة سيرهم إلىٰ موقف الحساب إجابة للداعي[٣] ﴿ **جراد منتشر** ﴾ في الآفاق ، ولهذا قال : ﴿ **مهطعين** ﴾ ، أي : مسرعين ﴿ **إلىٰ الداع** ﴾ ، لا يخالفون ولا يتأخرون ، ﴿ **يقول الكافرون هذا يوم عسر** ﴾ ، أي : يوم شديد الهول عبوس قمطرير ﴿ **فذلك يومئذ يوم عسير * علىٰ الكافرين غير يسير** ﴾ .

۞ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا وَقَالُواْ مَجۡنُونٞ وَٱزۡدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي

[١] - في ز : لله . [٢] - في خ : والتلاتل .

[٣] - في ز : الداعي .

مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا
فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي
بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ
كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **كذبت** ﴾ قبل قومك يا محمد ﴿ **قوم نوح فكذبوا عبدنا** ﴾ ، أي : صرحوا له بالتكذيب واتهموه بالجنون ، ﴿ [ **وقالوا مجنون** ][١]**وازدجر** ﴾ . قال مجاهد : ﴿ **وازدجر** ﴾ ، أي : استطير جنونًا . وقيل : ﴿ **وازدجر** ﴾ ، أي : انتهروه وزجروه وأوعدوه ؛ ﴿ **لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين** ﴾ . قاله ابن زيد ، وهذا متوجه حسن . ﴿ **فدعا ربه أني مغلوب فانتصر** ﴾ ، أي : إني ضعيف عن هؤلاء وعن مقاومتهم ﴿ **فانتصر** ﴾ أنت لدينك . قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر** ﴾ . قال السدي : هو الكثير . ﴿ **وفجرنا الأرض عيونًا** ﴾ ، أي : نبعت جميع أرجاء الأرض ، حتىٰ التنانير التي هي محال[٢] النيران نبعت عيونًا ، ﴿ **فالتقىٰ الماء** ﴾ أي : من السماء ومن الأرض ﴿ **علىٰ أمر قد قدر** ﴾ ، أي : أمر مقدر .

قال ابن جريج ، عن ابن عباس : ﴿ **ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر** ﴾ كثير ، لم تمطر السماء قبل ذلك اليوم ولا بعده ، ولا من السحاب ، فتحت أبواب السماء بالماء من غير سحاب ذلك اليوم ، فالتقىٰ الماءان علي أمر قد قدر .

وروىٰ ابن أبي حاتم أن ابن الكواء سأل عليًا عن المجرة ؟ فقال : هي شرج[٣] السماء ، ومنها فتحت السماء بماء منهمر .

﴿ **وحملناه علىٰ ذات ألواح ودسر** ﴾ ، قال ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، والقرظي ، وقتادة ، وابن زيد : هي المسامير . واختاره ابن جرير ، قال : وواحدها دسار ، ويقال : دسير كما يقال : حَبِيك[٤] وحباك ، والجمع حُبك .

وقال مجاهد : الدُّسر : أضلاع السفينة . وقال عكرمة والحسن : هو صدرها الذي

---

[١] - سقط من ز .
[٢] - في ز : محل .
[٣] - في ز : شرخ .
[٤] - في ز ، خ : حبك .

تضربُ[١] به الموج .

وقال الضحاك : الدسر: طرفاها وأصلها .

وقال العوفي عن ابن عباس : هو كلكلها .

وقوله : ﴿ **تجري بأعيننا** ﴾ ، أي : بأمرنا بمرأىٰ منا وتحت حفظنا وكلاءتنا ، ﴿ **جزاء لمن كان كفر** ﴾ ، أي : جزاء لهم علىٰ كفرهم بالله وانتصارًا لنوح عليه السلام .

وقوله : ﴿ **ولقد تركناها آية** ﴾ ، قال قتادة : أبقىٰ الله سفينة نوح حتىٰ أدركها أول هذه الأمة . والظاهر أن المراد من ذلك جنس السفن ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون * وخلقنا لهم من مثله ما يركبون** ﴾ . وقال : ﴿ **إنا لما طغىٰ الماء حملناكم في الجارية * لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية** ﴾ . ولهذا قال هاهنا : ﴿ **فهل من مُدّكر** ﴾ ، أي : فهل من يتذكر ويتعظ ؟

قال الإمام أحمد : حدثنا حجاج ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن الأسود ، عن ابن مسعود قال : أقرأني رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ **فهل من مُدّكر** ﴾ .

[ فقال رجل: يا أبا عبد الرحمن؛ مدّكر أو مذّكر؟ قال: أقراني رسول الله صلى الله عليه وسلم مدّكر ][٢] (٤٠) .

وهكذا رواه البخاري : حدثنا يحيىٰ ، حدثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن الأسود بن يزيد ، عن عبد الله قال : قرأت علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم : ( فهل من مُذّكر[٣] ) . فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ **فهل من مُدّكر** ﴾(٤١) .

وروىٰ البخاري أيضًا من حديث شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن الأسود ، عن عبد الله قال : كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقرأ : ﴿ **فهل من مُدّكر** ﴾(٤٢) .

وقال : حدثنا أبو نعيم حدثنا زهير، عن أبي إسحاق : أنه سمع رجلًا يسأل[٤] الأسود :

---

(٤٠) - أخرجه أحمد (٣٩٥/١) (٣٧٥٥) .

(٤١) - صحيح البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر ...** ﴾ ، حديث (٤٨٧٤) (٦١٨/٨) .

(٤٢) - أخرجه في الموضع السابق برقم (٤٨٧٣) . وفي الباب الذي قبله برقم (٤٨٧٢) من طريق شعبة .

---

[١] - في ت : يضرب .

[٢] - سقط من ز ، خ .

[٣] - في ز : مدكر .

[٤] - في ز ، خ : سأل .

**﴿ فهل من مُدكر ﴾** ، أو : ( مُذكر ) ؟ قال : سمعت عبد الله يقرأ : **﴿ فهل من مُدّكر ﴾** . وقال سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقرؤها : **﴿ فهل من مُدّكر ﴾** دالًا[٤٣] .

وقد أخرج مسلم هذا الحديث وأهل السنن إلّا ابن ماجة ، من حديث أبي إسحاق[٤٤] .

وقوله : **﴿ فكيف كان عذابي ونذر ﴾** ، أي : كيف كان عذابي لمن كفر بي وكذب رسلي ولم يتعظ بما جاءت به نُذُري ، وكيف انتصرت لهم ، وأخذت لهم بالثأر ؟

**﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر ﴾** ، أي : سهلنا لفظه ، ويسرنا معناه لمن أراده ، ليتذكر الناس . كما قال : **﴿ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب ﴾** .

وقال تعالى : **﴿ فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قومًا لدًّا ﴾** .

قال مجاهد : **﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر ﴾** يعني : هونًا قراءته .

وقال السدي : يسرنا تلاوته على الألسن .

وقال الضحاك ، عن ابن عباس : لولا أن الله يسره علىٰ لسان الآدميين ، ما استطاع أحد من الخلق أن يتكلم بكلام الله عز وجل .

قلت : ومن تيسيره تعالىٰ علىٰ الناس تلاوة القرآن ما تَقدّم عن النبي - صلىٰ الله عليه وسلم - أنه قال : **« إن هذا القرآن أنزل علىٰ سبعة أحرف »**[٤٥] . وأوردنا الحديث بطرقه وألفاظه بما أغنىٰ عن إعادته هاهنا ، ولله الحمد والمنة .

وقوله : **﴿ فهل من مدكر ﴾** ، أي : فهل من متذكر بهذا القرآن الذي قد يَسّر الله حفظه ومعناه ؟

وقال محمد بن كعب القرظي : فهل من منزجر عن المعاصي ؟

---

(٤٣) - أخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : **﴿ أعجاز نخل منقعر فكيف كان عذابي ونذر ﴾** ، حديث (٤٨٧١) (٦١٨/٨) .

(٤٤) - أخرجه مسلم في كتاب : صلاة المسافرين ، باب : ما يتعلق بالقراءات ، حديث ( ٢٨٠، ٢٨١/ ٨٢٣) . وأبو داود في كتاب : الحروف والقراءات ، حديث (٣٩٩٤) (٣٥/٤) . والترمذي في كتاب : القراءات ، باب : ومن سورة الروم ، حديث (٢٩٣٨) (١٣٥/٨) . والنسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : **﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مُدَّكِر ﴾** ، حديث (١١٥٥٥) (٤٧٦/٦) . قال الترمذي : حديث حسن صحيح .

(٤٥) - أخرجه البخاري في كتاب : فضائل القرآن ، باب : أنزل القرآن على سبعة أحرف ، حديث=

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا الحسن بن رافع ، حدثنا ضمرة ، عن ابن شَوذب ، عن مطر - هو الورّاق - في قوله تعالىٰ : ﴿ **فهل من مدكر** ﴾ : هل من طالب علم فيعان عليه ؟

وكذا علقه البخاري بصيغة الجزم عن مطر الوراق (٤٦) . ورواه ابن جرير (٤٧) ، وروي عن قتادة مثله .

كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن عاد قوم هود أنهم كذبوا رسولهم أيضًا ، كما صنع قوم نوح ، وأنه تعالىٰ أرسل ﴿ **عليهم ريحًا صرصرًا** ﴾ ، وهي الباردة الشديدة البرد ، ﴿ **في يوم نحس** ﴾ ، أي : عليهم . قاله الضحاك ، وقتادة ، والسدي ، ﴿ **مستمر** ﴾ عليهم نحسه ودماره[١] ، لأنه يوم اتصل فيه عذابهم الدنيوي بالأخروي .

وقوله : ﴿ **تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر** ﴾ ، وذلك أن الريح كانت تأتي أحدهم فترفعه حتىٰ تغيبه عن الأبصار ، ثم تنكسه علىٰ أم رأسه ، فيسقط إلىٰ الأرض ، فتثلغ رأسه فيبقىٰ جثة بلا رأس ، ولهذا قال : ﴿ **كأنهم أعجاز نخل منقعر * فكيف كان عذابي ونذر * ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر** ﴾ .

كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ

---

= (٤٩٩١) (٩/٢٣) .

ومسلم في كتاب : صلاة المسافرين ، باب : بيان أن القرآن على سبعة أحرف ، حديث (٢٧٢/٨١٩) (٦/ ١٤٦) كلاهما من حديث عبد الله بن عباس .

(٤٦) - أخرجه البخاري في كتاب : التوحيد ، باب : قول الله تعالى : ﴿ **ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر** ﴾ .

(٤٧) - تفسير الطبري (٩٧/٢٧) .

---

[١] - في ز : ودمارهم .

ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾

وهذا إخبار عن ثمود أنهم كذبوا رسولهم صالحاً ، ﴿ **فقالوا أبشرًا منا واحدًا نتبعه إنا إذًا لفي ضلال وسعر** ﴾ ، يقولون : لقد خبنا وخسرنا إن سلمنا كُلنا قيادنا لواحد منا ! ثم تعجبوا من إلقاء الوحي عليه خاصة من دونهم ، ثم رموه بالكذب فقالوا : ﴿ **بل هو كذاب أشر** ﴾ ، أي : متجاوز في حد الكذب . قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **سيعلمون غدًا من الكذاب الأشر** ﴾ . وهذا تهديد لهم شديد ووعيد أكيد .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **إنا مرسلو الناقة فتنة لهم** ﴾ ، أي : اختبارًا لهم ، أخرج اللّٰه لهم ناقة عظيمة عُشراء من صخرة صَمّاء طبق ما سألوا ، لتكون حجة اللّٰه عليهم في تصديق صالح عليه السلام فيما جاءهم به .

ثم قال آمرًا لعبده ورسوله صالح : ﴿ **فارتقبهم واصطبر** ﴾ ، أي : انتظر ما يئول إليه أمرهم ، واصبر عليهم ، فإن العاقبة والنصر لك في الدنيا والآخرة . ﴿ **ونبئهم أن الماء قسمة بينهم** ﴾ ، أي[١] : يوم لهم ويوم للناقة ؛ كقوله : ﴿ **قال هذه ناقة لها شربٌ ولكم شرب يوم معلوم** ﴾ .

وقوله : ﴿ **كل شرب محتضر** ﴾ . قال مجاهد : إذا غابت حضروا الماء ، وإذا جاءت حضروا اللبن .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **فنادوا صاحبهم فتعاطىٰ فعقر** ﴾ . قال المفسرون : هو عاقر الناقة ، واسمه قُدَار بن سالف ، وكان أشقىٰ قومه ؛ كقوله : ﴿ **إذ انبعث أشقاها** ﴾ ، ﴿**فتعاطىٰ**﴾ أي : فجسر[٢] ﴿ **فعقر * فكيف كان عذابي ونذر** ﴾ ؟ أي : فعاقبتهم فكيف كان عقابي علىٰ كفرهم بي وتكذيبهم رسولي ؟ ﴿ **إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر** ﴾ ، أي : فبادوا عن آخرهم لم تبق منهم باقية ، وخَمَدوا وهَمَدوا كما يهمد يَبِيس الزرع والنبات . قاله غير واحد من المفسرين . والمحتظر - قال السدي - : هو المرعىٰ

---

[١] - في ز : يعني . [٢] - سقط من خ .

بالصحراء حين ييس وتحرّق ونسفته الريح .

وقال ابن زيد : كانت العرب يجعلون حِظارًا على الإبل [ والمواشي من ][١] يَبِيس الشّوك ، فهو المراد من قوله : ﴿ كهشيم المحتظر ﴾ .

وقال سعيد بن جُبَير : هشيم المحتظر : هو التراب المتناثر من الحائط . وهذا قول غريب ، والأول أقوىٰ ، والله أعلم .

**كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾**

يقول تعالىٰ مخبرًا عن قوم لوط كيف كذبوا رسولهم وخالفوه ، وارتكبوا المكروه من إتيان الذكور ، وهي الفاحشة التي لم يسبقهم بها أحد من العالمين . ولهذا أهلكهم الله هلاكًا لم يُهلكه أمةً من الأمم . فإنه تعالىٰ أمر جبريل - عليه السلام - فحمل مدائنهم حتىٰ وصل بها إلىٰ عَنَان السماء ، ثم قلبها عليهم وأرسلها ، وأتبعت بحجارة من سجيل منضود ، ولهذا قال هاهنا . ﴿ **إنا أرسلنا عليهم حاصبًا** ﴾ ، وهي : الحجارة ، ﴿ **إلا آل لوط نجيناهم بسحر** ﴾ ، أي : خرجوا من آخر الليل فنجوا مما أصاب قومهم ، ولم يؤمن بلوط من قومه أحد ولا رجل واحد ، حتىٰ ولا امرأته ، أصابها ما أصاب قومها ، وخرج نبي الله لوط وبنات له من بين أظهرهم سالمًا لم يمَسَسْه سوء .

ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **كذلك نجزي من شكر * ولقد أنذرهم بطشتنا** ﴾ ، أي : ولقد كان قبل حلول العذاب بهم قد أنذرهم بأس الله وعذابه ، فما التفتوا إلىٰ ذلك ، ولا أصغوا إليه ، بل شكوا فيه وتماروا به ، ﴿ **ولقد راودوه عن ضيفه** ﴾ ، وذلك ليلة وَرَد عليه الملائكة : جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل في صورة شباب مُرد حسان محنةً[٢] من الله بهم ،

---

[١] - في ز : الرابي ثم . وفي خ : الداني ثم .

[٢] - في ز ، خ : حجية . بلا نقط .

فأضافهم لوط [ وبعثت امرأته العجوزُ السوءُ إلىٰ قومها ، فأعلمتهم بأضياف لوط ][١] فأقبلوا يُهْرَعُون إليه من كل مكان ، فأغلق لوط دونهم الباب ، فجعلوا يحاولون كسر الباب ، وذلك عشية ، ولوط - عليه السلام - يدافعهم ويمانعهم دون أضيافه ، ويقول لهم : ﴿ **هؤلاء بناتي** ﴾ يعني : نساءهم ، ﴿ **إن كنتم فاعلين * قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق** ﴾ ، أي : ليس لنا فيهن أَرَبٌ ، ﴿ **وإنك لتعلم ما نريد** ﴾ : فلما اشتد الحال وأبوا إلا الدخول ، خرج عليهم جبريل - عليه السلام - فضرب أعينهم بطرف جناحه ، فانطمست أعينهم . يقال : إنها غارت من وجوههم . وقيل : إنه لم تبق لهم عيون بالكلية ، فرجعوا علىٰ أدبارهم يتحسسون بالحيطان ، ويتوعدون لوطًا عليه السلام إلىٰ الصباح .

قال الله تعالىٰ : ﴿ **ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر** ﴾ ، أي : لا محيد لهم عنه ، ولا انفكاك لهم منه ، ﴿ **فذوقوا عذابي ونذر * ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر** ﴾ .

وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَـٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَـٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن فرعون وقومه أنهم جاءهم رسول الله موسىٰ وأخوه هارون بالبشارة إن آمنوا ، والنذارة إن كفروا ، وأيدهما بمعجزات عظيمة وآيات متعددة ، فكذبوا بها كلها ، فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر ، أي : فأبادهم الله ولم يُبق منهم مخبرًا ولا عينًا ولا أثرًا .

ثم قال : ﴿ **أكفاركم** ﴾ ، أي : أيها المشركون من كفار قريش ﴿ **خير من أولئكم** ﴾ يعني من الذين تقدم ذكرهم ممن أهلكوا بسبب تكذيبهم الرسل ، وكفرهم بالكتب : أأنتم خير أم أولئك ؟ ﴿ **أم لكم براءة في الزبر** ﴾ ، أي : أم معكم[٢] من الله براءة أن لا ينالكم عذاب ولا نكال[٣] ؟ .

ثم قال تعالى مخبرًا عنهم : ﴿ **أم يقولون نحن جميع منتصر** ﴾ ، أي : يعتقدون أنهم مناصرون بعضهم بعضًا ، وأن جمعهم يغني عنهم مَن أرادهم بسوء ، قال الله تعالىٰ :

---

[١] - سقط من ز ، خ .

[٢] - في ز ، خ : معهم .

[٣] - سقط من خ .

**﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾** ، أي : سيتفرق شملهم ويغلبون .

قال البخاري : حدثنا إسحاق ، حدثنا خالد ، عن خالد . وقال أيضًا : حدثنا [ محمد ، حدثنا عفان بن مسلم ][١] ، عن وُهَيب ، عن خالد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : وهو في قُبَّة له يوم بدر : « **أنشدك عهدك ووعدك ، اللَّهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم أبدًا** » . فأخذ أبو بكر رضي اللَّه عنه بيده وقال : حسبك يا رسول اللَّه ، ألححت علىٰ ربك . فخرج وهو يثب في الدرع وهو يقول : « **﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر * بل الساعة موعدهم والساعة أدهىٰ وأمر ﴾**(٤٨) » . وكذا رواه البخاري والنسائي في غير موضع ، من حديث خالد - وهو ابن[٢] مهران - الحذاء به .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو الربيع الزّهراني ، حدثنا حماد ، عن أيوب[٣] ، عن عكرمة قال : لما نزلت : **﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾** ، قال[٤] عمر : أيّ جَمْع يهزم ؟ أيّ جَمْع يغلب ؟ قال عمر : فلما كان يوم بدر رأيت رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، يثب في الدرع ، وهو يقول : « **﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾** » . فعرفت تأويلها يومئذ (٤٩) .

وقال البخاري : حدثنا إبراهيم بن موسىٰ ، حدثنا هشام بن يوسف ؛ أن ابن جُرَيج أخبرهم ، أخبرني يوسف بن ماهَكَ قال : إني عند عائشة أم المؤمنين ، قالت : نزل علىٰ محمد صلىٰ اللَّه عليه وسلم بمكة وإني لجارية ألعب : **﴿ بل الساعة موعدهم ، والساعة أدهىٰ وأمر ﴾**(٥٠) هكذا رواه هاهنا مختصرًا ، ورواه في فضائل القرآن مطولًا(٥١) ، ولم يخرجه مسلم .

---

(٤٨) - أخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : **﴿ بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر ﴾** حديث (٤٨٧٧) (٦١٩/٨) . وباب : **﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾** ، حديث (٤٨٧٥) (٦١٩/٨) . والنسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : **﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾** ، حديث (١١٥٥٧) (٤٧٧/٦) .

(٤٩) - تفسير الطبري (١٠٨/٢٧) .

(٥٠) - أخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : **﴿ بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر ﴾** ، حديث (٤٨٧٦) (٦١٩/٨) .

(٥١) - أخرجه البخاري في كتاب : فضائل القرآن ، باب : تأليف القرآن ، حديث (٤٩٩٣) (٣٨/٩ - ٣٩) .

---

[١] - ما بين المعكوفين في ز ، خ : « محمد بن عفان » .

[٢] - سقط من ز ، خ ، ت .

[٣] - في خ ، ت : أبي أيوب .

[٤] - في ز : قال : قال .

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾

يخبر[١] تعالىٰ عن المجرمين أنهم في ضلال عن الحق، وسُعُر مما هم فيه من الشكوك والاضطراب في الآراء، وهذا يشمل كل من اتصف بذلك من كافر ومبتدع[٢] من سائر الفرق.

ثم قال: ﴿يوم يسحبون في النار علىٰ وجوههم﴾، أي: كما كانوا في سُعُر وشك وتردد أورثهم ذلك النار، وكما كانوا ضلالًا سحبوا[٣] فيها على وجوهم، لا يدرون أين يذهبون، ويقال لهم تقريعًا وتوبيخًا: ﴿ذوقوا مس سقر﴾.

وقوله: ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾، كقوله: ﴿وخلق كل شيء فقدره تقديرًا﴾ وكقوله: ﴿سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوّى والذي قدر فهدىٰ﴾ أي: قدَّر قدرًا، وهدىٰ الخلائق إليه. ولهذا يستدل بهذه الآية الكريمة أئمةُ السنة علىٰ إثبات قَدَر الله السابق لخلقه، وهو علمه الأشياء قبل[٤] كونها، وكتابته لها قبل برئها[٥]، وردوا بهذه الآية وبما شاكلها من الآيات، وما ورد في معناها من الأحاديث الثابتات علىٰ الفرْقة القَدَرية الذين نبغوا في أواخر عصر الصحابة، وقد تكلمنا على هذا المقام مفصلًا، وما ورد فيه من الأحاديث في شرح «**كتاب الإيمان**» من «**صحيح البخاري**» رحمه الله ولنذكر هاهنا الأحاديث المتعلقة بهذه الآية الكريمة.

قال أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا سفيان[٦] الثوري، عن زياد بن[٧] إسماعيل السهمي، عن محمد بن عباد بن جعفر، عن أبي هُرَيرة قال: جاء مشركو قريش إلىٰ النبي صلىٰ الله

---

[١] - في ت: يخبرنا.
[٢] - في ز: مبتدع.
[٣] - في خ: يسحبون.
[٤] - سقط من ز، خ.
[٥] - في خ تبرمها.
[٦] - سقط من خ.
[٧] - في ز، خ: عن.

عليه وسلم يخاصمونه في القدر ، فنزلت : ﴿ **يوم يسحبون في النار علىٰ وجوههم ذوقوا مس سقر * إنا كل شيء خلقناه بقدر** ﴾(٥٢) .

[ وهكذا رواه مسلم والترمذي وابن ماجة من حديث وكيع عن سفيان الثوري به ][١] .

وقال البزار : حدثنا عمرو بن علي ، حدثنا الضحاك بن مخلد ، حدثنا يونس بن الحارث ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده قال : ما[٢] نزلت هذه الآيات[٣] : ﴿ **إن المجرمين في ضلال وسعر * يوم يسحبون في النار علىٰ وجوههم ذوقوا مس سقر * إنا كل شيء خلقناه بقدر** ﴾ ، إلا في أهل القدر(٥٣) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا سهل بن صالح الأنطاكي ، حدثني قرة بن حبيب ، عن كنانة ، حدثنا جرير بن حازم ، عن سعيد[٤] بن عمرو بن جَعدَةَ ، عن ابن[٥] زُرارة ، عن أبيه ، عن النبي - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - أنه تلا هذه الآية : ﴿ **ذوقوا مس سقر * إنا كل شيء خلقناه بقدر** ﴾ . قال : « **نزلت في أناس من أمتي يكونون[٦] في آخر الزمان ، يكذبون بقدر اللّٰه** » (٥٤) .

وحدثنا الحسن بن عرفة ، حدثنا مَرْوان بن شجاع الجَزَري ، عن عبد الملك بن جُرَيج ، عن عطاء بن أبي رَبَاح قال : أتيت ابن عباس ، وهو يَنْزِع من زمزم ، وقد ابتلت أسافل ثيابه ، فقلت له : قد تُكُلِّم في القدر . فقال : أو فعلوها ؟ قلت : نعم . قال : فواللّٰه ما نزلت هذه الآية إلا فيهم : ﴿ **ذوقوا مس سقر * إنا كل شيء خلقناه بقدر** ﴾ ، أولئك شرار هذه الأمة ، فلا تعودوا مرضاهم ، ولا تُصَلّوا علىٰ موتاهم ، إن رأيت أحدًا منهم فقأت عينيه بأصبعي هاتين (٥٥) .

(٥٢) - أخرجه أحمد (٤٤٤/٢) . ومسلم في كتاب : القدر ، باب : كل شيء بقدر ، حديث (١٩/ ٢٦٥٦) (٣١٣/١٦ - ٣١٤) كلاهما من طريق وكيع .

(٥٣) - أخرجه البزار (١١٠/٢) (١٥١٣) . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٢٠/٧) : رواه البزار وفيه يونس بن الحارث وثقه ابن معين وابن حبان وفيه ضعف ، وبقية رجاله ثقات .

(٥٤) - أخرجه الطبراني في « الكبير » (٢٧٦/٥) (٥٣١٦) من طريق جرير بن حازم .
قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٢٠/٧) : رواه الطبراني وفيه من لم أعرفه .
والحديث صححه الألباني بالذي قبله في الصحيحة برقم (١٥٣٩) .

(٥٥) - في إسناده ابن جريج وهو مدلس .

[١] - سقط من ت .
[٢] - في ز : لما .
[٣] - في ز : الآية .
[٤] - في ز ، خ : سعد .
[٥] - في ز ، خ : أبي .
[٦] - في ز : يكذبون .

وقد رواه الإمام أحمد من وجه آخر، وفيه مرفوع فقال:

حدثنا أبو المغيرة، حدثنا الأوزاعي، عن بعض إخوته عن محمد بن عبيد المكي، عن عبدالله ابن عباس قال: قيل له: إن رجلًا قدم علينا يُكَذِّب بالقدر. فقال: دلوني عليه - وهو أعمىٰ - قالوا: وما تصنع به يا أبا عباس. قال: والذي نفسي بيده، لئن استمكنت منه لأعضنَّ أنفه حتىٰ أقطعه، ولئن وقعت رقبته في يدي لأدُقَّنَّها، فإني سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول: « **كأني بنساء بني فِهْر يَطُفْنَ بالخزرج، تصطفق ألياتهن مشركات، هذا أول شرك هذه الأمة، والذي نفسي بيده لينتهين بهم سوء رأيهم حتىٰ يخرجوا الله من أن يكون قَدّر خيرًا، كما أخرجوه من أن يكون قَدّر شرًّا** »(٥٦).

ثم رواه أحمد عن أبي المغيرة، عن الأوزاعي، عن العلاء بن الحجاج، عن محمد بن عبيد، فذكر مثله(٥٧). لم يخرجوه.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الله بن يزيد، حدثنا سعيد بن[١] أبي أيوب، حدثني أبو صخر، عن نافع قال: كان لابن عمر صديق من أهل الشام يكاتبه، فكتب إليه عبد الله بن عمر: إنه بلغني أنك تكلمت في شيء من القدر، فإياك أن تكتب إليَّ، فإني سمعتُ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول: « **سيكون في أمتي أقوام يكذبون بالقدر** »(٥٨). [ رواه أبو داود(٥٩) عن أحمد بن حنبل، به ][٢].

وقال أحمد: حدثنا أنس بن عياض، حدثنا عمر بن عبد الله مولىٰ غُفْرَة[٣]، عن عبد الله بن عمر، أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: « **لكل أمة مجوس، ومجوس**

---

(٥٦) - أخرجه أحمد (١/٣٣٠) (٣٠٥٥).
وإسناده ضعيف لجهالة من روى عنهم الأوزاعي لكن يشهد له ما بعده.

(٥٧) - أخرجه أحمد (١/٣٣٠) (٣٠٥٦). وفي إسناده العلاء بن الحجاج؛ ضعفه الأزدي كما في ميزان الاعتدال (٤/١٨) وكذا ذكر ابن حجر في التعجيل.

(٥٨) - أخرجه أحمد (٢/٩٠) (٥٦٣٩). وإسناده حسن من أجل أبي صخر وهو حميد بن زياد، صدوق يهم، وبقية رجاله ثقات. وصححه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند.

(٥٩) - أخرجه أبو داود في كتاب: السنة، باب: في القدر، حديث (٤٧١٠) (٤/٢٢٨) بلفظ: « **لا تجالسوا أهل القدر ولا تفاتحوهم** » من طريق سعيد بن أبي أيوب، قال: حدثني عطاء بن دينار، عن حكيم بن شريك الهذلي، عن يحيى بن ميمون الحضرمي، عن ربيعة الجرشي، عن أبي هريرة عن عمر بن الخطاب، به.

---

[١] - في ز، خ: عن.

[٢] - سقط من ت.

[٣] - في ز: غفر. وفي خ: غفار.

**أمتي الذين يقولون: لا قدر. إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم»**(٦٠).
لم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة من هذا الوجه.

وقال أحمد: حدثنا قتيبة، حدثنا رشْدين، عن أبي[١] صخر حُميد بن زياد، عن نافع، عن ابن عمر قال: سمعت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول: **«سيكون في هذه الأمة مَسْخٌ، ألا وذاك في المكذبين بالقدر والزنديقية»**(٦١).

ورواه الترمذي وابن ماجه، من حديث أبي صخر حميد بن زياد، به(٦٢). وقال الترمذي: حسن صحيح غريب.

وقال أحمد: حدثنا إسحاق بن الطباع، أخبرني مالك، عن زياد بن سعد، عن عمرو ابن مسلم، عن طاوس اليماني قال: سمعت ابن عمر قال: قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم: **«كل شيء بقدر، حتىٰ العجز والكيس»**(٦٣). ورواه مسلم منفردًا به، من حديث مالك(٦٤).

وفي الحديث الصحيح: **«استعن باللَّه ولا تَعْجز، فإن أصابك أمر فقل: قَدّر اللَّه وما شاء فعل، ولا تقل: لو أني فعلت لكان كذا[٢]، فإن «لو تفتح عمل الشيطان»**(٦٥).

وفي حديث ابن عباس أن رسول اللَّه، صلىٰ اللَّه عليه وسلم، قال له: **«واعلم أن الأمة لو اجتمعوا علىٰ أن ينفعوك بشيء، لم يكتبه اللَّه لك، لم ينفعوك. ولو اجتمعوا**

(٦٠) - أخرجه أحمد (٢/٨٦). وفي إسناده عمر بن عبد الله مولى غفرة؛ قال العلائي في «جامع التحصيل»: قال أبو حاتم: لم يلق أنس بن مالك، وحديثه عن ابن عباس مرسل. وقال ابن معين: لم يسمع من صحابي .اهـ.

(٦١) - أخرجه أحمد (٢/١٠٨) (٥٨٦٧) وفي إسناده رشدين بن سعد وهو ضعيف.

(٦٢) - أخرجه الترمذي في كتاب: القدر، باب (١٦)، حديث (٢١٥٤) (٦/٣٢٤) من طريق رشدين.
وأخرجه الترمذي برقم (٢١٥٣)، وابن ماجة في كتاب: الفتن، باب: الخسوف، حديث (٤٠٦١) (٢/١٣٥٠).
كلاهما من طريق حيوة بن شريح عن حميد بن زياد بنحو حديث رشدين.
وحسن هذا الحديث الألباني في صحيح سنن ابن ماجة (٣٢٨٢).

(٦٣) - أخرجه أحمد (٢/١١٠) (٥٨٩٣).

(٦٤) - مسلم في كتاب: القدر، باب: كل شيء بقدر، حديث (١٨/٢٦٥٥) (١٦/٣١٣).

(٦٥) - أخرجه مسلم في كتاب: القدر، باب: في الأمر بالقوة وترك العجز، والاستعانة بالله، وتفويض المقادير لله، حديث (٣٤/٢٦٦٤) (١٦/٣٢٩).

[١] - في خ: ابن.
[٢] - في ز، خ: هكذا.

**علىٰ أن يضروك بشيء ، لم يكتبه اللَّه عليك ، لم يضروك . جفّت الأقلام وطويت الصحف »**(٦٦) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا الحسن بن سوار ، حدثنا الليث ، عن معاوية ، عن أيوب بن زياد ، حدثني عُبَادة بن الوليد بن عُبَادة ، حدثني أبي قال : دخلتُ علىٰ عبادة وهو مريض أتخايل فيه الموت ، فقلت : يا أبتاه ، أوصني واجتهد لي . فقال : أجلسوني . فلما أجلسوه قال : يا بني، إنك لم تَطْعَم طَعْم الإيمان ، ولم تبلغ حَقّ حقيقة العلم باللَّه ، حتىٰ تؤمن بالقدر خيره وشره . قلت : يا أبتاه ، وكيف لي أن أعلم ما خيرُ القدر وشره ؟ قال : تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئَك . يا بني ، إني سمعت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول : « **إن أول ما خلق اللَّه القلم . ثم قال له : اكتب . فجرىٰ في تلك الساعة بما هو كائن إلىٰ يوم القيامة** » . يا بني ، إن متّ ولستَ علىٰ ذلك دخلتَ النار (٦٧) .

ورواه الترمذي عن يحيىٰ بن موسىٰ البلخي ، عن أبي داود الطيالسي ، عن عبد الواحد ابن سليم ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن الوليد بن عبادة ، عن أبيه(٦٨) . [و][١]قال : حسن صحيح غريب .

وقال سفيان الثوري ، عن منصور ، عن ربعي بن خراش ، عن رجل ، عن علي بن أبي طالب قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **لا يؤمن عبد**[٢] **حتىٰ يؤمن بأربع : يشهد أن لا إله إلا اللَّه ، وأني رسول اللَّه ، بعثني بالحق [ ويؤمن بالموت ]**[٣]**، ويؤمن بالبعث بعد الموت ، ويؤمن بالقدر خيره وشره** ». وكذا رواه الترمذي من حديث النضر بن شميل ، عن شعبة ، عن منصور ، به . ورواه من حديث أبي داود الطيالسي ، عن شعبة ، عن منصور ، عن ربعي ، عن علي فذكره(٦٩) وقال : هذا عندي أصح .

---

(٦٦) - أخرجه أحمد (٢٣٣/٤) (٢٦٦٩) . والترمذي في كتاب : صفة القيامة ، باب : ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ، حديث (٢٥١٨) (٢٠٣/٧ - ٢٠٤) . كلاهما من طريق ليث بن سعد عن قيس بن الحجاج عن حنش الصنعاني عن ابن عباس - رضي الله عنه - به .

(٦٧) - أخرجه أحمد (٣١٧/٥) (٢٢٨٠٨) . وهو حديث حسن .

(٦٨) - أخرجه الترمذي في كتاب : القدر ، باب : (١٧) ، حديث (٢١٥٦) . وفي إسناده عبد الواحد ابن سليم : ضعيف . قال الترمذي : وهذا حديث غريب . وقد أخرجه أبو داود مختصرًا برقم (٤٧٠٠) من طريق آخر ، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم (٣٩٣٣) .

(٦٩) - أخرجه الترمذي في كتاب : القدر ، باب : ما جاء في الإيمان بالقدر خيره وشره ، حديث =

---

[١] - سقط من ز .

[٢] - في خ : أحد .

[٣] - سقط من ز ، خ .

وكذا رواه ابن ماجة من حديث شريك، عن منصور، عن ربعي، عن علي به (٧٠) .

وقد ثبت في صحيح مسلم، من رواية عبد الله بن [ وهب وغيره، عن أبي هانيء الخَوْلاني، عن أبي عبد الرحمن الحُبُلي، عن عبد الله بن ][١] عمرو قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: « **إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة** ». زاد ابن وهب: ﴿ **وكان عرشه علىٰ الماء** ﴾(٧١) . ورواه الترمذي وقال: حسن صحيح غريب (٧٢) .

وقوله: ﴿ **وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر** ﴾. وهذا إخبار عن نفوذ مشيئته في خلقه كما أخبر بنفوذ قَدره فيهم، فقال: ﴿ **وما أمرنا إلا واحدة** ﴾، أي: إنما نأمر بالشيء مرة واحدة، لا نحتاج إلىٰ تأكيد بثانية، فيكون ذلك الذي نأمر به حاصلًا موجودًا كلمح البصر، لا يتأخر طرفة عين، وما أحسن ما قال بعض الشعراء:

إِذَا مَا أَرَادَ اللَّهُ أَمْرًا فَإِنَّمَا ... يَقُولُ لَهُ: كُنْ، قَوْلَةً فَيَكُونُ

وقوله: ﴿ **ولقد أهلكنا أشياعكم** ﴾، يعني: أمثالكم وسلفكم من الأمم السالفة المكذبين بالرسل، ﴿ **فهل من مدكر** ﴾، أي: فهل من متعظ بما أخزىٰ الله أولئك، وقدر لهم من العذاب. كما قال تعالى: ﴿ **وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل** ﴾.

وقوله: ﴿ **وكل شيء فعلوه في الزبر** ﴾، أي: مكتوب عليهم في الكتب التي بأيدي الملائكة عليهم السلام ﴿ **وكل صغير وكبير** ﴾، أي[٢]: من أعمالهم ﴿ **مستطر** ﴾، أي: مجموع عليهم ومسطر في صحائفهم، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا أبو عامر، حدثنا سعيد بن [ مسلم بن بَانَكَ[٣] ][٤]:

---

= (٢١٤٦) من طريق أبي داود والنضر كلاهما عن شعبة. وإسناده صحيح. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١٧٤٤ - ٢٢٤٦).

(٧٠) - أخرجه ابن ماجة في المقدمة برقم (٨١) من طريق شريك عن منصور (٣٢/١).

(٧١) - أخرجه مسلم في كتاب: القدر، باب: حجاج آدم وموسى - عليهما السلام - حديث (١٦/ ٢٦٥٣) (٣١٠/١٦ - ٣١١).

(٧٢) - أخرجه الترمذي في كتاب: القدر، باب: (١٨)، حديث (٢١٥٧) (٣٢٦/٦) من طريق حيوة ابن شريح عن أبي هانئ - بنحو حديث مسلم.

---

[١] - ما بين المعكوفين سقط من ز، خ. [٢] - سقط من ز.

[٣] - في خ: ماهك.

[٤] - ما بين المعكوفين في ز: « سلم بن ماهك».

سمعت عامر بن عبد الله بن الزبير ، حدثني عوف بن الحارث - وهو ابن أخي عائشة لأمها - عن عائشة أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، كان يقول : « **يا عائشة ، إياك ومحقرات الذنوب ؛ فإن لها من الله طالبًا** »(٧٣) . ورواه النسائي وابن ماجة من طريق سعيد بن مسلم بن بانك[١] المدني(٧٤) . وثقه أحمد وابن معين، وأبو حاتم وغيرهم .

وقد رواه الحافظ ابن عساكر في ترجمة سعيد بن مسلم هذا من وجه آخر ، ثم قال سعيد : فحدثت بهذا الحديث عامر بن هشام فقال لي : ويحك يا سعيد بن مسلم ! لقد حدثني سليمان بن المغيرة أنه عمل ذنبا فاستصغره ، فأتاه آت في منامه فقال له : يا سليمان:

لا تَحْقِرَنَّ من الذنوب صغيرًا إنّ الصغيرَ غدًا يَعُودُ كَبيرًا
إن الصّغيرَ وَلَو تَقَادَمَ عَهْدُهُ عندَ الإلَه مُسَطَّرٌ تَسْطيرًا
فَازْجُرْ هَوَاكَ عَن البطَالَة ، لا تَكنْ صَعْبَ القِيَاد ، وَشَمِّرَنْ تَشْميرًا
إنّ المُحبَّ إذَا أحبَّ إلههُ طَارَ الفُؤادُ وَأُلهِم التَّفْكِيرًا
فَاسْأَلْ هِدَايَتَكَ الإله بِنِيَّة فَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَاديًا وَنَصِيرًا(٧٥)

وقوله : ﴿ **إن المتقين في جنات ونهر** ﴾ ، أي : بعكس ما الأشقياء فيه من الضلال والسعر ، والسحب في النار علىٰ وجوههم ، مع التوبيخ والتقريع والتهديد .

وقوله : ﴿ **في مقعد صدق** ﴾ ، أي : في دار كرامة الله ورضوانه وفضله ، وامتنانه وجوده وإحسانه ، ﴿ **عند مليك مقتدر** ﴾ ، أي : عند الملك العظيم الخالق للأشياء كلها ومقدرها ، وهو مقتدر علىٰ ما يشاء مما يطلبون ويريدون ، وقد قال الإمام أحمد :

حدثنا سفيان ، عن عمرو بن دينار ، عن عمرو بن أوس ، عن عبد الله بن عَمْرو - يَبْلُغُ به النبي صلىٰ الله عليه وسلم - قال : « **المقسطون عند الله [يوم القيامة ][٢]علىٰ منابر من نور ، عن يمين الرحمن ، وكلتا يديه يمين ، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا** »(٧٦) .

(٧٣) - أخرجه أحمد (١٥١/٦) . وفي إسناده عوف بن الحارث بن الطفيل ، قال الحافظ : مقبول .
(٧٤) - أخرجه النسائي في الكبرى في كتاب الرقائق كما في تحفة الأشراف للمزي (٢٥٠/١٢) .
وابن ماجة في كتاب : الزهد ، باب : ذكر الذنوب ، حديث (٤٢٤٣) (١٤١٧/٢) .
قال في الزوائد : إسناده صحيح ، رجاله ثقات . وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥١٣) .
(٧٥) - أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٥٣/٧) وانظر السابق .
(٧٦) - أخرجه أحمد (١٦٠/٢) .

[١] - في خ : ماهك . [٢] - سقط من ز ، خ .

انفرد بإخراجه مسلم والنسائي من حديث سفيان بن عيينة بإسناده مثله(٧٧) .

**آخر تفسير سورة «اقتربت»** ولله الحمد والمنة ، وبه التوفيق والعصمة .

[ ][١]

☆ ☆ ☆

(٧٧) - مسلم في كتاب : الإمارة ، باب : فضيلة الإمام العادل ، وعقوبة الجائر ، حديث (١٨٢٧/١٨) (٢٩١/١٢) .

والنسائي في الكبرى في كتاب القضاء ، باب : فضل الحاكم العادل ، حديث (٥٩١٦) (٤٦٠/٣) .

[١] - ما بين المعكوفين في ز : « وصل الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، يتلوه إن شاء الله تعالى في أول السابع تفسير سورة الرحمن - عز وجل - والحمد لله رب العالمين » .

وفي خ : « وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وصلي الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، وهذا آخر الجزء السادس من تفسير الإمام ابن كثير ويتلوه إن شاء الله الجزء السابع من أول تفسير سورة الرحمن ، والحمد لله رب العالمين - آمين » .

## سورة القمر

مكيّة، وهي خمس وخمسون آيةً.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ۝٢﴾

﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ رُوي أنّ الكفّار سألوا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم آيةً، / فانشقّ القمر.[1] قال ابن عبّاس رضي الله عنهما: «انفلق فلقتين: فلقةٌ ذهبتْ وفلقةٌ بقيَتْ».[2] وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «رأيتُ حِراءَ بين فلقتَي القمر».[3] [١٤٥و]

وعن عثمانَ بن عطاء عن أبيه أنّ معناه سينشقّ يومَ القيامة،[4] ويردُّه قوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ﴾؛ فإنّه ناطق بأنّه قد وقَع، وأنّهم قد شاهدوه بعد مشاهدة نظائره. وقد قُرئ: "وَقَد انْشَقَّ القَمَرُ"،[5] أي: اقتربت الساعة وقد حصل مِن آيات اقترابها أنّ القمر قد انشقّ.

ومعنى الاستمرار الاطّراد أو الاستحكام، أي: وإن يرَوا آيةً مِن آيات الله تعالى يُعرِضوا عن التأمّل فيها ليقفوا على حقِّيّتها وعُلوّ طبقتها ويقولوا: سِحْر مُطّرد دائم يأتي به محمّد عليه السلام على مرّ الزمان لا يكاد يختلف بحال كسائر أنواع السِّحر، أو قويّ مُستحكِم لا يمكن إزالته. وقيل: مستمرّ ذاهبٌ يزول ولا يبقى تمنيةً لأنفسهم وتعليلًا.[6] وهو الأنسبُ بغُلوّهم في العناد والمكابرة، ويؤيّده ما سيأتي لردّه. وقُرئ: "وَإن يُرَوا"[7] على البناء للمفعول مِن "الإراءة".

---

١ بلفظ قريب في صحيح البخاري، ٢٠٦/٤ (٣٦٣٧)؛ وصحيح مسلم، ٢١٥٩/٤ (٢٨٠٢).

٢ بمعناه في صحيح البخاري، ١٤٢/٦ (٤٨٦٤)؛ وصحيح مسلم، ٢١٥٨/٤ (٢٨٠٠)؛ وبلفظه ههنا في الكشّاف للزمخشري، ٣٢٥/٤.

٣ بلفظ قريب في معالم التنزيل للبغوي، ٤٢٥/٧؛ وبلفظه ههنا في الكشّاف للزمخشري، ٣٢٥/٤.

٤ القول في الكشّاف للزمخشري، ٣٢٥/٤؛ وأنوار التنزيل للبيضاوي، ٣٤٤/٣.

٥ قراءة شاذّة، مرويّة عن حذيفة بن اليمان. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٥٣.

٦ القول في الكشّاف للزمخشري، ٣٢٥/٤.

٧ قراءة شاذّة، مرويّة عن أُبيّ بن كعب. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٥٣.

﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ۝﴾

﴿وَكَذَّبُوا﴾ أي: بالنبيّ صلّى الله عليه وسلّم وما عاينوه ممّا أظهره الله تعالى على يده مِن المعجزات ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ التي زيّنها الشيطان لهم أو كذّبوا الآية التي هي انشقاق القمر واتّبعوا أهواءهم وقالوا: «سَحَر القمرَ، أو سَحَر أعينَنا والقمرُ بحاله». وصيغةُ الماضي للدلالة على التحقّق.

وقوله تعالى: ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾ استئناف مَسوق لإقناطهم عمّا علّقوا به أمانيّهم الفارغة مِن عدم استقرار أمره عليه السلام حسبما قالوا: ﴿سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ ببيان ثباته ورسوخِه، أي: وكلّ أمر مِن الأمور مستقرّ، أي: مُنتَهٍ إلى غاية يستقرّ عليها لا محالةَ، ومِن جملتها أمر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فسيصير إلى غاية يتبيّن عندها حقّيّته وعُلوّ شأنه.

وإبهام المستقرّ عليه للتنبيه على كمال ظهور الحالِ وعدم الحاجةِ إلى التصريح به. وقيل: المعنى كلّ أمر مِن أمرهم وأمره عليه السلام مستقرٌّ، أي: سيثبت ويستقرّ على حالةِ خذلان أو نصرة في الدنيا وشقاوةٍ أو سعادة في الآخرة. وقُرئ بالفتح[١] على أنّه مصدر، أو اسم مكان، أو اسم زمان، أي: ذو استقرار، / أو ذو موضع استقرار، أو ذو زمان استقرار، وبالكسر والجرّ[٢] على أنّه [١٤٥ظ]
صفة ﴿أَمْرٍ﴾. و﴿كُلُّ﴾ عطفٌ على ﴿السَّاعَةُ﴾، أي: اقتربت الساعةُ وكلُّ أمر مستقرّ.

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُم﴾ أي: في القرآن. وقوله تعالى:[٣] ﴿مِّنَ الْأَنبَاءِ﴾ أي: أنباء القرون الخالية أو أنباء الآخرة، متعلِّق بمحذوف هو حال ممّا بعده، أي: وبالله لقد جاءهم كائنًا مِن الأنباء ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ أي: ازدجارٌ مِن تعذيب أو وعيد، أو موضعُ ازدجار، على أنّ "في" تجريديّة، والمعنى أنّه في نفسه موضعُ ازدجار، وتاء الافتعال تُقلَب دالًا مع "الدال" و"الذال" و"الزاء" للتناسب. وقُرئ: "مُزَّجَرٌ"[٤] بقلبها زاء وإدغامها.

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن شيبة. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٥٣.

٢ قرأ بها أبو جعفر. النشر لابن الجزري، ٢/٣٨٠.

٣ م - تعالى.

٤ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن عُمير. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٥٤.

﴿حِكْمَةٌ بَٰلِغَةٌ﴾ غايتها لا خَلَل فيها، وهي بدل مِن ﴿مَا﴾،[١] أو خبر لمحذوف. وقُرِئ بالنصب[٢] حالًا منها، فإنّها موصولة أو موصوفة تخصَّصت بصفتها فساغ نصبُ الحال عنها.

﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾ نفي للإغناء، أو إنكار له. و"الفاء" لترتيب عدمِ الإغناء على مجيء الحكمة البالغة مع كونه مَظِنّة للإغناء. وصيغة المضارع للدلالة على تجدّد عدم الإغناء واستمرارِه، حسب تجدّد مجيء الزواجر واستمراره،[٣] و﴿مَا﴾ على الوجه الثاني[٤] منصوبةٌ، أي: فأيّ إغناء تغني النُّذر، وهو جمع نذير بمعنى المُنذِر، أو مصدر بمعنى الإنذار.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ۝٦ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ۝٨﴾

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ لعلمك بأنّ الإنذار لا يؤثِّر فيهم البتّةَ ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ منصوب بـ﴿يَخْرُجُونَ﴾ أو بـ"اذكر". والداعي إسرافيلُ عليه السلام، ويجوز أن يكون الدعاء فيه كالأمر في قوله تعالى: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة، ١١٧/٢]، وإسقاطُ "الياء" للاكتفاء بالكسر تخفيفًا. ﴿إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾ أي: منكَر فظيع تُنكِره النفوس لعدم العهد بمثله وهو هَول القيامة. وقُرئ: "نُكْرٍ"[٥] بالتخفيف و"نُكِرَ"[٦] بمعنى أُنكِر.

﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ﴾ حال مِن فاعل ﴿يَخْرُجُونَ﴾ والتقديمُ لأنّ العامل متصرِّف، أي: يخرجون ﴿مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ أذلّةً أبصارهم مِن شِدّة الهول. وقُرِئ: "خَاشِعًا"،[٧] والإفرادُ والتذكيرُ لأنّ فاعله ظاهر غيرُ حقيقيِّ التأنيث. وقُرئ: "خَاشِعَةً"[٨]

---

[١] في الآية السالفة.
[٢] قراءة شاذّة، مرويّة عن اليماني. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٥٣.
[٣] س ي - حسب تجدُّد مجيء الزواجر واستمراره.
[٤] س - على الوجه الثاني.
[٥] قرأ بها ابن كثير. النشر لابن الجزري، ٢١٦/٢، ٣٨٠.
[٦] قراءة شاذّة، مرويّة عن مجاهد والجَحدري. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٥٣.
[٧] قرأ بها أبو عمرو حمزة والكسائي ويعقوب وخلف. النشر لابن الجزري، ٣٨٠/٢.
[٨] قراءة شاذّة، مرويّة عن اليماني وابن مسعود. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٥٣.

على الأصل، وقُرئ: "خُشَّعٌ أَبْصَارُهُمْ"[١] على الابتداء والخبر على أنّ الجملة حالٌ. ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ في الكثرة والتموّج / والتفرّق في الأقطار. [١٤٦و]

﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ﴾ مسرعين مادّي أعناقهم إليه، أو ناظرين إليه ﴿يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ استئناف وَقَع جوابًا عمّا نشأ مِن وصف اليوم بالأهوال وأهلِه بسوء الحال، كأنّه قيل: فماذا يكون حينئذ؟ فقيل: يقول الكافرون: ﴿هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ أي: صَعْب شديد. وفي إسناد القولِ المذكور إلى الكفّار تلويحٌ بأنّ المؤمنين ليسوا في تلك المرتبة مِن الشِّدّة.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ۝٩﴾

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ شروع في تعداد بعض ما ذُكر مِن الأنباء الموجِبة للازدجار، ونوعُ تفصيل لها، وبيانٌ لعدم تأثُّرهم بها تقريرًا لفحوى قوله تعالى: ﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾،[٢] أي: فعَل التكذيبَ قبل تكذيب قومِك قومُ نوح. وقوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا﴾ تفسير لذلك التكذيب المبهَم، كما في قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ﴾... إلخ [هود، ١١/٤٥]، وفيه مزيدُ تقرير وتحقيقٍ للتكذيب. وقيل: معناه كذّبوه تكذيبًا إثرَ تكذيب كلّما خلا منهم قَرْن مكذِّب جاء عَقِيبه قَرْن آخرُ مكذِّب مِثلُه. وقيل: كذّبت قوم نوح الرسلَ فكذّبوا عبدنا لأنّه مِن جملتهم.[٣] وفي ذِكره عليه السلام بعنوان العبوديّة مع الإضافة إلى نون العظمة تفخيمٌ له عليه السلام ورفعٌ لمحلّه وزيادةُ تشنيع لمكذِّبيه.

﴿وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ﴾ أي: لم يقتصروا على مجرّد التكذيب؛ بل نسبوه إلى الجنون. ﴿وَٱزْدُجِرَ﴾ عطفٌ على ﴿قَالُوا۟﴾ أي: وزُجِر عن التبليغ بأنواع الأذيّة. وقيل: هو مِن جملة ما قالوه، أي: هو مجنون، وقد ازدجرَته الجِنّ وتخبّطَته.[٤]

﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ۝١٠ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ۝١١ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۝١٢ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ۝١٣ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ۝١٤﴾

---

[١] قراءة شاذة، غير منسوبة. الكشّاف للزمخشري، ٤/٣٢٦.

[٢] في الآية الخامسة مِن هذه السورة.

[٣] القولان في الكشّاف للزمخشري، ٤/٣٢٧.

[٤] القول في الكشّاف للزمخشري، ٤/٣٢٧.

﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى﴾ أي: بأنّي. وقُرئ بالكسر[1] على إرادة القول. ﴿مَغْلُوبٌ﴾ أي: مِن جهة قومي، ما لي قدرة على الانتقام منهم ﴿فَٱنتَصِرْ﴾ أي: فانتقِم لي منهم، وذلك بعد تقرُّر يأسه منهم بعد اللَّتيّا والتي،[2] فقد رُوي أنّ الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه حتّى يخرّ مغشيًّا عليه، ويقول: اللّهمّ اغفِر لقومي فإنّهم لا يعلمون.[3]

﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾ مُنصبّ، وهو تمثيل لكثرة الأمطار وشدّة انصبابها. وقُرئ: "فَفَتَّحْنَا"[4] بالتشديد لكثرة الأبواب.

﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾ أي: جعلنا الأرضَ كلَّها كأنّها عُيون متفجِّرة، وأصله "وفجّرنا عيونَ الأرضِ"، فغُيِّر قضاءً لحَقّ المقام. ﴿فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ﴾ أي: ماء السماء وماء الأرض، والإفرادُ لتحقيق أنّ التقاء الماءين لم يكن بطريق المجاورة والتقارب؛ بل بطريق الاختلاط والاتّحاد. وقُرئ: "المَاءَانِ"[5] لاختلاف النوعين، و"المَاوَانِ"[6] بقلب "الهمزة" واوًا.

﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ أي: كائنًا على حال قد قدّرها الله تعالى مِن غير تفاوت، / أو على حال قُدِرت وسُوِّيت، وهو أنّ قَدْر ما أُنزل على قَدْر ما أُخرِج، أو على [١٤٦ظ] أمر قدَّره الله تعالى وهو هلاك قوم نوح بالطوفان.

﴿وَحَمَلْنَٰهُ﴾ أي: نوحًا عليه السلام ﴿عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ﴾ أخشاب عريضة ﴿وَدُسُرٍ﴾ ومساميرَ، جمع "دِسار" مِن "الدَّسْر" وهو الدفع، وهي صفة للسفينة أُقيمت مُقامها مِن حيث إنّها كالشرح لها تؤدّي مؤدّاها.

﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ بمَرأى منا، أي: محفوظةً بحفظنا ﴿جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ أي: فعَلْنا ذلك جزاءً لنوح عليه السلام؛ لأنّه كان نعمةً كفروها، فإنّ كلّ نبيّ نعمةٌ

---

[1] قراءة شاذّة، مرويّة عن عيسى بن عمر وابن أبي إسحاق وابن عُمير وزيد بن عليّ. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٤٨؛ شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٥٤.

[2] اللّتيّا والّتي: يكنى بهما عن الشدّة، واللّتيّا: تصغير التي، وهي عبارة عن الداهية المتناهية. مجمع الأمثال للميداني، ١/١٦٤.

[3] انظر: الكشّاف للزمخشري، ٤/٣٢٧.

[4] قرأ بها ابن عامر وابن وردان وابن جمّاز ورَوح. النشر لابن الجزري، ٢/٢٥٨.

[5] قراءة شاذّة، مرويّة عن الجَحدري ومحمّد بن كعب. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٤٨.

[6] قراءة شاذّة، مرويّة عن الحسن. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٤٨.

مِن الله تعالى على أمّته ورحمةً، وأيُّ نعمة وأيُّ رحمة؟ وقد جُوِّز أن يكون على حذف الجارّ وإيصالِ الفعل إلى الضمير واستتارِه في الفعل بعد انقلابه مرفوعًا. وقُرئ: "لِمَنْ كَفَرَ"،[١] أي: للكافرين.

﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٥ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝١٦ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٧﴾

﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَا﴾ أي: السفينة أو الفعلة ﴿ءَايَةً﴾ يعتبر بها مَن يقف على خبرها. وقال قتادة: أبقاها الله تعالى بأرض الجزيرة.[٢] وقيل: على الجُوديّ دهرًا طويلًا حتّى نظر إليها أوائل هذه الأمّة.[٣]

﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ أي: معتبِر بتلك الآية الحقيقة بالاعتبار. وقُرئ: "مُذْتَكِرٍ"[٤] على الأصل، و"مُذَّكِرٍ"[٥] بقلب "التاء" ذالًا والإدغام فيها.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ استفهامُ تعظيم وتعجيب، أي: كانا على كيفيّة هائلة لا يُحيط بها الوصف، والنُّذر جمع "نذير" بمعنى الإنذار.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ﴾... إلى آخره جملة قسميّة وردت في أواخر القصص الأربع تقريرًا لمضمون ما سبق مِن قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾،[٦] وتنبيهًا على أنّ كلّ قصّة منها مستقلّة بإيجاب الادّكار كافية في الازدجار، ومع ذلك لم تقع واحدة في حيّز الاعتبار، أي: وبالله لقد سهّلنا القرآن لقومك بأن أنزلناه على لغتهم وشحنّاه بأنواع المواعظ والعِبَر وصرّفنا فيه مِن الوعيد والوعد.

﴿لِلذِّكْرِ﴾ أي: للتذكّر والاتّعاظ ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ إنكار ونفي للمتّعظ على أبلغ وجه وآكَده، حيث يدلّ على أنّه لا يقدر أحد أن يُجيب المستفهم بـ"نَعم".

---

[١] قراءة شاذّة، مرويّة عن يزيد بن رُومان وقتادة وعيسى بن عمر. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٧٣١.

[٢] بلفظ قريب في معالم التنزيل للبغوي، ٤٢٥/٧؛ والكشّاف للزمخشري، ٣٢٨/٤.

[٣] القول في الكشّاف للزمخشري، ٣٢٨/٤.

[٤] قراءة شاذّة، مرويّة عن أُبيّ بن كعب. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٧٣٢.

[٥] قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن مسعود وقتادة. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٧٣٢.

[٦] في الآيتين الرابعة والخامسة مِن هذه السورة.

وحملُ تيسيره على تسهيل حفظِه بجزالة نظمِه وعذوبةِ ألفاظه وعباراته[١] / ممّا [١٤٧و]
لا يُساعده المقام.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾﴾

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾ أي: هودًا عليه السلام ولم يتعرّض لكيفيّة تكذيبهم له عليه السلام رَومًا للاختصار ومسارعةً إلى بيان ما فيه الازدجارُ مِن العذاب.

وقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ لتوجيه قلوب السامعين نحوَ الإصغاء إلى ما يُلقى إليهم قبل ذِكره لا لتهويله وتعظيمه وتعجيبهم مِن حاله بعد بيانه كما قبله وما بعده، كأنّه قيل: كذَّبت عاد فهل سمعتُم أو فاسمعوا كيف كان عذابي وإنذاراتي لهم.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ استئناف ببيان ما أُجمِل أوّلًا، أي: أرسلنا عليهم ريحًا باردةً أو شديدةَ الصوت ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ﴾ شؤم ﴿مُّسْتَمِرٍّ﴾ أي: شؤمه أو مستمرّ عليهم إلى أن أهلكهم أو شاملٌ لجميعهم كبيرهم وصغيرهم أو مشتدّ مراراته، وكان يوم الأربعاء آخرَ الشهر.

﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ﴾ تقلعهم، رُوي أنّهم دخلوا الشِّعاب والحُفَر وتمسَّك بعضهم ببعض فنزعتهم الرِّيح وصرعتهم موتى.[٢] ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ أي: منقلِع عن مغارسه. قيل: شُبِّهوا بأعجاز النخل وهي أصولها بلا فروع؛ لأنّ الريح كانت تقلع رءوسهم فتُبقي أجسادًا وجُثثًا بلا رءوس. وتذكيرُ صفة ﴿نَخْلٍ﴾ للنظر إلى اللفظ، كما أنّ تأنيثها في قوله تعالى: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة، ٦٩/٧] للنظر إلى المعنى.

وقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ تهويل لهما وتعجيبٌ مِن أمرهما بعد بيانهما، فليس فيه شائبةُ تكرار. وما قيل: مِن أنّ الأوّل لِما حاق بهم في الدنيا والثاني لِما يحيق بهم في الآخرة،[٣] يردُّه ترتيب الثاني على العذاب الدنيوي.

---

١ م + ألفاظه. | القول في الكشّاف للزمخشري، ٣٢٨/٤.

٢ الكلام في الكشّاف للزمخشري، ٣٢٨/٤.

٣ القول في أنوار التنزيل للبيضاوي، ٣٤٧/٣.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ الكلامُ فيه كالذي مرّ فيما سبق.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾﴾

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ﴾ أي: الإنذارات والمواعظ التي سمعوها مِن صالح، أو بالرسل عليهم السلام، فإنّ تكذيبَ أحدهم تكذيبٌ للكلّ لاتّفاقهم على أصول الشرائع.

[١٤٧ظ] / ﴿فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا﴾ أي: كائنًا مِن جنسنا، وانتصابُه بفعل يفسّره ما بعده. ﴿وَٰحِدًا﴾ أي: منفردًا لا تَبَع له، أو واحدًا مِن آحادهم لا مِن أشرافهم، وهو صفة أخرى لـ﴿بَشَرًا﴾، وتأخيرُه عن الصفة المئوّلة للتنبيه على أنّ كلًّا مِن الجنسيّة والوحدة ممّا يمنع الاتّباع، ولو قُدِّم عليها لفاتت هذه النكتة. وقُرئ: "أَبَشَرٌ مِنَّا وَاحِدٌ"[١] على الابتداء. وقوله تعالى: ﴿نَّتَّبِعُهُۥٓ﴾ خبرُه والأوّل أوجَهُ للاستفهام.

﴿إِنَّآ إِذًا﴾ أي: على تقدير اتّباعنا له وهو منفرِد ونحن أمّة جمّة ﴿لَّفِى ضَلَٰلٍ﴾ عن الصواب ﴿وَسُعُرٍ﴾ أي: جنون، فإنّ ذلك بمَعزِل مِن مقتضى العقل. وقيل: كان يقول لهم: إن لم تتّبعوني كنتم في ضلال عن الحقّ.[٢] و﴿سُعُرٍ﴾ أي: نيران جمع "سَعير"، فعكسوا عليه لغاية عتوّهم فقالوا: إن اتّبعناك كنّا إذن كما تقول.

﴿أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ﴾ أي: الكتاب والوحي ﴿عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ وفِينا مَن هو أحقّ منه بذلك ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ أي: ليس الأمر كذلك؛ بل هو كذا وكذا حَمَله بَطَره على الترفّع علينا بما ادّعاه.

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن أبي السَّمّال. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٥٥.

٢ القول في الكشّاف للزمخشري، ٤/٣٢٩.

وقوله تعالى: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ﴾ حكاية لِما قاله تعالى لصالح عليه السلام وعدًا له ووعيدًا لقومه، و"السين" لتقريب مضمون الجملة وتأكيدِه، والمراد بـ"الغد" وقتُ نزول العذاب، أي: سيعلمون البتّةَ عن قريب مَن الكذّاب الأشِر الذي حَمَله أشَره وبَطَره على الترفّع، أصالح هو أم مَن كذّبه.

وقُرئ: "سَتَعْلَمُونَ"،[١] على الالتفات لتشديد التوبيخ، أو على حكاية ما أجابهم به صالح. وقُرئ: "الأَشُرُ"[٢] كقولهم: "حَذُر" في "حَذِر". وقُرئ: "الأَشَرُّ"،[٣] أي: الأبلَغ في الشرارة، وهو أصل مرفوض كـ"الأَخْيَرُ".

وقيل: المراد بـ"الغد" يوم القيامة،[٤] ويأباه قوله تعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ﴾... إلخ، فإنّه استئناف مسوقٌ لبيان مبادي الموعود حتمًا، أي: مخرجوها مِن الهضبة حسبما سألوا ﴿فِتْنَةً لَّهُمْ﴾ أي: امتحانًا ﴿فَٱرْتَقِبْهُمْ﴾ أي: فانتظرهم وتبصّر ما يصنعون / ﴿وَٱصْطَبِرْ﴾ على أذيّتهم. [١٤٨و]

﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ﴾ مقسوم، لها يوم ولهم يوم. و﴿بَيْنَهُمْ﴾ لتغليب العقلاء. ﴿كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ يحضره صاحبه في نوبته.

﴿فَنَادَوْاْ صَاحِبَهُمْ﴾ هو قُدار بن سالف،[٥] أُحيمِر ثمودَ ﴿فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾ فاجترأ على تعاطي الأمر العظيم غيرَ مكترِث له فأحدث العَقْر بالناقة. وقيل: فتعاطى الناقة فعقرها، أو فتعاطى السيف فقتلها،[٦] والتعاطي تناول الشيء بتكلّف.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ الكلام فيه كالذي مرّ في صدر قصّة عادٍ.

---

١ قرأ بها ابن عامر وحمزة. النشر لابن الجزري، ٣٨٠/٢.

٢ قراءة شاذّة، مرويّة عن أبي قلابة. **المغني في القراءات** للنّوزاوازي، ص ١٧٣٣.

٣ قراءة شاذّة، غير منسوبة. **الكشّاف** للزمخشري، ٣٢٩/٤.

٤ القول في **أنوار التنزيل** للبيضاوي، ٣٤٧/٣.

٥ هو قُدار بن سالف بن جُنْدَع، كان أحمر أزرق قصيرًا، وهو الذي تولّى قتل ناقة ثمود، وهو واحد مِن التسعة رهط المذكورين في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [النمل، ٤٨/٢٧]. انظر: **البداية والنهاية** لابن كثير، ٣١٣/١.

٦ القول في **الكشّاف** للزمخشري، ٣٢٩/٤.

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ هي صيحة جبزيلَ عليه السلام ﴿فَكَانُواْ﴾ أي: فصاروا ﴿كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ﴾ أي: كالشجر اليابس الذي يتّخذه مَن يعمل الحظيرة لأجلها، أو كالحشيش اليابس الذي يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته في الشتاء. وقُرئ بفتح "الظاء"،[١] أي: كهشيم الحظيرة، أو الشجر المتّخَذ لها.

﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾.

﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطِۭ بِٱلنُّذُرِ ٣٣ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٖۖ نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ ٣٤ نِّعۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَن شَكَرَ ٣٥ وَلَقَدۡ أَنذَرَهُم بَطۡشَتَنَا فَتَمَارَوۡاْ بِٱلنُّذُرِ ٣٦ وَلَقَدۡ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيۡفِهِۦ فَطَمَسۡنَآ أَعۡيُنَهُمۡ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ٣٧ وَلَقَدۡ صَبَّحَهُم بُكۡرَةً عَذَابٞ مُّسۡتَقِرّٞ ٣٨ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ٣٩ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ٤٠﴾

﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطِۭ بِٱلنُّذُرِ ۞ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا﴾ أي: ريحًا تحصبهم، أي: ترميهم بالحصباء ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٖۖ نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ﴾ في سَحَر وهي[٢] آخرُ الليل. وقيل: هو السُّدُس الأخير منه،[٣] أو:[٤] ملتبِسين بسَحَر.

﴿نِّعۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا﴾ أي: إنعامًا منّا، وهو علّة لـ"نجّينا". ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثلَ ذلك الجزاء العجيب ﴿نَجۡزِي مَن شَكَرَ﴾ نعمتنا بالإيمان والطاعة.

﴿وَلَقَدۡ أَنذَرَهُم﴾ لوط عليه السلام[٥] ﴿بَطۡشَتَنَا﴾ أي: أخذَتَنا الشديدة بالعذاب ﴿فَتَمَارَوۡاْ﴾ فكذّبوا ﴿بِٱلنُّذُرِ﴾ متشاكّين.

﴿وَلَقَدۡ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيۡفِهِۦ﴾ قصدوا الفجور بهم ﴿فَطَمَسۡنَآ أَعۡيُنَهُمۡ﴾ فمسحناها وسوّيناها كسائر الوجه. رُوي أنّهم لمّا دخلوا داره عُنوةً صَفَقهم جبريلُ عليه السلام صفقةً فتركهم يتردّدون لا يهتدون إلى الباب حتّى أخرجهم لوط عليه السلام.[٦]

[١٤٨ظ] ﴿فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ أي: فقلنا لهم "ذُوقوا" / على ألسِنة الملائكة، أو ظاهر الحال، والمراد به الطمس، فإنّه مِن جملة ما أُنذروه مِن العذاب.

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن الحسن وأبي رجاء وقتادة. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٥٦.
٢ س: وهو.
٣ القول في الكشّاف للزمخشري، ٤/٣٣٠.
٤ س: أي.
٥ س + عليه السلام.
٦ م – عليه السلام.

﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً﴾ وقُرِئ: "بُكْرَةَ"[١] غيرَ مصروفة على أنّ المراد بها أوّلُ نهار مخصوص. ﴿عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾ لا يُفارِقهم حتّى يسلِّمهم إلى النار. وفي وصفه بالاستقرار إيماءٌ إلى أنّ ما قبله مِن عذاب الطمس ينتهي به.

﴿فَذُوقُواْ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ حكاية لِما قيل لهم حينئذ مِن جهته تعالى تشديدًا للعذاب.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ مرّ ما فيه مِن الكلام.

﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾

﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ﴾ صُدِّرت قصّتهم بالتوكيد القَسَمي لإبراز كمال الاعتناء بشأنها لغاية عِظَم ما فيها مِن الآيات وكثرتها وهَول ما لاقوه مِن العذاب وقوّة إيجابها للاتّعاظ. والاكتفاءُ بذِكر آل فرعونَ للعِلم بأنّ نفسه أولى بذلك، أي: وبالله لقد جاءهم الإنذارات.

وقوله تعالى: ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا﴾ استئناف مبنيّ على سؤال نشأ مِن حكاية مجيء النُّذر، كأنّه قيل: فماذا فعلوا حينئذ؟ فقيل: كذّبوا بجميع آياتنا، وهي الآيات التسع. ﴿فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ﴾ لا يُغالَب ﴿مُّقْتَدِرٍ﴾ لا يُعجِزه شيء.

﴿أَكُفَّارُكُمْ﴾ يا معشرَ العرب ﴿خَيْرٌ﴾ قوّةً وشدّةً وعِدّةً وعُدّةً أو مكانةً ﴿مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ﴾ الكفّار المعدودين. والمعنى أنّه أصابهم ما أصابهم مع ظهور خيريّتهم منكم فيما ذُكر مِن الأمور، فهل تطمعون ألّا يُصيبكم مثلُ ذلك، وأنتم شرٌّ منهم مكانًا وأسوأ حالًا.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ﴾ إضراب وانتقال مِن التبكيت بما ذُكر إلى التبكيت بوجه آخرَ، أي: بل ألكم براءة وأمنٌ مِن تبِعات ما تعملون مِن الكفر والمعاصي وغوائلهما في الكتب السماويّة فلذلك، تصرُّون على ما أنتم عليه.

---

[١] قراءة شاذّة، مرويّة عن زيد بن عليّ. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٥٦.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾ إضراب مِن التبكيت المذكور إلى وجه آخرَ مِن التبكيت. والالتفاتُ للإيذان باقتضاء حالهم للإعراض عنهم وإسقاطِهم عن رُتبة الخطاب وحكايةِ قبائحهم لغيرهم، أي: بل أيقولون واثقين بشوكتهم: نحن أولو حَزْم ورأي أمرنا مجتمع لا نُرام ولا نُضام أو مُنتصِر مِن الأعداء لا نُغلب أو متناصِر ينصر / بعضُنا بعضًا. والإفرادُ باعتبار لفظ الجميع. [١٤٩و]

وقوله تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ﴾ ردّ وإبطال لذلك، و"السين" للتأكيد، أي: يُهزَم جمعهم البتّةَ ﴿وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ أي: الأدبار، وقد قُرئ كذلك.[١] والتوحيد لإرادة الجنس، أو إرادة أنّ كلّ واحد منهم يولّي دُبُره، وقد كان كذلك يوم بدر، قال سعيد بن المسيّب: سمعتُ عمرَ بن الخطّاب رضيَ الله تعالى عنه يقول: «لمّا نزلت ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ كنتُ لا أدري أيّ جمع يُهزَم، فلمّا كان يومُ بدر رأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يلبس الدرع ويقول: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ فعرفتُ تأويلها».[٢] وقُرئ: "سَيَهْزِمَ الجَمْعَ"[٣] أي: الله عزّ وعلا.

﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ أي: ليس هذا تمامَ عقوبتهم؛ بل الساعة موعِد أصل عذابهم، وهذا مِن طلائعه. ﴿وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ أي: في أقصى غاية مِن الفظاعة والمرارة. والداهيةُ: الأمر الفظيع الذي لا يُهتدى إلى الخلاص عنه. وإظهار الساعة في موقع إضمارها لتربية تهويلها.

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ مِن الأوّلين والآخرين ﴿فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾ أي: في هلاك ونيران مسعَّرة. وقيل: في ضلال عن الحقّ في الدنيا ونيرانٍ في الآخرة.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ﴾... إلخ منصوب إمّا بما يُفهَم مِن قوله تعالى: ﴿فِى ضَلَٰلٍ﴾، أي: كائنون في ضلال وسُعُر يوم يجرُّون ﴿فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾،

---

[١] قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن أبي عبلة. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٥٦.

[٢] بلفظ قريب في جامع البيان للطبري، ١١٥٧/٢٢؛ ومعالم التنزيل للبغوي، ١٤٣٤/٧؛ والكشّاف للزمخشري، ٣٣١/٤.

[٣] قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن أبي عبلة. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٥٦.

وإمّا بقول مقدَّر بعده، أي: يوم يُسحَبون، يقال لهم: ﴿ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ﴾ أي: قاسُوا حرّها وألمها. و﴿سَقَرَ﴾ عَلَم جهنّم، ولذلك لم يُصرَف مِن "سَقَرته النارُ وصَقَرته" إذا لوَّحته. والقولُ المقدَّر على الوجه الأوّل حال مِن ضمير ﴿يُسْحَبُونَ﴾.

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ ۝٥٠﴾

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ﴾ مِن الأشياء ﴿خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ أي: ملتبِسًا بقَدْر معيَّن اقتضته الحكمة التي عليها يدور أمرُ التكوين، أو مقدَّرًا مكتوبًا في اللوح قبل وقوعه. و﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ منصوب بفعل يفسّره ما بعده. وقُرئ بالرفع على أنّه مبتدأ و﴿خَلَقْنَٰهُ﴾ خبرُه.

﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ﴾ إلّا كلمةٌ واحدة سريعةُ التكوينِ، وهو قوله تعالى: ﴿كُن﴾ [البقرة، ١١٧/٢]، أو إلّا فَعْلةٌ واحدةٌ هو الإيجاد بلا معالجة / ﴿كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ﴾ في اليُسر والسُّرعة. وقيل: معناه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ﴾ [النحل، ٧٧/١٦]. [١٤٩ظ]

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝٥١ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ۝٥٢ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ۝٥٣ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ۝٥٥﴾

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ﴾ أي: أشباهكم في الكفر مِن الأمَم. وقيل: أتباعكم.[١] ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ يتعظ بذلك.

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ﴾ مِن الكفر والمعاصي مكتوب على التفصيل ﴿فِى ٱلزُّبُرِ﴾ أي: في ديوان الحَفَظة.

﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾ مِن الأعمال ﴿مُّسْتَطَرٌ﴾ مسطور في اللوح المحفوظ بتفاصيله، ولمّا كان بيان سوء حال الكفَرة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾... إلخ[٢] ممّا يستدعي بيانَ حُسن حال المؤمنين ليتكافأ الترهيب والترغيب، بيَّن مآلهم مِن حُسن الحال بطريق الإجمال، فقيل: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ بالإيمان، أي:

---

١ القول في اللباب لابن عادل، ٢٨٥/١٨.
٢ القمر، ٤٧/٥٤.

مِن الكفر والمعاصي ﴿فِي جَنَّٰتٍ﴾ عظيمة الشأن ﴿وَنَهَرٍ﴾ أي: أنهار كذلك. والإفرادُ للاكتفاء باسم الجنس مراعاةً للفواصل، وقُرئ: "نُهُرٍ"[١] جمع "نَهْر" كـ"أُسْد" و"أَسَد".

﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ في مكان مرضيّ. وقُرئ: "فِي مَقَاعِدِ صِدْقٍ".[٢] ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ أي: مقرَّبين عند مليك لا يُقادَر قَدْر مُلكه وسلطانِه، فلا شيءَ إلّا وهو تحت ملكوته، سبحانه سبحانه ما أعظمَ شأنه.

عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «مَن قرأ سورة القمر في كلّ غِبّ بعثه الله تعالى يوم القيامة، ووجهُه مِثلُ القمر ليلةَ البدر».[٣]

---

[١] قراءة شاذّة، مرويّة عن زهير القرقبي والزعفراني وأبي السَّمّال، وزائدة عن الأعمش. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٥٧؛ المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٧٣٦.

[٢] قراءة شاذّة، مرويّة عن عثمان التيمي. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٥٧.

[٣] الكشف والبيان للثعلبي، ١٩٢/٢٥ (القمر، ١/٥٤)؛ التفسير الوسيط للواحدي، ٢٠٦/٤ (القمر، ١/٥٤)؛ الكشّاف للزمخشري، ٣٣٢/٤. وهو جزء مِن حديث أُبيّ بن كعب في فضائل السور. انظر: الموضوعات لابن الجوزي، ٢٤٠/١.

٥٤

# سُورَةُ القَمَرِ

مكية إلاّ «سيُهزم الجمع» الآيةَ، وهي خمس وخمسون آية.

## بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿اقتَرَبَتِ السّاعةُ﴾: قرُبتِ القِيامةُ، ﴿وانشَقَّ القَمَرُ﴾: انفلق فِلْقتَينِ على أبي قُبيسٍ وقُعَيقِعانَ آيةً له ﷺ، وقد سُئلها فقال: «اشهَدُوا» ـ رواه الشيخان ـ ٢ ـ ﴿وإن يَرَوا﴾ كُفّارُ قُريشٍ ﴿آيَةً﴾: مُعجزة له ﷺ كانشقاق القمر ﴿يُعرِضُوا ويَقُولُوا﴾: هذا ﴿سِحرٌ مُستَمِرٌّ﴾: قويّ من المِرّةِ: القُوّةِ، أو دائمٌ. ٣ ـ ﴿وكَذَّبُوا﴾ النبيّ ﴿واتَّبَعُوا أهْواءَهُم﴾ في الباطل. ﴿وكُلُّ أمرٍ﴾ من الخير والشرّ ﴿مُستَقِرٌّ﴾ بأهله في الجنّة أو النار.

٤ ـ ﴿ولَقَد جاءَهُم مِنَ الأنباءِ﴾: أخبارِ هلاكِ الأُممِ المُكذّبةِ رسلَهم ﴿ما فِيهِ مُزدَجَرٌ﴾ لهم،.......

---

سُورَةُ القَمَرِ

**قولُهُ:** (قَرُبَتِ القِيَامَةُ) وقُرِئَ: (وَقَدِ انْشَقَّ)[1]؛ أي: حصلَ مِن آياتِ اقترابِها انشقاقُ القمرِ.

**قولُهُ:** (قُعَيقِعَانَ) على وزنِ زُعَيفِرَانٍ جبلٌ بمكّةَ، وجهُهُ إلى أبي قُبيسٍ.

**قولُهُ:** (دَائِمٌ) مطّردٌ، أو مارٌّ ذاهبٌ لا يبقى.

**قولُهُ:** (بِأَهلِهِ) أو مُنتَهٍ إلى غايةٍ مِن خِذلانٍ، أو نصرٍ في الدُّنيا وشقاوةٍ، أو سعادةٍ في الأخرى، فإنَّ الشَّيءَ إذا انتهى إلى غايتِهِ ثبتَ واستقرَّ.

**قولُهُ:** (هلاكِ الأُمَمِ) أو أخبارِ الآخرةِ.

**قولُهُ:** (لَهُم) مِن تعذيبٍ أو وعيدٍ.

---

(١) وهي قراءة شاذة، ونسبت لحذيفة، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٤٥٣).

اسمُ مصدر أو اسمُ مكان، والدالُ بدل من تاء الافتعال ـ وازدجرتُه وزجرتُه: نَهيتُه بغِلظة. وما: موصولة أو موصوفة ـ ٥ ـ ﴿حِكْمَةٌ﴾: خبرُ مُبتدأ محذوفٍ، أو بدلٌ من «ما» أو من «مُزدجر»، ﴿بالِغَةٌ﴾: تامّة، ﴿فما تُغنِي﴾: تنفعُ فيهم ﴿النُّذُرُ﴾: جمع نَذير بمعنى: مُنذِر، أي: الأُمورُ المُنذِرة لهم. وما: للنفي أو للاستفهام الإنكاري، وهي على الثاني مفعول مُقدّم.

٦ ـ ﴿فتَوَلَّ عَنهُم﴾ هو فائدة ما قبله وبه تمّ الكلام. ﴿يَومَ يَدعُ الدّاعِ﴾ هو إسرافيل، وناصبُ «يومَ»: «يَخرجون» بعدُ، ﴿إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ﴾ ـ بضمّ الكاف وسكونها ـ أي: مُنكَرٍ تُنكره النفوس لشدته وهو الحساب، ٧ ـ ﴿خاشِعًا﴾: ذليلاً، وفي قراءة: «خُشَّعًا» بضمّ الخاء وفتح الشين مُشدّدةً، ﴿أبصارُهُم﴾: حال من فاعل ﴿يَخرُجُونَ﴾ أيِ: الناسُ ﴿مِنَ الأجداثِ﴾: القُبور ﴿كَأَنَّهُم جَرادٌ مُنتَشِرٌ﴾ لا يدرون: أين يذهبون من الخوف والحَيرة؟ والجملة: حال من فاعل «يخرجون»، وكذا قوله: ٨ ـ ﴿مُهطِعِينَ﴾ أي: مُسرعين مادّي أعناقِهم ﴿إِلَى الدّاعِ، يَقُولُ الكافِرُونَ﴾ منهم:.............

---

قولُهُ: (تَامَّةٌ) أي: بالغةٌ غايَتَها لا خللَ فيهَا فهي بدلٌ من: ﴿ما﴾، أو خبرٌ لمحذوفٍ.

قولُهُ: (مُنذِرٍ) أو المنذَرِ منه، أو مصدرٌ؛ بمعنى: الإنذارِ.

قولُهُ: (أو للاستِفهَامِ) أي: فأيُّ غنًى يُغني النُّذرُ؟

قولُهُ: (هُو فَائِدَةٌ) أي: لعلمِكَ أنَّ الإنذارَ لا يُغني فيهم.

قولُهُ: (﴿يخرجُونَ﴾) أو اذكُرْ مقدَّراً، وإسقاطُ الياءِ اكتفاءً بالكسرِ للتَّخفيفِ.

قولُهُ: (بِضَمِّ الكَافِ) والمكِّيُّ بالسُّكونِ(١).

قولُهُ: (لِشِدَّتِهِ) ممَّا لم تعهَدْ مثلَهُ.

قولُهُ: (وهو الحِسَابِ) أو هو هَولُ القيامَةِ.

قولُهُ: (ذَلِيلاً) وإفرادُهُ وتذكيرُهُ؛ لأنَّ فاعلَهُ ظاهرٌ غيرُ حقيقيِّ التَّأنيثِ، وقُرِئَ: (خاشعةً)(٢) على الأصلِ.

قولُهُ: (وَفِي قِرَاءَةٍ) للحرميَّينِ وشاميٍّ وعاصمٍ(٣).

قولُهُ: (أي: النَّاسُ) يعني: يخرُجونَ مِن قبورِهِم ذليلاً أبصارُهُم مِن الهولِ.

قولُهُ: (مُسرِعِينَ) أو ناظِرِينَ.

---

(١) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٨٣).

(٢) وهي قراءة شاذة، ونسبت لليماني وابن مسعود، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٤٥٣).

(٣) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٨٣).

﴿هذا يَومٌ عَسِرٌ﴾ أي: صعب على الكافرين كما في المُدَّثِّر: «يَومٌ عَسِيرٌ علَى الكافِرِينَ».

٩ ـ ﴿كَذَّبَتْ قَبلَهُم﴾ أي: قبل قُريشٍ ﴿قَومُ نُوحٍ﴾ ـ تأنيث الفعل لمعنى «قوم» ـ ﴿فكَذَّبُوا عَبدَنا﴾ نُوحًا، ﴿وقالُوا: مَجنُونٌ. وازدُجِرَ﴾ أي: انتَهروه بالسبِّ وغيره، ١٠ ـ ١١ ـ ﴿فدَعا رَبَّهُ أنِّي﴾ أي: بأنّي ﴿مَغلُوبٌ فانتَصِرْ، ففَتَحْنا﴾ ـ بالتخفيف والتشديد ـ ﴿أبوابَ السَّماءِ بِماءٍ مُنهَمِرٍ﴾: منصبّ انصبابًا شديدًا، ١٢ ـ ﴿وفَجَّرْنا الأرضَ عُيُونًا﴾ تَنبُعُ ﴿فالتَقَى الماءُ﴾ ماء السماء والأرض ﴿علَى أمرٍ﴾: حالٍ ﴿قَد قُدِرَ﴾: قُضِي به في الأزل ـ وهو هلاكُهم غرَقًا ـ ١٣ ـ ﴿وحَمَلْناهُ﴾ أي: نوحًا ﴿علَى﴾ سفينةٍ ﴿ذاتِ ألواحٍ ودُسُرٍ﴾، وهي ما تُشدّ به الألواح من المسامير وغيرها، واحدها دِسار ككِتاب، ١٤ ـ ﴿تَجرِي بِأعيُنِنا﴾: بمرأى منّا أي: محفوظةً ﴿جَزاءً﴾: ..........

قولُهُ: (عَلى الكَافِرِينَ) أو على الكلِّ في الجُملةِ.

قولُهُ: (نُوحاً) وهو تفسيرٌ بعد إبهامٍ، أو كذَّبوهُ بعد ما كذَّبوا الرُّسلَ.

قولُهُ: (أي: انتَهَرُوهُ) أي: زجر على التَّبليغِ بأنواعِ الأذيَّةِ.

قولُهُ: (بالفَتحِ) وقُرئَ بالكسرِ[1] على إرادَةِ القولِ.

وقولُهُ: (﴿فَانْتَصِرْ﴾) أي: فانتقِمْ لي منهُم، وذلك بعدَ يأسِهِ منهُم، فقد رويَ أنَّ الواحدَ منهُم كانَ يلقاهُ فيخنقُهُ حتَّى يخرَّ مغشيًّا عليه، فيفيقَ ويقولَ: «اللَّهمَّ اغفِرْ لقَومِي فإنَّهُم لا يعلمُونَ»[2].

قولُهُ: (والتَّشدِيدِ) شاميٌّ[3].

قولُهُ: (تَنبُعُ) أي: جعلنا الأرضَ كلَّها كأنَّها عيونٌ متفجِّرةٌ، وأصلُه: وفجَّرْنا عيونَ الأرضِ فغُيِّرَ للمبالغَةِ.

قولُهُ: (مَاءُ السَّمَاءِ) والمرادُ بالماءِ: الجنسُ، وهو لا يُثنَّى.

قولُهُ: (حَالٍ) أي: على حالٍ قدَّرَها اللهُ مِن غيرِ تفاوُتٍ، أو على أمرٍ قدَّرَهُ اللهُ، وهو هلاكُ قومِ نوحٍ بالطُّوفانِ.

قولُهُ: (الألوَاحُ) وهي الأخشابُ العريضَةُ المنبسطَةُ.

قولُهُ: (أي: مَحفُوظَةً) بحفظِنا.

---

(١) أي: (إني مغلوب) وهي قراءة شاذة، ونسبت لابن عمير وأبي إسحاق وزيد بن علي، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٤٥٤).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٥٠٠٨)، وأحمد في «الزهد» (٢٨٠) عن عبيد الله بن عمير أنه بلغه....

وروى البخاري (٣٤٧٧) عن عبد الله: كأني أنظر إلى النبي ﷺ، يحكي نبيًّا من الأنبياء، ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون».

(٣) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٨٣).

منصوب بفعل مُقدّر، أي: أُغرِقوا انتصارًا ﴿لِمَن كانَ كُفِرَ﴾. وهو نوح عليه السلام. وقُرئ: «كَفَرَ» بناءً للفاعل، أي: أُغرِقوا عقابًا لهم.

١٥ ـ ﴿ولَقَد تَرَكْناها﴾: أبقَينا هذه الفَعلةَ ﴿آيةً﴾ لمن يَعتبر بها إذ شاع خبرها واستمرّ. ﴿فهَل مِن مُدَّكِرٍ﴾: مُعتبرٍ ومُتّعظ بها؟ وأصله «مُذْتَكِر» أُبدلت التاء دالاً مُهملة، وكذا المُعجمة وأُدغمت فيها. ١٦ ـ ﴿فكَيفَ كانَ عَذابِي ونُذُرِ﴾ أي: إنذاري؟ استفهام تقرير. وكيف: خبر «كان»، وهي للسؤال عن الحال. والمعنى حملُ المخاطبين على الإقرار بوقوع عذابه ـ تعالى ـ بالمُكذّبين لنُوح موقعَه. ١٧ ـ ﴿ولَقَد يَسَّرْنا القُرآنَ لِلذِّكرِ﴾: سهّلناه للحِفظ أو هيّأناه للتذكّر. ﴿فهَل مِن مُدَّكِرٍ﴾ مُتعظٍ به وحافظٍ له؟ والاستفهام بمعنى الأمر، أي: احفظوه واتّعظوا به. وليس يُحفظ من كُتب الله عن ظهر القلب غيرُه.

١٨ ـ ﴿كَذَّبَتْ عادٌ﴾ نبيَّهم هُودًا فعُذّبوا. ﴿فكَيفَ كانَ عَذابِي ونُذُرِ﴾ أي: إنذاري لهم بالعذاب قبلَ نزوله؟ أي: وقعَ موقعَه. وبيّنه بقوله: ١٩ ـ ﴿إنّا أرسَلْنا علَيهِم رِيحًا صَرصَرًا﴾ أي: شديدة الصوت ﴿في يَومِ نَحسٍ﴾: شؤم ﴿مُستَمِرٍّ﴾: دائمِ الشؤم أو قويِّه، وكان يومَ الأربعاء آخرَ الشهر، ..............

---

قولُهُ: (أي: أُغرِقُوا) أو فَعَلنا ذلك.

قولُهُ: (وهُو نُوحٌ) لأنّهُ نعمةٌ كفروها، فإنّ كلَّ نبيٍّ نعمةٌ مِن اللهِ، ورحمةٌ على أمّتِهِ.

قولُهُ: (هَذهِ الفِعلَةَ) أو السَّفينةَ.

قولُهُ: (إِذْ شَاعَ) الظّاهرُ: إذا.

قولُهُ: (مُذتكِرٍ) وقُرئَ به[1].

قولُهُ: (تَقْرِيرٍ) أو تعظيمٍ ووعيدٍ.

قولُهُ: (للحِفْظِ) بالاختصارِ وعذوبَةِ اللَّفظِ.

قولُهُ: (للتّذَكُّرِ) والاتّعاظِ بأن صَرَّفنا فيه أنواعَ المواعِظِ والعبرِ.

قولُهُ: (لَهُم) أو لمن بعدَهُم في تعذيبِهِم.

قولُهُ: (وبَيّنَهُ) أي: العذابَ.

قولُهُ: (شَدِيدَةَ الصَّوتِ) أو باردةً.

قولُهُ: (دَائِمِ الشُّؤمِ) استمرَّ شؤمُهُ على الكفرةِ، أو استمرَّ عليهم حتّى أهلكَهُم، أو اشتدَّ حرارتُهُ.

---

(١) انظر: «الكشاف» (٤/ ٤٣٥)، و«الدر المصون» (١٠/ ١٣٦).

٢٠ ـ ﴿تَنزِعُ النَّاسَ﴾: تقلعُهم من حُفَر الأرض المندسّين فيها، وتصرعهم على رؤوسهم فتدقّ رِقابهم، فتُبينُ الرأسَ عن الجسد، ﴿كأنَّهم﴾ وحالُهم ما ذُكر ﴿أعجازُ﴾: أصولُ ﴿نَخلٍ مُنقَعِرٍ﴾: مُنقلع ساقط على الأرض. وشُبّهوا بالنخل لطولهم، وذُكّرَ هنا وأُنِّثَ في الحاقّة: «نَخلٍ خاوِيةٍ» مُراعاةً للفواصل في الموضعين. ٢١ ـ ٢٢ ـ ﴿فكَيفَ كانَ عَذابِي ونُذُرِ؟ ولَقَد يَسَّرْنا القُرآنَ لِلذِّكرِ. فهَل مِن مُدَّكِرٍ﴾؟

٢٣ ـ ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾: جمع نَذير بمعنى مُنذِر، أي: بالأمور التي أنذرهم بها نبيّهم صالحٌ، إن لم يُؤمنوا به ويتّبعوه، ٢٤ ـ ﴿فقالُوا: أَبَشَرًا﴾: منصوبٌ على الاشتغال ﴿مِنَّا واحِدًا﴾: صِفتان لـ «بشرًا» ﴿نَتَّبِعُهُ﴾؟ مُفسِّرٌ للفعل الناصب له، والاستفهام بمعنى النفي. المعنى: كيف نتّبعه، ونحن جماعة كثيرة، وهو واحد منّا وليس بمَلَكٍ؟ أي: لا نتّبعه. ﴿إنّا إذًا﴾ أي: إنِ اتبعناه ﴿لَفِي ضَلالٍ﴾: ذَهاب عن الصواب ﴿وسُعُرٍ﴾: جُنون. ٢٥ ـ ﴿أأُلقِيَ﴾ ـ بتحقيقِ الهمزتين، وتسهيلِ الثانية، وإدخالِ ألف بينهما على الوجهين، ..........................................................

---

قولُهُ: (مُنقَلِع) عن مغارِسِهِ.

قولُهُ: (بالنَّخلِ) وقيل: شُبِّهوا بالأعجازِ؛ لأنَّ الرِّيحَ طيَّرَت رؤوسَهُم وطرحَتْ أجسادَهُم.

قولُهُ: (في المَوضِعَينِ) يعني: بعد ما يستوي التَّذكيرُ والتَّأنيثُ في النَّخلِ، اختيرَ كلٌّ في كلٍّ للفاصلةِ، وفي «القاموسِ»[1]: النَّخلُ معروفٌ ويذكَّرُ، فأشارَ إلى أنَّ الأصلَ فيه التَّأنيثُ، ولذا قالَ القاضي[2]: وتذكيرُ ﴿مُنقَعِرٍ﴾ للحملِ على اللَّفظِ، والتَّأنيثُ في قولِهِ: ﴿أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خاوِيةٍ﴾ للمعنى، وهو ما يُنافي رعايَةَ الفواصلِ.

قولُهُ تعالى: (﴿فَكَيۡفَ﴾) كرَّرَهُ للتَّهويلِ، أو الأوَّلُ لما حاقَ بهم في الدُّنيا، والثَّاني لما يحيقُ بهم في العُقْبى.

قولُهُ: (بِمَعنَى: مُنذِرٍ) أو إنذارٍ.

قولُهُ: (أي: بالأُمورِ) أي: بالإنذاراتِ، أو المواعظِ، أو الرُّسلِ.

قولُهُ: (صِفَتَانِ لـ«بَشَراً») أي: مِن جِنسِنا، أو مِن جُملتِنا، لا فضلَ له علينا، مُنفرداً لا تَبَعَ له، أو مِن آحادِهِم دونَ أشرافِهِم.

قولُهُ: (بِتَحقِيقِ الهَمزَتَينِ) مرَّ في «صاد»[3].

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ١٠٦١).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ١٦٦).

(٣) في الآية رقم: (٨).

وتركِه ـ ﴿الذِّكرُ﴾: الوحيُ ﴿علَيهِ مِن بَينِنا﴾؟ أي: لم يُوحَ إليه، ﴿بَل هُوَ كَذّابٌ﴾ في قوله: «إنه أُوحي إليه ما ذُكر» ﴿أشِرٌ﴾: مُتكبّر بَطِر.

٢٦ ـ قال تعالى: ﴿سَيَعلَمُونَ غَدًا﴾ أي: في الآخرة: ﴿مَنِ الكَذّابُ الأشِرُ﴾؟ وهو هم، بأن يُعذَّبوا على تكذيبهم لنبيِّهم صالح. ٢٧ ـ ﴿إنّا مُرسِلُو النّاقةِ﴾: مُخرجوها من الهضْبةِ الصَّخرةِ كما سألوا ﴿فِتنَةً﴾: مِحنة ﴿لَهُم﴾ لِنختبرهم. ﴿فارتَقِبهُم﴾ ـ يا صالحُ ـ أي: انتظرْ ما هم صانعون وما يُصنع بهم، ﴿واصطَبِرْ﴾ ـ الطاء بدل من تاء الافتعال ـ أي: اصبرْ على أذاهم، ٢٨ ـ ﴿ونَبِّئهُم أنَّ الماءَ قِسمَةٌ﴾: مقسوم ﴿بَينَهُم﴾ وبين الناقة، فيوم لهم ويوم لها، ﴿كُلُّ شِربٍ﴾: نصيبٍ من الماء ﴿مُحتَضَرٌ﴾: يحضُر القومُ يومَهم والناقةُ يومَها.

فتمادَوا على ذلك، ثمّ ملّوه فهمُّوا بقتل الناقة، ٢٩ ـ ﴿فنادَوا صاحِبَهُم﴾ قُدارًا ليقتلها، ﴿فتَعاطَى﴾: تناول السيف، ﴿فعَقَرَ﴾ به الناقة، أي: قتلها مُوافقةً لهم. ٣٠ ـ ﴿فكَيفَ كانَ عَذابِي ونُذُرِ﴾ أي: إنذاري لهم بالعذاب قبل نزوله؟ أي: وقع موقعَه. وبيَّنه بقوله: ٣١ ـ ﴿إنّا أرسَلْنا علَيهِم صَيحةً واحِدةً، فكانُوا كَهَشِيمِ المُحتَظِرِ﴾..........................................

---

قولُهُ: (الوَحْيُ) أو الكِتابُ.

قولُهُ: (أي: لَمْ يُوحَ إِلَيهِ) إذ فينا مَن هو أحقُّ منهُ بذلكَ.

قولُهُ: (بَطِرٌ) حملَهُ بطرُهُ على التَّرفُّعِ علينا بادِّعائِهِ.

قولُهُ: (فِي الآخِرَةِ) أو عندَ نزولِ العذابِ.

قولُهُ: (وهُو هُمْ) أي: الَّذي حملَهُ أشرُهُ على الاستكبارِ عن الحقِّ وطلبِ الباطلِ أصالحٌ أم مَن كذَّبه.

قولُهُ: (الهَضبَةِ) هي الجبلُ المنبسطُ على الأرضِ، أو جبلٌ خُلِقَ مِن صَخرةٍ واحدةٍ، أو الجبلُ الطَّويلُ.

قولُهُ: (مِحنَةً) أو امتحاناً.

قولُهُ: (أي: انتَظِرْ) وتبصَّرْ.

قولُهُ: (أي: اصْبِرْ) أي: بالِغْ في الصَّبرِ، أو دُمْ عليه.

قولُهُ: (وبَينَ النَّاقَةِ) ففيهِ تغليبُ العقلاءِ.

قولُهُ: (قُدَارًا) بضمِّ القافِ، ابن سالفٍ، ويُلقَّبُ بأُحَيْمِرِ ثمودَ، وهو أشقى الأوَّلينَ.

قولُهُ: (أي: إِنْذَارِي) تفسيرٌ مكرَّرٌ محضٌ.

هو الذي يَجعل لغنمه حظيرة من يابس الشجر والشوك، يحفظهنّ فيها من الذئاب والسباع، وما سقط من ذلك فداسته هو الهشيم. ٣٢ ـ ﴿ولَقَد يَسَّرْنا القُرآنَ لِلذِّكرِ. فهَل مِن مُدَّكِرٍ﴾؟

٣٣ ـ ﴿كَذَّبَتْ قَومُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ﴾ أي: بالأُمور المُنذِرة لهم على لسانه. ٣٤ ـ ﴿إنّا أرسَلْنا علَيهِم حاصِبًا﴾: ريحًا ترميهم بالحَصباء ـ وهي صِغار الحِجارة الواحدُ دُونَ مَلءِ الكفّ ـ فهلَكوا ﴿إلاّ آلَ لُوطٍ﴾ وهم ابنتاه معه ﴿نَجَّيناهُم بِسَحَرٍ﴾ من الأسحار، أي: وقتِ الصبح من يوم غير مُعيَّن ـ ولو أُريد من يوم مُعيّن لمُنع الصرفَ لأنه معرفة معدول عن «السَّحر»، لأنّ حقّه أن يُستعمل في المعرفة بـ «أل». وهل أُرسل الحاصبُ على آل لوط أوْ لا؟ قولانِ. وعُبِّر عن الاستثناء على الأوّل بأنه مُتّصل، وعلى الثاني بأنه مُنقطع وإن كان من الجِنس، ........................

---

قولُهُ: (مِنْ يَابِسِ الشَّجَرِ والشَّوكِ) تلفيقٌ؛ إذِ المعنى: كالشَّجرِ اليابسِ المتكسِّرِ الَّذي يتَّخذُهُ مَن يعملُ الحظيرةَ لأجلِها، أو كالحشيشِ الَّذي يجمعُهُ صاحبُ الحظيرةِ لماشيتِهِ في الشِّتاءِ.

قولُهُ: (مِنَ الذِّئابِ) أي: مِن دخولِهِنَّ عليها، أو مِن خروجِها إليهنَّ، أو إلى غيرِهِنَّ.

قولُهُ: (أي: وَقتِ الصُّبحِ) قالَ القاضي[1]: وهو آخرُ اللَّيلِ، وفي «الكشَّافِ»[2]: وهو السُّدسُ الأخيرُ مِن اللَّيلِ، وفي «القاموسِ»[3]: قُبيلَ الصُّبحِ، ولا دلالةَ للمصنِّفِ في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ﴾ [هود: ٨١]؛ لأنَّ معناهُ: موعدُ هلاكِهِم مبتدأً مِن السَّحرِ منتهياً إلى الصُّبحِ، أو ما قاربَ الشَّيءَ يُعطى حكمَهُ، وهذانِ ممَّا خطرَ بالبالِ، واللهُ أعلمُ بالحالِ.

قولُهُ: (مِنْ يَومٍ) صوابُهُ: مِن ليلٍ.

قولُهُ: (قَولانِ) تَبِعَ فيه أبا البقاءِ حيثُ قالَ في «إعرابِهِ»[4]: استثناءٌ منقطِعٌ، وقيل: متَّصلٌ؛ لأنَّ الجميعَ أُرسِلَ عليهِم الحاصبُ، فهَلكوا إلَّا آلَ لوطٍ، وعلى الوجهِ الأوَّلِ يكونُ الحاصبُ لم يُرسَلْ على آلِ لوطٍ، انتهى، والصَّوابُ أنَّه استثناءٌ منقطعٌ مِن ضميرِ ﴿عَلَيْهِمْ﴾ الرَّاجعِ إلى المكذِّبينَ مِن قومِ لوطٍ، ويُستبْعَدُ إرسالُ الحاصبِ على آلِ لوطٍ وإن لم يتفرَّعْ عليه الهلاكُ، وأيضاً فأيُّ فائدةٍ تبقى حينئذٍ بأمرِ لوطٍ بسيرِ أهلِهِ مِن بينِ الكفَّارِ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ١٦٧).

(٢) انظر: «الكشاف» (٤/ ٤٣٨).

(٣) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٤٠٥).

(٤) انظر: «التبيان في إعراب القرآن» (٢/ ١١٩٥).

تسمّحًا ـ ٣٥ ـ ﴿نِعْمَةً﴾ مصدرٌ أي: إنعامًا ﴿مِن عِندِنا. كَذلِكَ﴾ مِثْلَ ذلك الجزاء ﴿نجزِي مَن شَكَرَ﴾ أنعُمَنا وهو مؤمن، أو مَن آمن بالله ورسله وأطاعهم.

٣٦ ـ ﴿ولَقَد أنذَرَهُم﴾: خوّفهم لُوطٌ ﴿بَطْشَتَنا﴾: أخْذَتَنا إياهم بالعذاب، ﴿فتَمارَوا﴾: تجادلوا وكذّبوا ﴿بِالنُّذُرِ﴾: بإنذاره، ٣٧ ـ ﴿ولَقَد راوَدُوهُ عَن ضَيفِهِ﴾ أي: أن يُخلّيَ بينهم وبين القوم الذين أَتَوه في صُورة الأضياف ليَخبُثوا بهم، وكانوا ملائكة، ﴿فطَمَسْنا أعيُنَهُم﴾: أعمَيناها وجعلناها بلا شَقّ كباقي الوجه بأن صفقها جِبريل بجناحه. ﴿فذُوقُوا﴾ فقلنا لهم: ذوقوا ﴿عَذابِي ونُذُرِ﴾ أي: إنذاري وتخويفي، أي: ثمرتَه وفائدته. ٣٨ ـ ﴿ولَقَد صَبَّحَهُم بُكْرَةً﴾: وقتَ الصبح من يوم غير مُعيّن، ﴿عَذابٌ مُستَقِرٌّ﴾: دائم مُتّصل بعذاب الآخرة. ٣٩ ـ ٤٠ ـ ﴿فذُوقُوا عَذابِي ونُذُرِ. ولَقَد يَسَّرْنا القُرآنَ لِلذِّكرِ. فهَل مِن مُدَّكِرٍ﴾؟

---

قولُهُ: (تَسَمُّحاً) يحتملُ تعلُّقُه بـ«عُبِّرَ» فيكونُ شاملاً للقسمينِ؛ لأنَّهُ نظرَ فيه إلى العاملِ بما تعلَّقَ به وهو: ﴿حَاصِبًا﴾ لقولِه: «وهل أُرسِلَ الحاصبُ... » إلخ، مع أنَّ الاتِّصالَ والانفصالَ إنَّما هو باعتبارِ المستثنى منه لا عامِلِه، ويجوزُ تعلُّقُه بالقسمِ الأخيرِ؛ لأنَّ الانقطاعَ إنَّما يكونُ مِن غيرِ جنسِهِ حقيقةً، وإنَّما جُعِلَ هنا كأنَّه مِن غيرِ جنسِهِ، فيكونُ تسامحاً.

قولُهُ: (أي: إِنْعَاماً) وهو علَّةٌ لـ﴿نجَّيْنَا﴾.

قولُهُ: (وهُو مُؤمِنٌ) أي: متَّقٍ عن الشِّركِ فقط.

قولُهُ: (تَجَادَلُوا) وتَشاكوا.

قولُهُ: (لِيَخْبُثُوا) أي: قصَدوا الفُجورَ بهِم.

قولُهُ: (وجَعَلْنَاهَا) هذا قولٌ آخرُ؛ أي: مسَخْناها وسوَّيْناها بسائرِ الوجهِ.

قولُهُ: (بأَنْ صَفَقَهَا) كذا رويَ[1].

قولُهُ: (فَقُلْنَا) على ألسنَةِ الملائكةِ، أو ظاهرُ الحالِ.

قولُهُ تعالى: (﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا﴾) كرَّرَ ذلكَ في كلِّ قصَّةٍ؛ إشعاراً بأنَّ تكذيبَ كلِّ رسولٍ مقتضٍ لنزولِ البوارِ، واستماعَ كلِّ حكايةٍ مستدعٍ للادِّكارِ، وهكذا تكريرُ قولِهِ: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ و﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ و﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٩٧) عن قتادة.

٤١ ـ ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ﴾ قومَه معه ﴿النُّذُرُ﴾: الإنذار، على لسان موسى وهارونَ فلم يُؤمنوا، بل ٤٢ ـ ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا﴾ التسع التي أُوتِيَها مُوسَى، ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ﴾ بالعذاب ﴿أَخْذَ عَزِيزٍ﴾: قويّ ﴿مُقْتَدِرٍ﴾: قادر لا يُعجزه شيء.

٤٣ ـ ﴿أَكُفَّارُكُمْ﴾ ـ يا قُريش ـ ﴿خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ﴾ المذكورين من قوم نُوح إلى فِرعَون، فلم يُعذَّبوا؟ ﴿أَمْ لَكُمْ﴾ ـ يا كُفّارَ قُريش ـ ﴿بَرَاءَةٌ﴾ من العذاب ﴿فِي الزُّبُرِ﴾: الكُتب؟ والاستفهام في الموضعين بمعنى النفي، أي: ليس الأمر كذلك. ٤٤ ـ ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ أي: كُفّارُ قُريش: ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ﴾ أي: جمعٌ ﴿مُنْتَصِرٌ﴾ على مُحمّد. ولمّا قال أبو جهل يوم بدر: «إنّا جميعٌ مُنتصرٌ» نزل: ٤٥ ـ ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾، فهُزموا ببدر، ونُصر رسول الله ﷺ عليهم. ٤٦ ـ ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ بالعذاب، ﴿وَالسَّاعَةُ﴾ أي: عذابُها ﴿أَدْهَى﴾: أعظمُ بليّةً ﴿وَأَمَرُّ﴾: أشدّ مرارة من عذاب الدنيا. ٤٧ ـ ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ﴾:........................

---

قولُهُ: (قَومَهُ مَعَهُ) اكتَفى بذكرِهِم عن ذكرِهِ؛ للعلمِ بأنَّه أولى بذلكَ.

قولُهُ: (قَويٍّ) لا يغالبُ.

قولُهُ: (يَا قُرَيشُ) أو معشرَ العربِ.

قولُهُ: (المَذكُورِينَ) أي: الكفَّارِ المعدودينَ قوَّةً وعدَّةً، أو مكانةً وديناً عندَ اللهِ.

قولُهُ: (الكُتُبِ) يعني: أم نزَلَ لكُم في الكتبِ السَّماويةِ أنَّ مَن كفرَ منكُم فهو في أمانٍ مِن العذابِ.

قولُهُ: (أي: جَمعٌ) يعني: (جماعةٌ)، والتَّوحيدُ على لفظِ الجمعِ، أو أمرُنا مُجتَمِعٌ.

قولُهُ: (جَمْعٌ ﴿منتصرٌ﴾) أي: ممتنعٌ لا يُرامُ، أو منتصرٌ مِن الأعداءِ لا يغلبُ.

قولُهُ: (يَومَ بَدرٍ) الظَّاهرُ أنَّه غيرُ صحيحٍ؛ إذ وردَ عن عُمرَ أنَّه لمَّا نزلَتْ قالَ: لم أعلَمْ ما هيَ، فلمَّا كانَ يومُ بدرٍ رأيتُ النَّبيَّ ﷺ يلبسُ الدِّرعَ ويقولُ: «﴿سيُهْزَمُ الجمعُ﴾»، فعلمْتُه[1].

قولُهُ تعالى: (﴿الدُّبُرَ﴾) أي: الأدبارَ، وإفرادُهُ لإرادةِ الجنسِ مع مراعاةِ الفاصلةِ، أو لأنَّ كلَّ واحدٍ يولِّي دبُرَه.

قولُهُ: (فهُزِمُوا) وهو مِن دلائلِ النُّبوَّةِ.

قولُهُ: (بالعَذَابِ) أي: موعِدُ عذابِهم الأصليِّ: وأمَّا ما يحيقُ بهِم في الدُّنيا فمِن طلائعِهِ.

قولُهُ: (أَعظَمُ بَلِيَّةٍ) الدَّاهيةُ: أمرٌ فظيعٌ لا يُهْتَدى لدوائِهِ.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «التفسير» (٣٠٦٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٠٢) عن عكرمة مرسلًا.

هلاك بالقتل في الدنيا ﴿وسُعُرٍ﴾: نار مُسعَّرة ـ بالتشديد ـ أي: مُهيَّجة في الآخرة، ٤٨ ـ ﴿يَومَ يُسحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِم﴾ أي: في الآخرة، ويقال لهم: ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾: إصابةَ جهنّمَ لكم.

٤٩ ـ ﴿إِنَّا كُلَّ شَيءٍ﴾: منصوبٌ بفعل يُفسِّره ﴿خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾: بتقدير، حالٌ من «كُلّ» أي: مُقدَّرًا ـ وقُرئ: «كُلُّ» بالرفع، مبتدأٌ خبره: خلقناه ـ ٥٠ ـ ﴿وما أَمرُنا﴾ لشيء نُريد وجودَه ﴿إلاّ﴾ أمرةٌ ﴿واحِدَةٌ كَلَمحٍ بِالبَصَرِ﴾ في السرعة، وهي «كُنْ» فيُوجد: «إنّما أمرُهُ، إذا أرادَ شَيئًا، أن يَقُولَ لَهُ: كُنْ. فيَكُونُ». ٥١ ـ ﴿ولَقَد أَهلَكْنا أشياعَكُم﴾: أشباهَكم في الكُفر من الأُمم الماضية ـ ﴿فَهَل مِن مُدَّكِرٍ﴾؟ استفهام بمعنى الأمر، أي: اذكروا واتّعظوا ـ ٥٢ ـ ﴿وكُلُّ شَيءٍ فَعَلُوهُ﴾ أي: العِبادُ مكتوبٌ ﴿في الزُّبُرِ﴾: كُتُبِ الحَفَظة، ٥٣ ـ ﴿وكُلُّ صَغِيرٍ وكَبِيرٍ﴾ من الذنب أو العمل ﴿مُستَطَرٌ﴾: مكتتَبٌ في اللوح المحفوظ.

٥٤ ـ ﴿إِنَّ المُتَّقِينَ فِي جَنّاتٍ﴾: بساتينَ ﴿ونَهَرٍ﴾ ـ أُريد به الجِنسُ. وقُرئ «نُهُرٍ» بضم النون والهاء جمعًا كأسَدٍ وأُسُدٍ ـ والمعنى أنهم يشربون من أنهارها الماءَ واللبن والعسل والخمر، ٥٥ ـ ﴿فِي مَقعَدِ صِدقٍ﴾:

---

قولُهُ: (هَلاكٍ) أو عن الحقِّ.

قولُهُ: (نَارٍ) أو نيرانٍ.

قولُهُ: (أي: فِي الآخِرَةِ) والسَّحبُ: الجرُّ على وجهِ الأرضِ.

قولُهُ: (إِصَابَةَ جَهَنَّمَ) أي: حرَّها وألَمَها، فإنَّ مسَّها سببٌ للتَّألُّمِ بها، و﴿سقر﴾ علمٌ لجهنَّمَ، ولذا لم يُصرَفْ.

قولُهُ: (أي: مُقَدَّراً) أي: خَلقْنا كلَّ شيءٍ مقدَّراً مرتَّباً على مقتَضَى الحكمةِ، أو مقدَّراً مكتوباً في اللَّوحِ قبلَ وقوعِهِ.

قولُهُ: (خَبَرُهُ: ﴿خَلَقْنَاهُ﴾) يعني: الأولى أن يُجعَلَ خبراً لا نعتاً لـ﴿شَيْءٍ﴾؛ ليُطابِقَ المشهورةَ في الدِّلالةِ على أنَّ كلَّ شيءٍ مخلوقٌ بقدرٍ، قيل: ولعلَّ اختيارَ النَّصبِ هنا معَ احتياجِ إضمارِ العاملِ لما فيه مِن النُّصوصيَّةِ على المقصودِ.

قولُهُ: (مرَّةٌ) أو كلمةٌ.

قولُهُ: (في السُّرعَةِ) والسُّهولةِ.

قولُهُ: (وهُوَ قَولُ: كُنْ) وقيل: إلَّا فعلةٌ واحدةٌ، وهو الإيجادُ بلا معالجةٍ.

قولُهُ: (جَمِيعاً[1]) وبضمِّ النُّونِ وسكونِ الهاءِ أيضاً.

---

(١) كذا في الأصول، وفي المطبوع من «الجلالين»: جمعاً.

مجلسِ حقّ لا لغوَ فيه ولا تأثيم ـ أُريد به الجِنسُ. وقُرئ: «مَقاعِدِ»، المعنى أنهم في مجالسَ من الجنّات سالمةٍ من اللغو والتأثيم بخِلاف مجالس الدنيا، فقلَّ أن تسلم من ذلك. وأُعرِب هذا خبرًا ثانيًا وبدلاً. وهو صادق ببدل البعض وغيره ـ ﴿عِندَ مَلِيكٍ﴾: مِثالُ مُبالغةٍ، أي: عزيزِ المُلك واسعِه ﴿مُّقْتَدِرٍ﴾: قادر لا يُعجزه شيء. وهو الله تعالى. وعِند: إشارة إلى الرُّتبة من فضله تعالى.

---

قولُهُ: (مَجلِسِ حَقٍّ) أو مكانٍ مرضيٍّ.

قولُهُ: (وقُرِئَ: (مقاعِدِ)[1]) أي: معَ صدقٍ.

قولُهُ: (وغَيرِهِ) أي: اشتِمالٍ.

قولُهُ: (مِثَالُ) أي: صيغةُ.

قولُهُ: (و﴿عِندَ﴾ إشَارَةٌ) أي: مقرَّبينَ عندَ من تعالى أمرُهُ في الملكِ والملكوتِ والاقتدارِ، بحيثُ أبهمَهُ ذوو الاعتبارِ، واللهُ سبحانَه وتعالى أعلمُ.

* * *

---

(١) وهي قراءة شاذة، ونسبت لعثمان التيمي، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٤٥٧).

# سورة القمر

وتسمَّى أيضاً «اقتربت»، وعن ابن عباس أنَّها تُدْعَى في التوراة «المبيِّضة» تبيِّضُ وجْهَ صاحبها يوم تسْوَدُّ الوجوه، أخرجه عنه البيهقي في «شعب الإيمان» لكن قال: إنَّه منكر[1].

وهي مكيةٌ في قول الجمهور، وقيل: مما نزلَ يومَ بدر، وقال مقاتل: مكيةٌ إلا ثلاثَ آياتٍ (أَمْ يَقُولُونَ) إلى (وَأَمَرُّ).

واقتصَرَ بعضُهم على استثناء (سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ) إلخ.

ورُدَّ بما أخرجه ابنُ أبي حاتم والطبرانيُّ في «الأوسط» وابن مردويه عن أبي هريرة قال: أنزل الله تعالى على نبيه ﷺ بمكة قبل يوم بدر: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾، وقال عمر بن الخطاب: قلت: يا رسول الله، أيُّ جمعٍ يُهزَم؟ فلمَّا كان يوم بدرٍ وانهزَمَت قريش نظرتُ إلى رسول الله ﷺ في آثارهم مُصلتاً بالسيف وهو يقول: (سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ) فكانت ليوم بدر[2].

وفي «الدر المنثور»: أخرج البخاري عن عائشة قالت: نزَلَ على محمد ﷺ بمكة وإني لجاريةٌ ألعبُ: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾[3]، ويُرَدُّ به وبما قبلَه ما حُكي عن مقاتل أيضاً، وقيل: إلا (إِنَّ الْمُتَّقِينَ) الآيتين [٥٤، ٥٥].

---

(١) شعب الإيمان (٢٤٩٥) والحديث فيه مرفوع إلى النبي ﷺ.

(٢) المعجم الأوسط (٩١٢١)، وعزاه لابن أبي حاتم وابن مردويه السيوطي في الدر المنثور ٦/١٣٦-١٣٧، وقصة قراءة النبي ﷺ لها يوم بدر أخرجها البخاري (٤٨٧٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) صحيح البخاري (٤٨٧٦)، والدر المنثور ٦/١٣٦.

وآيُها خمسٌ وخمسون بالإجماع، ومناسبةُ أولها لآخِرِ السورةِ التي قبلَها ظاهرةٌ، فقد قال سبحانه ثَمَّ: ﴿أَزِفَتِ ٱلْأَزِفَةُ﴾ [النجم: ٥٧] وهنا: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ وقال الجلالُ السيوطي: لا يخفَى ما في توالي هاتَين السورتَين من حُسن التناسق؛ للتناسب في التسمية لِمَا بين «النجم» و«القمر» من الملابسة، وأيضاً إنَّ هذه بعد تلك، كالأعراف بعد الأنعام، وكالشعراء بعد الفرقان، وكالصافات بعد يس، في أنَّها تفصيلٌ لأحوالِ الأُمَم المشارِ إلى إهلاكهم في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ۝٥٠ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ۝٥١ وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ [النجم: ٥٠] إلى قوله سبحانه: ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ﴾[1] [النجم: ٥٣].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ أي: قَرُبَت جدّاً ﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ انفصل بعضُه عن بعض وصار فرقَتَين[2]، وذلك على عهد رسولِ الله ﷺ قبلَ الهجرةِ بنحو خمسِ سنين، فقد صحَّ من رواية الشيخَين وابن جرير عن أنس: أنَّ أهلَ مكة سألوه عليه الصلاة والسلام أنْ يُرِيَهم آيةً، فأراهم القمرَ شقَّتَين حتى رأوا حراءَ بينهما[3].

وخبرُ أبي نعيم من طريق الضحاك عن ابن عباس: أنَّ أحبارَ اليهودِ سألوا آيةً فأراهم اللهُ تعالى القمرَ قد انشقَّ[4] = لا يُعوَّل عليه.

وفي الصحيحين وغيرهما من حديث ابن مسعود: انشَقَّ القمرُ على عهد رسول الله ﷺ فرقَتَين، فرقةً على الجبل، وفرقةً دونه، فقال رسول الله ﷺ: «اشْهَدُوا»[5].

---

(١) تناسق الدرر ص ٨٠-٨١.

(٢) جاء في هامش الأصل: فلقتين. نسخة.

(٣) صحيح البخاري (٣٨٦٨)، وصحيح مسلم (٢٨٠٢)، وتفسير الطبري ٢٢/ ١٠٥.

(٤) دلائل النبوة لأبي نعيم (٢١٠)، وفيه بشر بن الحسين، قال الدارقطني: متروك. وقال أبو حاتم: يكذب على الزبير بن عدي. الميزان ١/ ٣١٥.

(٥) صحيح البخاري (٣٦٣٦) و(٤٨٦٤)، وصحيح مسلم (٢٨٠٠).

ومن حديثه أيضاً: انشقَّ القمرُ على عهد رسول الله ﷺ فقالت قريش: هذا سحرُ ابنِ أبي كبشة. فقال رجلٌ: انتظروا ما يأتيكم به السُّفَّار، فإنَّ محمداً لا يستطيعُ أنْ يسحَرَ الناسَ كلَّهم، فجاء السُّفَّار فأخبروهم بذلك. رواه أبو داود الطيالسي[(١)]، وفي رواية البيهقي: فسألوا السفَّار وقد قَدِموا من كلِّ وجهٍ فقالوا: رأيناه. فأنزل الله تعالى: (ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ)[(٢)].

وأخرج أبو نعيم في «الدلائل» عن ابن عباس من وَجْهٍ ضعيف قال: اجتمع المشركون على عهد رسول الله ﷺ، منهم: الوليد بن المغيرة، وأبو جهل بن هشام، والعاص بن وائل، والعاص بن هشام، والأسود بن عبد يغوث، والأسود بن المطلب، وربيعة بن الأسود، والنضر بن الحارث، فقالوا للنبيِّ ﷺ: إنْ كنتَ صادقاً فشُقَّ لنا القمرَ فرقَتَين، نصفاً على أبي قُبَيس ونصفاً على قُعَيْقِعان. فقال لهم النبيُّ ﷺ: «إنْ فعلْتُ تُؤمنوا؟» قالوا: نعم. وكانت ليلةَ بدرٍ، فسألَ رسولُ الله ﷺ ربَّه عز وجل أنْ يُعطيَه ما سألوا، فأمسَى القمرُ قد مَثُلَ نصفاً على أبي قُبيس ونصفاً على قُعَيْقعان، ورسول الله ﷺ ينادي: «يا أبا سلمة بن عبد الأسد والأرقم بن [أبي] الأرقم اشهدوا»[(٣)].

والأحاديثُ الصحيحةُ في الانشقاق كثيرة، واختلف في تواتره فقيل: هو غيرُ متواتر، وفي «شرح المواقف» الشريفي أنَّه متواترٌ[(٤)]، وهو الذي اختاره العلامةُ ابنُ السبكي[(٥)]، قال في شرحه لمختصر ابن الحاجب: الصحيح عندي أنَّ انشقاقَ القمر

---

(١) في الأصل و(م): أبو داود والطيالسي، وهو تصحيف.

(٢) مسند الطيالسي ١/ ٣٨ (٢٩٥)، ودلائل النبوة للبيهقي ٢/ ٢٦٦-٢٦٧، وأخرجه الطبري ٢٢/ ١٠٦-١٠٧، وأبو نعيم في الدلائل (٢١١) و(٢١٢).

(٣) دلائل النبوة (٢٠٩)، وما بين حاصرتين منه، وضعفه ابن حجر في الفتح ٧/ ١٨٢. ووقع في الأصل و(م) بدل قعيقعان: قينقاع، وهو تصحيف.

(٤) شرح المواقف للشريف علي بن محمد الجرجاني ٨/ ٢٥٩.

(٥) قاضي القضاة، أبو النصر، عبد الوهاب بن الإمام علي بن عبد الكافي الأنصاري، أخذ عن أبيه وغيره، وصنف كتباً نفيسة اشتهرت في حياته، توفي سنة (٧٧١هـ). شرح المواهب للزرقاني ٥/ ١٨٠، ونقل المصنف كلامه عن المواهب اللدنية للقسطلاني.

متواترٌ منصوصٌ عليه في القرآن، مرويٌّ في الصحيحين وغيرهما من طُرق شتى، بحيث لا يُمترَى في تواتره. انتهى باختصار.

وقد جاءت أحاديثُه في روايات صحيحة عن جماعة من الصحابة منهم علي كرم الله تعالى وجهه وأنس وابن مسعود وابن عباس وحذيفة وجبير بن مطعم وابن عمر وغيرهم[(١)]، نعم إنَّ منهم من لم يحضُر ذلك كابن عباس فإنَّه لم يكن مولوداً إذ ذاك، وكأنس فإنَّه كان ابنَ أربعٍ أو خمسٍ بالمدينة، وهذا لا يطعنُ في صحة الخبر كما لا يخفَى، ووقع في رواية البخاري وغيره عن ابن مسعود: كنَّا مع رسول الله ﷺ بمنًى فانشقَّ القمر[(٢)]. ولا يعارض ما صحَّ عن أنس أنَّ ذلك كان بمكةَ[(٣)]؛ لأنَّه لم يُصرِّح بأنَّه عليه الصلاة والسلام كان ليلتئذٍ بمكة، فالمراد أنَّ الانشقاق كان والنبيُّ ﷺ إذ ذاك مقيمٌ بمكة قبل أنْ يهاجرَ إلى المدينة.

ووقع في «نظم السيرة»[(٤)] للحافظ أبي الفضل العراقي ما هو نصٌّ في وقوع الانشقاق مرَّتين، وظاهرٌ في أنَّه مجمَعٌ على وقوعه كذلك حيث قال:

وانشقَّ مرَّتين بالإجماع

وكأنَّ مستندَ الأول ما أخرجَه عبد بن حميد والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في «الدلائل» من طريق مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود قال: رأيتُ القمرَ منشقّاً شِقَّتَين مرَّتَين بمكة قبل مخرج النبيِّ ﷺ، الحديث[(٥)].

---

(١) المواهب اللدنية مع شرح الزرقاني ٥/ ١٠٨.
(٢) صحيح البخاري (٣٨٦٩)، وأخرجه مسلم (٢٨٠٠) (٤٤).
(٣) سلف قريباً.
(٤) الدرر السنية في نظم السيرة النبوية لزين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن حسين العراقي، المتوفى سنة (٨٠٥هـ)، وهو ألفية في الرجز. وشرحها المناوي شرحاً مبسوطاً ثم لخصه وسماه الفتوحات السبحانية. كشف الظنون ١/ ٧٤٧. والكلام من المواهب اللدنية مع شرح الزرقاني ٥/ ١١٠، وما سيرد من الرجز في الدرر السنية ص٥٩، وفيه: وذاك، بدل: وانشقَّ.
(٥) المستدرك ٢/ ٤٧١، والدلائل للبيهقي ٢/ ٢٦٥، وعزاه لعبد بن حميد وابن مردويه السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٣٣، والعلامة الزرقاني في شرح المواهب اللدنية ٥/ ١٠٧، ولفظة «مرتين» ليست في الدر المنثور.
وكون الرؤية مرتين ذكر في حديث أنس رضي الله عنه أخرجه مسلم (٢٨٠٢) (٤٦)، والترمذي (٣٢٨٦).

وأما الإجماعُ فغيرُ مسلَّم، وفي «المواهب»: قال الحافظ ابن حجر: أظنُّ أنَّ قولَه: بالإجماع يتعلَّق بـ «انشقَّ» لا بـ «مرَّتَين» فإنِّي لا أعلمُ مَن جزَمَ من علماء الحديث بتعدُّد الانشقاق في زمنه ﷺ. ولعلَّ قائل «مرتين» أراد: فرقَتَين، وهذا الذي لا يتَّجهُ غيرُه جمعاً بين الروايات[1]. انتهى.

ولا يخفَى أنَّ هذا التأويل مع بُعده لا يتسنَّى في خبر ابن مسعود المذكور آنفاً لمكان «شِقَّتَين» وهي بمعنى: «فرقتين» و«مرتين» معاً، والذي عندي في تأويل ذلك أنَّ «مرَّتَين» في كلام ابن مسعود قيدٌ للرؤية، وتعدُّدُها لا يقتضي تعدُّد الانشقاق، بأنْ يكونَ رآه منشقّاً فصَرَف نظره عنه ثم أعادَه، فرآه كذلك لم يتغيَّر، ففيه إشارةٌ إلى أنَّها رؤيةٌ لا شبهةَ فيها، وقد فَعَل نحو ذلك الكفرةُ، أخرج أبو نعيم من طريق عطاء عن ابن عباس قال: انتهى أهلُ مكةَ إلى النبيِّ ﷺ فقالوا: هل من آيةٍ نعرفُ بها أنَّك رسول الله؟ فهبط جبريل عليه السلام فقال: يا محمد قل لأهل مكةَ أنْ يجتمعُوا هذه الليلةَ يروا آيةً. فأخبرَهم رسول الله ﷺ بمقالة جبريل عليه السلام، فخرجُوا ليلةَ أربعَ عشرةَ، فانشقَّ القمر نصفَين نصفاً على الصفا ونصفاً على المروة، فنظروا ثم قالوا بأبصارهم فمسحوها، ثم أعادوا النظر فنظروا، ثم مسحوا أعينهم ثم نظروا، فقالوا: ما هذا إلا سحرٌ. فأنزل الله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾[2] فلو قال أحد هؤلاء: رأيتُ القمرَ منشقّاً ثلاثَ مراتٍ على معنى تعدُّد الرؤية صحَّ بلا غبار، ولم يقتضِ تعدُّد الانشقاق، فلْيُخَرَّجْ كلامُ ابن مسعود على هذا الطَّرْز ليُجْمَعَ بين الروايات.

ثم هذا الحديث إنْ صحَّ كان دليلاً لما أشار إليه البوصيري في قوله:

شُقَّ عن صَدْره وشُقَّ له البد ... رُ ومن شَرْط كلِّ شرط جزاءُ

مِن أنَّ الشقَّ كان ليلةَ أربعَة عشرةَ؛ لأنَّ البدر هو القمرُ ليلةَ أربعَة عشرةَ، ويعلم من ذلك ما في قول العلامة ابن حجر الهيتمي في شرحه: ظاهرُ التعبير بالبدر دون

(١) المواهب اللدنية ٥/ ١١٠-١١١، وقول ابن حجر في الفتح ٧/ ١٨٣.
(٢) عزاه لأبي نعيم ابن كثير في البداية والنهاية ٤/ ٢٩٧، والسيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٣٣.

القمر أنَّ الشق كان ليلةَ أربعة عشرة. ولم أرَ له في ذلك سلفاً، ولعلَّه أراد بالبدر مطلقَ القمر، ويؤيِّد كونَه ليلة البدر ما أخرجه الطبراني وابن مردويه من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: كَسَف القمرُ على عهد رسول الله ﷺ فقالوا: سحر القمر. فنزلت (ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ) إلى (مُّسْتَمِرٌّ)[1]، فإنَّ الكسوفَ وإنْ جازَ عادةً أنْ يكونَ ليلةَ الثالثة عشرة وليلة الخامسة عشرة إلا أنَّ الأغلبَ كونُه ليلةَ الرابعة عشرة، ولا ضرورةَ إلى حمل الكسوف في هذا الخبرِ على الانشقاق، إذ لا مانعَ ـ كما في «البداية والنهاية»[2] ـ أنْ يكونَ قد حصل للقمر مع انشقاقه كسوفٌ، نعم ذكر فيها أنَّ سياق الخبر غريب.

ثم إنَّ القمر بعد انشقاقه لم تُفارق قطعتاه السماءَ، بل بقيَتَا فيها متباعدتَين تباعداً مّا لحظةً ثم اتَّصلَتَا، وما يذكره بعضُ القصَّاص من أنَّه دخل في جَيْب النبيِّ ﷺ وخرج من كُمِّه فباطلٌ لا أصل له كما حكاه الشيخ بدر الدين الزركشي عن شيخه العماد بن كثير[3]، ولعنةُ الله تعالى على مَن وضَعه.

وما في خبر أبي نعيم الذي أخرجه من طريق الضحاك عن ابن عباس من أنَّه انشقَّ فصارَ قمرَين أحدهما على الصفا، والآخرُ على المروة، قَدْرَ ما بين العصر إلى الليل ينظرون إليه ثم غاب[4] = لا يعوَّل عليه، كيف وقد تضمَّن ذلك الخبر أنَّ الانشقاق وقع لطلبِ أحبار اليهود، وأنَّ القائل «هذا سحرٌ مستمر» هم، وهو مخالفٌ لِمَا نطقَت به الأخبارُ الصحيحة الكثيرةُ كما لا يخفى على المتتبع.

وقد شاع أنَّ النبيَّ ﷺ أشارَ إلى القمر بسبابته الشريفة فانشقَّ[5]. ولم أرَه في خبرٍ صحيح، والله تعالى أعلم.

(١) المعجم الكبير (١١٦٤٢)، وعزاه لابن مردويه السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٣٣، وقال ابن كثير في البداية والنهاية ٤/ ٢٩٩ عن إسناد الطبراني: هذا إسناد جيد.
(٢) ينظر البداية والنهاية ٤/ ٢٩٩.
(٣) البداية والنهاية ٤/ ٣٠٣، والمواهب اللدنية ٥/ ١١٣.
(٤) دلائل النبوة لأبي نعيم (٢١٠)، وسلف قريباً.
(٥) ينظر البداية والنهاية ٤/ ٣٠٣.

وأنكر الفلاسفةُ أصلَ الانشقاق بناءً على زعمهم استحالةَ الخرق والالتئام على الأجرامِ العلوية، ودليلُهم على ذلك أوهنُ من بيت العنكبوت، وقد خُرِقَ بأدنى نسمةٍ من نسمات أفكار أهل الحقِّ العلويِّين خَرْقاً لا يقبلُ الالتئامَ كما بُيِّن في موضعه.

وقال بعضُ الملاحدة: لو وَقَع لنُقِلَ متواتراً، واشترك أهلُ الأرض كلُّهم في معرفته، ولم يختصَّ بها أهلُ مكة؛ لأنَّه أمرٌ محسوسٌ مشاهَدٌ، والناسُ فيه شركاء، والطباعُ حريصةٌ على رواية الغريب ونقل ما لم يُعهَد، ولا أغربَ من انشقاقِ هذا الجِرْم العظيمِ، ولم يُعهَد أصلاً في الزمن القديم، ولو كان له أصلٌ لخلِّد أيضاً في كتب التسيير والتنجيم، ولذكره أهلُ الأرصاد، فقد كانت موجودةً قبل البعثة بكثير، وإطباقُهم على تركه وإغفالِهِ مع جلالة شأنه ووضوحِ أمره مما لا تجوِّزُه العادةُ، وأيضاً لا يُعقَلُ سببٌ لخَرْق هذا الجِرْم العظيم، وأيضاً خرقُه يوجبُ صوتاً هائلاً أشدُّ من أصوات الصواعقِ المُهلِكةِ بأضعافٍ مضاعفةٍ، لا يَبعدُ هلاكُ أكثرِ أهل الأرض منه، وأيضاً متى خُرِقَ وصار قطعتَين ذهبَت منه قوةُ التجاذب، كالجبل إذا انشقَّ فيلزمُ بقاؤه منشقّاً، ولا أقلَّ من أنْ يبقَى كذلك سنينَ كثيرةً[1].

والجوابُ عن ذلك أنَّه وَقَع في الليل وزمان الغفلة، وكان في زمانٍ قليلٍ، ورؤيةُ القمر في بلد لا تستلزمُ رؤيتَه في جميع البلاد ضرورةَ اختلافِ المطالع، فقد يكونُ القمرُ طالعاً على قوم غائباً عن آخرين، ومكسوفاً عند قوم غيرَ مكسوفٍ عند آخرين، والاعتناء بأمر الأرصاد لم يكن بمثابته اليوم، وغفلةُ أهلها لحظةً غيرُ مستبعَدٍ، والانشقاقُ لا تختلف به منازلُه ولا يتغيرُ به سيره، غايةُ ما في الباب أنْ يحدثَ في القطعة الشرقية قوةُ سيرٍ لتلحقَ أختَها الغربيةَ، وأيُّ مانعٍ من أنْ يخلُقَ الله تعالى فيها من السرعة نحو ما خلق الله سبحانه في ضوء الشمس، فقد قال أهلُ الحكمة الجديدة: إنَّ بين الأرض والشمس ثلاثَ مئة ألفِ فرسخٍ وأربعين ألفَ

---

(١) في هامش الأصل: وفي كتاب «البداية والنهاية» ذَكَر غيرُ واحدٍ من المسافرين أنهم شاهدوا هيكلاً بالهند مكتوباً عليه: أنه بني في هذه الليلة التي انشق القمر فيها. انتهى منه. وهو بنحوه في البداية والنهاية ٤/ ٢٩٩.

فرسخٍ، وإنَّ ضوءَها ليصلُ إلى الأرض في مدة ثمان دقائقَ وثلاثَ عشرةَ ثانية، فيقطعُ الضوءُ في كلِّ ثانيةٍ سبعينَ ألفَ فرسخ، ولا يلزمُ أنْ يُعلَمَ سببُ كلِّ حادثٍ، بل كثيرٌ من الحوادث المتكررةِ المشاهدة لم يُوقَف على أسبابها، كرؤية الكواكبِ قريبةً مع بعدها المفرط، فقد ذكروا أنَّهم لم يقفوا على سببه، ويكفي في ذلك عدمُ وقوفهم على سبب الإبصار بالعين على الحقيقة، ولو أخبرهم مخبرٌ بفرض أنْ لم يكن لهم إبصارٌ بخواصِّ البصر، مع كونه قطعةَ شحمٍ صغيرة معروفة أحوالُها عند أهل التشريح، لأنكروا عليه غايةَ الإنكار، وكذَّبوه غايةَ التكذيب، ونسبوه إلى الجنون.

ومَن سلَّم تأثير النفوسِ على حدٍّ أنْ يَصرَع الشخصُ آخَرَ بمجرَّد النظر إليه وتوجيه نفسِه نحوه، لم يَستبعِد أنْ يكونَ هناك سببٌ نحو ذلك، وقد صحَّ في إصابة العين أنَّ بعضَ الأعراب ممن له عينٌ صائبةٌ يفلقُ سنامَ الناقة فلقتَين، وربما تُصوَّرُ له من رَمْلٍ فينظر إليه ويفلقُه، فينفلقُ سنامُها مع عدم رؤيته لها نفسِها، وهذا كلُّه من باب المماشاة، وإلا فإرادةُ الله تعالى كافيةٌ في الانشقاق، وكذا في كلِّ المعجزات وخوارق العادات، ولو كان لكلِّ حادث سببٌ لزم التسلسلُ، وقد قامت الأدلةُ على بطلانه.

وكونُ الخرق يوجبُ صوتاً هائلاً ممنوعٌ فيما نحن فيه، ومثلُه ذهابُ التجاذب، والأجسامُ مختلفةٌ من حيث الخواصِّ، فلا يلزمُ اتِّحاد جِرْم القمر والأرضِ فيها، ويمكنُ أنْ يكونَ إحدَى القطعتَين كالجبل العظيم بالنسبة إلى الأرض، إذا ارتَفَع عنها بقاسرٍ مثلاً جذبته إليها[1] إذا لم يخرج عن حدِّ جَذْبها على ما زعموه، ويلتزم في تلك القطعة عدمُ الخروج عن حدِّ الجذب، على أنَّا في غنًى عن كلِّ ذلك أيضاً بعد إثبات الإمكان وشمول قدرته عزَّ وجل، وأنَّه سبحانه فعالٌ لِمَا يريد.

والحاصلُ أنَّه ليس عند المنكر سوى الاستبعادِ، ولا يستطيعُ أنْ يأتيَ بدليلٍ على الاستحالة الذاتية ولو انشقَّ، والاستبعادُ في مثل هذه المقاماتِ قريبٌ من الجنون عند من له عقلٌ سليم.

(١) في الأصل و(م): إليه.

وروي عن الحسن أنَّه قال: هذا الانشقاقُ بعد النفخة الثانية، والتعبيرُ بالماضي لتحقُّق الوقوع، وروي ذلك عن عطاء أيضاً، ويؤيِّد ما تقدَّم الذي عليه الأكثرون قراءةُ حذيفةَ: «وقد انشقَّ القمرُ»(١) فإنَّ الجملة عليها حاليةٌ، فتقتضي المقارنةَ لاقتراب الساعةِ ووقوعِ الانشقاق قبل يوم القيامة، وكذا قوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟﴾ فإنَّه يقتضي أنَّ الانشقاقَ آيةٌ رأوْها وأعرضوا عنها.

وزعم بعضُهم أنَّ انشقاقَ القمر عبارةٌ عن انشقاق الظلمة عند طلوعه، وهذا كما يُسمَّى الصبحُ فلقاً عند انفلاقِ الظلمة عنه، وقد يعبَّر عن الانفلاق بالانشقاق كما في قوله النابغة:

فلمَّا أَدْبَرُوا ولَهُمْ دَوِيٌّ  دعانا عند شقِّ الصبْحِ داعي(٢)

وزعم آخر أنَّ معنى «انشقَّ القمر»: وَضَح الأمر وظهر.

وكِلَا الزعمَين مما لا يُعوَّل عليه ولا يُلتفَتُ إليه، ولا أظنُّ الداعي إليهما عند مَن يُقرُّ بالساعة التي هي أعظمُ من الانشقاق، ويعترفُ بالعقائد الإسلامية التي وقع عليها الاتفاقُ سوى عدم ثبوت الأخبار في وقوع ذلك على عهده عليه الصلاة والسلام عنده، ومنشأ ذلك القصورُ التامُّ والتمسك بشبَهٍ هي على طَرَف الثُّمام، ومع هذا لا يكفَّر المنكر بناءً على عدم الاتفاقِ على تواتر ذلك، وعدمِ كونِ الآية نصًّا فيه، والإخراجُ من الدين أمرٌ عظيم فيُحتاط فيه ما لا يحتَاطُ في غيره، والله تعالى الموفق.

والظاهرُ أنَّ المرادَ باقتراب الساعة القربُ الشديدُ الزمانيُّ، وكلُّ آتٍ قريب، وزمانُ العالَم مديد، والباقي بالنسبة إلى الماضي شيءٌ يسير.

ومال الإمام إلى أنَّ المراد به قربُها في العقول والأذهان(٣). وحاصلُه أنَّها

---

(١) القراءات الشاذة ص ١٤٧، والمحتسب ٢/ ٢٩٧، والبحر المحيط ٨/ ١٧٣.

(٢) النكت والعيون للماوردي ٥/ ٤٠٩، وتفسير القرطبي ٢٠/ ٧٣، والبحر المحيط ٨/ ١٧٣، والنابغة هو الجعدي كما ذكر الماوردي، ولم نقف عليه في ديوانه.

(٣) مفاتيح الغيب ٢٩/ ٢٩.

ممكنةٌ إمكاناً قريباً لا ينبغي لأحدٍ إنكارها، واستعمالُ الاقتراب مع أنَّها[1] أمرٌ مقطوعٌ به كاستعمال «لعل» في قوله تعالى: ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣] مع أنَّ الأمرَ معلومٌ عند الله تعالى، وانشقاقُ القمر آيةٌ ظاهرةٌ على هذا القرب، وعلى الأول قيل: هو آيةٌ لأصل الإمكان الذي يقتضيه قربُ الوقوع، وقيل: هو آيةٌ لقُرب الوقوع ومعجزةٌ للنبي ﷺ باعتبار أنَّ الله تعالى مُخبِرٌ في كُتُبه السالفة بأنَّه إذا قرُبَت الساعةُ انشقَّ القمر معجزةً، وكلاهما كما ترى. واختار بعضُهم أنَّه آيةٌ لصِدْق النبيِّ عليه الصلاة والسلام في جميع ما يقول ويبلِّغ عن[2] ربه سبحانه لأنه معجزة له ﷺ، ومنه دعوى الرسالةِ والإخبارُ باقتراب الساعة وغير ذلك.

و«آية» نكرةٌ في سياق الشرط فتعمّ، فالمعنى: وإنْ يَرَوا كلَّ آيةٍ يُعرضوا عن التأمُّل فيها، ليقِفُوا على وَجْه دلالتها وعلوِّ طبقتها ﴿وَيَقُولُواْ سِحْرٌ﴾ أي: هذا، أو هو ـ أي: ما نراه ـ سحرٌ ﴿مُّسْتَمِرٌّ﴾ أي: مطَّرد دائم يأتي به محمد ﷺ على مرِّ الزمان، وهو ظاهرٌ في ترادُف الآيات وتتابع المعجزات.

وقال أبو العالية والضحاك: «مستمرٌّ»: محكم مُوثق، من المرَّة بالفتح أو الكسر بمعنى القوة، وهو في الأصل مصدرُ: مررْتُ الحبلَ مرةً: إذا فتلتَه فتلاً محكماً، فأُريد به مطلق المحكم مجازاً مرسلاً.

وقال أنس ويمان ومجاهد والكسائي والفرَّاء واختاره النحَّاس: مستمر، أي: مارٌّ ذاهبٌ زائلٌ عن قريب[3]، علَّلوا بذلك أنفسَهم، ومنَّوها بالأماني الفارغة، كأنَّهم قالوا: إنَّ حالَه ـ عليه الصلاة والسلام ـ وما ظهر من معجزاته:

سحابةُ صيفٍ عن قريبٍ تَقَشَّعُ[4]

﴿وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢].

---

(١) في (م): أنه.
(٢) قوله: عن، ساقط من (م).
(٣) في الأصل: قرب، والمثبت من (م) والبحر المحيط ٨/ ١٧٤ والكلام منه، وقول الفراء في معاني القرآن ٣/ ١٠٤، وقول مجاهد في تفسيره ٢/ ٦٣٥ وأخرجه عنه الطبري ٢٢/ ١١٣.
(٤) عجز بيت لعمران بن حطان كما في خزانة الأدب ٥/ ٣٦١، وصدره:

أراها وإن كانت تُحَبُّ فإنها

وقيل: «مستمر» مشتدُّ المرارة، أي: مُستبشَع عندنا منفورٌ عنه لشدَّة مرارته يقال: مرَّ الشيءُ وأمرَّ: إذا صار مرّاً، وأمرَّ غيرَه ومرَّه يكون لازماً ومتعدياً.

وقيل: «مستمرّ» يُشبه بعضُه بعضاً، أي: استمرَّت أفعاله على هذا الوجه من التخييلات.

وقيل: «مستمر» مارٌّ من الأرض إلى السماء، أي: بلغ من سحره أنّه سحَرَ القمرَ. وهذا ليس بشيء.

ولعل الأنسبَ بغلوِّهم في العناد والمكابرة ما روي عن أنس ومَن معه.

وقرئ: «وإنْ يُرَوا» بالبناء للمفعول[1] من الإراءة.

﴿وَكَذَّبُواْ﴾ النبيَّ ﷺ وبما أظهره الله تعالى على يده من الآيات ﴿وَاتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ التي زيَّنها الشيطانُ لهم، وقيل: «كذبوا» الآيةَ التي هي انشقاقُ القمر «واتَّبعوا أهواءهم» وقالوا: سُحِرَ القمرُ، وسُحِرَت أعينُنا والقمر بحاله. والعطفُ على الجزاء السابق، وصيغةُ الماضي للدلالة على التحقُّق، وقيل: العطفُ على «اقتربَت» والجملةُ الشرطية اعتراضٌ لبيان عادتهم إذا شاهدوا الآيات.

وقوله تعالى: ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾ استئنافٌ مسوقٌ للردِّ على الكفار في تكذيبهم ببيان أنَّه لا فائدةَ لهم فيه، ولا يمنع علوَّ شأنه ﷺ، أو لإقناطهم عما عَلَّقوا به أمانيَّهم الفارغةَ من عدم استقرارِ أمره عليه الصلاة والسلام حسبما قالوا: «سحر مستمر» ببيان ثُبوتِهِ ورُسوخه، أي: وكلُّ أمرٍ من الأمور مُنتَهٍ إلى غايةٍ يستقرُّ عليها لا محالةَ، ومن جملتها أمرُ النبيِّ ﷺ، فسيصيرُ إلى غايةٍ يتبيَّن عندها حقِّيَّته وعلوُّ شأنه، وللإشارة إلى ظهور هذه الغاية لأمره عليه الصلاة والسلام لم يصرِّح بالمستقر عليه.

وفي «الكشاف» أي: كلُّ أمرٍ لا بدَّ أنْ يصيرَ إلى غاية يستقرُّ عليها، وأنَّ أمرَه ﷺ سيصيرُ إلى غاية يتبيَّن عندها أنَّه حقٌّ أو باطل، وسيظهرُ لهم عاقبتُه[2]،

(١) البحر المحيط ٨/ ١٧٣.

(٢) في الأصل و(م): وسيظهر له عاقبتهم، وهو خطأ، والمثبت من الكشاف.

أو: وكلُّ أمرٍ من أمره عليه الصلاة والسلام وأمرهم مستقرٌّ، أي: سيثبتُ ويستقرُّ على حالة نُصرةٍ أو خِذلان في الدنيا، أو سعادةٍ وشقاوة في الآخرة[١].

قال في «الكشف»: والكلامُ على الأول تذييلٌ جارٍ مجرى المثل، وعلى الثاني تذييلٌ غير مستقلٍّ.

وقرأ شيبة: «مستقَر» بفتح القاف[٢] ورُويَت عن نافع، وزعم أبو حاتم أنَّها لا وجْهَ لها، وخرِّجت على أنَّ مستقَرًّا مصدرٌ بمعنى استقرار، وحملُه على «كلِّ أمرٍ» بتقدير مضاف، أي: ذو مستقَرٍّ، ولو لم يقدَّر وقُصِد المبالغة صحَّ.

وجوِّز كونُه اسمَ زمانٍ أو مكان بتقدير مضاف أيضاً، أي: ذو زمان استقرارٍ، أو ذو موضع استقرارٍ.

وتُعقِّب بأنَّ كونَ كلِّ أمرٍ لا بدَّ له من زمانٍ أو مكانٍ أمرٌ معلوم لا فائدةَ في الإخبار به.

وأُجيبَ بأنَّ فيه إثباتَ الاستقرار له بطريق الكناية، وهي أبلغُ من التصريح[٣].

وقرأ زيد بن علي: «مستقِرٍّ» بكسر القاف والجرِّ[٤]، وخُرِّج على أنَّه صفةُ «أمْرٍ» وأنَّ «كل» معطوفٌ على «الساعة»، أي: اقتربَ كلُّ أمرٍ يستقِرُّ ويتبيَّن حالُه، أي: بقربها، قال في «الكشف»: وفيه شَمَّةٌ من التجريد وتهويلٌ عظيم، حيث جعل في اقترابها اقترابَ كلِّ أمرٍ يكونُ له قرارٌ وتَبيُّنُ حالٍ مما له وَقْعٌ، وقوله تعالى: ﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ على هذا إمَّا على تقدير «قد» وينصرُه القراءةُ بها، وإما منزل منزلةَ الاعتراض[٥] لكونه مؤكِّداً لقرب الساعة، وقوله سبحانه: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً﴾ إلخ مستطردٌ عند ذكر انشقاق القمر.

---

(١) الكشاف ٤/ ٣٦.

(٢) تفسير القرطبي ٢٠/ ٧٥، والبحر المحيط ٨/ ١٧٤ والكلام منه.

(٣) في الأصل: الصريح.

(٤) البحر المحيط ٨/ ١٧٤، وهي قراءة أبي جعفر من العشرة كما في النشر ٢/ ٣٨٠.

(٥) في (م): الإعراض.

واعترض ذلك أبو حيان بأنَّه بعيدٌ لكثرة الفواصل بين المعطوفِ والمعطوف عليه، وجعل الكلامَ عليه نظيرَ: أكلتُ خبزاً، وضربتُ خالداً، وإنْ يجئ زيدٌ أكرمه، ورَحَل إلى بني فلان، ولحماً. بعطف «لحماً» على «خبزاً» ثم قال: بل لا يوجدُ مثلُه في كلام العرب[1].

وتُعقِّب بأنَّه ليس بشيء؛ لأنَّه إذا دلَّ على العطف الدليلُ لا يعدُّ ذلك مانعاً منه، على أنَّ بين الآية والمثال فرقاً لا يخفَى.

وقال صاحب «اللوامح»: إنَّ «مستقر» خبرُ «كلّ»، والجرُّ للجوار. واعترضه أبو حيان أيضاً بأنَّه ليس بجيدٍ؛ لأنَّ الجرَّ على الجوار في غاية الشذوذ في مثله، إذ لم يُعهَد في خبرِ المبتدأ، وإنما عُهد في الصفة على اختلاف النحاة في وجوده، واستَظْهَرَ كونَ «كلُّ» مبتدأ وخبرُه مقدَّر كـ: آت، أو: معمولٌ به، ونحوه مما يُشعرُ به الكلام، أو مذكورٌ بعدُ وهو قولُه تعالى: ﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ﴾ وقد اعتُرض بينهما بقوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم﴾[2] في القرآن ﴿مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ﴾ أي: أخبار القرون الخالية، أو أخبار الآخرة.

والجارُّ والمجرور في موضع الحال من «ما» في قوله عز وجل: ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ قدِّم عليه رعايةً للفاصلة وتشويقاً[3] إليه، و«مِن» للتبعيض، أو للتبيين بناءً على المختار من جواز تقديمه على المُبيَّن، قال الرضي: إنما جاز تقديمُ «من» المبيِّنة على المبهم في نحو: عندي من المال ما يكفي، لأنَّه في الأصل صفةٌ لمقدَّر، أي: شيءٌ من المال، والمذكورُ عطفُ بيانٍ للمبيَّن المقدَّر قبلها ليحصل البيانُ بعد الإبهام، أي: بالله لقد جاءهم كائناً من الأنباء ما فيه ازدجارٌ لهم ومنعٌ عما هم فيه من القبائح، أو موضعُ ازدجار ومنع، وهي أنباءُ التعذيب، أو أنباءُ الوعيد.

---

(١) البحر المحيط ٨/ ١٧٤.
(٢) البحر المحيط ٨/ ١٧٤.
(٣) في (م): تتويقاً.

وأصلُ «مزدجَر»: مُزْتَجَر، بالتاء موضع الدال، وتاءُ الافتعال تُقلَب دالاً مع الدال والذال والزاي للتناسب. وقرئ: «مزَّجَر» بقلبها زاياً وإدغام الزاي فيها[١]، وقرأ زيد بن علي: «مُزْجِر»[٢] اسم فاعل من أَزْجَرَ، أي: صار ذا زَجْرٍ، كأَعْشَبَ: صار ذا عُشْبٍ.

﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌۖ﴾ أي: واصلة غايةَ الإحكام لا خلَلَ فيها، ورفع «حكمة» على أنَّها بدلُ كلٍّ أو اشتمال من «ما»، وقيل: من «مزدجر»، أو خبرُ مبتدأ محذوفٍ، أي: هي أو هذه، على أنَّ الإشارة لِمَا يشعر به الكلامُ من إرسال الرسل وإيضاح الدليل والإنذار لمن مضَى، أو إلى ما في الأنباء، أو إلى الساعة المقتربة والآيةِ الدالة عليها كما قاله الإمام[٣]. وتقدَّم آنفاً احتمالُ كونها خبراً عن «كل» في قراءة زيد. وقرأ اليماني: «حكمةً بالغةً» بالنصب[٤] حالاً من «ما» فإنَّها موصولةٌ أو نكرةٌ موصوفة، ويجوز مجيء الحال منها مع تأخُّرها، أو هو بتقدير: أعني.

﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾ نفي للإغناء أو استفهامٌ إنكاريٌّ، والفاء لترتيب عدم الإغناء على مجيء الحكمة البالغة، مع كونه مظنةً للإغناء، وصيغةُ المضارع للدلالة على التجدُّد والاستمرار، و«ما» على الوجه الثاني في محلٍّ نصبٍ على أنَّها مفعولٌ مطلق، أي: فأيَّ إغناءٍ تُغني النذر، وجوِّز أنْ تكونَ في محلٍّ رفعٍ على الابتداء، والجملةُ بعدها خبرٌ، والعائد مقدَّر، أي: فما تُغنيه النذرُ، وهو جمع نذير بمعنى المُنذِر. وجوز أنْ يكون جمعَ نذير بمعنى الإنذار. وتعقِّب بأنَّ حقَّ المصدر أنْ لا يُثنَّى ولا يُجمَع، وأن يكون مصدراً كالإنذار. وتعقِّب بأنَّه يأباه تأنيثُ الفعل المسند إليه، وكونُه باعتبار أنَّه بمعنى النَّذَارة لا يخفَى حاله.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْۘ﴾ الفاء للسببية والمسبَّب التولِّي أو الأمرُ به، والسبب عدمُ الإغناء أو العلمُ به، والمرادُ بالتولِّي إما عدمُ القتال، فالآية منسوخة، وإما تركُ الجدال للجِلَاد، فهي محكمة، والظاهر الأول.

---

(١) الكشاف ٤/ ٣٦، وتفسير القرطبي ٢٠/ ٧٦، والبحر المحيط ٨/ ١٧٤.
(٢) البحر المحيط ٨/ ١٧٤.
(٣) هو الرازي في تفسيره ٢٩/ ٣٢.
(٤) البحر المحيط ٨/ ١٧٤.

﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ ظرفٌ لـ «يخرجون» أو مفعول به لـ «اذكر» مقدراً، وقيل: لـ «انتظر»، وجوّز أن يكون ظرفاً لـ «تُغني»، أو لـ «مستقر» وما بينهما اعتراض، أو ظرفاً لـ «يقول الكافر»، أو لـ «تولَّ» أي: تولَّ عن الشفاعة لهم يوم القيامة، أو هو معمولٌ له بتقدير «إلى» وعليه قول الحسن: فتولَّ عنهم إلى يوم. والمرادُ استمرارُ التولِّي. والكلُّ كما ترى.

والداعي إسرافيلُ عليه السلام، وقيل: جبريل عليه السلام، وقيل: مَلَكٌ غيرُهما موكَّلٌ بذلك، وجوز أنْ يكون الدعاء للإعادة في ذلك اليوم كالأمر في «كن فيكون» على القول بأنَّه تمثيلٌ، فالداعي حينئذ هو الله عز وجل.

وحُذفَت الواو من «يَدْعُ» لفظاً لالتقاء الساكنَين ورسماً اتباعاً للفظ، والياءُ من «الداعِ» تخفيفاً وإجراءً لـ «أل» مجرى التنوين؛ لأنَّها تعاقبه، والشيءُ يُحمَل على ضدِّه كما يحمل على نظيره.

﴿إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾ أي: فظيعٍ تنكره النفوسُ لعدم العهد بمثله، وهو هول القيامة، ويُكنى بالنُّكُر عن الفظيع لأنَّه في الغالب مُنْكَرٌ غيرُ معهود، وجوّز أنْ يكون من الإنكار ضد الإقرار، وأيُّما كان فهو وصفٌ على «فُعُل» بضمَّتَين، وهو قليلٌ في الصفات، ومنه: روضةٌ أُنُف: لم تُرْعَ، ورجل شُلُل: خفيفٌ في الحاجة سريعٌ حَسَنُ الصحبة طيبُ النفس، وسُجُح: ليِّنٌ سهلٌ.

وقرأ الحسن وابن كثير وشبل: «نُكْر» بإسكان الكاف[1]، كما قالوا: شُغُل وشُغْل، وعُسُر وعُسْر، وهو إسكان تخفيفٍ، أو السكون هو الأصل والضم للإتباع.

وقرأ مجاهد وأبو قلابة والجحدري وزيد بن علي: «نُكِرَ»[2] فعلاً ماضياً مبنيّاً للمفعول بمعنى: أُنكِرَ.

---

(١) قراءة ابن كثير في التيسير ص ٢٠٥، والنشر ٢/ ٢١٦، وقراءة الحسن وشبل في المحرر الوجيز ٥/ ٢١٢، والبحر المحيط ٨/ ١٧٥.

(٢) القراءات الشاذة ص ١٤٧، والمحتسب ٢/ ٢٩٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٢١٢، والبحر المحيط ٨/ ١٧٥.

﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ﴾ حالٌ من فاعل ﴿يَخْرُجُونَ﴾ أي: يخرجون ﴿مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ أي: القبور أذلةً أبصارُهم من شدَّة الهولِ، أي: أذلّاء من ذلك، وقدِّم الحال لتصرُّف العامل والاهتمام، وفيه دليلٌ على بطلان مذهب الجرمي من عدم تجويز تقدُّم الحال على الفعل وإنْ كان متصرِّفاً، ويردُّه أيضاً قولُهم: شَتَّى تؤوب الحلبةُ[1]، وقولُه:

سريعاً يهونُ الصعبُ عند أُولي النُّهَى إذا برَجَاءٍ صادقٍ قابلوا البأسا[2]

وجعل حالاً من ذلك لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾ [المعارج: ٤٣] إلى قوله تعالى: ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ﴾ [المعارج: ٤٤].

وقيل: هو حالٌ من الضمير المفعول المحذوف في «يَدْعُ الداعِ» أي: يدعوهم الداع. وتعقِّب بأنَّه لا يطابق المنزل، وأيضاً يصيرُ حالاً مقدَّرةً؛ لأنَّ الدعاء ليس حالَ خشوعِ البصر، وليست في الكثرة كغيرها، وكذلك جعلُه مفعول «يدعو» على معنى: يدعو فريقاً خاشعاً أبصارهم، أي: سيخشع، وإن كان هذا أقربَ مما قبلُ.

وقيل: هو حال من الضمير المجرور في قوله تعالى: (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ). وفيه ما لا يخفى.

و«أبصارُهم» فاعل «خُشَّعاً» وطابقَهُ الوصف في الجمع؛ لأنَّه إذا كُسِّر لم يُشْبِهِ الفعلَ لفظاً، فتحسُنُ فيه المطابقةُ، وهذا بخلاف ما إذا جُمع جمعَ مذكر سالم، فإنَّه لم يتغيَّر زنتُه وشَبَهُهُ للفعل، فينبغي أنْ لا يُجمَع إذا رَفَع الظاهرَ المجموعَ على اللغة الفصيحة دون لغة: أكلوني البراغيثُ، لكن الجمع حينئذٍ في الاسم أخفُّ منه في الفعل كما قال الرضي، ووَجْهُه ظاهرٌ، وفي «التسهيل»: إذا رَفَعَت الصفةُ اسماً ظاهراً مجموعاً فإنْ أمكنَ تكسيرها كـ: مررْتُ برجلٍ قيامٍ غلمانُه. فهو أولَى من

---

(١) مثل يضرب في اختلاف الناس وتفرقهم في الأخلاق، وذلك أنهم يوردون إبلهم وهم مجتمعون، فإذا صدروا تفرَّقوا واشتغل كلٌّ واحدٍ منهم بحلب ناقته، ثم يؤوب الأول فالأول. مجمع الأمثال ١/ ٣٥٨.

(٢) البحر المحيط ٨/ ١٧٥، واللباب ١٨/ ٢٣٩.

إفرادها كـ : مررْتُ برجلٍ قائمٍ غلمانُه[1]. وهذا قولُ المبرد[2] ومَن تبعه، والسماعُ شاهدٌ له كقوله:

وقوفاً بها صَحْبي عليَّ مَطيَّهم يقولون لا تَهلِكْ أسًى وتجمَّلِ[3]

وقوله:

بمطَّردٍ لَدْنٍ صحاحٍ كعوبُه وذي رَوْنقٍ عَضْبٍ يقُدُّ القوانسا[4]

وقال الجمهور: الإفرادُ أولَى، والقياسُ معهم، وعليه قولُه:

ورجالٍ حَسَنٍ أوجهُهُم من إيادِ بنِ نِزارِ بنِ مَعَد[5]

وقيل: إنْ تَبعَ مفرداً فالإفرادُ أولَى كـ : رجلٍ قائمٍ غلمانُه، وإنْ تَبعَ جمعاً فالجمع أولَى كـ : رجالٍ قيامٍ غلمانُهم، وأما التثنيةُ والجمعُ السالم فعلى لغة: أكلوني البراغيثُ.

وجوِّز أن يكون في «خُشَّعاً» ضميرٌ مستتر، و«أبصارهم» بدلاً منه.

وقرأ ابن عباس وابن جبير ومجاهد والجحدري وأبو عمرو وحمزة والكسائي: «خاشعاً» بالإفراد[6].

وقرأ أبيّ وابن مسعود: «خاشعةً»[7].

---

(١) ينظر التسهيل ص ١٤٠، ونقله المصنف عنه بواسطة الشهاب في حاشيته ٨/ ١٣٢.

(٢) ينظر المقتضب ٤/ ١٥٥، ونقله المصنف عنه بواسطة الشهاب في حاشيته ٨/ ١٣٢.

(٣) البيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص ٩.

(٤) البيت لحسيل بن سُجَيح، كما في اللسان وتاج العروس (قنس)، وهو دون نسبة في البحر ٨/ ١٧٥.

(٥) البيت لأبي دؤاد الإيادي، وهو في ديوانه ص ٣٠٥، وسيرة ابن هشام ١/ ٧٤، ورسالة الملائكة ص ١٥٣، وتفسير القرطبي ٢٠/ ٧٨، والبحر المحيط ٨/ ١٧٥.

(٦) قراءة أبي عمرو وحمزة والكسائي في التيسير ص ٢٠٥، والنشر ٢/ ٣٨٠ وهي قراءة يعقوب وخلف من العشرة، وقراءة ابن عباس وابن جبير ومجاهد والجحدري في المحرر الوجيز ٥/ ٢١٣، والبحر المحيط ٨/ ١٧٥.

(٧) القراءات الشاذة ص ١٤٧، والبحر ٨/ ١٧٥.

وقرئ: «خُشَّعٌ»[1] على أنَّه خبرٌ مقدَّم، و«أبصارُهم» مبتدأٌ، والجملةُ في موضع الحال.

وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ حالٌ أيضاً، وتشبيهُهُم بالجراد المنتشر في الكثرة والتموُّج والانتشار في الأقطار، وجاء تشبيهُهُم بالفراش المبثوث، ولهم يومَ الخروج سهمٌ من الشَّبَه لكلٍّ، وقيل: يكونون أولاً كالفراش حين يموجون فزعين لا يهتدون أين يتوجَّهون؛ لأنَّ الفراش لا جهةَ لها تقصدها، ثم كالجراد المنتشر[2] إذا توجَّهوا إلى المحشر، فهما تشبيهان باعتبار وقتَين، وحُكي ذلك عن مكي بن أبي طالب[3].

﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ﴾ مُسرعين إليه؛ قاله أبو عبيدة[4]. وزاد بعضُهم: مادِّي أعناقهم، وآخر: مع هزٍّ ورَهَقٍ ومدٍّ بصر.

وقال عكرمة: فاتحين آذانَهم إلى الصوت.

وعن ابن عباس: ناظرين إليه لا تُقلِع أبصارُهم عنه، وأَنْشَدَ قولَ تبع:

تَعبَّدَني نِمْرُ بنُ سعدٍ وقد أرَى ونمرُ بنُ سَعْدٍ لي مُطيعٌ ومُهْطِعُ[5]

وفي روايةٍ أنَّه فسَّره بخاضعين وأنشد البيت.

وقيل: خافضين ما بين أعينهم.

وقال سفيان: شاخصةً أبصارهم إلى السماء.

وقيل: أصل الهَطْع مدُّ العنق، أو مدُّ البصر، ثم يُكنَى به عن الإسراع، أو عن النظر والتأمل، فلا تغفل.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢١٣، والبحر المحيط ٨/ ١٧٥.

(٢) في (م): كالجواد المحتسر.

(٣) مشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٩٨، وقوله: حكي، يعني به إعراب الجملة حالاً.

(٤) في مجاز القرآن ٢/ ٢٤٠.

(٥) أخرجه الطستي كما في الدر المنثور ٦/ ١٤٣، والبيت دون نسبة في الكشاف ٤/ ٣٧، واللسان (هطع)، وتفسير القرطبي ٢٠/ ٨٠، والبحر المحيط ٨/ ١٧٦.

﴿يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ صعبٌ شديدٌ؛ لِمَا يشاهدون من مخايل هوله، وما يرتقبون من سوء منقلبهم فيه، وفي إسناد القولِ المذكور إلى الكفار تلويحٌ بأنَّه على المؤمنين ليس كذلك.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ شروعٌ في تعداد بعضِ ما ذُكِرَ من الأنباء الموجبةِ للازدجار، ونوعُ تفصيلٍ لها وبيانٍ لعدمِ تأثُّرهم بها تقريراً لفحوى قوله تعالى: (فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ) والفعلُ منزلٌ منزلةَ اللازم، أي: فعلَت التكذيبَ قبلَ تكذيبِ قومِك قومُ نوح. وقوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا﴾ تفسيرٌ لذلك التكذيب المبهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ﴾ [هود: ٤٥] إلخ، وفيه مزيدُ تحقيقٍ وتقريرٍ للتكذيب.

وجوِّز أن يكون المعنى: كذَّبوا تكذيباً إثْرَ تكذيبٍ، كلَّما خلا منهم قرنٌ مكذِّبٌ جاءَ عَقيبَه قرنٌ آخرُ مكذِّبٌ مثله، أو: كذبت قومُ نوحٍ الرسلَ فكذَّبوا عبدنا، أي: لمَّا كانوا مكذِّبين للرسل جاحدين للنبوة رأساً، كذَّبوا نوحاً لأنَّه من جملة الرسل، والفاء عليه سببية.

وقيل: معنى «كذَّبت»: قصَدَت التكذيبَ وابتَدَأَتْه، ومعنى «فكذبوا»: أتمُّوه وبلغُوا نهايتَه، كما قيل في قوله:

قــد جَـبَـرَ الـديـنَ الإلـهُ فَـجَـبَـرْ(١)

وفي ذِكْره عليه السلام بعنوان العبوديةِ مع الإضافة إلى نون العظمة تفخيمٌ له عليه السلام ورفعٌ لمحله وتشنيعٌ لمكذِّبيه.

﴿وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ﴾ أي: لم يقتصروا على مجرَّد التكذيب بل نسبوه إلى الجنون، فقالوا: هو مجنون.

﴿وَٱزْدُجِرَ﴾ عطف على «قالوا»، وهو إخبارٌ منه عز وجل، أي: وزُجِرَ عن

(١) الرجز للعجاج، وهو في ديوانه ص٦٣، وأدب الكاتب ص ٤٥٤، وطبقات فحول الشعراء ٢/ ٧٥٤، والشعر والشعراء ٢/ ٦٠٣، وخزانة الأدب ٤/ ٥٤. وبعده:

وعــوَّر الـرحـمــنُ مَـن وَلَّـى الـعَـوَرْ

التبليغ بأنواع الأذيَّةِ والتخويف، قاله ابن زيد وقرأ: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ﴾ [الشعراء: ١١٦].

وقال مجاهد: هو مِن تمام قولهم، أي: هو مجنون، وقد ازدجَرَتهُ الجنُّ وذهبَت بلُبِّه وتخبَّطَتْهُ. والأول أظهرُ وأبلغُ.

وجُعل مبنيّاً للمفعول لغرض الفاصلة، وطهَّر الألسنةَ عن ذكرهم دلالةً على أنَّ فعلَهم أسوأُ من قولهم.

﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى﴾ أي: بأنِّي. وقرأ ابن أبي إسحاق وعيسى والأعمش وزيد بن علي ورُويت عن عاصم: «إني» بكسر الهمزة[1] على إضمارِ القولِ عند البصريين، وعلى إجراء الدعاءِ مجرى القولِ عند الكوفيين.

﴿مَغْلُوبٌ﴾ من جهة قومي، ما لي قدرةٌ على الانتقام منهم.

﴿فَٱنتَصِرْ﴾ فانتقِمْ لي منهم، وقيل: فانتصر لنفسك إذ كذَّبوا رسولَك. وقيل: المرادُ بـ «مغلوبٌ»: غلبتني نفسي حتى دعوتُ عليهم بالهلاك. وهو خلافُ الظاهر، وما دعا عليه السلام عليهم إلا بعد اليأس من إيمانهم. والتأكيدُ لمزيد الاعتناءِ بأمر الترحُّم المقصودِ من الإخبار.

﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾﴾ أي: منصبٌّ. وقيل: كثير؛ قال الشاعر:

أعينايَ جُودا بالدموعِ الهوامرِ ... على خيرِ بادٍ مِن مَعَدٍّ وحاضرِ[2]

والباء للآلة، مثلُها في: فتحتُ البابَ بالمفتاح، وجوِّز أن تكون للملابسة، والأول أبلغُ، وفي الكلام استعارةٌ تمثيليةٌ بتشبيه تدفُّق المطر من السحاب بانصباب أنهارٍ انفتَحَت بها أبوابُ السماء وانشقَّ أديمُ الخضراء، وهو الذي ذهب إليه الجمهور.

وذهب قومٌ إلى أنَّه على حقيقته، وهو ظاهرُ كلامِ ابنِ عباس، أخرج ابن المنذر

---

(١) القراءات الشاذة ص ١٤٧، وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٨٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٢١٤، والبحر المحيط ٨/ ١٧٦، وهي خلاف المشهور عن عاصم.

(٢) النكت والعيون ٥/ ٤١٢، وتفسير القرطبي ٢٠/ ٨١، والبحر المحيط ٨/ ١٧٧.

وابن أبي حاتم عنه أنَّه قال: لم تمطر السماءُ قبل ذلك اليوم ولا بعدَه إلا من السحاب، وفتِّحَت أبوابُ السماء بالماء من غير سحابٍ ذلك اليوم، فالتقى الماءان[١]. وفي رواية: لم تُقلِع أربعينَ يوماً[٢].

وعن النقاش: أنَّه أُريدَ بالأبواب المَجَرَّة، وهي شَرَج السماء كشَرَج العَيْبَة[٣]، والمعروفُ من الأرصاد أنَّ المَجَرَّةَ كواكبُ صغارٌ متقاربةٌ جدّاً، والله تعالى أعلم.

ومن العجيب أنَّهم كانوا يطلبون المطرَ سنينَ فأهلكَهم الله تعالى بمطلوبهم.

وقرأ ابن عامر وأبو جعفر والأعرج ويعقوب: «ففتَّحنا» بالتشديد[٤] لكثرة الأبواب، والظاهر أنَّ جمع القِلَّة هنا للكثرة.

﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾ وجعلنا الأرض كلَّها كأنَّها عيونٌ متفجِّرةٌ، وأصلُه: فجَّرنا عيونَ الأرض، فغيِّر إلى التمييز للمبالغة بجعل الأرض كلِّها متفجِّرةً مع الإبهام والتفسير، فالتمييزُ محوَّلٌ عن المفعول.

وجعَلَه بعضُهم محوَّلاً عن الفاعل بناءً على أنَّه الأكثرُ، والأصل: انفجَرَت عيونُ الأرض، وتحويلُه كما يكون عن فاعلِ الفعلِ المذكور يكونُ عن فاعل فعلٍ آخرَ يلاقيه في الاشتقاق، وهذا منه. وهو تكلُّفٌ لا حاجةَ إليه.

ومنع بعضُهم مجيءَ التمييز من المفعول، فأعرب «عيوناً» حالاً مقدَّرة، وجوّز عليه أن يكون مفعولاً ثانياً لـ «فجَّرْنا» على تضمينه ما يتعدَّى إليه، أي: صيَّرنا بالتفجير الأرض عيوناً. وكان ذلك على ما في بعض الروايات أربعينَ يوماً.

وقرأ عبد الله وأصحابه وأبو حيوة والمفضل عن عاصم: «فَجَرْنا» بالتخفيف[٥].

---

(١) عزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٣٤.

(٢) البحر المحيط ٨/ ١٧٧.

(٣) الشَّرَج: عُرى العَيْبة والخِباء ونحو ذلك. والعَيْبَة: وعاء من أدم ونحوه يكون فيه المتاع. المعجم الوسيط (شرج) و(عيب).

(٤) قراءة ابن عامر وأبي جعفر ويعقوب في التيسير ص ١٠٢، والنشر ٢/ ٢٥٨، وقراءة الأعرج في المحرر الوجيز ٥/ ٢١٤، والبحر المحيط ٨/ ١٧٧.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٢١٤، والبحر المحيط ٨/ ١٧٧.

﴿فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ﴾ أي: ماءُ السماء وماءُ الأرض، والإفراد لتحقيق أنَّ التقاءَ الماءَين لم يكن بطريق المجاورة، بل بطريق الاختلاطِ والاتحاد.

وقرأ عليٌّ كرم الله تعالى وجهه والحسن ومحمد بن كعب والجحدري: «الماءان»(١) والتثنية لقصد بيان اختلافِ النوعَين، وإلا فالماء شاملٌ لماء السماء وماء الأرض، ونحوُه قولُه:

لنا إبلان فيهما ما علمتمُ فعن أيِّها ما شئتمُ فتنكَّبوا(٢)

وقيل: فيها إشارةٌ إلى أنَّ ماء الأرض فارَ بقوةٍ وارتفَعَ حتى لاقَى ماء السماء، وفي ذلك مبالغةٌ لا تُفهَم من الإفراد.

وقرأ الحسن أيضاً: «الماوان» بقلب الهمزة واواً(٣)، كقولهم: علباوان، كما قال الزمخشري(٤)، ولم يُرِدْ أنَّه نظيرُه، بل أراد: كما أنَّ هنالك إبدالاً بعلَّةِ أنَّها غيرُ أصلية لأنَّها زائدةٌ للإلحاق كذلك هاهنا لأنَّها مبدَلةٌ، والبدلُ وإن كان من الهاء لكنَّها أُجريَت مجرى البدلِ عن الواو فقيل في النسبة فيه: ماوي، وجاء في جمعه أمواء، كما جاء: أمواه، ولا يبعدُ أنْ يكونَ مَن ثنَّاه بالواو قاسَه على النسبة، كذا في «الكشف».

وعنه أيضاً: «المايان» بقلب الهمزة ياءً(٥).

﴿عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ﴾ أي: كائناً على حالٍ قد قدَّرها الله تعالى في الأزل من غير تفاوت. أو على حال قُدِّرَت وسوِّيَت، وهي أنَّ ما نزل على قَدْرِ ما خرج. وقيل:

---

(١) القراءات الشاذة ص ١٤٧، والمحرر الوجيز ٥/ ٢١٤، والبحر المحيط ٨/ ١٧٧.

(٢) الكشاف ٤/ ٣٧، واللسان (نكب)، وخزانة الأدب الشاهد السادس والسبعون بعد الخمس مئة. ولم يذكر الزمخشري عجزه، وأما صدره فقد وقع في شعرين، الأول هو هذا، والثاني مطلع قصيدة لعوف بن عطية بن الخَرِع التيمي كما في الأصمعيات ص ١٦٧، ورواية العجز فيه: فأدُّوهما إن شئتم أن نُسالما. وينظر تفصيل الكلام عليه في الخزانة.

(٣) القراءات الشاذة ص ١٤٧، والمحرر الوجيز ٥/ ٢١٤، والكشاف ٤/ ٣٧، والبحر المحيط ٨/ ١٧٧.

(٤) الكشاف ٤/ ٣٧.

(٥) القراءات الشاذة ص ١٤٧، والبحر المحيط ٨/ ١٧٧.

إنَّ ماء الأرض علا سبعةَ عشر ذراعاً ونزل ماء السماء مُكَمِّلاً أربعين. وقيل: ماءُ الأرض كان أكثرَ وله مقدارٌ معيَّنٌ عند الله عز وجل.

أو على أمر قدَّره الله تعالى وكتبه في اللوح المحفوظ، وهو هلاكُ قومِ نوحٍ بالطوفان، ورجَّحه أبو حيان بأنَّ كلَّ قصة ذُكرَت بعدُ ذَكرَ الله تعالى فيها هلاكَ المكذِّبين، فيكون هذا كنايةً عن هلاك هؤلاء[1]، و«على» عليه للتعليل، ويحتمل تعلُّقها بـ «التقى»، وفيه ردٌّ على أهل الأحكام النجومية، حيث زعموا أنَّ الطوفانَ لاجتماع الكواكبِ السبعة ـ ما عدا الزهرة ـ في برجٍ مائي.

وقرأ أبو حيوة وابن مقسم: «قدِّر» بتشديد الدال[2].

﴿وَحَمَلْنَٰهُ﴾ أي: نوحاً عليه السلام ﴿عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ﴾ أخشاب عريضة ﴿وَدُسُرٍ﴾ أي: مسامير كما قاله الجمهور وابن عباس في رواية ابن جرير وابن المنذر[3]، جمع دِسَار ككِتَاب وكُتُب، وقيل: «دَسْر» كسَقْف وسُقُف، وأصل الدَّسْر الدفعُ الشديد بقَهْرٍ، فسُمِّي به المسمار لأنَّه يُدَقُّ فيُدفَع بشدة.

وقيل: حبالٌ من ليفٍ تُشدُّ بها السُّفنُ.

وقال الليث: خيوطٌ تُشدُّ بها ألواحها.

وأخرج عبد بن حميد عن عكرمة والحسن أنَّها مقاديمُ السفينة وصدرُها الذي تضربُ به الموجَ وتدفعه[4]. وروي عن ابن عباس نحوُه.

وأَخْرَجَ عن مجاهد أنَّها عوارضُ السفينة[5]، أي: الخشبات التي تعرض في وسطها. وفي رواية عنه: هي أضلاعُ السفينة.

وأيًّا ما كان فقوله تعالى: (ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ) من الصفات التي تقومُ مقامَ

---

(١) البحر المحيط ٨/ ١٧٧.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢١٤، والبحر المحيط ٨/ ١٧٧، والدر المصون ١٠/ ١٣٣.

(٣) تفسير الطبري ٢٢/ ١٢٤، وعزاه لابن المنذر السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٣٥.

(٤) عزاهما لعبد بن حميد السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٣٥.

(٥) عزاه لعبد بن حميد السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٣٥.

الموصوفات على سبيل الكناية، كقولهم: حيٌّ مستوي القامة عريضُ الأظفار، في الكناية عن الإنسان، وهو من فصيح الكلام وبديعه. ونظيرُ الآية قول الشاعر:

مفرشي صهوةُ الحصانِ ولكن قميصي مسرودةٌ من حديدِ[(١)]

فإنَّه أراد: قميصي درعٌ. وقوله يصف هزال الإبل:

ترى آلَها في عينِ كلِّ مقابلٍ ولو في عيونِ النازيات بأكرُعِ[(٢)]

فإنَّه أراد: في عيون الجراد، لأنَّ النزْوَ بالأكرع يختصُّ بها، وأما كونُه على حذف الموصوف لدلالة الصفة عليه ـ على ما في «المفصل» وغيرِه ـ فكلامُ نحويٌّ.

﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ بمرأى منَّا، وكنَى به عن الحفظ، أي: تجري في ذلك الماء بحفظنا وكِلاءتنا.

وقيل: بأوليائنا، يعني نوحاً عليه السلام ومَن آمن معه؛ يقال: مات عينٌ من عيون الله تعالى، أي: وليٌّ مِن أوليائه سبحانه.

وقيل: بأعين الماء التي فجَّرناها.

وقيل: بالحَفَظَة من الملائكة عليهم السلام، سمَّاهم أَعْيُناً وأضافهم إليه جل شأنه. والأول أظهرُ.

وقرأ زيد بن علي وأبو السمال: «بأعينَّا» بالإدغام[(٣)].

﴿جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ أي: فعلنا ذلك جزاءً لنوح عليه السلام، فإنَّه كان نعمةً أنعمَها الله تعالى على قومه فكفروها، وكذا كلُّ نبيٍّ نعمةٌ من الله تعالى على أمَّته،

---

(١) البيت للمتنبي، وهو في ديوانه ٢/ ٤٤.
(٢) البيت لأبي العلاء كما في شروح سقط الزند ٤/ ١٥٣٤، وعجزه في الكشاف ٤/ ٣٨، والدر المصون ١٠/ ١٣٤. ووقع في الأصل و(م): في كل عين مقابل، والمثبت من شروح سقط الزند، وجاء في شروحه: الآل: الشخص. والنازيات: الجراد؛ لأنها تنزو، أي: تثب، بأكرع: بسوقٍ دقيقةٍ. وهذا في صفة الناقة بحدَّة البصر، يقول: لحدَّة أبصارها ترى أشخاصها في عين كل حيوان يقابلها، حتى في عيون الجراد.
(٣) القراءات الشاذة ص ١٤٧، والمحرر الوجيز ٥/ ٢١٥، والبحر المحيط ٨/ ١٧٨.

وجوِّز أنْ يكونَ على حذف الجارِّ وإيصالِ الفعلِ إلى الضمير، واستتارِه في الفعل بعد انقلابه مرفوعاً، أي: لمن كُفِرَ به، وهو نوحٌ عليه السلام أيضاً، أي: جُحِدَت نبوته، فالكفر عليه ضدُّ الإيمان، وعلى الأول كفرانُ النعمة.

وعن ابن عباس ومجاهد: «مَن» يُراد به الله تعالى، كأنَّه قيل: غضباً وانتصاراً لله عز وجل. وهو كما ترى.

وقرأ مسلمة بن محارب: «كُفْر» بإسكان الفاء[1] خفّف فُعِلَ كما في قوله:

لو عُصْرَ منه البانُ والمسكُ انعصَرْ[2]

وقرأ يزيد بن رومان وقتادة وعيسى: «كَفَرَ» مبنيّاً للفاعل[3]، فـ «مَن» يُراد بها قومُ نوح عليه السلام لا غير، وفي هذه القراءة دليلٌ على وقوع الماضي بغير «قد» خبراً لـ «كان» وهو مذهب البصريين، وغيرهم يقول: لا بدَّ مِن وقوع «قد» ظاهرةً أو مقدَّرةً. وجوِّز أنْ تكونَ «كان» زائدةً كأنَّه قيل: جزاءً لمن كَفَرَ ولم يُؤمن.

﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ﴾ أي: أبقينا السفينةَ ﴿ءَايَةً﴾ بناءً على ما روي عن قتادة والنقاش أنَّه بقي خشبُها على الجوديِّ حتى رآه بعضُ أوائلِ هذه الأمة، أو أبقينا خبرَها، أو أبقينا جنسَها وذلك بإبقاء السفن، أو «تَركنا» بمعنى جعلنا. وجوِّز كون الضمير للفعلة، وهي إنجاءُ نوح عليه السلام ومَن معه وإغراق الكافرين.

﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ أي: مُعتَبر بتلك الآية الحرِيَّة بالاعتبار. وقرأ قتادة على ما نقل ابنُ عطية: «مُذَّكر» بالذال المعجمة[4] على قلب تاء الافتعال ذالاً وإدغامِ الذال في الذال، وقال صاحب «اللوامح»: قرأ قتادة: «فهل من مُذَكِّر» بتشديد الكاف[5] من التذكير، أي: مَن يُذكِّر نفسَه أو غيرَه بها؟

---

(١) القراءات الشاذة ص ١٤٧، والبحر المحيط ٨/ ١٧٨.
(٢) الرجز لأبي النجم وهو في ديوانه ص ١٠٣، والكتاب ٤/ ١١٤، وأدب الكاتب ص ٥٣٨، وإصلاح المنطق ص ٤٢.
(٣) القراءات الشاذة ص ١٤٧، والمحتسب ٢/ ٢٩٨، والبحر المحيط ٨/ ١٧٨.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢١٥، وهي في القراءات الشاذة ص ١٤٨، والبحر المحيط ٨/ ١٧٨.
(٥) البحر المحيط ٨/ ١٧٨.

وقرئ: «مُذْتكر» بذال معجمة بعدها تاء الافتعال[١] كما هو الأصل.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ١٦﴾ استفهامُ تعظيمٍ وتعجيب، أي: كانا على كيفيةٍ هائلةٍ لا يحيط بها الوصفُ، و«النُّذُر» مصدرٌ كالإنذار، وقيل: جمع نذيرٍ بمعنى الإنذار، وجعَلَه بعضُهم بمعنى المنذَر منه، وليس بشيء، وكذا جَعْلُه بمعنى المنذر. و«كان» يحتملُ أن تكونَ ناقصةً ف «كيف» في موضع الخبر، وتامةً ف «كيف» في موضع الحال.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ﴾ إلخ جملة قَسَمِية ورَدَت في آخر القصص الأربع تقريراً لمضمون ما سبق مِن قوله تعالى: (وَلَقَدْ جَآءَهُم) إلخ، وتنبيهاً على أنَّ كلَّ قصةٍ منها مستقلةٌ بإيجاب الادِّكار كافية في الازدجار، ومع ذلك لم يحصل فيها اعتبار، أي: وبالله لقد سهَّلنا القرآنَ لقومك بأنْ أنزلناه على لغتهم، وشحنَّاه بأنواع المواعظ والعبر، وصرَّفنا فيه من الوعيد والوعد. ﴿لِلذِّكْرِ﴾ أي: للتذكُّر والاتِّعاظ ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ إنكارٌ ونَفْيٌ للمتَّعظ على أبلغ وجهٍ وآكده، يدلُّ على أنَّه لا يقدِرُ أحدٌ أنْ يُجيبَ المستفهمَ بـ: نَعَم.

وقيل: المعنى: سهَّلنا القرآن للحفظ لِمَا اشتمل عليه من حُسنِ النظمِ، وسلاسَةِ اللفظ، وشَرَف المعاني وصحتها، وعروِّه عن الوحشي ونحوه، فله تعلُّقٌ بالقلوب وحلاوةٌ في السمع، فهل مِن طالبٍ لحفظه لِيُعَان عليه؟ ومن هنا قال ابن جبير: لم يُستَظهرَ شيءٌ من الكتب الإلهية غير القرآن.

وأخرج ابن المنذر وجماعة عن مجاهد أنَّه قال: «يسرنا القرآن» هوَّنَّا قراءته[٢].

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس: لولا أنَّ الله تعالى يسَّره على لسانِ الآدميين ما استطاعَ أحدٌ من الخلق أنْ يتكلَّم بكلام الله تعالى[٣]. وأخرج الديلمي عن أنس مرفوعاً مثله[٤].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) عزاه لابن المنذر السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٣٥. وأخرجه الطبري ٢٢/ ١٣٠-١٣١، والبيهقي في الأسماء والصفات (٥٧٣).

(٣) عزاه لابن أبي حاتم السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٣٥، وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٥٧٢).

(٤) الفردوس بمأثور الخطاب (٨١٢٢).

وأخرج ابن المنذر عن ابن سيرين أنَّه مرَّ برجلٍ يقول: سورةٌ خفيفة، فقال: لا تقل ذلك، ولكن قل: سورةٌ يسيرةٌ؛ لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾[1].

والمعنى الذي ذُكرَ أولاً أنسب بالمقام، ولعل خبرَ أنس إنْ صحَّ ليس تفسيراً للآية.

وجوِّز تفسيرُ «يسَّرنا» بـ: هيَّأنا، من قولهم: يسَّر ناقتَه للسفر: إذا رحَلَها[2]، ويسَّر فرسَه للغزو: إذا أسرَجَه وألجمه؛ قال الشاعر:

وقُمتُ إليه باللِّجام مُيَسِّراً هنالك يَجزيني الذي كنتُ أَصنَعُ[3]

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾ شروعٌ في قصة أخرى، ولم تُعطَف وكذا ما بعدَها من القصص إشارةً إلى أنَّ كلَّ قصةٍ مستقلَّةٌ في القَصْدِ والاتِّعاظ، ولمَّا لم يكن لقوم نوح اسمُ عَلَمٍ ذُكِروا بعنوان الإضافة، ولمَّا كان لقوم هود عَلَمٌ وهو «عاد» ذكروا به؛ لأنَّه أبلغُ في التعريف، والمرادُ: كذبت عادٌ هوداً عليه السلام، ولم يتعرَّض لكيفية تكذيبهم له عليه السلام رَوْماً للاختصار، ومسارعةً إلى بيان ما فيه الازدجار من العذاب.

وقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ لتوجيه قلوبِ السامعين نحو الإصغاء إلى ما يُلقَى إليهم قبل ذكره، لا لتهويله وتعظيمه وتَعجيبهم من حاله بعد بيانه كما قبلَه وما بعدَه، كأنَّه قيل: كذَّبت عادٌ فهل سمعتم، أو: فاسمعوا كيف عذابي وإنذاري لهم.

وقيل: هو للتهويل أيضاً؛ لغرابة ما عُذِّبوا به من الريح، وانفرادهم[4] بهذا النوعِ من العذاب. وفيه بحث.

---

(١) عزاه لابن المنذر السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٣٥.
(٢) أي: حطَّ عليها الرَّحْلَ. القاموس (رحل).
(٣) البيت للأعرج عدي بن عمرو الطائي كما في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١/ ٣٥١، وهو دون نسبة في الكشاف ٤/ ٣٨، وتفسير القرطبي ٢٠/ ٨٥، والبحر المحيط ٨/ ١٧٨.
(٤) في (م): وانفراده.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ استئنافٌ لبيان ما أُجمل أولاً، والصَّرْصَرُ: الباردةُ على ما روي عن ابن عباس وقتادة والضحاك. وقيل: شديدةُ الصوت. وتمامُ الكلام قد مرَّ في «فصلت»(١).

﴿فِى يَوْمِ نَحْسٍ﴾ شؤمٍ عليهم ﴿مُّسْتَمِرٍّ﴾ ذلك الشؤم؛ لأنَّهم بعد أنْ أُهلِكوا لم يزالوا معذَّبين في البرزخ حتى يدخلوا جهنَّم يوم القيامة، والمرادُ باليوم مطلقُ الزمان؛ لقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ [فصلت: ١٦]، وقوله تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ [الحاقة: ٧]. والمشهورُ أنَّه يوم الأربعاء وكان آخرَ شوال، على معنى أنَّ ابتداءَ إرسال الريح كان فيه، فلا يُنافي آيتَي «فصلت» و«الحاقة».

وجوِّز كونُ «مستمر» صفةَ «يوم»، أي: في يوم استمرَّ عليهم حتى أهلكهم، أو شمل كبيرَهم وصغيرَهم حتى لم يُبقِ(٢) منهم نسمةً، على أنَّ الاستمرار بحسب الزمان أو بحسب الأشخاص والأفراد، لكن على الأولِ لا بدَّ من تجوُّزٍ بإرادة استمرارِ نَحْسِه، أو بجعل اليوم بمعنى مطلقِ الزمان، لأنَّ اليوم الواحد لم يستمرَّ، فتدبر.

وجوِّز كون «مستمر» بمعنى محكم، وكونُه بمعنى شديد المرارة، وهو مجازٌ عن بشاعته وشدَّةِ هوله، إذ لا طعمَ له. وجوِّز كونه بدلاً، أو عطف بيان، وهو كما ترى.

وقرأ الحسن: «يومٍ نَحِسٍ» بتنوين «يوم» وكسر حاء «نحس»(٣)، وجعله صفةً لـ «يوم»، فيتعيَّن كون «مستمر» صفةً ثانيةً له.

وأيَّد بعضُهم بالآية ما أخرجه وكيع في «الغرر» وابن مردويه والخطيب البغدادي عن ابن عباس مرفوعاً: «آخرُ أربعاء في الشهر يومُ نحسٍ مستمرٌّ»(٤) وأخذ بذلك

---

(١) آية (١٦) منها.

(٢) في (م): تبق.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٢١٦، والبحر المحيط ٨/ ١٧٩.

(٤) تاريخ بغداد ١٤/ ٤٠٥، وعزاه لوكيع وابن مردويه السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٣٥، وأخرجه أيضاً ابن الجوزي في الموضوعات ٣/ ٤٦ (٧١٧).

كثيرٌ من الناس فتَطَيَّروا منه وتركوا السَّعْيَ لمصالحهم فيه، ويقولون له: أربعاءُ لا تدور، وعليه قوله:

لـقـاؤكَ لـلـمـبـكِّـر فـألُ سـوءٍ ووجـهُـك أربـعـاءُ لا تـدورُ[١]

وذلك مما لا ينبغي، والحديثُ المذكور في سنده: مَسْلَمة بن الصلت، قال أبو حاتم: متروك[٢]. وجزم ابن الجوزي بوضعه[٣]. وقال ابنُ رجب: حديثٌ لا يصحُّ ورفعُه غير متفق عليه، فقد رواه الطُّيُوري من طريق آخر موقوفاً على ابن عباس. وقال السخاوي: طرقُه كلُّها واهيةٌ[٤].

وضعَّفوا أيضاً خبر الطبراني: «يوم الأربعاء يوم نحس مستمر»[٥]. والآية قد علمتَ معناها.

وجاء في الأخبار والآثار ما يُشعرُ بمدحه، ففي «منهاج» الحليمي، و«شعب» البيهقي: أنَّ الدعاء يُستجابُ يوم الأربعاء بُعيدَ الزوال[٦].

وذكر برهان الإسلام في «تعليم المتعلم» عن صاحب «الهداية»: أنَّه ما بُدِئَ شيءٌ يومَ الأربعاء إلا وتَمَّ، وهو يوم خلقَ الله تعالى فيه النورَ، فلذلك كان جمعٌ من

---

(١) البيت لمحمد بن حازم الباهلي كما في محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني ١/ ٦٦٣، وهو دون نسبة في ثمار القلوب ١/ ٦٥٠، وحاشية الشهاب ٨/ ١٢٤، وجاء في ثمار القلوب: يوم، بدل: فأل.

(٢) الجرح والتعديل ٨/ ٢٦٩، والموضوعات ٣/ ٤٨.

(٣) الموضوعات ٣/ ٤٦-٤٨.

(٤) المقاصد الحسنة ص ٤٨٠.

(٥) المعجم الأوسط (٧٩٧) عن جابر ﷺ، وضعفه المناوي في فيض القدير ١/ ٤٧ وما سينقله المصنف من أقوال منه.

(٦) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي ١/ ٥٣٦، وشعب الإيمان للبيهقي ٢/ ٤٦، والكلام من فيض القدير ١/ ٤٦، وأخرج أحمد (١٤٥٦٣) من حديث جابر ﷺ: أن النبي ﷺ دعا في مسجد الفتح ثلاثاً يوم الإثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء، فاستجيب له يوم الأربعاء بين الصلاتين، فعُرِفَ البشرُ في وجهه. قال جابر: فلم ينزل بي أمرٌ مهمٌّ غليظ إلا توخيت تلك الساعة فأدعوا بها فأعرف الإجابة. وإسناده ضعيف، وينظر الكلام عليه في حاشية المسند.

المشايخ يتحرَّون ابتداءَ الجلوس للتدريس فيه[١].

واستحبَّ بعضُهم غرسَ الأشجار فيه لخبر ابن حبان والديلمي عن جابر مرفوعاً: «مَن غرسَ الأشجار يومَ الأربعاء وقال: سبحانَ الباعثِ الوارثِ آتته أُكُلَها»[٢].

نعم جاءت أخبارٌ وآثار تُشعر بخلاف ذلك، ففي «الفردوس» عن عائشة مرفوعاً: «لولا أنْ تكره أمتي لأمرتُها أنْ لا يسافروا يومَ الأربعاء، وأَحبُّ الأيامِ إليَّ الشخوص فيها يوم الخميس»[٣] وهو غيرُ معلوم الصحة عندي.

وأخرج أبو يعلى عن ابن عباس، وابنُ عدي وتمامٌ في «فوائده» عن أبي سعيد مرفوعاً: «يومُ السبتِ يومُ مكرٍ وخديعة، ويوم الأحد يومُ غَرْسٍ وبناء، ويومُ الاثنين يومُ سَفَر وطلب رزق، ويومُ الثلاثاء يومُ حديدٍ وبأس، ويومُ الأربعاء لا أخذٌ ولا عطاء، ويوم الخميس يومُ طلب الحوائج والدخول على السلطان، والجمعةُ يومُ خطبة ونكاح»[٤]، وتعقَّبه السخاويُّ بأنَّ سنده ضعيف[٥].

وروى ابن ماجه عن ابن عمر مرفوعاً، وخرَّجه الحاكم من طريقَين آخرَين: «لا يبدو جذام ولا برص إلا يوم الأربعاء»[٦].

---

(١) فيض القدير ١/ ٤٦، وحديث خَلْقِ الله النورَ يوم الأربعاء أخرجه مسلم (٢٧٨٩) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) المجروحين لابن حبان ٢/ ١٩٠، والفردوس ٣/ ٤٧٨، وفي إسناده العباس بن الوليد بن بكار الضبي؛ قال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به بحال. وقال الدارقطني: كذاب. المجروحين ٢/ ١٩٠، والميزان ٢/ ٣٨٢.

(٣) لم نقف عليه في الفردوس، ونقله المصنف من فيض القدير ١/ ٤٦.

(٤) مسند أبي يعلى (٢٦١٢) موقوفاً، وفوائد تمام (٧٨١ - الروض البسام)، وعزاه لابن عدي المناوي في فيض القدير ١/ ٤٦. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٤/ ٢٨٥ عن حديث ابن عباس: فيه يحيى بن العلاء وهو متروك. وحديث أبي سعيد فيه سلام بن سليمان، قال عنه أبو حاتم كما في الميزان ٢/ ١٧٨: ليس بالقوي. وقال ابن عدي في الكامل ٣/ ١١٥٦: وهو عندي منكر الحديث. وضعفه ابن عراق في تنزيه الشريعة ٢/ ٥٤.

(٥) المقاصد الحسنة ص ٤٨٠، والكلام من فيض القدير ١/ ٤٦.

(٦) سنن ابن ماجه (٣٤٨٧) و(٣٤٨٨)، والمستدرك ٤/ ٢١١. وذكره ابن الجوزي في

وفي بعض الآثار النهيُ عن قصِّ الأظفار يومَ الأربعاء، وأنَّه يورث البرصَ. وكرِه بعضُهم عيادةَ المرضَى فيه، وعليه قيل:

لـم يُـؤتَ فـي الأربـعـا مـريـضٌ إلا دفـنَّـاه فـي الـخـمـيـسِ[١]

وحُكي عن بعضِهم أنَّه قال لأخيه: اخْرُجْ معي في حاجة. فقال: هو الأربعاء. قال: فيه وُلِدَ يُونس. قال: لا جَرَم قد بانَت له بركتُه في اتِّساع موضعِه وحُسن كسوته حتى خلَّصَه الله تعالى. قال: وفيه وُلد يوسف عليه السلام. قال: فما أحسن ما فعل إخوتُه حتى طالَ حبسُه وغربته. قال: وفيه نُصر المصطفَى ﷺ يومَ الأحزاب. قال: أجل لكنْ بعد أنْ زاغَت الأبصارُ، وبلغت القلوبُ الحناجر.

ونقل المناوي[٢] عن «البحر» أنَّ إخباره عليه الصلاة والسلام عن نحوسة آخر أربعاء في الشهر [ليس] من باب التطيُّرِ ضرورةَ أنَّه[٣] ليس من الدِّين، بل فعل الجاهلية، ولا مبنيٌّ على قول المنجِّمين أنَّه يوم عطارد، وهو نحسٌ مع النحوس، سعدٌ مع السعود، فإنَّه قولٌ باطل.

ويجوزُ أنْ يكونَ من باب التخويف والتحذير، أي: احذرُوا ذلك اليومَ لِمَا نزل فيه من العذاب وكان فيه من الهلاك، وجدِّدوا فيه لله تعالى توبةً خوفاً أنْ يلحقَكم فيه بؤسٌ كما وقع لمن قبلكم[٤]، وهذا كما قال حين أتى الحِجْر: «لا تدخُلُوا على هؤلاء المعذَّبينَ إلا أنْ تكونوا باكين»[٥]، إلى غير ذلك.

وحكي أيضاً عن بعضهم أنَّه قال: التطيُّر مكروه كراهةً شرعيةً، إلا أنْ الشرع أباحَ لمن أصابَه في آخِرِ أربعاءَ شيءٌ في مصالحه أنْ يَدَعَ التصرف فيه، لا على جهة

---

= الموضوعات ٣/ ٤٦ مع غيره من أحاديث ذمِّ الأربعاء، وقال: هذه الأحاديث لا تصح عن رسول الله ﷺ.

(١) فيض القدير ١/ ٤٦، وكشف الخفاء ١/ ١٣.

(٢) في فيض القدير ١/ ٤٥ بنحوه، وما سيأتي بين حاصرتين منه.

(٣) أي: التطيُّر.

(٤) في (م): قبلهم.

(٥) أخرجه أحمد (٥٢٢٥)، والبخاري (٤٣٣)، ومسلم (٢٩٨٠) من حديث ابن عمر ﭫ.

التطيُّر واعتقادِ أنَّه يضرُّ أو ينفع بغير إذن الله تعالى بل على جهة اعتقادِ إباحة الإمساك فيه لِمَا كرهَته النفس لا اقتفاءً للتطير ولكن إثباتاً للرخصة في التوقِّي فيه لمن يشاء، مع وجوب اعتقادِ أنَّ شيئاً لا يضرُّ شيئاً.

ونَقَل عن الحليمي أنَّه قال: عَلِمنا ببيان الشريعةِ أنَّ مِن الأيام نحساً، ويقابلُ النحسَ السعدُ، وإذا ثبتَ الأولُ ثبتَ الثاني أيضاً، فالأيامُ منها نحسٌ ومنها سعدٌ، كالأشخاص منهم شقيٌّ ومنهم سعيد، لكنَّ زَعْمَ أنَّ الأيامَ والكواكبَ تَنحسُ أو تُسعِدُ باختيارها أوقاتاً وأشخاصاً باطلٌ، والقولُ إنَّ الكواكب قد تكون أسباباً للحَسَن والقبيح والخير والشر، والكلُّ فعلُ الله تعالى وحدَه، مما لا بأسَ به.

ثم قال المناوي: والحاصل أنَّ توقِّي الأربعاء على جهة الطِّيَرَة وظنِّ اعتقادِ المنجِّمين حرامٌ شديدُ التحريم، إذ الأيامُ كلُّها لله تعالى، لا تنفعُ ولا تضرُّ بذاتها، وبدون ذلك لا ضيرَ ولا محذورَ فيه؛ ومَن تطيَّر حاقَت به نحوستُه، ومَن أيقنَ بأنَّه لا يضرُّ ولا ينفعُ إلا الله عز وجل لم يؤثِّر فيه شيءٌ من ذلك كما قيل:

تَعَلَّم أنَّه لا طيرَ إلا على مُتطيِّرٍ وهو الثُّبُور[1]

انتهى.

وأقولُ: كلُّ الأيام سواءٌ ولا اختصاصَ لذلك بيوم الأربعاء، وما مِن ساعةٍ من الساعات إلا وهي سعدٌ على شخص نحسٌ على آخر باعتبار ما يُحدِثُ الله تعالى فيها من الملائم والمنافر والخير والشر، فكلُّ يوم من الأيام يتَّصفُ بالأمرَين لاختلاف الاعتبار، وإن استُنحِسَ يومُ الأربعاء لوقوع حادثٍ فيه فليُسْتَنْحَس كلُّ يومٍ فما أُولِجَ الليلُ في النهار والنهارُ في الليل إلا لإيلادِ الحوادثِ، وقد قيل:

ألا إنَّما الأيامُ أبناءُ واحدٍ وهذي الليالي كلُّها أخواتُ[2]

---

(١) البيت لزَبَّان بن سيار كما في البيان والتبيين ٣/ ٣٠٤-٣٠٥، والحيوان ٣/ ٤٤٧ و٥/ ٥٥٥، وشرح أبيات إصلاح المنطق ص ٥٧٨.

(٢) البيت لأبي العلاء المعري، وسلف ١/ ١٠٠.

وقد حُكي أنَّه صبَّح ثمودَ العذابُ يومَ الأحد، وورد في الأثر ـ ولا أظنُّه يصحُّ ـ: «نعوذُ بالله تعالى مِن يوم الأحد، فإنَّ له حدًّا أحدّ من السيف»[(١)] ولو صحَّ فلعله في أَحَدٍ مخصوصٍ عُلم بالوحي ما يحدُث فيه. وزَعْمُ بعضِهم أنَّ من المجرَّب الذي لم يُخطئ[(٢)] قطُّ أنَّه متى كان اليوم الرابع عشر من الشهر القمري الأحد وفُعِل فيه شيءٌ لم يتمَّ = غيرُ مسلَّم.

وورد في «الفردوس» من حديث ابن مسعود: «خَلَقَ الله تعالى الأمراضَ يوم الثلاثاء، وفيه أنزَلَ إبليس إلى الأرض، وفيه خلَقَ جهنَّم، وفيه سلط الله تعالى ملَكَ الموت على أرواح بني آدم، وفيه قتل قابيلُ هابيلَ، وفيه توفي موسى وهارون عليهما السلام، وفيه ابتلي أيوب» الحديث[(٣)]، وهو إنْ صحَّ لا يدلُّ على نُحُوسَتِه، غايتُه أنَّه وقع فيه ما وقَعَ، وقد وقع فيه غيرُ ذلك مما هو خير، ففي رواية مسلم: «خلَقَ التَّقْن ـ أي: ما يقومُ به المعاش ـ يوم الثلاثاء»[(٤)]، وإذا تتبَّعتَ التورايخَ وقفتَ على حوادثَ عظيمةٍ في سائر الأيام، ويكفي في هذا الباب أنَّ حادثةَ عادٍ استوعَبت أيام الأسبوع فقد قال سبحانه: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ فإنْ كانت النحوسةُ لذلك فقل لي أيّ يومٍ من الأسبوع خلا منها؟!

---

(١) فيض القدير ١/ ٤٦.

(٢) في الأصل و(م): لم يخط.

(٣) لم نقف عليه في الفردوس، وعزاه له ابن عراق في تنزيه الشريعة ٢/ ٦٥ وقال: فيه إسماعيل بن يحيى بن عبيد الله، وعنه عبد الرحيم بن حبيب. اهـ. قلنا: وإسماعيل بن يحيى قال عنه الأزدي: ركن من أركان الكذب، لا تحل الرواية عنه. وقال أبو علي النيسابوري الحافظ والدارقطني والحاكم: كذاب. وعبد الرحيم بن حبيب قال عنه يحيى: ليس بشيء. وقال ابن حبان: لعله وضع أكثر من خمس مئة حديث على رسول الله ﷺ. الميزان ١/ ٢٥٣، و٢/ ٦٠٣.

(٤) لم نقف عليه في صحيح مسلم، وهو عند النسائي في الكبرى (١١٣٢٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
والذي في صحيح مسلم (٢٧٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «وخلق المكروه يوم الثلاثاء». قال أبو العباس القرطبي في المفهم ٧/ ٣٤٢: وقد ذكر هذا الحديث ثابت [بن قاسم] في كتابه، وقال فيه: «وخلق التقن يوم الثلاثاء» بدل: «المكروه». اهـ. قال النووي في شرح صحيح مسلم ١٧/ ١٣٣: ولا خلاف بين الروايتين فكلاهما خلق يوم الثلاثاء.

ومثلُ أمرِ النحوسةِ فيما أرَى أمرُ تخصيصِ كلِّ يومٍ بعمل، كما يزعمُه كثيرٌ من الناس، ويذكرون في ذلك أبياتاً نسبها الحافظ الدمياطي لعليٍّ كرم الله تعالى وجهه، وهي:

فنعمَ اليومُ يومُ السبت حقّاً ... لصيدٍ إنْ أردتَ بلا امتراء
وفي الأحد البناء لأنَّ فيه ... تبدَّى الله في خلق السماء
وفي الاثنين إنْ سافرتَ فيه ... سترجعُ بالنجاح وبالثراء
ومَن يُرد الحجامةَ فالثلاثا ... ففي ساعاته هرقُ الدماء
وإنْ شرب امرؤٌ يوماً دواءً ... فنعمَ اليومُ يومُ الأربعاء
وفي يوم الخميس قضاءُ حاجٍ ... فإنَّ الله يأذنُ بالقضاء
وفي الجُمُعَات تزويجٌ وعرسٌ ... ولَذَّاتُ الرجال مع النساء
وهذا العلمُ لا يدريه إلا ... نبيٌّ أو وصيُّ الأنبياء(١)

ولا أظنُّها تصحُّ.

وقصارى ما أقول: ما شاء الله كان وما لم يَشأ لم يكن، لا دخل في ذلك لوقتٍ ولا لغيره، نعم لبعض الأوقات شرفٌ لا يُنكرُ، كيوم الجمعة، وشهر رمضانَ، وغير ذلك، ولبعضها عكسُ ذلك كالأوقات التي تكره فيها الصلاة، لكن هذا أمرٌ ومحلُّ النزاع أمرٌ، فاحفظ ذاك والله تعالى يتولَّى هُداك.

وقوله تعالى: ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ﴾ يجوزُ أنْ يكونَ صفةً للريح وأن يكونَ حالاً منها؛ لأنَّها وُصِفَت فقَرُبَت من المعرفة، وجوِّز أن يكونَ مستأنفاً، وجيء بـ «الناس» دون ضمير «عاد» قيل: ليشمل ذكورَهم وإناثهم.

---

(١) فيض القدير ١/ ٤٧، وتنزيه الشريعة ٢/ ٥٤، والدمياطي هو عبد المؤمن بن خلف، شرف الدين، ولد في دمياط وتفقه فيها، وقرأ السبع على الكمال الضرير، ولازم الحافظ المنذري سنين، روى عنه من تلاميذه المِزِّي والسبكي، له مصنفات نفيسة منها السيرة النبوية. شذرات الذهب ٨/ ٢٣.
والأبيات في ديوان ابن الرومي ١/ ١٣٦ دون الأخير، والبيت الذي قبل الأخير بلفظ:
ويوم الجمعة التنعيمُ فيه ... وتزويج الرجال مع النساء

والنَّزْع: القلعُ، روي أنَّهم دخلوا الشعابَ والحُفَر وتمسَّك بعضُهم ببعضٍ فقلعَتهم الريحُ وصرعتهم موتَى.

﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ أي: منقلعٍ عن مغارسه، ساقطٍ على الأرض، وقيل: شُبِّهوا بأعجاز النخل وهي أصولُها بلا فروع؛ لأنَّ الريح كانت تقلَعُ رؤوسَهم فتبقى أجساداً وجثثاً بلا رؤوس، ويزيد هذا التشبيه حُسناً أنَّهم كانوا ذوي جُثَثٍ عظام طوالٍ، و«النخل» اسمُ جنسٍ يذكَّر نظراً للَّفظ كما هنا، ويؤنَّث نظراً للمعنى كما في قوله: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧] واعتبار كلٍّ في كلٍّ من الموضعَين للفاصلة، والجملةُ التشبيهية حالٌ من «الناس» وهي حال مقدَّرة.

وقال الطبري: في الكلام حذفٌ، والتقديرُ: فتركَتهم كأنَّهم.. إلخ[(١)]، فالكاف على ما في «البحر» في موضع نصبٍ بالمحذوف[(٢)]. وليس بذاك.

وقرأ أبو نهيك: «أعجُز»[(٣)] على وزن «أفعل» نحو: ضَبُع وأَضبُع.

وقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾﴾ تهويلٌ لهما وتعجيبٌ من أمرهما بعد بيانهما، فليس فيه شائبة تكرارٍ مع ما تقدَّم.

وقيل: إنَّ الأول لما حاق بهم في الدنيا، والثاني لما يحيق بهم في الآخرة، و«كان» للمشاكلة، أو للدلالة على تحقُّقه، على عادته سبحانه في إخباره. وتُعقِّبَ بأنَّه يأباه ترتيبُ الثاني على العذاب الدنيوي.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ الكلامُ فيه كالذي مرَّ.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾﴾ بالرسل عليهم الصلاة والسلام، فإنَّ تكذيبَ أحدِهم وهو صالح عليه السلام هنا تكذيبٌ للكلِّ؛ لاتِّفاقهم على أصول الشرائع، وجوِّز أن يكون مصدراً أو جمعاً له، وأن يكون جمع «نذر» بمعنى المنذَر منه، فلا تغفل.

---

(١) تفسير الطبري ٢٢/١٣٨.

(٢) البحر المحيط ٨/١٧٩.

(٣) القراءات الشاذة ص ١٤٨، والبحر المحيط ٨/١٧٩.

﴿فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٗا مِّنَّا﴾ أي: كائناً من جنسنا، على أنَّ الجارَّ والمجرور في موضع الصفة لـ «بشراً»، وانتصابه بفعل يفسره «نتَّبع» بعدُ، أي: أنتَّبع بشراً ﴿وَٰحِدٗا﴾ أي: منفرداً لا تَبَعَ له، أو واحداً من آحادهم لا من أشرافهم، كما يُفهَم من التنكير الدالِّ على عدم التعيين، وهو صفةٌ أخرى لـ «بشر»، وتأخيرُه مع إفراده عن الصفة الأولى مع كونها شبهَ الجملةِ للتنبيه على أنَّ كلًّا من الجنسية والوحدة مما يمنع الاتِّباع، ولو قُدِّم عليها لفاتَ هذا التنبيهُ.

وقرأ أبو السمال فيما ذكر الهذلي في كتابه «الكامل» وأبو عمرو الداني: «أبشرٌ منَّا واحدٌ» برفعهما[1] على أنَّ: «بشرٌ» مبتدأ، وما بعدُ صفته، وقوله تعالى: ﴿نَّتَّبِعُهُۥٓ﴾ خبرُه.

ونقل ابن خالويه وصاحب «اللوامح» وابن عطية عن أبي السمال رَفْعَ «بشر» ونَصْبَ «واحداً» وخرَّج ذلك ابنُ عطية على أنَّ رفْعَ «بَشَرٌ» إما على إضمار فعلٍ مبنيٍّ للمفعول، والتقدير: أَيُنبَّأُ بشرٌ، وإما على الابتداء، والخبر جملةُ «نتَّبعه»، ونَصْبَ «واحداً» على الحال إما من ضمير النصب في «نتَّبعه» وإما من الضمير المستقر في «منا». وخرّج صاحبُ «اللوامح» نَصْبَ «واحداً» على هذا أيضاً، وأما رفعُ «بشر» فخرَّجه على الابتداء وإضمار الخبر، أي: أبشرٌ منَّا يُبعَثُ إلينا أو يُرسَل، أو نحوهما[2]، وتقدُّم الاستفهام يُرجِّح تقديرَ فعلٍ يرفع به.

﴿إِنَّآ إِذٗا﴾ أي: إذا اتَّبعنا بشراً منَّا واحداً ﴿لَّفِي ضَلَٰلٖ﴾ عظيمٍ عن الحقِّ ﴿وَسُعُرٍ﴾ أي: نيران، جمع سعير.

وروي أنَّ صالحاً عليه السلام كان يقول لهم: إنْ لم تتَّبعوني كنتُم في ضلال عن الحقِّ وسُعُر، فعكَسُوا عليه لغايةِ عتوِّهم فقالوا: إن اتَّبعناك كنَّا إذاً كما تقول. فالكلامُ من باب التعكيس والقولِ بالموجب، وجمعُ السعير باعتبار الدَّرَكات، أو للمبالغة، وروي عن ابن عباس ما يحتملُ ما قلنا، فإنَّه قال: أي: لفي بُعدٍ عن الحقِّ وعذابٍ.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢١٧، والبحر المحيط ٨/ ١٧٩.
(٢) القراءات الشاذة ص ١٤٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٢١٧، والبحر المحيط ٨/ ١٧٩-١٨٠.

وفي رواية أخرى عنه تفسيرُ السُّعُر بالجنون على أنَّه اسمٌ مفرَدٌ بمعنى ذلك، يقال: ناقةٌ مسعورة: إذا كانت تفرطُ في سيرها كأنَّها مجنونة؛ قال الشاعر:

كأنَّ بها سُعراً إذا العيسُ هزَّها ذَمِيلٌ وإرخاءٌ من السَّيرِ مُتْعِبُ[1]

والأولُ أوجه وأفصحُ.

﴿أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ أي: أأُنزِلَ عليه الوحيُ من بيننا وفينا مَن هو أحقُّ منه بذلك، والتعبيرُ بـ «أُلقي» دون «أنزل» قيل: لأنَّه يتضمَّن العجلة في الفعل.

﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ أي: شديدُ البَطَر، وهو على ما قاله الراغب: دَهَشٌ يعتري مِن سوء احتمالِ النعمة وقِلَّةِ القيام بحقِّها ووضعِها إلى غير وجهها، ويقاربُه الطَّرَبُ وهو خِفَّةٌ أكثر ما تعتري من الفرح[2]. ومرادُهم: ليس الأمر كذلك بل هو كذا وكذا، حملَه شدَّةُ بَطَره وطلبُه التعظيم علينا على ادِّعاء ذلك.

وقرأ قتادة وأبو قلابة: «بل هو الكذَّاب الأشَرُّ» بلام التعريف فيهما وبفتح الشين وشدّ الراء[3]، وسيأتي إن شاء الله تعالى قريباً ما في ذلك.

وقوله تعالى: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾﴾ حكايةٌ لِمَا قاله سبحانه وتعالى لصالح عليه السلام وعداً[4] له ووعيداً لقومه، والسين لتقريب مضمونِ الجملة وتأكيده، والمرادُ بالغَدِ وقتُ نزولِ العذاب الدنيوي بهم، وقيل: يومُ القيامة، فهو لمطلق الزمان المستقبل، وعبَّر به لتقريبه، وعليه قول الطرماح:

ألَا عَلِّلاني قبل نَوح النَّوائح وقبل اضطرابِ النفس بينَ الجوانحِ
وقبل غَدٍ يا لَهفَ نفسي على غَدٍ إذا راحَ أصحابي ولستُ برائحِ[5]

---

(١) الكشاف ٤/ ٣٩، وتفسير القرطبي ٢٠/ ٩١، والبحر المحيط ٨/ ١٨٠ دون نسبة، والذَّميل: ضرب من سير الإبل، قال أبو عبيد: فإذا ارتفع السير عن العَنَق قليلاً فهو التزيد، فإذا ارتفع عن ذلك فهو الذميل ثم الرسيم. اللسان (ذمل).

(٢) مفردات الراغب (أشر) و(بطر).

(٣) البحر ٨/ ١٨٠، والدر المصون ١٠/ ١٤٠.

(٤) في الأصل: ووعداً.

(٥) البحر المحيط ٨/ ١٨٠، ولم نقف عليهما في ديوانه، وعزاهما المرزوقيُّ في شرح الحماسة =

أي: سيعلمون ألبتَّة عن قريبٍ من الكذابُ الأشر، الذي حَمَله أشَرُه وبَطَرُه على ما حمله، أصالحٌ أم مَن كذَّبه، والمراد: سيعلمون أنَّهم هم الكذَّابون الأَشِرُون، لكن أُوردَ ذلك مورد الإبهام إيماءً إلى أنَّه مما لا يكاد يخفَى، ونحوه قول الشاعر:

فَلَئِن لقيتُكَ خالِيَيْن لتعلَمَنَّ أيِّي وأيُّكَ فارسُ الأحزابِ[1]

وقرأ ابن عامر وحمزة وطلحة وابن وثاب والأعمش: «ستعلمون» بتاء الخطاب[2] على حكايةِ ما قال لهم صالحٌ مجيباً لهم، وفي «الكشاف»: أو هو كلامٌ على سبيل الالتفات[3]. قال صاحب «الكشف»: أي: هو كلام الله تعالى لقوم ثمودَ على سبيل الالتفاتِ إليهم، إما في خطابه تعالى لرسولنا ﷺ، وهو نظيرُ ما حكاه سبحانه عن شعيب: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ﴾ [الأعراف: ٩٣] بعد ما استُؤصِلُوا هلاكاً، وهو من بليغ الكلام، فيه دلالةٌ على أنَّهم أحقَّاء بهذا الوعيد وكأنَّهم حضورٌ في المجلس حَوَّل إليهم الوجْهَ لينعي عليهم جناياتهم، وإما في خطابه عز وجل لصالح عليه السلام، والمنزَّلُ حكايةُ ذلك الكلام المشتمل على الالتفات. وعلى التقديرَين لا إشكالَ فيه كما تُوُهِّم، ولفظُ الزمخشريِّ على الأول أدلُّ وهو أبلغ. انتهى.

ومَن التفت إلى ما قاله الجمهور في الالتفات لا أظنُّه تسكُنُ نفسُه بما ذكر فتأمل.

وقرأ مجاهد فيما ذكره صاحب «اللوامح» وأبو قيس الأودي: «الأُشُرُ» بثلاث ضمات وتخفيف الراء[4]، ويقال: أَشِرٌ وأُشُرٌ كحذِر وحُذُر، فضمة الشين لغةٌ، وضمُّ الهمزة تبَعٌ لها.

---

= ٣/ ١٢٦٦، والبصري في الحماسة البصرية ١/ ٢٨١ والقرطبي ٢٠/ ٩٤ لأبي الطَّمَحان القينيّ، ونسبهما ابن عبد ربه في العقد الفريد ٣/ ٢٤٨ إلى هدبة العذري.

(١) المحتسب ١/ ٢٥٤، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٨٤، والبحر المحيط ٨/ ١٨١.

(٢) قراءة ابن عامر وحمزة في التيسير ص ٢٠٦، والنشر ٢/ ٣٨٠، وقراءة طلحة وابن وثاب والأعمش في المحرر الوجيز ٥/ ٢١٧، والبحر المحيط ٨/ ١٨٠.

(٣) الكشاف ٤/ ٣٩.

(٤) البحر المحيط ٨/ ١٨٠، وحاشية الشهاب ٨/ ١٢٥.

وحكى الكسائي عن مجاهد ضمَّ الشين دون الهمزة فهو كنُدُس[(١)].

وقرأ أبو حيوة: «الأَشَرُّ» أفعل تفضيل، أي: الأبلغُ في الشرارةِ، وكذا قرأ قتادة وأبو قلابة أيضاً[(٢)]، وهو قليلُ الاستعمال وإنْ كان على الأصل كالأَخْيَرِ في قول رؤبة:

بـلالُ خَـيـرُ الـنـاسِ وابـن الأَخْـيَـرِ[(٣)]

وقال أبو حاتم: لا تكادُ العرب تتكلَّمُ بالأَخْيَر والأَشَرِّ إلا في ضرورة الشعر. وأنشد البيت.

وقال الجوهري: لا يقال «الأَشَرُّ» إلا في لغة رديئة[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ﴾ إلخ استئنافٌ مسوقٌ لبيان مبادي الموعود على ما هو الظاهر، وبه يتعيَّن كونُ المرادِ بالغد وقتَ نزول العذاب الدنيويِّ بهم دون يوم القيامة، والإرسالُ حقيقةٌ في البعث، وقد جُعِلَ هنا كنايةً عن الإخراج، وأُريدَ المعنى الحقيقيُّ معه كما أومأ إليه بعضُ الأجلَّة، أي: إنَّا مخرجُو الناقةِ التي سألوها من الهَضْبة وباعثوها ﴿فِتْنَةً لَّهُمْ﴾ امتحاناً. وجوِّز إبقاؤها على معناها المعروف.

﴿فَٱرْتَقِبْهُمْ﴾ فانتظرهم وتبصَّر ما هم فاعلون ﴿وَٱصْطَبِرْ﴾ على أذاهم ولا تَعجَل حتى يأتيَ أمرُ الله تعالى.

﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ﴾ وأخبرهم بأنَّ ماء البئر التي لهم ﴿قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ﴾ مقسومٌ، لها يومٌ ولهم يوم، و«بينهم» لتغليب العقلاء، وقرأ معاذ عن أبي عمرو: «قَسْمةٌ» بفتح القاف[(٥)].

﴿كُلُّ شِرْبٍ﴾ نصيبٍ وحصَّة منه ﴿مُّحْتَضَرٌ﴾ يحضُره صاحبُه في نوبته، فتحضُر الناقة

---

(١) المحتسب ٢/ ٢٩٩، والبحر المحيط ٨/ ١٨٠.
(٢) القراءات الشاذة ص ١٤٧، والمحتسب ٢/ ٢٩٩، والبحر المحيط ٨/ ١٨٠.
(٣) المحتسب ٢/ ٢٩٩، وتفسير القرطبي ٢٠/ ٩٤، والبحر المحيط ٨/ ١٨٠، وليس في ديوانه.
(٤) الصحاح (شرر).
(٥) البحر المحيط ٨/ ١٨١، وهي خلاف المشهور عن أبي عمرو.

تارةً ويحضرونه أخرى، وقيل: يتحوَّل عنه غيرُ صاحبه، مِن حَضَر عن كذا: تحوَّل عنه.

وقيل: يُمنع عنه غيرُ صاحبه، مجازٌ عن الحَظْر ـ بالظاء ـ بمعنى المنع بعلاقة السببية، فإنَّه مسبَّبٌ عن حضور صاحبه في نوبته. وهو كما ترى.

وقيل: يحضرون الماءَ في نوبتهم واللبنَ في نوبتها، والمعنى: كلُّ شِرْبٍ من الماء واللبن تحضرونه أنتم.

﴿فَنَادَوْا﴾ أي: فأرسلنا الناقةَ وكانوا على هذه الوتيرةِ من القسمة، فملُّوا ذلك وعزموا على عَقْر الناقة «فنادَوا» لعَقْرها ﴿صَاحِبَهُمْ﴾ وهو قُدار[1] بن سالف أُحْيمِرُ ثمودَ وكان أجرأَهم ﴿فَتَعَاطَىٰ﴾ العقر، أي: فاجترأ على تعاطيه مع عظمه غيرَ مُكترثٍ به ﴿فَعَقَرَ﴾ فأحدَثَ العقر بالناقة، وجوَّزْ أنْ يكونَ المرادُ: فتعاطى الناقةَ فعقرها، أو فتعاطى السيفَ فقتلَها، وعلى كلٍّ فمفعولُ «تعاطى» محذوفٌ والتفريع لا غبارَ عليه.

وقيل: «تعاطى» منزَّلٌ منزلةَ اللازم على أنَّ معناه: أَحدَث ماهية التعاطي، وقوله تعالى: (فَعَقَرَ) تفسيرٌ له لا متفرِّع عليه. ولا يَخْفَى ركاكتُه.

والتعاطي: التناولُ مطلقاً على ما يُفهَم من كلام غيرِ واحدٍ، وزاد بعضُهم قيدَ: بتكلُّفٍ، ونسبةُ العقر إليهم في قوله تعالى: (فَعَقَرُوا النَّاقَةَ) لأنَّهم كانوا راضين به.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝٣٠﴾ الكلامُ فيه كالذي تقدَّم.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ هي صيحةُ جبريلَ عليه السلام، صاحَ صباحَ يوم الأحد ـ كما حكى المناوي عن الزمخشريِّ[2] ـ في طرف منازلهم ﴿فَكَانُوا﴾ أي: فصاروا ﴿كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾ أي: كالشجر اليابس الذي يجمعُه صاحبُ الحظيرة لماشيته في الشتاء.

---

(١) في هامش الأصل: بوزن «فُعال» بالضم. اهـ.
(٢) فيض القدير ١/ ٤٦.

وفي «البحر»: الهشيمُ ما تفتَّت وتهشَّم من الشجر، و«المحتظِر» الذي يَعْمَلُ الحظيرةَ، فإنَّه يتفتَّت منه حالةَ العمل ويتساقط أجزاءٌ مما يَعمَل به، أو يكون الهشيمُ ما يبِسَ من الحظيرة بطول الزمانِ تطؤه البهائمُ فيتهشَّم[١]. وتُعقِّب هذا بأنَّ الأظهرَ عليه: كهشيم الحظيرة. والحظيرةُ الزريبة التي تصنعُها العربُ وأهل البوادي للمواشي والسُّكنَى من الأغصان والشجر المورق والقصب، من الحَظْر وهو المنع.

وقرأ الحسن وأبو حيوة وأبو السمال وأبو رجاء وعمرو بن عبيد: «المحتَظَر» بفتح الظاء[٢]، على أنَّه اسمُ مكان، والمراد به الحظيرةُ نفسُها، أو هو اسمُ مفعول قيل: ويقدَّر له موصوفٌ، أي: كهشيم الحائط المحتَظَر، أو لا يقدَّر على أنَّ «المحتظَر» الزريبة نفسُها كما سمعت. وجوِّز أنْ يكونَ مصدراً، أي: كهشيم الاحتظارِ، أي: ما تفتَّتَ حالةَ الاحتظار.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾﴾ كما مرَّ.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾﴾ على قياس النظير السابق ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾ مَلَكاً ـ على ما قيل ـ يحصبُهم، أي: يرميهم بالحَصْباء والحجارة، أو هو اسمٌ للريح التي تحصب، ولم يُرَدْ بها الحدوث كما في: ناقةٌ ضامرٌ، وهو وَجْهُ التذكير.

وقال ابن عباس: هو ما حُصِبُوا به من السماء من الحجارة في الريح، وعليه قول الفرزدق:

مُستقبلينَ شمالَ الشامِ تضربُنا بحاصِبٍ كنَديفِ القُطنِ منثُورِ[٣]

﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ﴾ خاصَّته المؤمنين به، وقيل: آلُه: ابنتاه ﴿نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ﴾ أي: في «سحر»، وهو آخِرُ الليل، وقيل: السُّدس الأخيرُ منه، وقال الراغب: السَّحَرُ والسَّحَرَةُ اختلاطُ ظلامِ آخِرِ الليل بصفاء النهارِ، وجُعِل اسماً لذلك الوقت[٤].

---

(١) البحر المحيط ٨/ ١٨١.
(٢) القراءات الشاذة ص ١٤٨، والمحتسب ٢/ ٢٩٩، والمحرر الوجيز ٥/ ٢١٨، والبحر المحيط ٨/ ١٨١.
(٣) ديوان الفرزدق ١/ ٢١٣.
(٤) مفردات الراغب (سحر).

ويجوزُ كونُ الباء للملابسة، والجارُّ والمجرور في موضع الحال، أي: ملتبسين «بسَحَر» داخلين فيه.

﴿نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ أي: إنعاماً منَّا، وهو علةٌ لـ «نجينا»، ويجوز نصبُه بفعلٍ مقدَّرٍ من لفظه، أو بـ «نجَّينا» لأنَّ النتيجةَ إنعامٌ، فهو كـ : قعدتُ جلوساً.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثلَ ذلك الجزاءِ العجيب ﴿نَجْزِي مَن شَكَرَ﴾ نعمتَنا بالإيمان والطاعة.

﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم﴾ لوطٌ عليه السلام ﴿بَطْشَتَنَا﴾ أَخْذَتَنا الشديدةَ بالعذاب، وجوِّز أنْ يُرادَ بها نفسُ العذاب ﴿فَتَمَارَوْا﴾ فكذَّبوا ﴿بِالنُّذُرِ﴾ متشاكين، فالفعل مضمَّنٌ معنى التكذيب، ولولاه تعدَّى بـ «في».

﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ﴾ صرفُوه عن رأيه فيهم وطلبوا الفجورَ بهم، وهذا من إسناد ما للبعض للجميع لرضاهم به.

﴿فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾ أي: أزلْنا أثرها، وذلك بمسحها وتسويتها كسائر الوجه، وهو كما قال أبو عبيدة[1]؛ وروي أنَّ جبريلَ عليه السلام استأذنَ ربَّه سبحانه في عقوبتهم ليلةَ جاؤوا وعالجوا الباب ليدخلوا عليهم، فصفَقَهم بجناحه فتركهم عمياناً يتردَّدون لا يهتدون إلى طريق خروجِهم حتى أخرجَهم لوطٌ عليه السلام.

وقال ابن عباس والضحاك: إنما حَجَب إدراكهم فدخلوا المنزلَ ولم يروا شيئاً، فجعل ذلك كالطَّمس فعبَّر به عنه.

وقرأ ابن مقسم: «فطمَّسنا» بتشديد الميم[2] للتكثير في المفعول.

﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾﴾ أي: فقلنا لهم ذلك على ألسنة الملائكةِ عليهم السلام، فالقولُ في الحقيقة لهم وأُسنِدَ إليه تعالى مجازاً لأنَّه سبحانه الآمرُ، أو القائل ظاهرُ الحال فلا قولَ وإنما هو تمثيل، والمرادُ بالعذاب الطمسُ وهو من جملة ما أُنذروه.

---

(١) مجاز القرآن ٢/ ٢٤١، والبحر المحيط ٨/ ١٨٢.

(٢) البحر المحيط ٨/ ١٨٢.

﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً﴾ أول النهار وهي أخصُّ من الصباح، فليس في ذكرها بعدَه زيادةٌ، وكان ذلك أولَ شروق الشمس.

وقرأ زيد بن علي: «بكرةَ» غير مصروفةٍ[١] للعلمية والتأنيث، على أنَّ المرادَ بها أولُ نهارٍ مخصوص.

﴿عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾ يستقرُّ بهم ويدومُ حتى يُسْلِمهم إلى النار، أو لا يُدفَع عنهم، أو يبلغُ غايتَه.

﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾﴾ حكاية لِمَا قيل لهم بعد التصبيح[٢] من جهته تعالى تشديداً للعذاب، أو هو تمثيلٌ.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾﴾ تقدَّم ما فيه من الكلام.

﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴿٤١﴾﴾ صُدِّرَت قصتُهم بالتوكيد القَسَمي لإبراز كمال الاعتناء بشأنها لغاية عِظَم ما فيها من الآيات وكثرتها، وهولِ ما لاقوه من العذاب وقوة إيجابها للاتِّعاظ، والاكتفاءُ بذكر «آل فرعون» للعلم بأنَّ نفسَه أولى بذلك فإنَّه رأسُ الطغيان ومُدَّعي الألوهية، والقول بأنَّه إشارةٌ إلى إسلامه مما لا يلتفَتُ إليه.

و«النُّذُر» إنْ كان جمعَ نذير بمعنى الإنذار فالأمر ظاهر، وكذا إنْ كان مصدراً، وأما إنْ كان جمعَ نذير بمعنى المنذِر فالمرادُ به موسى وهارونُ وغيرُهما، لأنَّهما عرَضَا عليهم ما أَنذر به المرسلون، أي: وبالله تعالى لقد جاءهم المنذِرُون، أو الإنذاراتُ، أو الإنذارُ.

وقوله تعالى: ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا﴾ استئنافٌ مبنيٌّ على سؤال نشأ من حكاية مجيء النذر، كأنَّه قيل: فماذا فعل آلُ فرعونَ حينئذ؟ فقيل: كذَّبوا بجميع آياتنا وهي آياتُ الأنبياء كلِّهم عليهم السلام، فإنَّ تكذيبَ البعضِ تكذيبٌ للكلِّ، أو هي الآياتُ التسعُ.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) في (م): التصحيح.

وجوّز الواحدي أنْ يُراد بـ «النذر» نفسُ الآيات فقوله سبحانه: (بِـَٔايَٰتِنَا) من إقامة الظاهر مقامَ الضمير والأصلُ: كذَّبوا بها.

وزعمَ بعضُ غلاةِ الشيعة وهم المسمَّون بالكشفية في زماننا أنَّ المراد بالآيات كلِّها عليٌّ كرم الله تعالى وجهه، فإنَّه الإمامُ المبينُ المذكور في قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢] وأنَّه كرم الله تعالى وجهه ظهر مع موسى عليه السلام لفرعونَ وقومه فلم يؤمنوا. وهذا من الهَذَيان بمكان، نسأل الله تعالى العفوَ والعافية.

﴿فَأَخَذْنَٰهُمْ﴾ أي: آلَ فرعون. وزعم بعضٌ أنَّ ضمير «كذَّبوا» وضمير «أخذناهم» عائدان على جميع مَن تقدَّم ذكره من الأمم وتمَّ الكلامُ عند قوله تعالى: (ٱلنُّذُرُ)، وليس بشيء.

والفاء للتفريع، أي: فأخذناهم وقَهْرناهم لأجل تكذيبهم ﴿أَخْذَ عَزِيزٍ﴾ لا يغالب ﴿مُّقْتَدِرٍ﴾ لا يعجزه شيء، ونصب «أَخْذَ» على المصدرية لا على قَصْدِ التشبيه.

﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ﴾ أي: الكفارِ المعدودين، قومِ نوح، وهود، وصالح، ولوط، وآلِ فرعون، والمرادُ الخيرية باعتبار الدنيا وزينتها ككثرة القوةِ والشدة ووفورِ العدد والعُدَّة، أو باعتبارِ لينِ الشَّكيمةِ في الكفر بأنْ يكونَ الكفار المحدَّث عنهم بالخيرية أقلَّ عناداً وأقربَ طاعةً وانقياداً، وظاهرُ كلام كثيرٍ: أنَّ الخطابَ هنا عامٌّ للمسلمين وغيرهم، حيث قالوا[1]: «أكفَّارُكم» يا معشرَ العرب «خيرٌ» إلخ. والاستفهامُ إنكاريٌّ في معنى النفي، فكأنَّه قيل: ما كفَّاركم خيرٌ من أولئكم الكفار المعدودين، بأنْ يكونوا أكثرَ منهم قوةً وشدَّةً وأوفرَ عدداً وعُدَّةً، أو بأنْ يكونوا ألينَ شكيمةً في الكفر والعصيان والضلال والطغيان، بل هم دونَهم في القوة وما أشبهها من زينة الدنيا، أو أسوأ حالاً منهم في الكفر، وقد أصابَ مَن هو خيرٌ ما أصاب، فكيف يطمعون هم في أنْ لا يصيْبَهم نحو ذلك، وكذا قيل في الخطاب في قوله

(١) يعني به الكثير الوارد في قوله: وظاهر كلام كثير أن الخطاب...، وينظر تفسير البيضاوي مع حاشية الشهاب ٨/ ١٢٧، وتفسير أبي السعود ٨/ ١٧٣.

تعالى: ﴿أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ وجُعل بتقدير: أم لكفاركم، وهو إضرابٌ وانتقالٌ إلى تبكيت[١] آخرَ، فكأنَّه قيل: بل ألكفاركم براءةٌ وأمنٌ من تَبعات ما يعملون من الكفر والمعاصي وغوائلها في الكتب السماوية، فلذلك يُصرُّون على ما هم عليه ولا يخافون.

واختار بعضُهم في هذا أنَّه خاصٌّ بالكفار، وقالوا في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾﴾ إنَّه إضرابٌ من التبكيت المذكور إلى تبكيت آخرَ بطريقِ الالتفات، للإيذان بإفضاء حالهم إلى الإعراض عنهم وإسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكايةِ قبائحهم لغيرهم، أي: بل أيقولون واثقينَ بشَوْكتهم نحن جماعةٌ أمرُنا مجتمِعٌ لا يُرام ولا يُضام، أو منتصرٌ من الأعداء لا يغلب، أو متناصرٌ ينصرُ بعضُنا بعضاً.

والذي يترجَّح في نظر الفقير أنَّ الخطابَ في الموضعَين خاصٌّ على ما يقتضيه السياقُ بكفار أهل مكة أو العرب، وهو ظاهرٌ في الموضع الثاني لا يحتاجُ إلى شيء، وأما في الموضع الأول فوجهُهُ أنْ تكون الإضافة مثلَها في: الدراهم كلّها كذا، وطور سيناء، ويوم الأحد، ولم يقل: أأنتم؛ للتنصيص على كفرهم المقتضي لهلاكهم.

ويجوزُ أنْ يعتبر في «أكفَّاركم» ضربٌ من التجريد الذي ذكروه في نحو ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾ [فصلت: ٢٨] فكأنَّه جُرِّد منهم كفارٌ وأُضيفُوا إليهم، وفي ذلك من المبالغة ما فيه. ويجوز أن يكون هذا وجهاً للعدول عن «أأنتم»، وربما يترجَّح به كونُ الخيريةِ المنفية باعتبار لينِ الشكيمة في الكفر، وكأنَّه لمَّا خوَّف سبحانه الكفارَ الذين كذَّبوا الآيات وأَعرضُوا عنها، وقالوا: هي سحرٌ مستمرّ، بذكر ما حلَّ بالأمم السالفة مما تبرُقُ وترعُدُ منه أساريرُ الوعيد = قال عز وجل لهم: لِمَ لا تخافون أنْ يحلَّ بكم مثلُ ما حلَّ بهم، أأنتم أقلُّ كفراً وعناداً منهم، ليكون ذلك سبباً للأمن من حلول نحو عذابهم بكم، أم أعطاكم الله عز وجل براءةً من عذابه، أم أنتم أعزُّ منهم

(١) في (م): تنكيب.

منتصرون على جنود الله تعالى، وعَدَل سبحانه عن: أم أنتم جميع منتصر، إلى ما في النظم الجليل للإشارة إلى أنَّ ذلك مما لا تحقُّقَ له أصلاً إلا باللفظ ومَحْضِ الدعوى التي لا يوافَق عليها. فتأمل فأسرارُ كلام الله تعالى لا تتناهَى، ثم لا تعجل بالاعتراض على ما قلناه، وإنْ لم يكن لنا سلفٌ فيه حَسْبَما تتبعناه.

ثمَّ إنَّ «جميع» على ما أشيرَ إليه بمعنى الجماعة التي أمرُها مجتمعٌ، وليس من التأكيد في شيء بل هو خبرُ «نحن»، وجوِّز أن يكون بمعنى مجتمع خبرَ مبتدأ محذوفٍ وهو: أمرُنا، والجملةُ خبرُ «نحن»، وأن يكون هو الخبرَ والإسنادُ مجازيٌّ.

و«منتصر» على ما سمعتَ إما بمعنى ممتنع؛ يقال: نصَرَه فانتصر، إذا منَعَه فامتنع، والمرادُ بالامتناع عدمُ المغلوبية، أو هو بمعنى منتقم من الأعداء، أو هو من النصر بمعنى العَوْن؛ والافتعالُ بمعنى التفاعل كالاختصام والتخاصُم، وكان الظاهر: منتصرون، إلا أنَّه أُفرِدَ باعتبار لفظِ الجميع، فإنَّه مفردٌ لفظاً جَمْعٌ معنًى، ورُجِّح هنا جانبُ اللفظ عكس ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [النمل: ٥٥] لخفَّة الإفراد مع رعاية الفاصلة، وليس في الآية رعايةُ جانبِ المعنَى أولاً، ثم رعايةُ جانب اللفظ ثانياً على عكس المشهور، وإنْ كان ذلك جائزاً على الصحيح كما لا يخفَى على الخبير.

وقرأ أبو حيوة وموسى الأسواري وأبو البرهسم: «أم تقولون» بتاء الخطاب(١).

وقوله تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ﴾ ردٌّ لقولهم ذلك، والسين للتأكيد، أي: يُهزَمُ جمعُهم ألبتّة ﴿وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ أي: الأدبار، وقد قرئ كذلك(٢)، والإفرادُ لإرادة الجنسِ الصادق على الكثير مع رعاية الفواصلِ ومشاكلةِ القرائن، أو لأنَّه في تأويل: يولِّي كلُّ واحدٍ منهم دُبُرَه، على حدِّ: كسانا الأميرُ حلةً، مع الرعاية المذكورة أيضاً، وقد كان هذا يومَ بدر، وهو من دلائل النبوة لأنَّ الآية مكيةٌ، وقد

---

(١) القراءات الشاذة ص ١٤٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٢٠، والبحر المحيط ٨/ ١٨٢-١٨٣.
(٢) البحر المحيط ٨/ ١٨٣.

نزلَت حيث لم يُفرَض جهادٌ ولا كان قتال، ولذا قال عمر رضي الله عنه يوم نزلَت: أيُّ جمع يُهزَم؟ أي: من جموع الكفار، ولم يتعرَّض لقتال أحدٍ منهم، وقد تقدَّم الخبر(١).

ومما أشرنا إليه يعلم أنَّ قولَ الطيبي: في هذه الرواية نظر؛ لأنَّ همزةَ الإنكار في «أم يقولون» إلخ دلَّت على أنَّ المنهزمين مَن هم، ناشئ عن الغفلة عن مراد عمر رضي الله عنه.

وقرأ أبو حيوة وموسى الأسواري وأبو البرهسم: «سَتَهزِمُ الجمعَ» بفتح التاء وكسر الزاي(٢) خطاباً لرسول الله ﷺ، ونصب «الجمعَ» على المفعولية.

وقرأ أبو حيوة أيضاً ويعقوب: «سنَهزِم» بالنون مفتوحة وكسر الزاي(٣) على إسناد الفعل إلى ضمير العظمة.

وعن أبي حيوة وابن أبي عبلة: «سيَهزِمُ الجمعَ» بفتح الياء مبنيّاً للفاعل ونصب «الجمعَ»(٤)، أي: سيَهزمُ الله تعالى الجمعَ.

وقرأ أبو حيوة وداود بن أبي سالم عن أبي عمرو: «وتولُّون» بتاء الخطاب(٥).

﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ أي: ليس هذا تمامَ عقوبتهم بل الساعة موعدُ عذابهم وهذا من طلائعه ﴿وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ﴾ أي: أعظم داهيةً، وهي الأمرُ المنكر الفظيع الذي لا يُهتدَى إلى الخلاص عنه ﴿وَأَمَرُّ﴾ وأشدُّ مرارةً في الذوق، وهو استعارةٌ لصعوبتها على النفس، وقيل: أقوى. وليس بذاك. وإظهار«الساعة» في موضع إضمارها لتربية تهويلها.

---

(١) تقدم ص١٧٤ من هذا الجزء.
(٢) البحر المحيط ٨/ ١٨٣.
(٣) القراءات الشاذة ص ١٤٨.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٢٠، والبحر المحيط ٨/ ١٨٣.
(٥) القراءات الشاذة ص ١٤٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٢٠، وزاد المسير ٨/ ١٠٠، والبحر المحيط ٨/ ١٨٣.

﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ من الأولين والآخِرين ﴿فِي ضَلَٰلٖ﴾ في هلاك ﴿وَسُعُرٖ﴾ ونيران مسعَّرةٍ، أو: في ضلال عن الحقِّ ونيرانٍ في الآخرة، وقال ابن عباس ﵄: في خسران وجنون.

وقوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ﴾ أي: يجرُّون ﴿فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ﴾ متعلِّقٌ بقول مقدَّرٍ بعده، أي: يومَ يسحبون يقالُ لهم: ﴿ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ﴾ وجوِّز أن يكونَ متعلِّقاً بمقدَّر يُفهَم مما قبل، أي: يعذَّبون، أو: يُهانون، أو نحوه، وجملةُ القول عليه حالٌ من ضمير «يسحبون».

وجوِّز كونه متعلِّقاً بـ «ذوقوا» على أنَّ الخطاب للمكذِّبين المخاطبين في قوله تعالى: (أَكُفَّارُكُمۡ) إلخ، أي: ذوقوا أيها المكذِّبون محمداً ﷺ يومَ يُسحَب المجرمون المتقدِّمون، والمرادُ حشرُهم معهم والتسويةُ بينهم في الآخرة كما ساوَوْهم في الدنيا. وهو كما ترى.

والمرادُ بـ «مسَّ سقر»: أَلَمُها، على أنَّه مجازٌ مرسلٌ عنه بعلاقة السببية، فإنَّ مسَّها سببٌ للتألم بها، وتعلُّقُ الذوقِ بمثل ذلك شائعٌ في الاستعمال، وفي «الكشاف»: «مسَّ سقر» كقولك: وجَدَ مسَّ الحمَّى، وذاق طعْمَ الضرب؛ لأنَّ النار إذا أصابتهم بحرِّها ولحقتهم بإيلامها فكأنَّها تمسُّهم مسّاً بذلك، كما يمسُّ الحيوان ويُباشرُ بما يؤذي ويؤلم[1]. وهو مشعرٌ بأنَّ في الكلام استعارةً مكنيةً نحو: ﴿يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ٢٥] ويحتمل غير ذلك.

و«سقر» عَلَمٌ لجهنَّم ـ أعاذنا الله تعالى منها ببركة كلامه العظيم وحرمةِ حبيبه عليه أفضلُ الصلاة وأكمل التسليم ـ من سَقَرتْه النارُ وصَقَرته بإبدال السين صاداً لأجل القاف: إذا لوَّحَته وغيَّرت لونَه، قال ذو الرمة يصفُ ثورَ الوحش:

إذا ذابَت الشمسُ اتَّقَى صَقَراتِها  بأفنانِ مَرْبوعِ الصَّريمةِ مُعْبِلِ[2]

---

(١) الكشاف ٤/ ٤١.

(٢) ديوان ذي الرمة ٣/ ١٤٥٨. وقوله: إذا ذابت الشمس، أي: كأنها سيلٌ من شدة الحر. والصقرة: شدة وقع الشمس. مربوع: أصابها الربيع فاخضرَّت. والصريمة: قطعة من الرمل تنقطع فتنفرد. وأعبَلَت الشجرة: إذا خرج ورقها. قاله شارح الديوان.

وعدمُ الصرف للعلمية والتأنيث، وقرأ عبد الله: «إلى النار»[١]، وقرأ محبوب عن أبي عمرو: «مس سّقر» بإدغام السين في السين[٢]، وتعقَّب ذلك ابنُ مجاهد بأنَّ إدغامه خطأ؛ لأنَّه مشدَّدٌ، والظنُّ بأبي عمرو أنَّه لم يُدغم حتى حذفَ إحدَى السينَين لاجتماع الأمثال ثم أدغم.

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ﴾ من الأشياء ﴿خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ أي: مقدَّراً مكتوباً في اللوح قبل وقوعه، فالقَدَر بالمعنى المشهور الذي يقابل القضاء، وحَمْلُ الآية على ذلك هو المأثورُ عن كثير من السلف، وروى الإمام أحمد ومسلم والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة قال: جاء مشركو قريش يخاصمون رسولَ الله ﷺ في القَدَر، فنزلت: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾[٣].

وأخرج البخاري في «تاريخه» والترمذيُّ وحسنه وابنُ ماجه وابن عدي وابن مردويه عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «صنفانِ من أُمتي ليس لهما في الإسلام نصيبٌ: المرجئةُ والقَدَرية» أُنزلَت فيهم آيةٌ في كتاب الله: (إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ) إلى آخر الآيات[٤].

وكان ابن عباس يكره القَدَرية جدّاً، أخرج عبد بن حميد عن أبي يحيى الأعرج قال سمعتُ ابن عباس ـ وقد ذكر القَدَرية ـ يقول: لو أدركتُ بعضَهم لفعلتُ به كذا وكذا. ثم قال: الزنى بقَدَر، والسرقة بقَدَر، وشرب الخمر بقَدَر.

وأخرجَ عن مجاهد أنَّه قال: قلتُ لابن عباس: ما تقول فيمَن يكذِّب بالقدر؟ قال: اجمَعْ بيني وبينه. قلتُ: ما تصنع به؟ قال: أخنقُهُ حتى أقتله[٥].

---

(١) معاني القرآن للفراء ٣/ ١١٠، وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٩٩، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٢١، والبحر المحيط ٨/ ١٨٣.

(٢) البحر المحيط ٨/ ١٨٣.

(٣) مسند أحمد (٩٧٣٦)، وصحيح مسلم (٢٦٥٦)، وسنن الترمذي (٢١٥٧)، وسنن ابن ماجه (٨٣).

(٤) التاريخ الكبير ٤/ ١٣٣، وسنن الترمذي (٢١٤٩) وقال: حسن غريب، وسنن ابن ماجه (٧٣)، والكامل ٥/ ١٨٣٨، وعزاه لابن مردويه السيوطيُّ في الدر المنثور ٦/ ١٣٨.

(٥) عزا الأثرَين لعبد بن حميد السيوطيُّ في الدر المنثور ٦/ ١٣٨-١٣٩.

وقد جاء ذمُّهم في أحاديثَ كثيرة، منها ما أخرجه أحمد وأبو داود والطبراني عن ابن عمرَ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لكلِّ أمةٍ مجوسٌ، ومجوسُ أُمَّتي الذين يقولون: لا قَدَرَ، إنْ مرضُوا فلا تَعودُوهم، وإنْ ماتوا فلا تَشهدُوهم»[1].

وجوّز كونُ المعنى: إنَّا كلَّ شيءٍ خلقناه مقدَّراً مُحْكَماً مستوفًى فيه مقتضَى الحكمةِ التي يدورُ عليها أمرُ التكوين، فالآية من باب: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].

ونصب «كلَّ» بفعلٍ يُفسِّره ما بعدَه، أي: إنَّا خلقنا كلَّ شيءٍ خلقناه، وقرأ أبو السمال ـ قال ابن عطية: وقومٌ من أهل السنة ـ برفع «كل»[2] وهو على الابتداء، وجملةُ «خلقناه» هو الخبر، و«بقَدَر» متعلِّقٌ به كما في القراءة المتواترة، فتدل الآية أيضاً على أنَّ كلَّ شيءٍ مخلوقٌ بقدرٍ، ولا ينبغي أنْ تجعل جملة «خلقناه» صفةً ويُجعلَ الخبر «بقدر»؛ لاختلاف القراءَتين معنًى حينئذ، والأصلُ توافقُ القراءات.

وقال الرضي: لا يتفاوتُ المعنى؛ لأنَّ مرادَه تعالى بـ «كل شيءٍ»: كلُّ مخلوقٍ، سواء نصبتَ «كل» أو رفعتَه، وسواء جعلت «خلقناه» صفة مع الرفع، أو خبراً عنه، وذلك أنَّ «خلقنا كل شيء بقدر» لا يريدُ سبحانه به: خلقنا كلَّ ما يقعُ عليه اسمُ شيءٍ؛ لأنَّه تعالى لم يخلق جميعَ الممكنات غيرِ المتناهيةِ، واسم الشيء يقعُ على كلٍّ منها، وحينئذ نقول: إنَّ معنى «كل شيء خلقناه بقدر» على أنَّ «خلقناه» هو الخبر: كلُّ مخلوقٍ مخلوقٌ بقَدَر. وعلى أنَّ «خلقناه» صفةٌ: كلُّ شيءٍ مخلوقٍ كائنٌ بقدر. والمعنيان واحد، إذ لفظُ «كل» في الآية مختصٌّ بالمخلوقات سواء كان «خلقناه» صفةً له أو خبراً.

وتعقَّبه السيد السند قدس سره بأنَّه لقائل أنْ يقول: إذا جعلنا «خلقناه» صفةً كان المعنى: كلُّ مخلوقٍ متَّصفٍ بأنَّه مخلوقُنا كائنٌ بقَدَر، وعلى هذا لا يمتنع ـ نظراً

---

(١) مسند أحمد (٥٥٨٤)، وسنن أبي داود (٤٦٩١)، والمعجم الأوسط (٢٤٩٤)، وأخرجه أيضاً ابن الجوزي في العلل (٢٢٧) وقال: لا يصح. وينظر الكلام عليه في حاشية المسند.

(٢) القراءات الشاذة ص ١٤٨، والمحتسب ٢/ ٣٠٠، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٢١، والبحر المحيط ٨/ ١٨٣.

إلى هذا المعنى - أنْ يكونَ هناك مخلوقاتٌ غير متَّصفةٍ بتلك الصفة، فلا تندرجُ تحت الحكم، وأما إذا جعلناه خبراً أو نصبنا «كلَّ شيء» فلا مجال لهذا الاحتمال نظراً إلى نفس المعنى المفهوم من الكلام، فقد اختلف المعنيان قطعاً، ولا يُجديه نفعاً أنَّ كل مخلوقٍ متَّصفٌ بتلك الصفة في الواقع؛ لأنَّه إنما يفهم من خارج الكلام، ولا شكَّ أنَّ المقصودَ ذلك المعنى الذي لا احتمالَ فيه. وذكر نحوه الشهاب الخفاجي[1]، ولكون النصب نصّاً في المقصود اتَّفقَت القراءات المتواترة عليه مع احتياجه إلى التقدير، وبذلك يترجَّح على الرفع الموهم لخلافه وإنْ لم يحتَج إليه.

﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ﴾ أي: ما شأننا إلا فعلةٌ واحدةٌ على نهجٍ لا يختلفُ ووتيرةٍ لا تتعدَّد، وهي الإيجادُ بلا معالجة ومشقة. أو: ما أمرنا إلا كلمةٌ واحدةٌ، وهي قوله تعالى: (كُن)، فالأمر مقابل النهي وواحد الأوامر[2]، فإذا أراد عز وجل شيئاً قال له: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧].

﴿كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ ۝٥٠﴾ أي: في السير والسرعة، وقيل: هذا في قيام الساعة، فهو كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ﴾ [النحل: ٧٧].

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ﴾ أي: أشباهكم في الكفر من الأمم السالفة، وأصلُه جمع شيعة، وهم مَن يتقوَّى بهم المرءُ من الأتباع، ولمَّا كانوا في الغالب من جنسٍ واحدٍ أُريدَ به ما ذكر: إما باستعماله في لازمه، أو بطريق الاستعارة، والحالُ قرينةٌ على ذلك. وقيل: هو باقٍ على حقيقته، أي: أتباعكم.

﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ متَّعِظٍ بذلك.

﴿وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ﴾ من الكفر والمعاصي، والضميرُ المرفوع للأشياع كما روي عن ابن عباس والضحاك وقتادة وابن زيد، وجملةُ «فعلوه» صفةُ «شيء»، والرابط

---

(١) حاشية الشهاب ٨/ ١٢٨.

(٢) في الأصل و(م): الأمور، والمثبت من حاشية الشهاب ٨/ ١٢٩، وهو واحد الأمور على الوجه الأول الذي ذكره المصنف، وهو: أي: ما شأننا إلا فعلة واحدة...، كما ذكر الشهاب.

ضميرُ النصب، وقوله تعالى: ﴿فِي ٱلزُّبُرِ﴾ متعلّقٌ بكونٍ خاصٍّ خبر المبتدأ، أي: كلُّ شيءٍ فعلوه في الدنيا مكتوبٌ في كتب الحفظة غير مغفولٍ عنه، وتفسير «الزبر» باللوح المحفوظ كما حكاه الطبرسي(١) ليس بشيء.

ولم يختلف القرَّاء في رفع «كلُّ»، وليست الآيةُ من باب الاشتغال، فلا يجوزُ النصبُ لعدم بقاء المعنى الحاصل بالرفع لو عمل المشتغل بالضمير في الاسم السابقِ كما هو اللازمُ في ذلك الباب، إذ يصيرُ هاهنا حينئذٍ: فعلوا في الزبر كلَّ شيءٍ. إنْ علَّقنا الجارَّ بـ «فعلوا»، وهم لم يفعلوا شيئاً من أفعالهم في الكتب، بل فعلوها في أماكنهم، والملائكةُ عليهم السلام كتبوها عليهم في الكتب، أو: فعلوا كلَّ شيءٍ مكتوبٍ في الزبر، إنْ جعلنا الجارَّ نعتاً لـ «كلُّ شيء»، وهذا وإن كان معنًى مستقيماً إلا أنَّه خلافُ المعنى المقصود حالة الرفع، وهو ما تقدَّم آنفاً.

﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾ من الأعمال كما روي عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما، وقيل: منها ومن كلِّ ما هو كائن إلى يوم القيامة ﴿مُّسْتَطَرٌ﴾ مسطورٌ مكتَتَبٌ في اللوح بتفاصيله، وهو من السَّطر بمعنى الكتب، ويقال: سطرتُ واستطرتُ بمعنًى.

وقرأ الأعمش وعمران وعصمة عن أبي بكر عن عاصم: «مستطرٌّ» بتشديد الراء(٢)، قال صاحب «اللوامح»: يجوزُ أن يكون من طرَّ النباتُ والشاربُ إذا ظهر، والمعنى: كلُّ صغيرٍ وكبير ظاهرٌ في اللوح مثبتٌ فيه، ويجوزُ أن يكون من الاستطار لكن شُدِّد الراء للوقف على لغة مَن يقول: جعفرّ ويفعلّ، بالتشديد وقفاً، أي: ثم أجري الوصل مجرى الوقف، ووزنه على التوجيه الأول مستفعل، وعلى الثاني مفتعل.

ولمَّا كان بيان سوء حال(٣) الكفرة بقوله تعالى: (إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ) إلخ مما يستدعي بيانَ حُسنِ حالِ المؤمنين ليتكافأ الترهيبُ والترغيبُ، بيَّن سبحانه ما لهم من حُسْن

---

(١) في مجمع البيان ٢٧/ ٨٠.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٢٢، والبحر المحيط ٨/ ١٨٤، وهو خلاف المشهور عن عاصم.
(٣) في الأصل و(م): بيان حال سوء، والمثبت من تفسير أبي السعود ٨/ ١٧٥، والكلام منه.

الحال بطريق الإجمال، فقال عزَّ قائلاً: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ أي: من الكفر والمعاصي، وقيل: من الكفر ﴿فِي جَنَّٰتٍ﴾ عظيمة الشأن ﴿وَنَهَرٍ﴾ أي: أنهار كذلك، والإفراد للاكتفاء باسم الجنس مراعاةً للفواصل، وعن ابن عباس تفسيره بالسَّعة، وأنشد عليه قولَ لبيد بن ربيعة كما في «الدر المنثور» أو قيس بن الخطيم كما في «البحر» يصف طعنة:

مَلَكْتُ بها كفِّي فأَنْهَرْتُ فَتْقَها   يَرَى قائمٌ من دونها ما وراءها[1]

أي: أوسعتُ فَتْقَهَا، والمرادُ بالسَّعة سعةُ المنازل على ما هو الظاهر، وقيل: سعة الرزق والمعيشة، وقيل: ما يعمُّهما.

وأخرج الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» عن محمد بن كعب قال: «ونهر» أي: في نور وضياء[2]. وهو على الاستعارة بتشبيه الضياء المنتشر بالماء المتدفِّق من منبعه، وجوِّز أن يكون بمعنى النهار على الحقيقة، والمرادُ أنَّهم لا ظُلْمةَ ولا ليلَ عندهم في الجنات.

وقرأ الأعرج ومجاهد وحميد وأبو السمال والفياض بن غزوان: «ونهْر» بسكون الهاء، وهو بمعنى «نَهَر» مفتوحها. وقرأ الأعمش وأبو نهيك وأبو مجلز واليماني: «ونُهُر» بضم النون والهاء[3]، وهو جمع «نهر» المفتوح أو الساكن، كأَسد وأُسُد، ورهن ورُهُن وقيل: جمع نهار، والمراد أنَّهم لا ظلمةَ ولا ليلَ عندهم كما حُكي فيما مرَّ، وقيل: قرئ بضم النون وسكون الهاء[4].

﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ في مكان مَرْضيٍّ، على أنَّ الصدق مجازٌ مرسل في لازمه أو

---

(١) الدر المنثور ٦/ ١٣٩، وعزاه للطستي، والبحر ٨/ ١٨٤، والبيت في ديوان قيس بن الخطيم ص ٤٦، وشرح الحماسة ١/ ١٨٤، وتفسير القرطبي ١/ ٣٦٠، ولم نقف عليه في ديوان لبيد، وسلف ١/ ٢٨٠.

(٢) عزاه للحكيم الترمذي السيوطيُّ في الدر المنثور ٦/ ١٣٩.

(٣) القراءاتان في القراءات الشاذة ص ١٤٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٢٢، والبحر المحيط ٨/ ١٨٤، وذكر الثانية ابن جني في المحتسب ٢/ ٣٠٠.

(٤) الكشاف ٤/ ٤٢، ومفاتيح الغيب ٢٩/ ٧٩.

استعارة، وقيل: المراد صدقُ المبشَّر به وهو الله تعالى ورسوله ﷺ، أو المراد أنَّه ناله مَن ناله بصدقه وتصديقه للرسل عليهم السلام، فالإضافةُ لأدنى ملابسة. وقال جعفر الصادق رضي الله عنه: مَدَح المكان بالصدق فلا يقعُدُ فيه إلا أهل الصدق، وهو المقعد الذي يصدق الله تعالى فيه مواعيدَ أوليائه بأنه يبيحُ عز وجل لهم النظر إلى وجهه الكريم. وإفراد المقعد على إرادة الجنس.

وقرأ عثمان البَتِّي: «في مقاعد» على الجمع(١)، وهي توضِّح أنَّ المراد بالمقعد المقاعد.

﴿عِندَ مَلِيكٍ﴾ أي: ملك عظيم الملك، وهو صيغةُ مبالغةٍ، وليست الياء من الإشباع (مُّقْتَدِرٍ) قادرٍ عظيم القدرة. والظرفُ في موضع الحال من الضمير المستقر في الجارِّ والمجرور، أو خبرٌ بعد خبر، أو صفةٌ لـ «مقعد صدق»، أو بدلٌ منه، والعندية للقرب الرُّتْبي.

وذكر بعضُهم أنَّه سبحانه أبهم العنديةَ والقرب ونكر «مليكاً» و«مقتدراً» للإشارة إلى أنَّ ملكه تعالى وقدرته عز وجل لا تدري الأفهامُ كُنهَهُما، وأنَّ قربهم منه سبحانه بمنزلةٍ من السعادة والكرامةِ بحيث لا عينٌ رأَت ولا أُذنٌ سمعَت، مما يَجِلُّ عن البيان وتَكِلُّ دونه الأذهان.

وأخرج الحكيم الترمذي عن بريدة عن رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ إلخ قال: «إنَّ أهلَ الجنةِ يدخلون على الجبار كلَّ يوم مرَّتَين، فيقرأ عليهم القرآن وقد جلس كلُّ امرئ منهم مجلسَه الذي هو مجلسُه على منابر الدرِّ والياقوت والزمرد والذهب والفضة بالأعمال، فلا تقرُّ أعينُهم قطُّ كما تقرُّ بذلك، ولم يسمعوا شيئاً أعظمَ منه ولا أحسنَ منه، ثم ينصرفون إلى رحالهم قريرةً أعينُهم ناعمين إلى مثلها من الغد»(٢). وإذا صحَّ هذا فهو من المتشابه كالآية فلا تغفل.

---

(١) القراءات الشاذة ص ١٤٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٢٢، والبحر المحيط ٨/ ١٨٤.

(٢) نوادر الأصول ص ١٥٦، دون ذكر بريدة، ونقله المصنف عنه بواسطة السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٣٩، وأخرجه الثعلبي في تفسيره ٩/ ١٧٤ عن عبد الله بن بريدة قوله، وكذا أخرجه أبو الشيخ كما ذكر ابن القيم في حادي الأرواح ص١٧٧.

ولهذَين الاسمَين الجليلين شأنٌ في استجابة الدعاء على ما في بعض الآثار؛ أخرج ابن أبي شيبة عن سعيد بنِ المسيب قال: دخلتُ المسجدَ وأنا أرى أنِّي أصبحتُ، فإذا عليَّ ليلٌ طويل، وليس فيه أحدٌ غيري، فنمتُ فسمعتُ حركةً خلفي ففزعتُ فقال: أيُّها الممتلئُ قلبُه فَرَقاً، لا تفرق - أو لا تفزع - وقل: اللهم إنَّك مليكٌ مقتدِرٌ ما تشاء من أمرٍ يكون، ثم سل ما بدا لك. قال: فما سألتُ الله تعالى شيئاً إلا استجابَ لي[1].

وأنا أقول: اللهم إنَّك مليكٌ مقتدر ما تشاء من أمرٍ يكون، فأَسْعدني في الدارَين، وكن لي ولا تكن عليَّ، وانصرني على مَن بغَى عليَّ، وأعذني من همِّ الدَّين وقهر الرجال وشماتة الأعداء، وصلِّ اللهمَّ وسلِّم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، والحمد لله ربِّ العالمين.

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة ١٠/ ٢٥٤.

# (سورة القمر)

## (خمس وخمسون آية) مكيّة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ①﴾

﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ (قربت القيامة) ﴿وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ نصفين. (وقرىء ﴿وقد انشق﴾) أي اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها أن القمر قد انشقّ كما

---

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

**قوله**: (**سورة القمر**) وتُسمى اقتربت (**خمس وخمسون آية**) وثلاثمائة واثنتان وأربعون كلمة وألف وأربعمائة وثلاثة وعشرون حرفًا **قوله**: (**قربت القيامة**) أشار به إلى أن افتعل المشتمل على الزوائد بمعنى الفعل المجرّد وأتى بالمزيد للمبالغة لأن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى. **قوله**: (**وقرىء ﴿وقد انشقّ﴾**) **في الكتاب المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات ولغات العرب**: قرأ حذيفة اقتربت الساعة وقد انشقّ القمر. قال أبو الفتح: هذا يجري مجرى الموافقة على إسقاط العذر ورفع التشاكّ أي قد كان انشقاق القمر متوقعًا دلالة على قرب الساعة فإذا كان قد انشقّ وانشقاقه من أشراطها وأدلّة قُربها فقد توكد الأمر في قرب وقوعها، وذلك أن قد إنما هي جواب وقوع أمر كان متوقعًا يقول القائل: انظر أقام زيد وهل قام زيد وأرجو أن لا يتأخر زيد فيقول المجيب: قد قام أي قد وقع ما كان متوقعًا. اهـ

تقول: أقبل الأمير وقد جاء المبشر بقدومه. **(قال ابن مسعود)** ﷺ: **(رأيت حراء بين فلقتي القمر)**. وقيل: معناه ينشق يوم القيامة. والجمهور على الأول **(وهو المرويّ في الصحيحين)**. ولا يقال لو انشقّ لما خفي على **(أهل الأقطار)** ولو ظهر

---

بحروفه. **قوله: (قال ابن مسعود)** أي عبد الله بن مسعود بن غافل بمعجمة وفاء ابن حبيب الهذلي أبو عبد الرحمٰن من السابقين الأوّلين ومن كبار العلماء من الصحابة مناقبه جمّة وأمّره عمر على الكوفة، ومات سنة اثنتين وثلاثين أو في التي بعدها بالمدينة. **قوله: (رأيت حراء)** بكسر المهملة وراء خفيفة مذكر مصروف على الصحيح. وحُكِيَ فتح حائه والقصر وتأنيثه على إرادة البقعة فيمنع صرفه جبل بينه وبين مكة ثلاثة أميال على يسار الذاهب إلى منى. **قوله: (بين فلقتي القمر)** تثنية فلقة بالكسر كقطعة وزنًا ومعنى. **قوله: (وهو المرويّ في الصحيحين)** أي صحيح البخاري وصحيح مسلم وقد وقع في رواية البخاري من حديث ابن مسعود انشقّ القمر ونحن مع النبيّ ﷺ بمنى وفي رواية مسلم بينما نحن مع النبيّ ﷺ بمنى إذ انفلق القمر وهذا لا يعارض قول أنس أن ذلك كان بمكّة لأنه أي أنسًا لم يصرّح بأنه عليه السلام كان ليلتئذ بمكة فالمراد أن الانشقاق كان وهم بمكة قبل أن يهاجروا إلى المدينة أي بنحو خمس سنين، وقد وقع عند ابن مردويه بيان المراد فأخرج من وجه آخر عن ابن مسعود، قال انشقّ القمر على عهد رسول الله ﷺ ونحن بمكة قبل أن يصير إلى المدينة. فوضح أن مراده بذكر مكة الإشارة إلى أن ذلك وقع قبل الهجرة ولا يذهب عليك أن الانشقاق لم يقع إلا مرة واحدة وأن رواية مرتين مؤوّلة مصروفة عن ظاهرها أي أن رواية مرتين محمولة على رواية فرقتين. تنبيه: ما يذكره بعض القصّاص أن القمر دخل في جيب النبيّ ﷺ وخرج من كمّه فليس له أصل كما حكاه الشيخ بدر الدين الزركشيّ عن شيخه العماد بن كثير وسبقهما لذلك النوويّ في الفتاوى فإنه سُئل عن رجلين تنازعا في انشقاق القمر على عهده ﷺ، فقال أحدهما: انشقّ فرقتين دخلت إحداهما في كمّه وخرجت من الكمّ الآخر، وقال الآخر: بل نزل بين يديه فرقتان ولم يدخل في كمّه فأجاب الاثنان مخطئان بل الصواب أنه انشقّ وهو في موضعه من السماء وظهرت منه إحدى الشقتين فوق الجبل والأخرى دونه هكذا ثبت في الصحيحين من رواية ابن مسعود رضي الله تعالى عنه انتهى. **قوله: (أهل الأقطار)** في

عندهم لنقلوه متواترًا لأن الطباع جبلت على نشر العجائب لأنه يجوز أن يحجبه الله عنهم **(بغيم)**.

﴿وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣﴾

﴿وَإِن يَرَوْا۟﴾ يعني أهل مكة ﴿ءَايَةً﴾ تدلّ على صدق محمد ﷺ ﴿يُعْرِضُوا۟﴾ عن الإيمان به ﴿وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ محكم قوي **(من المرة القوة أو دائم مطرد أو مار ذاهب يزول ولا يبقى)** ﴿وَكَذَّبُوا۟﴾ النبيّ ﷺ ﴿وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ﴾ وما زيّن لهم الشيطان من دفع الحق بعد ظهوره ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ﴾ وعدهم الله ﴿مُّسْتَقِرٌّ﴾

---

المصباح القطر بالضم الجانب والناحية والجمع أقطار مثل قفل وأقفال. اهـ. **قوله**: **(بغيم)** في المصباح الغيم السحاب الواحدة غيمة وهو مصدر في الأصل من غامت السماء من باب سار إذا أطبق بها السحاب.

**قوله**: **(من المرة)** بكسر الميم **(القوة)** والشدة فالسحر الذي يؤثر في الأجرام العلوية كما يؤثر في الأجرام السفلية يكون قويًا مستحكمًا، يقال: حبل مرير الفتل إذا اشتدّ فتله. **قوله**: **(أو دائم مطرد)** أي دائم متتابع يظهر من فاعله مرة بعد أخرى يريدون به ترادف المعجزات التي نسبوها إلى السحر فإنه عليه الصلاة والسلام كان يأتي في كل زمان بمعجزة قولية أو فعلية أرضية أو سماوية فقالوا: هذا سحر مستمر أي دائم لا يختص تعلّقه بشيء دون شيء ولا بزمان دون زمان بخلاف سحر السحرة، فإن بعضهم يقدر على أمر وأمرين وثلاثة ويعجز عن غيرها وهو قادر على جميع الأمور في جميع الأزمان. قال المفسّرون: لما انشقَ القمر قال المشركون: سحرنا محمد عليه الصلاة والسلام فنستخبر السفار والقادمين فلما قدموا سألوهم فأخبروهم أنهم رأوا ذلك فتعجبوا منه. **قوله**: **(أو مار)** ﴿مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: الآية ٢] بمعنى مار إذ الاستفعال قد يجيء بمعنى الثلاثي لكنه نادر ولذا أخّره. **قوله**: **(ذاهب يزول ولا يبقى)** لازم للمرور وهذا اللازم هو المراد إذ معنى المرور هو اللصوق بشيء لا يستقيم هنا، وإنما قالوا ذلك تمنية لأنفسهم وتعليلًا لها وإطماعًا في غير مطمع.

كائن في وقته. وقيل: كل ما قدر واقع. وقيل: كل أمر من أمرهم واقع مستقر أي سيثبت ويستقرّ عند ظهور العقاب والثواب.

﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾﴾

﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم﴾ أهل مكة ﴿مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ﴾ من القرآن المودع أنباء القرون الخالية أو أنباء الآخرة وما وصف من عذاب الكفار ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ **(ازدجار)** عن الكفر. تقول: زجرته وازدجرته أي منعته **(وأصله ازتجر)** ولكن التاء إذا وقعت بعد زاي ساكنة أبدلت دالًا **(لأن التاء حرف مهموس والزاي حرف مجهور)**، فأبدل من التاء حرف مجهور وهو الدال ليتناسبا وهذا في آخر كتاب (سيبويه) ﴿حِكْمَةٌۢ﴾ **(بدل)** من «ما» **(أو على هو ﴿حِكْمَةٌۢ﴾)** ﴿بَٰلِغَةٌۖ﴾

---

**قوله**: **(ازدجار)** أي ﴿مُزْدَجَرٌ﴾ [القمر: الآية ٤] مصدر ميمي. **قوله**: **(وأصله ازتجر)** أي ازدجر افتعل منه أصله ازتجر. **قوله**: **(لأن التاء حرف مهموس والزاي حرف مجهور)** اعلم أن الحروف المهموسة عشرة أحرف الفاء والحاء المهملة والثاء المثلثة والهاء والشين والخاء المعجمتين والصاد والسين والكاف والتاء المثناة من فوق وأن الحروف المجهورة ثمانية عشر حرفًا الألف والباء والجيم والدال والذال والراء والزاي والضاد والطاء والظاء والعين والغين والقاف واللام والميم والنون والواو والياء ثم الهمس في اللغة الخفا وسميت مهموسة لجريان النَّفس معها لضعفها ولضعف الاعتماد عليها عند خروجها والجهر في اللغة الصوت القوي الشديد وسُميت مجهورة لمنع النَّفس وحصره أن يجري معها لقوّتها وقوة الاعتماد عليها عند خروجها والتحقيق أن الهواء الخارج من داخل الإنسان إن خرج ذلك بدفع الطبع يُسمى نَفَسًا بفتح الفاء وإن خرج بالإرادة وعرض له تموّج بتصادم جسمين يُسمى صوتًا وإذا عرض للصوت كيفيات مخصوصة بأسباب معلومة تسمى حروفًا وإذا عرض للصوت كيفيات أُخر عارضة بسبب آلات تسمى تلك الكيفيات صفات ثم إن النفس الخارج الذي هو صفة حرف إن تكيّف كله بكيفية الصوت حتى يحصل صوت قوي كان الحرف مجهورًا وإن بقي بعضه بلا صوت يجري مع الحرف كان ذلك الحرف مهموسًا. **قوله**: **(بدل)** أي بدل الكل أو الاشتمال. **قوله**: **(أو على هو ﴿حِكْمَةٌۢ﴾)** أي أو خبر لمحذوف تقديره هو. **قوله**: (سيبويه) هو ...

**(نهاية الصواب)** أو بالغة من الله إليهم ﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾ («ما» **نفي)** و﴿ٱلنُّذُرُ﴾ جمع نذير وهم الرسل أو المنذر به **(أو النذر مصدر بمعنى الإنذار)**.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ۝٦﴾

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ لعلمك أن الإنذار لا يغني فيهم. نصب ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ بـ «يخرجون» أو بإضمار اذكر. **(﴿الداعي﴾، ﴿إلى الداعي﴾ سهل ويعقوب ومكيّ فيهما، وافق مدني وأبو عمرو في الوصل)**، ومَن أسقط الياء اكتفى بالكسرة عنها. وحذف الواو من ﴿يدعو﴾ في الكتابة لمتابعة اللفظ، **(والداعي إسرافيل** عليه السلام**)** ﴿إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ﴾ **(منكر فظيع)** تنكره النفوس لأنها لم تعهد بمثله وهو هول يوم القيامة **(﴿نكْر﴾ بالتخفيف: مكيّ)**.

---

بشر عمرو بن عثمان بن قنبر بضم القاف وسكون النون وفتح الموحدة. **قوله**: **(نهاية الصوت)** مفعول لـ ﴿بَـٰلِغَةٌ﴾ [القمر: الآية ٥] مقدر. **قوله**: **(ما نفي)** أي نافية فيكون مفعول تغني[1] محذوفًا أي فما تغني النذر شيئًا. **قوله**: **(أو النذر مصدر بمعنى الإنذار)** وهو الظاهر ولعل آخره لأن المصدر لا يجمع وجوابه أن المراد أنواع الإنذار. اهـ. قنوي **وعبارة تفسير الخطيب** ﴿فَمَا تُغْنِ﴾ [القمر: الآية ٥] أي تنفع النذر أي الإنذارات والمنذرون والأمور المنذر بها. اهـ. وأيضًا فيه والنذر جمع نذير والمراد به المصدر أو اسم فاعل. اهـ.

**قوله**: **(الداعي إلى الداعي)** أي ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ [القمر: الآية ٦] و﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ﴾ [القمر: الآية ٨] بالياء في الحالين **(سهل)** بن محمد **(ويعقوب)** بن إسحٰق وليسا من السبعة **(ومكيّ)** أي ابن كثير المكيّ **(فيهما وافق مدني)** أي نافع المدني وهو من السبعة. وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة **(وأبو عمرو في الوصل)** بالياء والباقون بحذفها وقفًا ووصلًا. **قوله**: **(والداعي إسرافيل عليه السلام)** ينفخ في الصور قائمًا على صخرة بيت المقدس. **قوله**: **(منكر)** يعني أن ﴿نُّكُرٍ﴾ [القمر: الآية ٦] بمعنى المفعول. **قوله**: **(فظيع)** في المصباح فظع الأمر فظاعة جاوز الحد في القبح فهو فظيع. اهـ. **قوله**: **(نكر بالتخفيف)** أي بإسكان العين **(مكي)** أي ابن كثير المكيّ والباقون بالرفع.

---

(١) أي تنفع.

﴿خُشَّعًا أَبْصَـٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ۝٨﴾

﴿خُشَّعًا أَبْصَـٰرُهُمْ﴾ (﴿خاشعًا﴾) عراقي غير عاصم وهو حال من الخارجين وهو فعل للأبصار، **(وذكر كما تقول يخشع أبصارهم غيرهم خشعًا)** على يخشعن أبصارهم **(وهي لغة من يقول: «أكلوني البراغيث»)**. ويجوز أن يكون في ﴿خُشَّعًا﴾

---

**قوله**: («**خاشعًا**» أبصارهم» بفتح الخاء وألف بعدها وكسر الشين مخففة بالإفراد عراقي، غير عاصم إذا اجتمع أهل الكوفة والبصرة قيل: عراقي. **قوله**: **(وذكر كما تقول يخشع أبصارهم)** وهذه القراءة جارية على اللغة الفصحى من حيث إن الفعل وما جرى مجراه إذا قدم على فاعله الظاهر يفرد ويذكر فيقال: يخشع أبصارهم، ولا يقال: تخشعن أبصارهم فإن تأنيث الجمع غير حقيقي لكونه بمعنى الجماعة والفعل إذا أسند إلى الظاهر المؤنّث الغير الحقيقي جاز إلحاق علامة التأنيث بالفعل وتركها نحو طلع الشمس، وقوله تعالى: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٧٥] فكذا أسند إلى ظاهر الجمع مطلقًا أي سواء كان جمع سلامة أو جمع تكسير وسواء كان واحد المكسر حقيقي التذكير أو التأنيث كرجال ونسوة أو مجازي التأنيث كأيام ودور وكذا واحد المجموع بالألف والتاء ينقسم إلى هذه الأقسام الأربعة نحو الظلمات والزينبات والحبليات والغرفات فحكم المسند إلى ظاهر هذه المجموع حكم المسند إلى ظاهر المؤنّث الغير الحقيقي في جواز إلحاق علامة التأنيث وتركه وأما إلحاق ضمير الجمع به مع كونه مسندًا إلى الظاهر فغير فصيح إلا على لغة طيّ يقولون: أكلوني البراغيث فقراءة ﴿خُشَّعًا أَبْصَـٰرُهُمْ﴾ [القَمَر: الآية ٧] بضم الخاء ولا ألف بعدها وفتح الشين مشددة جاءت على تلك اللغة، فكذا أسماء الفاعلين إذا أُسندت إلى الجماعة جاز فيها التوحيد مع التذكير نحو خاشعًا أبصارهم وجاز أيضًا التوحيد مع التأنيث نحو خاشعة أبصارهم وجاز الجمع أيضًا على لغة طيّ نحو خشعًا أبصارهم. **قوله**: **(غيرهم خشعًا)** بضم فتشديد جمع خاشع. **قوله**: **(وهي لغة مَن يقول: «أكلوني البراغيث»)** وهي لغة طيء وهي لغة ثابتة خرّجوا عليها. قوله تعالى ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ [الأنبياء: الآية ٣] على أحد المذاهب ومثله يتعاقبون فيكم ملائكة. وقوله في صحيح مسلم وغيره: حتى احمرّتا عيناه وأشباهه كثيرة معروفة. وقال سيبويه: لغة أكلوني البراغيث ليست في

ضميرهم وتقع ﴿أَبْصَٰرُهُمْ﴾ بدلًا عنه، وخشوع الأبصار كناية عن الذلّة لأن ذلّة الذليل وعزّة العزيز تظهران في عيونهما ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ من القبور ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ في كثرتهم وتفرقهم في كل جهة. والجراد مثل في الكثرة والتموّج يقال في الجيش الكثير المائج بعضه في بعض جاءوا كالجراد ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ﴾. مسرعين (**مادّي أعناقهم إليه**) ﴿يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ (**صعب**) شديد.

---

القرآن، قال: والضمير في ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى﴾ [الأنبياء: الآية ٣] فاعل و﴿ٱلَّذِينَ﴾ [الأنبياء: الآية ٣] بدل منه. قوله: (البراغيث) جمع البرغوث وضمّ بائه أشهر من كسرها. **فائدة جليلة** روى الإمام أحمد والبزار والبخاري في الأدب المفرد والطبراني في الدعوات عن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ سمع رجلًا يسبّ برغوثًا فقال: لا تسبّه فإنه أيقظ نبيًّا لصلاة الفجر. وفي معجم الطبراني عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: ذكرت البراغيث عند رسول الله ﷺ فقال: إنها توقظ للصلاة أي لصلاة الفجر، وفيه عن عليّ رضي الله تعالى عنه قال: نزلنا منزلًا فآذتنا البراغيث فسببناها فقال رسول الله ﷺ: لا تسبّوها فنعمت الدابة فإنها أيقظتكم لذكر الله.

**فائدة أخرى** روى ابن أبي الدنيا في كتاب التوكّل أن عامل إفريقية كتب إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه يشكو إليه الهوامّ والعقارب فكتب إليه وما على أحدكم إذا أمسى وأصبح أن يقول: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم: الآية ١٢] الآية. قال زرعة بن عبد الله أحد رواته وينفع من البراغيث، وفي كتاب فردوس الحكمة آية في كتاب الله مَن قرأها يأمن من الهوامّ ﴿إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود: الآية ٥٦] وفي كتاب الدعوات للمستغفرين عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه وشرح المقامات للمسعوديّ عن أبي ذرّ رضي الله تعالى عنه أن النبيّ ﷺ قال: إذا آذاك البرغوث فخذ قدحًا من ماء واقرأ عليه سبع مرات ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم: الآية ١٢] الآية. ثم تقول: إن كنتم مؤمنين فكفّوا شرّكم وأذاكم عنا ثم ترشه حول فراشك فإنك تبيت آمنًا من شرّها. **قوله**: (**مادّي أعناقهم إليه**) من جملة معنى ﴿مُّهْطِعِينَ﴾ [إبراهيم: الآية ٤٣] فإن الإهطاع معناه الإسراع في المشي مع مد العنق إلى جهة الإمام. **قوله**: (**صعب**) في المصباح صعب الشيء صعوبة فهو

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ﴿١٠﴾﴾

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ قبل أهل مكة ﴿قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾ نوحًا عليه السلام. ومعنى تكرار التكذيب أنهم كذبوه تكذيبًا على عقب تكذيب **(كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب، أو كذبت قوم نوح الرسل)** فكذبوا عبدنا أي لما كانوا مكذبين بالرسل جاحدين للنبوّة رأسًا كذبوا نوحًا لأنه من جملة الرسل ﴿وَقَالُوا مَجْنُونٌ﴾ أي هو مجنون وقد ازدجرتْه الجنّ وتخبَّطتهُ وذهبت **(بلبّه)** ﴿وَازْدُجِرَ﴾ **(زجر)** عن أداء الرسالة بالشتم وهدد بالشتم وهدد بالقتل، أو هو من جملة بأني ﴿مَغْلُوبٌ﴾ غلبني قومي فلم يسمعوا مني واستحكم اليأس من إجابتهم لي ﴿فَانْتَصِرْ﴾ فانتقم لي منهم بعذاب تبعثه عليهم.

---

صعب. اهـ. وفي المختار صعب الأمر من باب سَهُل صار صعبًا. اهـ. وفي المغرب الصعب خلاف السَّهْل. اهـ.

**قوله: (كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب)** فالمكذب بكسر الذال متعدد والمكذب واحد وهو نوح عليه السلام فحينئذٍ يكون من التنازع.

**قوله: (أو كذبت قوم نوح الرسل** ﴿فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾**)** فعلى هذا مفعول ﴿كَذَّبَتْ﴾ [القمر: الآية ٩] محذوف أي الرسل والمكذب بالكسر واحد والمكذّب بالفتح متعدد.

**قوله: (زجر)** يعني أن قوله تعالى: ﴿وَازْدُجِرَ﴾ [القمر: الآية ٩] افتعل بمعنى فعل كقوله: ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ [القمر: الآية ٤] فيكون قوله ﴿وَازْدُجِرَ﴾ [القمر: الآية ٩] من كلام الله تعالى أخبر عنه عليه الصلاة والسلام بأنه انتهر وزجر بالسَّبّ وأنواع الأذيّة حيث قالوا: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ [الشعراء: الآية ١١٦] ويؤيّد هذا المعنى ترتب قوله: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ﴾ [الدخان: الآية ٢٢] عليه بالفاء أي لما زجروه على دعوتهم وعلى تبليغ رسالته إليهم دعا ربه بأني غلبني قومي بالتكذيب وأنواع الأذيّة على طول الزمان فانتقم لي ممن كذبني. **قوله:** (﴿قَبْلَهُمْ﴾) أي مقولهم. **قوله:** (بلبّه) في المصباح اللب العقل والجمع اللباب مثل قفل وأقفال. اهـ.

﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾﴾

﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ﴾ (﴿ففتّحنا﴾ **شامي ويزيد وسهل ويعقوب**) ﴿بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾ منصب في كثرة وتتابع لم ينقطع أربعين يومًا ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾ وجعلنا الأرض كلها كأنها عيون تتفجر وهو أبلغ من قولك «وفجرنا عيون الأرض» ﴿فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ﴾ أي مياه السماء والأرض (**وقرىء ﴿الماءان﴾**) أي النوعان من الماء السمٰوي الأرضي ﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ على حال قدرها الله كيف شاء أو على أمر قد قدر في اللوح المحفوظ أنه يكون وهو هلاك قوم نوح بالطوفان.

﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾﴾

﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾﴾ أراد السفينة وهي من الصفات التي تقوم مقام الموصوفات (**فتنوب منابها وتؤدي مؤداها**) بحيث لا يفصل بينها وبينها ونحوه («**ولكنّ قميصي مسرودة من حديد**») أراد ولكن قميصي درع، ألا ترى

---

**قوله**: (﴿فَفَتَحْنَآ﴾) بتشديد التاء بعد الفاء (**شامي**) أي ابن عامر الشامي (**ويزيد**) هو أبو جعفر يزيد بن القَعْقَاع المدني وليس من السبعة (**وسهل**) بن محمد (**ويعقوب**) بن إسحٰق وليسا من السبعة والباقون بالتخفيف. **قوله**: (**وقرىء الماءان**) بالتثنية وتحقيق الهمزة وهذه قراءة شاذّة قارئه الحسن وعاصم الجحدري ومحمد بن كعب. وتُروَى عن أمير المؤمنين أيضًا وقرأ الحسن أيضًا الماوان بقلبها واوًا. ورُوِيَ عنه أيضًا المايان بقلبها ياء وهي أشدّ مما قبلها.

**قوله**: (**فتنوب منابها وتؤدّي مؤدّاها**)... الخ لأن الصفات أريد بها موصوفاتها كناية كما يراد بطويل القامة عريض الأظفار بادي البشرة الإنسان كما فصّل في أواخر فن البيان ولكونها أبلغ اختيرت على قوله وحملناه على السفينة هنا. **قوله**: (**ولكن قميصي مسرودة من حديد**) أوله:

مفرشي صهوة الحصان ولكن قميصي مسرودة من حديد

**في الصحاح** الصهوة موضع اللبد من ظهر الفرس. اهـ. وفيه فرس حصان بالكسر بين التحصين والتحصّن، ويقال إنه سُمِيَ حصانًا لأنه ضنّ بمائة فلم ينز إلّا على كريمة ثم كثر ذلك حتى سموا كل ذكر من الخيل حصانًا. هـ.

أنك لو جمعت بين السفينة وبين هذه الصفة لم يصح، **(وهذا من فصيح الكلام وبديعه، والدسر جمع دسار)** وهو المسمار فعال من دسره إذا دفعه لأنه يدسر به منفذه.

﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾﴾

﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ **(بمرأى منّا)** أو بحفظنا أو ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ حال من الضمير في ﴿تَجْرِي﴾ أي محفوظة بنا ﴿جَزَآءً﴾ مفعول له لما قدم من فتح أبواب السماء وما بعده أي فعلنا ذلك جزاء ﴿لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ وهو نوح عليه السلام وجعله مكفورًا لأن النبيّ نعمة من الله ورحمة قال الله تعالى: (﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾) [الأنبياء: الآية ١٠٧] فكان نوح نعمة مكفورة ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ﴾ **(أي السفينة أو الفعلة)** أي جعلناها ﴿ءَايَةً﴾ يعتبر بها. **(وعن قتادة)**: أبقاها الله بأرض الجزيرة. وقيل: على **(الجودي)** دهرًا طويلًا حتى نظر إليها أوائل هذه الأمة ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾

---

**قوله**: **(وهذا من فصيح الكلام وبديعه)** فإنه من باب الكناية التي المطلوب بها نفس الموصوف كما تقول في الكناية عن الإنسان إنه حيّ مستوي القامة عريض الأظفار وفيه حصول المطلوب مع التعريف. **قوله**: **(والدسر جمع دسار)** بكسر الدال المهملة مثل كتاب وكتب وكما أن الكتاب بمعنى المكتوب فكذا الدسار بمعنى المدسور فإن المسمار يدفع دفعًا شديدًا.

**قوله**: **(بمرأى منا)** أي بمكان يرى ويشاهد فيه عبارة تفسير البغوي رحمه الله أي بمرأى منّا. وقال مقاتل بن حيّان بحفظنا، ومن قولهم للمودَّع: عين الله عليك. وقال سفيان بأمرنا. اهـ. **قوله**: (﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ﴾) يا محمد (﴿إِلَّا رَحْمَةً﴾) إلا للرحمة (﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾) الإنس والجن بك. **قوله**: **(أي السفينة)** يعني الموصوفة بقوله: ﴿ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾ [القمر: الآية ١٣]. **قوله**: **(أو الفعلة)** وهي إنجاء نوح ومَن آمن به من أصحاب السفينة من الكرب العظيم وتدمير آخرين بعذاب أليم. **قوله**: **(وعن قتادة)** بن دعامة بن قتادة السدوسي أبي الخطاب البصري ثقة ثبت. يُقال: ولد أكمه وهو من كبار التابعين مات سنة سبع عشرة ومائة بواسط أبقاها الله... الخ. وكذا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما. **قوله**: **(الجوديّ)** جبل بالموصل وقيل: بالشأم، وقيل: ببابل. اهـ بيضاوي.

متعظ يتعظ (**ويعتبر**)، وأصله مذتكر بالذال والتاء ولكن التاء أبدلت منها الدال والدال والذال من موضع فأدغمت الذال في الدال.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾﴾

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾﴾ (**جمع نذير وهو الإنذار** ﴿**ونذري**﴾ **يعقوب فيهما، وافقه سهل في الوصل. غيرهما بغير ياء**) وعلى هذا الاختلاف ما بعده إلى آخر السورة ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ سهلناه للادّكار والاتعاظ بأن (**شحناه**) بالمواعظ الشافية وصرفنا فيه من الوعد والوعيد ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ متعظ يتعظ. وقيل: ولقد سهلناه للحفظ وأعنّا عليه مَن أراد حفظه فهل من طالب لحفظه ليعان عليه؟ ويُروى أن كتب أهل الأديان نحو التوراة والإنجيل والزبور لا يتلوها أهلها إلا نظرًا ولا يحفظونها ظاهرًا كالقرآن.

﴿(كَذَّبَتْ عَادٌ) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾﴾ (**أي وإنذاراتي لهم بالعذاب قبل نزوله أو وإنذاراتي في تعذيبهم لمن بعدهم**).

---

**قوله**: (**ويعتبر**) بما صنع الله تعالى بقوم نوح فيترك المعصية ويختار الطاعة والإنابة رزقنا الله سبحانه وتعالى.

**قوله**: (**جمع نذير وهو الإنذار**) أي جمع نذير الذي بمعنى الإنذار كالنكير بمعنى الإنكار ويحتمل أن يكون مصدرًا كالإنذار كما حُكِيَ عن الفرّاء أنه قال: تقول العرب أنذرت إنذارًا ونذرًا كقولهم: أنفقت إنفاقًا ونفقة وأيقنت إيقانًا ويقينًا. **قوله**: («**ونذري**») بإثبات الياء بعد الراء (**يعقوب**) بن إسحٰق (**فيهما**) أي في الحالين (**وافقه سهل**) بن محمد (**في الوصل**) وليسا من السبعة (**غيرهما بغير ياء**) وقفا ووصلًا. **قوله**: (**شحناه**) أي ملأناه، في المختار شحن السفينة ملأها وبابه قطع، ومنه قوله تعالى: ﴿فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ [الشُّعَراء: الآية ١١٩]. اهـ.

**قوله**: (﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾) أي هودًا أو كذبت جميع الأنبياء أو فعلت التكذيب على أنه نزل منزلة اللازم. **قوله**: (**أي وإنذاراتي لهم بالعذاب**) أشار به إلى أن النذر جمع نذير بمعنى الإنذار لا بمعنى المنذر أو المنذر به. **قوله**: (**قبل: نزوله**) فحينئذٍ العذاب والإنذار لعاد. **قوله**: (**أو وإنذاراتي في تعذيبهم لمن بعدهم**) فحينئذٍ

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ مُّسۡتَمِرّٖ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ ﴿٢٠﴾ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿٢٢﴾﴾

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا﴾ **(باردة أو شديدة الصوت** ﴿فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ﴾ **(شؤم** ﴿مُّسۡتَمِرّٖ﴾**)** دائم الشر فقد استمر عليه حتى أهلكهم **(وكان في أربعاء)** في **(آخر الشهر)**.

---

العذاب لهم والإنذار لمن عداهم ولم يذكره أولًا مع احتماله لأنه يفهم مما هنا جريانه فيهما فلا غبار عليه.

**قوله**: **(باردة)** أي صرصر من الصرّ بالكسر بمعنى البرد الشديد. **قوله**: **(أو شديدة الصوت)** في هبوبها من الصرير. **قوله**: **(شؤم)** في المصباح الشؤم الشر. اهـ.

**قوله**: **(وكان في أربعاء)** بتثليث الباء والمدّ كذا في التيسير وفي فيض القدير كسر الموحّدة على الأشهر في **(آخر الشهر)** وهو شوال لثمانٍ بقين منه واستمر إلى غروب شمس الأربعاء آخره، فإنه قال تعالى في سورة الحاقة: ﴿سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗاۖ﴾ [الآية ٧]، وقال تعالى في حَم السجدة: ﴿فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ﴾ [فصّلت: الآية ١٦] فالمراد باليوم هنا الوقت والزمان كذا في الخطيب.

وفي حاشية البيضاوي للعلّامة القنوي أي استمر ذلك اليوم بمعنى الحين والوقت المطلق لا بياض النهار ويؤيده قوله تعالى: ﴿فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ﴾ [فصّلت: الآية ١٦] وهي سبع ليالٍ وثمانية أيام فاليوم لا جرم بمعنى مطلق الوقت الشامل لليل وبياض النهار واليوم الواحد لا استمرار له بداهة بهذا المعنى وإن كان له استمرار في الجملة، قيل: استمر شؤمه أي عليهم أوابد الدهر فإن الناس يتشاءمون بأربعًا آخر الشهر، والمراد بالناس العوام الذين كالهوام فإن المراد حينئذٍ اليوم الواحد. وقال تعالى في الآية الأخرى: ﴿فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ﴾ [فصّلت: الآية ١٦] وهي أيام ثمانية مع سبع ليالٍ فأطلق في القرآن النحسات على مجموع أوقات هلاكهم فيلزم كونها نحسات، فالتخصيص بالأربعاء آخر الشهر تحكم. وما رُوِيَ في حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كما في الجامع الصغير آخر أربعاء في الشهر يوم نحس

.................................................................................................

مستمر. فقال ابن كثير في تاريخه: مَن قال إن يوم النحس يوم الأربعاء وأمثاله فقد أخطأ وخالف القرآن لما في الآية الأخرى جاء ﴿أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ [فصّلت: الآية ١٦] فلو كانت نحسات في نفسها كانت جميع الأيام كذلك وهذا لم يقله أحد فالمراد أنها نحسات عليهم. انتهى.

كذا قيل والزمان من حيث إنه زمان لا نحس فيه بل النحس إنما هو بسبب ما وقع فيه من العذاب، والعذاب إنما نزل عليهم، فالنحس بالنسبة إليهم وعن هذا علماء الشريعة يتبرّكون بيوم الأربعاء ويبدؤون الدروس في ذلك اليوم فالاستمرار بحسب الزمان على هذا الوجه انتهت بحروفها.

**وفي فيض القدير بشرح الجامع الصغير** (آخر أربعاء في الشهر) لفظ رواية الخطيب من الشهر (﴿يَوْمِ نَحْسٍ﴾) بالإضافة على الأجود أي شؤم وبلاء (﴿مُّسْتَمِرٍّ﴾) مطرد شؤمه أو دائم الشؤم أو مستحكمه. ورُوِيَ يوم نحس بالرفع والتنوين فيهما و﴿مُّسْتَمِرٌّ﴾ نعت لنحس أو ليوم أو عطف بيان أو بدل وليس قوله: نحس على جهة الطيرة وكيف يريد ذلك والأيام كلها لله. وقد جاء في تفصيل بعض الأيام على بعض أخبار كثيرة وهو من الفأل الذي كان يحبه، وأما الطيرة فيكرهها وليست من الدين بل من فعل الجاهلية، وقول الكهّان والمنجمين فإنهم يقولون: يوم الأربعاء يوم عطارد وعطارد نحس من النحوس سعد مع السعود. وقولهم: خارج عن الدين ويجوز كون ذكر الأربعاء نحس على طريق التخويف والتحذير أي احذروا ذلك اليوم لما نزل فيه من العذاب وكان فيه من الهلاك وجددوا لله توبة خوفًا أن يلحقكم فيه بؤس كما وقع لمن قبلكم وكان عليه السلام إذا رأى مخيلة فزع إلى الصلاة حتى إذا نزل المطر سري عنه. ويقول: ما يؤمنني أن يكون فيها عذاب كما وقع لبعض الأمم السابقة فكان يحذر أمنه من مثل ما قال أولئك: ﴿هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ [الأحقاف: الآية ٢٤] فأتاهم بخلاف ما ظنّوا. قال الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأحقاف: الآية ٢٤] وكما قال ﷺ حين أتى إلى الحجر: «لا تدخلوا على هؤلاء المعذّبين إلا أن تكونوا باكين». وكما رغب في يوم عاشوراء لما جعل الله من نجاة موسى وبني إسرائيل

..................................................................

من فرعون حذرًا من يوم الأربعاء لما كان فيه انتهى. وقال السهيلي نحوسة على مَن تشام وتطير بأن كان عادته الطير وترك الاقتداء بالنبيّ ﷺ في تركه وتلك صفة مَن قلّ توكله فذلك الذي تضرّ نحوسة في تصرّفه فيه.

وقال بعضهم: التطيّر مكروه كراهة شرعية إلا أن الشرع أباح لمن أصابه في آخر الأربعاء شيء من نحو جايحة أن يدع التصرّف فيه لا على جهة الطيرة واعتقاد أنه يضر أو يصيبه فيه فقر أو موت بل على جهة اعتقاد إباحة الإمساك فيه لما كرهت النفس لا اقتضاء للتطيّر، ولكن إثباتًا للرخصة في التوقي فيه لمن شاء مع وجوب اعتقاد أن شيئًا لا يضرّ شيئًا. وقال الحليمي: علمنا ببيان الشريعة أن من الأيام نحسًا والذي يقابل النحس السعد فإذا ثبت أن بعض الأيام نحس ثبت أن بعضها سعد والأيام في هذا كالأشخاص منها مسعودة ومنها منحوسة ومن الناس شقي وسعيد، فإن أضاف أحد إلى الأيام أو الكواكب أنها تسعد باختيارها أوقاتًا أو أشخاصًا أو تنحسها فذلك باطل وإن قال: إن للكواكب طبائع وأمزجة مختلفة وتلك تتغير منها باتصال بعضها ببعض وانفصال بعضها عن بعض فطرة فطرها الله عليها تنادي بتوسّط النيرين إلى الأرض وما فيها فأي شيء منها كان هو المنادي إلى الأجسام الأرضية كانت الآثار التي تحدث فيها عنه بحسبها فقد يكون منها ما هو سببًا للاغتنام، وما يصير سبب للصحة والسلامة وما هو سبب لحسن الخلق وبذل المعروف والإنصاف والرغبة في الخير وما هو سبب للهيج والظلم والإقدام على الشر، فهذا قد يكون لكنه فعل الله وحده انتهى.

وأما حمل الحديث على الأربعاء الذي أرسل فيه الريح على عاد بخصوصه قمنا في السياق مع أنه لا يلزم من تعذيب قوم فيه كونه نحسًا على غيرهم رحمه على أنه نحس على المفسدين لا المصلحين هلهل بالمرة إذ لا اختصاص بالأربعاء. وأخرج أبو يعلى عن ابن عباس وابن عدي وتمام في فوائده عن أبي سعيد مرفوعًا يوم السبت يوم مكر وخديعة يوم الأحد يوم عرس وبناء ويوم الاثنين يوم سفر وطلب رزق ويوم الثلاثاء يوم حديد وبأس ويوم الأربعاء لا أخذ ولا عطاء ويوم الخميس يوم طلب الحوائج والدخول على السلطان والجمعة يوم خطبة

..............................................................................................................

ونكاح. قال السخاوي: وسنده ضعيف. وذكر الزمخشري أن يزيد قال لأخيه: اخرج معي في حاجة، فقال: هو يوم الأربعاء، قال: فيه وُلد يونس، قال: لا جرم قد بانت له بركة في اتساع موضعه وحسن كسوته حتى خلصه الله. قال: وفيه وُلد يوسف، قال: فما أحسن ما فعل به إخوته حتى طال حبسه وغربته، قال: وفيه نصر المصطفى صلّى الله عليه وسلّم يوم الأحزاب. قال: أجل بعد أن زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر. وفي بعض الآثار النهي عن قصّ الأظفار يوم الأربعاء وأنه يورث البرص. قال في المطامح: وأخبرني ثقة من أصحابنا عن ابن الحاج وكان من العلماء المتقين أنه همّ بقصّ أظفاره يوم الأربعاء فتذكر الحديث الوارد في كراهته فتركه ثم رأى أنها سنة حاضرة فقصّها فلحقه برص فرأى النبيّ ﷺ في نومه فقال له إنه لم يسمع نهي عن ذلك فقال: يا رسول الله لم يصح عندي الحديث عنك، قال: يكفيك أن تسمع ثم مسح بيده على بدنه فزال البرص جميعًا. قال ابن الحاج: فجددت مع الله توبة أن لا أُخالف ما سمعت عن رسوله أبدًا.

والحاصل أن توقي الأربعاء على جهة الطيرة وظنّ اعتقاد المنجمين حرام شديد التحريم إذ الأيام كلها لله لا تضرّ ولا تنفع بذاتها وبدون ذلك لا ضير ولا محذور ومن تطير حاقت به نحوسته، ومَن أيقن بأنه لا يضر ولا ينفع إلّا الله، لم يؤثر فيه شيء من ذلك قال:

تعلم أنه لا طير إلّا على متطيّر وهو الثبور

وفي حديث رواه ابن ماجه عن ابن عمر مرفوعًا، وخرجه الحاكم من طريقين آخرين لا يبدو جذام ولا برص إلا يوم الأربعاء. **وفي منهاج الحليمي وشعب البيهقي** أن الدعاء يستجاب يوم الأربعاء بعد الزوال.

وذكر برهان الإسلام في تعليم المتعلّم عن صاحب الهداية أن ما بدئ شيء يوم الأربعاء إلّا وتمّ فلذلك كان جمع من المشائخ يتحرّون ابتداء الجلوس للتدريس فيه وذلك لأن العلم نور فبدايته يوم خلق النور فيه تناسب يعين على تتمته.

﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ﴾ تقلعهم عن أماكنهم وكانوا يصطفون آخذًا بعضهم بأيدي بعض ويتداخلون في **(الشّعاب)** ويحفرون **(الحُفَر)** فيندسون فيها فتنزعهم وتكبّهم وتدق رقابهم ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ حال ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ أصول نخل **(منقلع)** عن مغارسه،

---

واستحبّ بعضهم غرس الأشجار فيه لخبر ابن حبان والديلمي عن جابر مرفوعًا من غرس يوم الأربعاء. فقال: سبحان الباعث الوارث أتته بأكلها، قالوا: ولما أرسل ملك الروم كتابه إلى المعتصم يتهدده كتب له على ظهره الجواب ما تراه لا ما تسمعه وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار، وقام فخرج من فوره في وقته يوم الأربعاء ولم يدخل بيته فمنعه المنجمون وقالوا: الطالع نحس فقال: عليهم لا علينا وسافر فيه فأسر ستين ألفًا وقتل ستين ألفًا وكانت وقعة أعزّ الله فيها الإسلام وأهله (وكيع) أي القاضي أبو بكر محمد بن خلف المعروف بوكيع بفتح الواو وكسر الكاف وعين مهملة (في الغرر) أي في كتاب الغرر من الأخبار وابن مردويه أبو بكر أحمد بن موسى (في التفسير) المسند من عدة طرق عن ابن عباس وعن عائشة وعن عليّ وعن أنس وغيرهم (خط) في ترجمة أبي وزير صاحب ديوان المهديّ (عن ابن عباس) وفيه مسلمة بن الصلت.

قال أبو حاتم: متروك. وجزم ابن الجوزي بوضعه وحكاه في الكبير ولم يتعقبه. وقال ابن رجب: حديث لا يصحّ ورواه الطوري من طريق آخر عن ابن عباس موقوفًا. قال السخاوي: وطرقه كلها واهية. وروى الطبراني بسند ضعيف يوم الأربعاء يوم نحس مستمر والحديث المشروح يفيده. انتهى بالتقاط.

**وفي السراج المنير شرح الجامع الصغير للعلّامة العزيزي**. قال العلقميّ: وحاصل كلام شيخنا على الموضوعات أنه ليس بموضوع. اهـ.

**قوله: (الشعاب)** في المصباح الشعب بالكسر الطريق. وقيل: الطريق في الجبل والجمع شعاب. اهـ.

**قوله: (الحفر)** جمع حفرة مثل غرفة وغرف أصول نخل تفسير ﴿أَعْجَازُ﴾ [القَمَر: الآية ٢٠] جمع قلّة بمعنى جمع الكثرة ولذا قال: أصول نخل. **قوله: (منقلع)** تفسير ﴿مُّنقَعِرٍ﴾ [القَمَر: الآية ٢٠] لأنه بمعنى أخرج من القعر.

وشبهوا بأعجاز النخل لأن الريح كانت تقطع رؤوسهم فتبقى أجسادًا بلا رؤوس فيتساقطون على الأرض أمواتًا وهم جثث طوال كأنهم أعجاز نخل، وهي أصولها بلا فروع، وذكر صفة نخل على اللفظ ولو حملها على المعنى لأنث كما قال: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: الآية ٧] ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾﴾

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا﴾ انتصب ﴿بشرًا﴾ بفعل يفسره ﴿نَّتَّبِعُهُ﴾ تقديره أنتبع بشرًا منّا واحدًا ﴿إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ كأن يقول إن لم تتبعوني كنتم في ضلال عن الحق.

وسعر و(**نيران جمع سعير**) فعكسوا عليه فقالوا: إن اتبعناك كنا إذ كما تقول. وقيل: الضلال الخطأ والبعد عن الصواب، والسعر الجنون، وقولهم: ﴿أَبَشَرًا﴾ إنكار لأن يتبعوا مثلهم في الجنسية وطلبوا أن يكون من الملائكة وقالوا منا، لأنه إذا كان منهم كانت المماثلة أقوى، وقالوا: ﴿وَاحِدًا﴾ إنكارًا لأن تتبع الأمة رجلًا واحدًا، (**أو أرادوا واحدًا من أفنائهم**) ليس من أشرفهم وأفضلهم، ويدلّ عليه قوله: ﴿أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا﴾ أي أأنزل عليه الوحي من بيننا وفينا مَن هو أحقّ منه بالاختيار للنبوّة ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ بطر متكبر حمله بطره وطلبه التعظم علينا على ادعاء ذلك ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا﴾ عند نزول العذاب بهم أو يوم القيامة ﴿مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ﴾ أصالح أم من كذبه.

---

**قوله**: (**نيران**) في المصباح النار جمعها نيران.اهـ. **قوله**: (**جمع سعير**) وهو النار.

**قوله**: (**أو أرادوا واحدًا من أفنائهم**) في الصحاح يُقال: هو من أفناء الناس إذا لم يعلم ممن هو.اهـ.

﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾
وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾﴾

(﴿ستعلمون﴾: **شاميّ**) وحمزة على حكاية ما قال لهم صالح مجيبًا لهم أو هو كلام الله على سبيل الالتفات.

﴿إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ﴾ باعثوها ومخرجوها من (**الهضبة**) كما سألوا ﴿فِتْنَةً لَّهُمْ﴾ امتحانًا لهم وابتلاء وهو مفعول له أو حال ﴿فَٱرْتَقِبْهُمْ﴾ فانتظرهم وتبصر ما هم صانعون ﴿وَٱصْطَبِرْ﴾ على أذاهم ولا تعجل حتى يأتيك أمري ﴿وَنَبِّئْهُمْ (أَنَّ ٱلْمَآءَ) قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ﴾ قسوم بينهم لها شرب يوم ولهم شرب يوم (**وقال** ﴿بَيْنَهُمْ﴾ **تغليبًا للعقلاء** ﴿(كُلُّ شِرْبٍ) مُّحْتَضَرٌ﴾ محضور يحضر القوم الشرب يومًا (**وتحضر الناقة يومًا**).

---

**قوله**: («ستعلمون») بعد السين بتاء الخطاب (**شاميّ**) أي ابن عامر الشاميّ **وحمزة**، وفيه وجهان: أحدهما أنه حكاية قول صالح لقومه، والثاني أنه خطاب الله تعالى وكلامه لهم على سبيل الالتفات من الغيبة في قوله: فقالوا: وقرأ الباقون بياء الغيبة على وفق قوله: فقالوا.

**قوله**: (**الهضبة**) في المغرب الهضبة الجبل المُنْبَسِط على وجه الأرض وجمعها هِضاب. اهـ.

**قوله**: (﴿أَنَّ ٱلْمَآءَ﴾) وهو ماء بئرهم الذي كانوا يشربون منه.

**قوله**: (**وقال** ﴿بَيْنَهُمْ﴾ **تغليبًا للعقلاء**) أي ضمير العقلاء في ﴿بَيْنَهُمْ﴾ [القَمَر: الآية ٢٨] لقوم صالح وللناقة جميعًا فجمعه جمع العقلاء مع أن ناقة صالح مما لا يعقل لتغليب العقلاء عليها.

**قوله**: (﴿كُلُّ شِرْبٍ﴾) بكسر الشين نصيب من الماء. **قوله**: (**وتحضر الناقة يومًا**) لا تدع في البئر قطرة يأخذها أحد منهم. رُوِيَ أنهم كانوا يكتفون في يوم ورودها بلبنها. اهـ خطيب.

﴿فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾﴾

﴿فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ﴾ (قدار) بن سالف (أُحيمر ثمود) ﴿فَتَعَاطَىٰ﴾ فاجترأ على تعاطي الأمر العظيم (غير مكترث له) ﴿فَعَقَرَ﴾ الناقة (أو ﴿فَتَعَاطَىٰ﴾) الناقة فعقرها أو فتعاطى السيف. وإنما قال: ﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ﴾ [الأعراف: الآية ٧٧] في آية أخرى لرضاهم به أو لأنه عقر بمعونتهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ﴾ في اليوم الرابع من عقرها ﴿صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ صاح بهم جبريل عليه السلام ﴿فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ﴾ والهشيم الشجر اليابس المتهشم المتكسر، (والمحتظر) الذي يعمل الحظيرة وما يحتظر به ييبس بطول الزمان وتتوطؤه البهائم فيتحطم ويتهشم، (وقرأ الحسن بفتح الظاء) وهو موضع الاحتظار أي الحظيرة ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾﴾.

---

**قوله**: (قدار) بضم القاف اسم عاقر الناقة وهو أشقى الأولين. **قوله**: (أُحيمر ثمود) تصغير أحمر صغر تحقيرًا له وكان قدار أحمر أشقر. اهـ شيخ زاده. وقوله: (أشقر) في المصباح الشقرة من الألوان حمرة تعلو بياضًا في الإنسان، وحمرة صافية في الخيل. قاله ابن فارس وشقر شقرًا من باب تعب فهو أشقر والأنثى شقراء والجمع شقر وشقران وزان عثمان من ذلك وبه سمي ومنه شقران مولى رسول الله ﷺ واسمه صالح. اهـ.

وفي حاشية الشهاب عليه رحمة الله الوهّاب أحيمر ثمود تصغير أحمر لقبه والإضافة للتمييز قد ترد في الأعلام. اهـ.

**قوله**: (غير مكترث له) في المغرب فلان لا يكترث لهذا الأمر أي لا يَعْبأُ به ولا يُبَاليه. **قوله**: (أو ﴿فَتَعَاطَىٰ﴾) أي فتناول. **قوله**: (والمحتظر) بكسر الظاء الذي يعمل الحظيرة، الحظيرة مقرّ الغَنم ونحوها وإضافة الهشيم إلى المحتظر بكسر الظاء لأدنى ملابسة.

**قوله**: (وقرأ الحسن بفتح الظاء) وهذه قراءة شاذّة.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾﴾

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ﴾ يعني على قوم لوط ﴿حَاصِبًا﴾ **(ريحًا تحصبهم)** بالحجارة أي ترميهم ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ﴾ ابنتيه ومَن آمن معه ﴿نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ﴾ **من الأسحار ولذا صرفه ـ ويقال: لقيته بسحر إذا لقيته في سحر يومه)**.

---

**قوله: (ريحًا تحصبهم)** إشارة إلى أن الحاصب اسم فاعل بمعنى رامي الحصباء وهي الحجارة حذف موصوفه وهو الريح وتذكيره مع كونه مسندًا إلى ضمير الريح وهي مؤنّث سماعي لكونها في تأويل العذاب. وقوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً﴾ [هود: الآية ٨٢]. وكذا قول الملائكة: ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً﴾ [الذاريات: الآية ٣٣] يدلّان على أن الذي أرسل عليهم نفس الحجارة لا التي تحصبها إلا أنه قيل: هٰهنا أرسلنا عليهم ريحًا حاصبًا لدلالة على أن إمطار الحجارة وإرسالها عليهم كان بواسطة إرسال الريح الحاصبة بالحجارة.

**قوله: (﴿بِسَحَرٍ﴾ من الأسحار ولذا صرفه ويقال: لقيته بسحر إذا لقيته في سحر يومه) في شرح العلّامة الأشموني على ألفيّة ابن مالك** والظرف غير المتصرّف منه منصرف وغير منصرف، فالمنصرف نحو سحر وليل ونهار وعشاء وعتمة ومساء وعشية غير مقصود بها كلها التعيين وغير المنصرف نحو سحر مقصودًا به التعيين ومن العرب مَن لا يصرف عشية في التعيين. اهـ بحروفه. **وفي حاشيته للعلّامة الصبان.**

**قوله: (غير مقصود بها كلها التعيين)**، فإن قصد بها التعيين فما وجد فيه علّة أخرى كسحر وعتمة وعشية لم يصرف وإلّا صرف، ففي مفهومه تفصيل فلا اعتراض والعلّة الأخرى في سحر العدل عن السحر وفي عتمة وعشية التأنيث لكن منع صرف عتمة وعشية حينئذٍ إحدى لغتين كما يأتي.

**قوله: (وغير المنصرف نحو سحر)** وعشية وعتمة وإنما لم يذكرهما لأن صرفهما مع التعيين هو الفصيح ومنعهما الصرف معه لغة قليلة كما قاله الدماميني وأشار إليه الشارح رحمه الله في عشية بقوله: ومن العرب... الخ انتهت

وقيل: هما سحران: فالسحر الأعلى قبل **(انصداع الفجر)**، والآخر عند انصداعه ﴿نِّعۡمَةٗ﴾ مفعول له **(أي إنعامًا)** ﴿مِّنۡ عِندِنَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَن شَكَرَ﴾ نعمة الله بإيمانه وطاعته ﴿وَلَقَدۡ أَنذَرَهُم﴾ لوط عليه السلام ﴿بَطۡشَتَنَا﴾ **(أخذتنا بالعذاب** ﴿فَتَمَارَوۡاْ بِٱلنُّذُرِ﴾ فكذبوا بالنذر متشاكين.

﴿وَلَقَدۡ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيۡفِهِۦ فَطَمَسۡنَآ أَعۡيُنَهُمۡ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ٣٧﴾

﴿وَلَقَدۡ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيۡفِهِۦ﴾ طلبوا الفاحشة من أضيافه ﴿فَطَمَسۡنَآ أَعۡيُنَهُمۡ﴾ أعميناهم. وقيل: مسحناها وجلناها كسائر الوجه لا يرى لها شق. رُوِيَ أنهم لما

---

بحروفها. **وفي حاشية تفسير البيضاوي للعلّامة شيخ زاده رحمه الله** ونوّن سحرًا لأن المراد بيان وقت التنجية وهو سحر من الأسحار ولو أريد سحر يوم بعينه لقيل: نجيناهم بالسحر. اهـ. وفي تفسير الجلالين بسحر من الأسحار أي وقت الصبح من يوم غير معين ولو أريد من يوم معين لمنع الصرف لأنه معرفة معدول عن السحر لأن حقه أن يستعمل في المعرفة بأل. اهـ. **وفي حاشيته للعلّامة الجمل رحمه الله**، قوله: (من الأسحار) أشار به إلى أن السحر نكرة لم يرد به سحر يوم معين فانصرف كما قرره. اهـ كرخي. قوله: (أي وقت الصبح...) الخ هذا التفسير بالنظر للمراد هنا الدالّ عليه قوله: إن موعدهم الصبح وإلا فحقيقة السحر آخر الليل. والباء بمعنى في أو هي للملابسة أي حال كونهم ملتبسين بسحر. اهـ شيخنا. اهـ.

**قوله: (انصداع الفجر)** في **لسان العرب** انصدع الصبح انشقّ عنه الليل. اهـ. وأيضًا فيه وقد انصدع الفجر وانفلق وانفطر إذا انشقّ. اهـ. **قوله: (أي إنعامًا)** أشار به إلى أن نعمة مصدر بمعنى الإنعام. **قوله: (أخذتنا بالعذاب)** نبّه به على أن معنى الوحدة معتبر وأنه باقٍ على معناه المصدري. وفيه تنبيه على أن الأخذ الواحد يكفيهم وأن المراد الأخذ بالعذاب وهو أخذ شديد فهذا أبلغ من، ولقد أنذرهم من عذابنا.

**قوله**: (﴿فَتَمَارَوۡاْ﴾) تفاعلوا من المرية أي تشاركوا في الشك فيما أنذرهم به، وكذّبره وقالوا: كيف يقدر على إهلاكنا وحده وعدّى فتماروا بالباء وأصله أن يتعدّى بفي لتضمنه معنى التكذيب فكأنه قيل: فكذّبوا بالنذر متشاكين.

(**عالجوا**) باب لوط ﷺ ليدخلوا قالت الملائكة: خلهم يدخلوا إنا رسل ربك لن يصلوا إليك، (**فصفقهم**) جبريل ﷺ بجناحه صفقة فتركهم يترددون ولا يهتدون إلى الباب حتى أخرجهم لوط ﴿فَذُوقُوا﴾ فقلت لهم: ذوقوا على ألسنة الملائكة ﴿عَذَابِي وَنُذُرِ﴾.

﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾﴾

(﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً﴾) أول النهار ﴿عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾ ثابت قد استقرّ عليهم إلى أن يفضي بهم إلى عذاب الآخرة.

﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾﴾

﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾﴾ أن يجددوا عند استماع كل نبأ من أنباء الأولين ادكارًا واتعاظًا، وأن يستأنفوا تنبهًا واستيقاظًا إذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه، وهذا حكم التكرير في قوله: (﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾) [الرحمٰن: الآية ١٣] عند كل نعمة عدّها، وقوله: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾﴾ [المرسلات: الآية ٢٥] عند كل آية أوردها، وكذلك تكرير الأنباء والقصص في أنفسها لتكون تلك العبر حاضرة للقلوب مصورة للأذهان مذكورة غير منسية في كل أوان.

---

**قوله**: (**عالجوا**) في الصحاح عالجت الشيء معالجة وعلاجًا إذا زاولته وعالجت الرجل فعلجته علجًا غلبة. **قوله**: (**فصفقهم**) أي ضربهم.

**قوله**: (﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً﴾) أي جاءهم وقت الصبح.

**قوله**: (﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ﴾) نعم (﴿رَبِّكُمَا﴾) أيها الإنس والجن (﴿تُكَذِّبَانِ﴾) ذكرت إحدى وثلاثين مرة والاستفهام فيها للتقرير أي تقرير النعم وتأكيدها في التذكير لما روى الحاكم عن جابر، قال: قرأ علينا رسول الله ﷺ سورة الرحمٰن حتى ختمها ثم قال: ما لي أراكم سكوتًا للجن كانوا أحسن منكم. ردّدوا لمّا قرأت عليهم هذه الآية ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾ [الرحمٰن: الآية ١٣] إلّا قالوا: ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد.

﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾﴾

﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾﴾ موسى وهارون وغيرهما من الأنبياء أو هو جمع نذير وهو الإنذار ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا﴾ **(بالآيات التسع)** ﴿فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ﴾ **(لا يغالب** ﴿مُّقْتَدِرٍ﴾ **لا يعجزه شيء)**.

﴿أَكُفَّارُكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ﴾ الكفار المعدودين قوم نوح وهود وصالح ولوط وآل فرعون **(أي هم خير قوة وآلة ومكانة في الدنيا أو أقل كفرًا وعنادًا)** يعني أن كفاركم مثل أولئك بل شر منهم ﴿أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ﴾ أم أنزلت عليك يا أهل مكة براءة في الكتب المتقدمة أن مَن كفر منكم وكذب الرسل كان آمنًا من عذاب الله فأمنتم بتلك البراءة؟

---

**قوله: (بالآيات التسع)** في تفسير الجلالين في سورة بني إسرائيل وهي اليد والعصا والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس والسنين ونقص من الثمرات. اهـ. **وفي الجمالين للجلالين** قوله: والطمس أي طمس أموالهم والأظهر الفلق بدله وهذا بناء على أن المراد النذر جمع نذر بمعنى الإنذار، وأما إن أريد به المنذرون فالمراد بالآيات آيات الأنبياء كلهم. **قوله: (والسنين)** أي القحط ونقص الثمرات عدّهما واحدة لأنهما في المعنى واحد وكان حقه أن يذكرهما قبل الطوفان. اهـ.

**قوله: (لا يغالب)** بصيغة المجهول وهذا أبلغ من التفسير بالغالب. **قوله:** (﴿مُّقْتَدِرٍ﴾) أبلغ من القدير. **قوله: (لا يعجزه شيء)** أي من الممكنات كلما تعلق قدرته به يكون موجودًا أو معدومًا.

**قوله: (أي هم خير قوة وآلة ومكانة في الدنيا أو أقل كفرًا وعنادًا)** يعني إذ اعتبر معنى الزيادة المستفاد من كلمة خير في جانب أولئك الكفرة كان التقدير هم خير قوة وآلة، وهذا استفهام إنكار أي لستم بخير من هؤلاء الكفرة بل هم خير منكم قوة وآلة، فلم تخافوا أن يحلّ بكم مثل ما حلّ بهم من فنون العذاب مع أنكم أسوأ حالًا وأضعف قوة وآلة، وإذا اعتبر في جانب كفار مكة كان التقدير هم أقل كفرًا بل شر منهم أي لستم بخير منهم بل أنتم شرٌّ منهم حيث ظهر نحو

﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾

**﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ﴾ (جماعة أمرنا مجتمع) ﴿مُّنتَصِرٌ﴾ (ممتنع لا نرام ولا نضام) ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ﴾** جمع أهل مكة **﴿وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾** أي الأدبار **(كما قال:**

**كلوا في بعض بطنكم تعفوا)**

---

وبلاغة القرآن لكونكم من أهل البلاغة بحسب السليقة ثم كفرتم به فأنتم أشد كفرًا منهم فهل تطمعون أن لا يصيبكم ما أصابهم.

**قوله: (جماعة أمرنا مجتمع)** تفسير لقوله: ﴿جَمِيعٌ﴾ [القمر: الآية ٤٤] لأن كونهم جميعًا أمر ظاهر فلا فائدة في الخبر فتأويله ما ذكره. **قوله: (ممتنع لا نرام)** كناية عن عدم المغلوبية فيلزم الغالبية فإن من شأن المغلوب أن يرام ويطلب للأخذ. اهـ قنوي. وفي المصباح رمت الشيء أرومه رومًا ومرامًا طلبته فهو مروم. اهـ. وفي حاشية البيضاوي للعلّامة شيخ زاده رحمه الله.

**قوله: (ممتنع لا نرام)** أي لا نزال عن موضعنا يُقال: رامه يريمه ريما أي برحه وزال عنه وصار إلى البراح وهو المتسع من الأرض لا زرع فيه ولا شجر. اهـ.

**قوله: (ولا نضام)** في المصباح ضامه ضيمًا مثل ضَاره ضَيرًا وزنًا ومعنى. اهـ. وفي مختار الصحاح الضَّيْم الظلم وقد ضامه من باب باع فهو مَضيم واستضامه فهو مُستضام أي مظلوم، وقد ضُمْت بضم الضاد أي ظُلِمْت على ما لم يسم فاعله. اهـ. **قوله: (كما قال:**

**كلوا في بعض بطنكم تعفوا)**

أي كما وحد الشاعر البطن في موضع الجمع حيث قال:

كلوا في بعض بطنكمو تعفوا فإن زمانكم زمن خميص

يُقال عف عن الحرام يعفّ عفًّا وعفافًا وعفة أي كَفّ عنه ولم يتعرّض لما لا يحل والمعنى اقنعوا بالقليل من الطعام تعفوا عن تناول الحرام فإن زمانكم زمن

أي ينصرفون منهزمين يعني يوم بدر **(وهذه من علامات النبوّة)** ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ موعد عذابهم بعد بدر ﴿وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ﴾ أشد من موقف بدر **(والداهية)** الأمر المنكر الذي لا يهتدى **(لدوائه** ﴿وَأَمَرُّ﴾ **مذاقًا من عذاب الدنيا)** أو أشد **(من المِرة)**.

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ﴾ عن الحق في الدنيا ﴿وَسُعُرٍ﴾ ونيران في الآخرة أو في هلاك ونيران ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ﴾ يجرون فيها ﴿عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ **(ويقال لهم)**

---

الضيق والجدب والخميص الجائع والمراد زمانكم ذو خمص كما في عيشة راضية أي ذات رضى هذا إذا أمن اللبس، وأما إذا لم يؤمن بأن يكون مدلول اللفظ أمرًا منفصلًا عن الشخص كالثوب والفرس فلا يجوز حينئذٍ إطلاق اللفظ المفرد وإرادة الجمع فلا يُقال ثوبهم وفرسهم عند إرادة الأثواب والأفراس حذرًا من اللبس فإنه يجوز اشتراك جماعة في ثوب واحد وفرس واحد.

**قوله: (وهذه من علامات النبوّة)** لأن الآية نزلت بمكّة المعظّمة زادها الله تعظيمًا وتشريفًا وأخبر بها أنهم سيهزمون في الحرب فكان كما قال، ولا طريق إلى علم الغيب إلّا الوحي فعلم أن الآية وحي إلـٰهي ففيه رد على مَن زعم أن هذه الآية مدنية لأن غزوة بدر بعد الهجرة كما مرّ.

**قوله: (والداهية)** إشارة إلى أن ﴿أَدْهَىٰ﴾ [القمر: الآية ٤٦] بمعنى أعظم داهية فتعبيره بأشد بيان للمراد منه. **قوله: (لدوائه)** أي لما يزيله وينفع مَن نزل به فهو استعارة هنا ويفهم منه أن الداهية أي المصيبة العظيمة مستعارة ومشبّهة بالمرض الذي لا يرجى برؤه ولا زواله استعارة مكنية. **قوله: (**﴿وَأَمَرُّ﴾ **مَذاقًا من عذاب الدنيا)** قرينة على أن ﴿وَأَمَرُّ﴾ [القمر: الآية ٤٦] تفضيل من المرارة ضد الحلاوة على أنه استعارة. **قوله: (من المِرة)** بكسر الميم.

**قوله: (ويُقال لهم)** قدرة إذ لا ارتباط بدونه والقائل هو الملائكة كما هو الظاهر.

﴿ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ﴾ كقولك: «وجد مسّ الحمى وذاق طعم الضرب» لأن النار إذا أصابتهم بحرّها فكأنها تمسهم مسًّا بذلك. و﴿سَقَرَ﴾ غير منصرف للتأنيث والتعريف **(لأنها علم لجهنم من سقرته)** النار **(إذا لوحته)**.

﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴿٤٩﴾﴾ كل منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر، **(وقُرىء بالرفع شاذًا والنصب أولى)** لأنه لو رفع لأمكن أن يكون ﴿خَلَقۡنَٰهُ﴾ في موضع الجبر وصفًا لـ ﴿شَيۡءٍ﴾ ويكون الخبر ﴿بِقَدَرٖ﴾ وتقديره: إنا كل شيء مخلوق لنا كائن بقدر، ويحتمل أن يكون ﴿خَلَقۡنَٰهُ﴾ هو الخبر وتقديره: إنا كل شيء مخلوق لنا بقدر، فلما تردد الأمر في الرفع عدل إلى النصب وتقديره. إنا خلقنا كل شيء بقدر فيكون الخلق عامًّا لكل شيء وهو المراد بالآية. ولا يجوز في النصب أن يكون ﴿خَلَقۡنَٰهُ﴾ صفة لـ ﴿شَيۡءٍ﴾ لأنه تفسير الناصب والصفة لا تعمل في الموصوف. **(والقدَر والقدْر)** التقدير أن بتقدير سابق أو خلقنا كل شيء مقدرًا

---

**قوله: (لأنها)** أي ﴿سَقَرَ﴾ [القمر: الآية ٤٨] **(علم لجهنم)** أي مطلقًا كما أنها علم لطبقة مخصوصة للمجوس، وكذا جهنم علم لدار العقاب مطلقًا كما أنه علم لطبقة مخصوصة لعصاة الموحّدين وهي الطبقة الأولى. **قوله: (من سقرته)** النار **(إذا لوحته)** بالحاء المهملة تفعيل من التلويح وهو تغيير الجلد ولونه من ملاقاة حرّ النار أو الشمس لا بمعنى الرمز والإشارة.

**قوله: (وقرىء بالرفع شاذًا)** قارئه أبو السمال رحمه الله. **قوله: (والنصب أولى...)** إلخ فإن في قراءة الرفع يحتمل أن يكون كل شيء مبتدأ و﴿خَلَقۡنَٰهُ﴾ [القمر: الآية ٤٩] خبره و﴿بِقَدَرٖ﴾ [القمر: الآية ٤٩] حالًا فعلى هذا يفيد المعنى المقصود ويطابق المعنى الذي أفاده القراءة بالنصب. ويحتمل أن يكون ﴿كُلَّ شَيۡءٍ﴾ [القمر: الآية ٤٩] مبتدأ و﴿خَلَقۡنَٰهُ﴾ [القمر: الآية ٤٩] صفة و﴿بِقَدَرٖ﴾ [القمر: الآية ٤٩] خبر المبتدأ فعلى هذا لا يفيد المقصود لأن المعنى حينئذٍ أن كل شيء مخلوق لنا بقدر وهو يوهم أن ما هو مخلوق لغير الله ليس بقدر، ولما كانت القراءة بالرفع محتملًا للمقصود وغيره. والقراءة بالنصب نصًّا في المقصود كان النصب أولى من الرفع. **قوله: (والقدَر)** بفتح الدال **(والقدْر)** بسكونها.

محكمًا مرتبًا على حسب ما اقتضته الحكمة، أو مقدرًا مكتوبًا في اللوح معلومًا قبل كونه قد علمنا حاله وزمانه.

قال (**أبو هريرة**): جاء مشركو قريش إلى النبيّ ﷺ يخاصمونه في القدر فنزلت الآية، وكان عمر يحلف أنها نزلت في (**القدرية**).

﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ ۝٥٠﴾

﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ﴾ إلا كلمة واحدة أي وما أمرنا لشيء نريد تكوينه إلا أن نقول له كن فيكون (﴿كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ﴾) على قدر ما يلمح أحدكم ببصره. وقيل: المراد بأمرنا القيامة كقوله: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ﴾ [النمل: الآية ٧٧].

---

**قوله**: (**أبو هريرة**) تصغير هرة، قيل: سبب تلقّبه بذلك ما رواه ابن عبد البر أنّه قال: كنت أحمل يومًا هرة في كُمّي فرأى رسول الله ﷺ فقال: ما هذه؟ فقلت: هرة، فقال لي: أنت أبو هريرة، واسمه عبد الرحمٰن بن صخر على الأصح من خمسة وثلاثين قولًا. أسلم عام خيبر وشهدها مع النبيّ ﷺ، ثم لزم وواظب راغبًا في العلم راضيًا بشبع بطنه، وكان يدور معه حيث دار، من أحفظ الصحابة.

قال البخاري رحمه الله: روى عنه أكثر من ثمانمائة رجل من بين الصحابة والتابعين؛ فمنهم ابن عباس وابن عمر وجابر وأنس. وبلغ ما رواه خمسة آلاف حديث وثلاثمائة وأربعة وستين.

والصحيح أنه تُوفي بالمدينة سنة تسع وخمسين وهو ابن ثمان وسبعين ودُفن بالبقيع.

**قوله**: (**القدرية**) بفتح الدال وسكونها وهم الذين ينكرون القدر وينسبون الحوادث كلها إلى الأوضاع الفلكية واتصالات الكواكب.

**قوله**: (﴿كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ﴾) أي كرجع الطرف من أعلى الحدقة إلى أسفلها.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾﴾

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ﴾ أشباهكم في الكفر من الأمم ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ متعظ ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ﴾ أي أولئك الكفار أي وكل شيء مفعول لهم ثابت ﴿فِي ٱلزُّبُرِ﴾ في دواوين الحفظة فـ ﴿فَعَلُوهُ﴾ في موضع جرّ نعت لـ ﴿شَيْءٍ﴾ و﴿فِي ٱلزُّبُرِ﴾ خبر لـ ﴿لكل﴾.

﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾

﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾ من الأعمال ومن كل ما هو كائن ﴿مُّسْتَطَرٌ﴾ **(مسطور في اللوح** ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ فِي جَنَّٰتٍ (وَنَهَرٍ) ﴿٥٤﴾﴾ وأنهار **(اكتفى باسم الجنس)**. **(وقيل: هو السعة والضياء)** ومنه النهار.

---

**قوله: (مسطور في اللوح)** أي مكتوب من السطر بمعنى الكتب وأشار إلى أن الافتعال بمعنى الثلاثي.

**قوله:** (﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾) أي الموحّدين بقرينة مقابلة بالمجرمين أي للكافرين فالمراد أدنى المراتب من التقوى أو الوسطى منها وهو الاجتناب عن الكبائر فيبقى حال عصاة المسلمين مسكوتًا عنها كما في أكثر المواضع. **قوله:** (﴿وَنَهَرٍ﴾) أيْ أنهار من ماء وأنهار من لبن وخمر وأنهار من عسل مصفّى. **قوله: (اكتفى باسم الجنس)** لرعاية الفاصلة وهو إن كان مفرد لفظًا لكنه جمع معنى إذ المراد الماهية من حيث تحققها في ضمن أفراد كثيرة بقرينة ﴿جَنَّٰتٍ﴾ [القمر: الآية ٥٤].

**قوله: (وقيل: هو السعة والضياء)** ومنه النهار يعني أن النهر قد يستعمل في نهر الماء ويستعمل أيضًا بمعنى السعة. يُقال: أنهرت الطعنة أي وسعتها واستنهر الشيء إذا اتسع ويسمى النهار نهار السعة ضيائه. وقال الضحاك: ليس المراد بالنهر هنا نهر الماء وإنما المراد سعة الأرزاق لأن المادّة تساعد هذا المعنى ويجوز أن يكون النهر بمعنى الضياء المتسع على أنه من النهار.

﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ **(في مكان مرضي)** ﴿عِندَ مَلِيكٍ﴾ عندية منزلة وكرامة لا مسافة ومماسة ﴿مُّقْتَدِرٍ﴾ قادر.

**(وفائدة التنكير فيهما)** أن يعلم أن لا شيء إلا هو تحت ملكه وقدرته وهو على كل شيء قدير.

---

**قوله: (في مكان مرضي)** إشارة إلى أن ﴿مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ [القمر: الآية ٥٥] من باب رجل صدق في أنه من إضافة الموصوف إلى الصفة وأن الصدق بمعنى الجودة والخيرية. اهـ. شيخ زاده رحمه الله. وفي حاشية العلّامة القنويّ.

**قوله: (في مكان مرضي)** أي المقعد اسم مكان مرضي معنى ﴿صِدْقٍ﴾ مجاز لأن الصدق يلزمه الرضاء واكتفى باسم الجنس أيضًا والمعنى مقاعد صدق ويدل عليه قراءة مقاعد صدق. اهـ. **قوله: (وفائدة التنكير فيهما...)** الخ أي التنكير في قوله: ﴿مَلِيكٍ﴾. وفي قوله: ﴿مُّقْتَدِرٍ﴾ للتعظيم.

**تمّ هنا بحمد الله ورحمته ما يتعلّق بسورة القمر**
**والصلاة والسلام على أفضل البشر وعلى آله وأصحابه مصابيح الغرر**